الكشـــــاف

(الجزء الثاني)

أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري

- سورة الأنعام
- سورة الأعراف
- سورة الأنفال
- سورة التوبة
- سورة يونس
- سورة هود
- سورة يوسف
- سورة الرعد
- سورة إبراهيم
- سورة الحجر
- سورة النحل
- سورة الإسراء
- سورة الكهف

سورة الأنعام

مكية وعن ابن عباس: غير ست آيات.

وآياتها 165 بسم الله الرحمن الرحيم {الحمد لِله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بِربهم يعدلون}.

{جعل} يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله: {وجعل الظلمات والنور} وإلى مفعولين إذا كان بمعنى صير كقوله: {وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً} الزخرف: 9 والفرق بين الخلق والجعل: أن الخلق فيه معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كإنشاء شيء من شيء أو تصيير شيء شيئاً أو نقله من مكان إلى مكان.

ومن ذلك {وجعل منها زوجها} الأعراف: 189 {وجعل الظلمات والنور} لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة والنور من النار {ثم جعلكم أزواجاً} فاطر: 11 {أجعل الآلهة إلهاً واحداً} فإن قلت: لم أفرد النور قلت: للقصد إلى الجنس كقوله تعالى: {والملك على أرجائها} الحاقة: 17 أو لأن الظلمات كثيرة لأنه ما من جنس من أجناس الأجرام إلاّ وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فإنه من جنس واحد وهو النار.

فإن قلت: علام عطف قوله: {ثُمَ آلّذِينَ كَفروا بِربهم يعدِلُون} قلت: إما على قوله: {الحمدُ لِلهِ} على معنى أن اللّه حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلاّ نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته وإما على قوله: {خلقَ السمواتِ} على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه.

فإن قلت: فما معنى ثم قلت: استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك {ثم أنتم تمترون} الأنعام: 2 استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ما ثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم.

{هُوَ الذي خلقكمُ مِن طِين ثم قَضَى أَجَلاً وأَجَل مسمى عنده ثم أنتم تمترون} {ثم قضى أَجَلاً} أجل الموت {وَأَجَل مسمى عِنده} أجل القيامة.

وقيل: الأجل الأول: ما بين أن يخلق إلى أن يموت.

والثاني: ما بين الموت والبعث وهو البرزخ.

وقيل: الأول النوم.

والثاني: الموت.

فإن قلت: المبتدأ النكرة إذا كان خبره ظرفاً وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله: {وَأَجَل مسمى عنده} قلت: لأنه تخصيص بالصفة فقارب المعرفة كقوله: {ولعبد مؤمن خير من مشرك} البقرة: 221 فإن قلت: الكلام الساتر أن يقال: عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم قلت: أوجبه أن المعنى: وأي أجل مسمىّ عنده تعظيماً {وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون} {في السموات} متعلق بمعنى اسم اللّه كأنه قيل: وهو المعبود عيها.

ومنه قوله: {وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله} الزخرف: 84 أو هو المعروف بالإلهية أو المتوحد بالإلهية فيها أو هو الذي يقال له: اللّه فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز

أن يكون {الله في السموات} خبراً بعد خبر على معنى: أنه اللّه وأنه في السموات والأرض بمعنى: أنه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كأن ذاته فيهما فإن قلت: كيف موقع قوله: {يعلم سِرَكُم وَجَهرَكُم} قلت: إن أردت المتوحد بالإلهية كان تقريراً له لأن الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك إذا جعلت في السموات خبراً بعد خبر وإلا فهو كلام مبتدأ بمعنى: هو يعلم سركم وجهركم.

أو خبر ثالث {وَيعلَمُ مَا تَكسِبُونَ} من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب.

{وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤون} {من} في {من آية} للاستغراق.

وفي {من آيات ربهم} للتبعيض.

يعني: وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار إلا كانوا عنه معرضين: تاركين للنظر لا يلتفتون إليه ولا يرفعون به رأساً لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب {فقد كذبوا} مردود على كلام محذوف كأنه قيل إن كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق {لما جاءهم} يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه {فَسوفَ يأتيهم أنباء} الشيء الذي {كانوا به يستهزؤون} وهو القرآن أي أخباره وأحواله بمعنى: سيعلمون بأي شيء استهزءوا.

وسيظهر لهم أنه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند إرسال العذاب عليهم في الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وعلو كلمته.

{ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين}.

مكن له في الأرض: جعل له مكاناً فيها.

ونحوه: أرض له.

ومنه قوله: {إنا مكنا له في الأرض} الكهف: 184 {أو لم نمكن لهم} القصص: 57 وأما مكنته في الأرض فأثبته فيها.

ومنه قوله: {ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه} الأحقاف: 26 ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله: {مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم} والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عاداً وثمود وغيرهم من البسطة في الأجسام والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا.

والسماء المظلة لأن الماء ينزل منها إلى السحاب أو السحاب أو المطر.

والمدرار: المغزار.

فإن قلت: أي فائدة في ذكر إنشاء قرن آخرين بعدهم قلت: الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرناً ويخرب بلاده منهم فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله تعالى: {ولا يخاف عقباها} الشمس: 15.

{وَلَو نَزلناَ عَليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين وقالوا لولا أنزل عليهم ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون}.

{كِتاباً} مكتوباً {في قِرطَاس} في ورق {فلمسوه بأيديهم} ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ولا تبقى لهم علة.

لقالوا {إِن هذَا إِلا سِحر مبين} تعنتاً وعناداً للحق بعد ظهوره {لقضي الأمر} لقضي أمر إهلاكهم بعد نزوله طرفة عين.

إما لأنهم إذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء أبين منها وأيقن ثم لا يؤمنون كما قال: {ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى} الأنعام: 111 لم يكن بد من إهلاكهم كما أهلك أصحاب المائدة وإما لأنه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة فيجب إهلاكهم.

وإما لأنهم إذا شاهدوا ملكاً في صورته زهقت أرواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى {ثم} بعد ما بين الأمرين: قضاء الأمر وعدم الإنظار.

جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة {وَلَو جَعلناه مَلَكاً} ولو جعلنا الرسول ملكاً كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون: لولا أنزل على محمد ملك.

وتارة يقولون: {ما هذا إلا بشر مثلكم} المؤمنون: 33 {ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة} فصلت: 14 {لجعلناه رجُلاً} لأرسلناه في صورة رجل كما.

كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعم الأحوال في صورة دحية.

لأنهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم {وَلَلَبسنَا عَلَيهم} ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حينئذ فإنهم يقولون: إذا رأوا الملك في صورة إنسان: هذا إنسان وليس بملك فإن قال لهم: الدليل على أني ملك أني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق بأني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم فإذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس اللّه عليهم.

ويجوز أن يراد: {وللبسنا عليهم} حينئذ مثل ما يلبسون على أنفسهم الساعة في كفرهم بآيات اللّه البينة: وقرأ ابن محيصن: {ولبسنا عليهم} بلام واحدة.

وقرأ الزهري: {وللبسنا عليهم ما يلبسُون} بالتشديد.

{ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون}

{ولقد أستهزئ} تسلية لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه {فَحَاقَ} بهم فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزؤون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به.

فإن قلت: أي فرق بين قوله {فانظروا {وبين قوله: {ثُمَ اَنظُرُوا {قلت: جعل النظر مسبباّ عن السير في قوله: {فانظروا {فكأنه قيل سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين.

وأما قوله: {سِيرُوا في اَلأرض ثُمَّ اَنظُرُوا} فمعناه إباحة السير في الأرض للتجارة وغيرها من المنافع وإيجاب النظر في آثار الهالكين.

ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح.

{قُل لِمَن مَا فِي اَلسَّمواَتِ وَاَلأرض قُل لله كتَب علىَ نفسِهِ الرحمَةَ ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون}.

{لِمَن مَا فِي السموات والأرض} سؤال تبكيتٍ و {قُل لله} تقرير لهم أي هو اللّه لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون أن تضيفوا شيئاً منه إلى غيره {كتب عَلىَ نَفسِهِ اَلرحمَةَ} أي أوجبها على ذاته في هدايتكم إلى معرفته ونصب الأدلة لكم على توحيده بما أنتم مقرون به من خلق السموات الأرض ثم أوعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله {لَيجمَعَنَكم إلىَ يوم القِيامَةِ} فيجازيكم على إشراككم.

وقوله: {الذين خسروا أنفسهم} نصب على الذم أو رفع: أي أريد الذين خسروا أنفسهم أو أنتم الذين خسروا أنفسهم.

فإن قلت: كيف جعل عدم إيمانهم مسبباً عن خسرانهم والأمر على العكس قلت: معناه: الذين خسروا أنفسهم في علم اللّه: لاختيارهم الكفر.

فهم لا يؤمنون.

{وله} عطف على اللّه {مَا سَكَنَ في اَلليل وَالنهار} من السكنى وتعديه بفي كما في قوله: {وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم}.

{وَهوَ السميع العليم} يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان.

{قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل أني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين قل أني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز العظيم}.

أوَلي {أَغيرَ الله} همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذُوا لأن الإنكار في اتخاذ غير الله ولياً لا في اتخاذ الولي فكان أولى بالتقديم.

ونحوه {أفغير اللّه تأمروني أعبد أيها الجاهلون} الزمر: 64 {أَاللهُ أَذِنَ لَكُمْ} يونس 59.

وقرئ {فَاطِرِ اَلسَّمواتِ} بالجر صفة للّه وبالرفع على المدح.

وقرأ الزهري: {فَطَرَ}.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما عرفت ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر كقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدعتها {وَهُو يُطعِمُ وَلا يطعم} وهو يرزُق ولا يُرْزَق كقوله: {ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون} الذاريات: 9 والمعنى: أن المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع.

وقرئ: {ولا يَطعم} بفتح الياء.

وروى ابن المأمون عن يعقوب: {وهو يُطْعَمُ ولا يُطعِمُ} على بناء الأول للمفعول والثاني للفاعل

والضمير لغير الله وقرأ الأشهب: {وهو يطعم ولا يطعم} على بنائهما للفاعل.

وفسر بأن معناه: وهو يطعم ولا يستطعم.

وحكى الأزهري: أطعمت بمعنى استطعمت ونحوه أفدت.

ويجوز أن يكون المعنى: وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح كقولك: وهو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر {أولَ مَنْ أسلم} لأن النبي سابق أمته في الإسلام كقوله {وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين} الأنعام: 163 وكقول موسى: {سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين} الأعراف: 143 {ولا تكونن} وقيل لي لا تكونن {مِنَ المشركين} ومعناه: أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك.

و {من يصُرَف عَنهُ} العذاب {يومَئِذٍ فَقد رَحِمهُ} الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك: إن أطعمت زيداً من جوعه فقد أحسنت إليه تريد: فقد أتممت الإحسان إليه أو فقد أدخله الجنة لأن من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب.

وقرئ: {من يصرف عنه} على البناء للفاعل والمعنى: من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى: من يدفع الله عنه.ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه.

وترك ذكر المصروف لكونه معلوماً أو مذكوراً قبله وهو العذاب.

ويجوز أن ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به أي من يصرف الله عنه ذلك اليوم: أي هوله فقد رحمه.

وينصر هذه القراءة قراءة أبيّ رضي اللّه عنه: من يصرف الله عنه.

{وإن يمسسكَ اللهُ يضُر} من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه إلا هو {وإن يَمسسكَ بخَير {من غنى أو صحة {فَهُو على كل شيء قَدِير {فكان قادراً على إدامته أو إزالته.

{وَهُوَ القَاهِرُ فوقَ عِبَاده وَهُوَ اَلحكِيمُ الخبِير}.

{فَوقَ عِبَادِه} تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله: {وإنا فوقهم قاهرون} الأعراف: 127 الشيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم.

ولذلك صح أن يقال في اللّه عز وجل: شيء لا كالأشياء كأنك قلت: معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح: جسم لا كالأجسام.

{قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون}.

وأراد: أي شهيد {أَكبر شَهادة} فوضع شيئاً مقام شهيد ليبالغ في التعميم {قُلِ الله شَهِيد بيني وبينكم {يحتمل أن يكون تمام الجواب عند قوله: {قُلِ اللهُ {بمعني اللّه أكبر شهادة ثم ابتدئ {شَهِيدُ بينِي وبينكم} أي هو شهيد بيني وبينكم وأن يكون {اللهُ شَهِيد بينِي وبينكم}

هو الجواب لدلالته على أن الله عز وجل إذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فأكبر شيء شهادة شهيد له {وَمَن بَلَغَ} عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة.

أي: لأنذركم به وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم.

وقيل: من الثقلين.

وقيل: من بلغه إلى يوم القيامة.

وعن سعيد بن جبير: من بلغه القرآن فكأنما رأى محمداً صلى الله عليه وسلم {أئنكم لتشهدون} تقرير لهم مع إنكار واستبعاد {قُل لا أشهد {شهادتكم.

{الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ومن أظلم من أفترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون}.

{الذين آتيناهم الكتاب} يعني اليهود والنصارى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة {كما يعرِفون أبناءهم} بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسونِ بغيرهم.وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحة نبوته.

ثم قال: {الذين خسروا أنفسهم} من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين {فَهُم لا يؤمنون} به جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا: {لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا} الأنعام: 148 وقالوا: {والله أمرنا بها} الأعراف: 28 وقالوا: الملائكة بنات اللّه و {هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه} يونس: 18 ونسبوا إليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا القرآن والمعجزات وسموها سحراً ولم يؤمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم.

{ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون}.

{ويوم نحشرهم} ناصبه محذوف تقديره: ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الإبهام الذي هو داخل في التخويف {أين شركاؤكم} أي آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله.

وقوله: {الَذِينَ كنُتمُ تزعمُونَ} معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان.

وقرئ: {ويحشرهم} ثم يقول: بالياء فيهما.

وإنما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم إلا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة.

فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم {فتنتهم} كفرهم.

والمعنى: ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به.

ويجوز أن يراد: ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمي فتنة لأنه كذب.

وقرئ: {تكن} بالتاء و {فتنتهم} بالنصب.

وإنما أنث أَن قَالُوا لوقوع الخبر مؤنثاً كقولك: من كانت أمك وقرئ بالياء ونصب الفتنة.

وبالياء والتاء مع رفع الفتنة.

وقرئ: {ربنا} بالنصب على النداء {وَضَل عنهم} وغاب عنهم {ما كانوا يَفتَرُونَ} أي يفترون إلهيته وشفاعته.

فإن قلت: كيف يصح أن يكذبوا حين يطلعون على حقائق الأمور على أن الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت: الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشاً: ألا تراهم يقولون: {ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون} المؤمنون: 107 وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه {ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك} الزخرف: 77 وقد علموا أنه لا يقضى عليهم.

وأما قول من يقول: معناه: ما كنا مشركين عند أنفسنا وما علمنا أنا على خطأ في معتقدنا وحملُ قوله: {انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لأفصح الكلام إلى ما هو عي وإقحام لأن المعنى الذي ذهبوا إليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه أشد النبوّ.

وما أدري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى: {يوم يبعثهم اللّه جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون} المجادلة: 18 بعد قوله: {ويحلفون على الكذب وهم يعلمون} المجادلة: 114 فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا.

{ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبكم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن يروا كل آية لا

يؤمنون بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين وهم ينهون عنه وينئون عنه وإن يهلكوا إلا أنفسهم وما يشعرون}.

{ومنهم من يستمع إليك} حين تتلوا القرآن.

روي: أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وأبو جهل وأضرابهم يسمعون تلاوة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر: يا أبا قُتَيلَة ما يقول محمد فقال: والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما أدري ما يقول إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان: إني لأراه حقاً.

فقال أبو جهل: كلا فنزلت.

والأكنة على القلوب والوقر في الأذان: مثل في نبوّ قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته

ووجه إسناد الفعل إلى ذاته وهو قوله: {وجعلنا} للدلالة على أنه أمر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه.

أو هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم {وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب}
فصلت: 5 وقرأ طلحة: {وقراً}بكسر الواو {حتى إذا جاءوك يجادلونك} هي حتى التي تقع بعدها الجمل.

والجملة قوله: {إذا جاءوك} {يَقول الذين كفروا}و {يجادلونك} في موضع الحال.

ويجوز أن تكون الجارة ويكون إذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله: يقول {الذِينَ كفروا}.تفسير له.والمعنى بأنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك.

وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون: {إن هَذا إلا أساَطِيرُ الأولينَ} فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب وهي الغاية في التكذيب {وَهم يَنهونَ} الناس عن القرآن أو عن الرسول عليه الصلاة والسلام وأتباعه ويثبطونهم عن الإيمان به {عَنهُ وينئون} بأنفسهم فيضلون ويضلون {وإن يهلكوُنَ} بذلك {إلا أنفسهم} ولا يتعداهم الضرر إلى غيرهم إن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل: هو أبو طالب لأنه كان ينهى قريشاً عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه ولا يؤمن به.

وروي أنهم اجتمعوا إلى أبي طالب وأرادوا برسول اللّه صلى الله عليه وسلم سوءاً.

فقال: والله لن يَصِلُوا إِلَيكَ بِجمعِهم حَتى أُوسدَ فِي الترَابِ دَفينا فَاصدَع بِأمرِكَ مَا عَلَيكَ غَضَاضَة وَابشِربذَاكَ وَقر منه عيُونا ودعوتني وزعمت ناصح ولقد صدقت وكنت ثم أمينا وعرضت ديناً لا محالة أنه من خير أديان البرية دينا لولا الملامة أو حذاري سبة لوجدتني سمحاً بذلك مبينا فنزلت: {ولو ترِى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكونن من المؤمنين بل} {وَلَو تَرَى} جوابه محذوف تقديره.

ولو ترى لرأيت أمراً شنيعاً {وقفُوا عَلىَ النارِ} أروها حتى يعاينوها.

أو اطلعوا عليها اطلاعاً هي تحتهم أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك: وقفته على كذا إذا فهمته وعرفته وقرئ: {وقفوا} على البناء للفاعل ومن وقف عليه وقوفاً {يا ليتنا نرد} تم تمنيهم.

ثم ابتدؤا {ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين} واعدين الإيمان كأنهم قالوا: ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الإثبات.

وشبهة سيبويه بقولهم: دعني ولا أعود بمعنى: دعني وأنا لا أعود تركتني أو لم تتركني.

ويجوز أن يكون معطوفاً على نرد أو حالاّ على معنى: يا ليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني.

فإن قلت: يدفع ذلك قوله: {وإنَهُم لكاذبون} لأن المتمني لا يكون كاذباً.

قلت: هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل: ليت الله يرزقني مالاً فأحسن إليك وأكافئك على صنيعك فهذا متمن في معنى الواعد فلو رزق مالاً ولم يحسن إلى صاحبه ولم يكافئه كذب كأنه قال: إن رزقني اللّه مالاً كافأتك على الإحسان.

وقرئ: {ولا نكذب ونكون {بالنصب بإضمار أن على جواب التمني ومعناه: إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين {بَل بَدَا لَهُم مَا كَاَنوُا يُخفُونَ مِن قبل} من قبائحهم وفضائحهم في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجراً لا أنهم عازمون على أنهم لو ردوا لآمنوا

وقيل: هو في المنافقين وأنه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه.

وقيل: هو في أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم {وَلَو رُدوا} إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار {لعادوا لما نُهُوا عَنهُ} من الكفر والمعاصي {وإنهم لكَاذبُونَ {فيما وعدوا من أنفسهم لا يفون به.

{وقالوا إن هِيَ إلا حَيَاتنا اَلدُنيَا وَمَا نَحنُ بِمَبعُوثين}.

{وَقَالوُا} عطف على لعادوا.

أي: ولو ردوا لكفروا ولقالوا: {إِن هِيَ إلا حياتنا الدنيا {كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة.

ويجوز أن يعطف على قوله: وإنهم لكاذبون على معنى: وإنهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا: إن هي إلا حياتنا الدنيا.

وكفى به دليلاً على كذبهم.

{ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون}.

{وقفُوا على رَبهم} مجاز على الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده ليعاتبه.

وقيل: وقفوا على جزاء ربهم.

وقيل: عرفوه حق التعريف {قَالَ} مردود على قول قائل قال: ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه فقيل: قال: {أليس هذا بالحق} وهذا تعيير من الله تعالى لهم على التكذيب.

وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء: ما هو بحق وما هو إلا باطل {بِمَا كنتُم تَكفُرُونَ} بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها.

وقد حقق الكلام فيه في مواضع أخر.

و {حتى} غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له.

أي ما زال بهم التكذيب إلى حسرتهم وقت مجيء الساعة.

فإن قلت: أما يتحسرون عند موتهم قلت: لما كان الموت وقوعاً في أحوال الآخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: {من مات فقد قامت قيامته}.

أو جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة {بَغتَة {فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة أو على المصدر كأنه قيل: بغتتهم الساعة بغتة {فَرطناَ فِيهَا {الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وإن لم يجر لها ذكر لكونها معلومة أو الساعة على معنى: قصرنا في شأنها وفي الإيمان بها كما تقول: فرطت في فلان.

ومنه فرطت في جنب اللّه {تحمِلوُنَ أوزَارَهُم علىَ ظُهُورِهِم {كقوله: {فبما كسبت أيديكم} الشورى: 30 لأنه اعتيد حمل الأثقال على الظهور كما ألف الكسب بالأيدي {سَآء مَا يَزِرُونَ} بئس شيئاً يزرون وزرهم كقوله {ساء مثلاً القوم} الأعراف: 177.

{وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون}.

جعل أعمال الدنيا لعباً ولهواً واشتغالاً بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة.

وقوله: {للذين يتقون} دليل على أن ما عدا أعمال المتقين لعب ولهو.

وقرأ ابن عباس رضي اللّه عنه: {ولدار الآخرة} وقرئ: {تعقلون} بالتاء والياء.

{وقد نعلم إنه ليحزنك الذين يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات اللهِ يجحدون}. قد في قد نعلَمُ بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله: أَخُو ثِقَةٍ لاَ تُهلِكُ الخمَرُ مَالَهُ وَلَكِنهُ قَد يُهْلِكُ الْمَالَ نَائِلُه والهاء في إنه ضمير الشأن لَيحزُنكَ قرئ بفتح الياء وضمها.

والذي يَقُولوُنَ هو قولهم: ساحر كذاب لا يكْذبوُنَكَ قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه إذا جعله كاذباً في زعمه وأكذبه إذا وجده كاذباً.

والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى اللّه لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون اللّه بجحود آياته فاله عن حزنك لنفسك وإن هم كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو أهم وهو استعظامك بجحود آيات الله تعالى والاستهانة بكتابه.

ونحوه قول السيد لغلامه إذا أهانه بعض الناس: إنهم لم يهينوك وإنما أهانوني.

وفي هذه الطريقة قوله تعالى: {إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله} الفتح: 10 وقيل: فإنهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بألسنتهم.

وقيل: فإنهم لا يكذبونك لأنك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى الأمين فعرفوا أنه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون.

وكان أبو جهل يقول: ما نكذبك لأنك عندنا صادق وإنما نكذب ما جئتنا به.

وروي: أن الأخنس بن شريق قال لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب فإنه ليس عندنا أحد غيرنا فقال له: واللّه إن محمداً لصادق وما كذب قط ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله:

{وَلكن اَلظالمينَ {من إقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على أنهم ظلموا في جحودهم.

{ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأي المرسلين}.

وَلَقَد كُذِبتَ تسلية لرسول صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على أن قوله: {فإنهم لا يكذبونك} الأنعام: 33 ليس بنفي لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك: ما أهانوك ولكنهم أهانوني {على مَا كُذبوُا وَأُوذُوا} على تكذيبهم وإيذائهم {ولا مُبدلَ لِكلماَتِ اَلله {لمواعيده من قوله: {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون} الصافات: 171 {وَلَقَد جاءكَ مِن نبأ}

{وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون}.

كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه وإعراضهم عما جاء به فنزل: {لعلك باخع نفسك} في الشعراء: 3 {إنك لا تهدي من أحببت} القصص 56 {وَإن كاَنَ كَبُرَ عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض} منفذاً تنفذ فيه إلى ما تحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها {أَو سُلَمَاً فِي اَلسَماء فَتَأتيهم} منها بآيه فافعل.

يعني أنك لا تستطيع ذلك.

والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وتهالكه عليه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم.

وقيل: كانوا يقترحون الآيات فكان يود أن يجابوا إليها لتمادي حرصه على إيمانهم.

فقيل له: إن استطعت ذلك فافعل دلالة على أنه بلغ من حرصه أنه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا من الآيات لعلهم يؤمنون.

ويجوز أن يكون ابتغاء النفق في الأرض أو السلم في السماء هو الإتيان بالآيات كأنه قيل: لو استطعت النفوذ إلى ما تحت الأرض أو الرقي إلى السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها.

وحذف جواب إن كما تقول إن شئت أن تقوم بنا إلى فلان نزوره ولو شاء الله لجمعهم على الهدى بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة {فَلا تَكونَنَ مِنَ الجاهلين {من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه {إنَمَا يستجِيبُ اَلذِينَ يسمَعُونَ} يعني أن الذين تحرص على أن يصدقوك بمنزلة المولى الذين لا يسمعون وإنما يستجيب من يسمع كقوله: {إنك لا تسمع الموتى} النمل: 85 {والموتى يبعثهم الله} مثل لقدرته على إلجائهم إلى الاستجابة بأنه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة {ثم إليه يرجعون {للجزاء فكان قادراً على هؤلاء الموتى بالكفر أن يحييهم بالإيمان.

وأنت لا تقدر على ذلك.

وقيل: معناه: وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله.

ثم إليه يرجعون فحينئذ يسمعون.

وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى استماعهم وقرئ: {يرجعون} بفتح الياء.

{وَقَالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون} {لولا نزل عليه آية} نزل بمعنى أنزل.وقرئ: {أن ينزل} بالتشديد والتخفيف.

وذكر الفعل والفاعل مؤنث.

لأن التأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل.

وإنما قالوا ذلك مع تكاثر ما أنزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الإعتداد بما أنزل عليه كأنه لم ينزل عليه شيء من الآيات عناداً منهم {قل إن الله قَادر أن يُنزِلَ آيَة {تضطرهم إلى الإيمان.

كنتق الجبل على بني إسرائيل ونحوه أو آية إن جحدوها جاءهم العذاب ولكن أكثرهم لا يعلمون {أن الله} وما من دابة في الأرض ولا طير يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون {أمم أمثالكم} مكتوبة أرزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم {وما فرطنا} ما تركنا وما أغفلنا {في الكتاب {في اللوح المحفوظ {من شيء {من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت مما يختص به {ثم إلى ربهم يحشرون {يعني الأمم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي: أنه يأخذ للجماء من القرناء فإن قلت: كيف قيل: {إلا أمم} مع أفراد الدابة والطائر فإن قلت: لما كان قوله تعالى: {وَمَا مِن دَابة في الأرض ولا طائر {دالاً على معنى الاستغراق ومغنياً عن أن يقال: وما من دواب ولا طير حمل قوله: {إلا أمم} على المعنى فإن قلت: هلا قيل: وما من دابة ولا طائر إلا أمم أمثالكم وما معنى زيادة قوله: {وَفِي اَلأَرض} و {يَطِيرُ بِجَنَاحيه} قلت: معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة كأنه قيل: وما من دابة قط في جميع الأرضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظة أحوالها غير مهمل أمرها.

فإن قلت: فما الغرض في ذكر ذلك قلت: الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الأجناس المتكاثرة الأصناف وهو حافظ لما لها وما عليها مهيمن على أحوالها لا يشغله شأن عن شأن وأن المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان.

وقرأ ابن أبي عبلة: {ولا طائر {بالرفع على المحل كأنه قيل: وما دابة ولا طائر.

وقرأ علقمة {ما فرطنا} بالتخفيف.

{والذين كذبوا بآياتنا صم بكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط المستقيم} فإن قلت: كيف أتبعه قوله: {وَاَلذِينَ كَذبُوا بآياتنا} قلت: لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال: والمكذبون {صم} لا يسمعون كلام المنبه {وبكم} لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه ثم قال إيذاناً بأنهم من أهل الطبع {مَن يشأ الله يضلله} أي يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لأنه ليس من أهل اللطف {وَمَن يَشَأ نجعلهُ عَلَى صِراط المستقيم} أي يلطف به لأن اللطف يجدي عليه.

{قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون}.

{أرأيتم} أخبروني.

والضمير الثاني لا محل له من الإعراب لأنك تقول: أرأيتك زيداً ما شأنه فلو جعلت للكاف محلاً لكنت كأنك تقول: أرأيت نفسك زيداً ما شأنه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره: إن أتاكم عذاب الله {أو أَتَتكُمُ اَلسَّاعَة}من تدعون.

ثم بكتهم بقوله: {أَغيرَ الله تدعُونَ} بمعنى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها {بلُ إياه تدعُونَ} بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة {فَيَكشِفُ مَا تَدعُونَ إليه} أي ما تدعونه إلى كشفه {إن شَاء} إن أراد أن يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة {وَتَنسَونَ مَا تشركوُنَ} وتتركون آلهتكم أو لا تذكرونها في ذلك الوقت: لأن أذهانكم في ذلك الوقت مغمورة بذكر ربكم وحده إذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله: {أَغَيْرَ اللهَ تدعُونَ} كأنه قيل: أغير اللّه تدعون إن أتاكم عذاب الله.

فإن قلت: إن علقت الشرط به فما تصنع بقوله: {فَيَكشِفُ مَا تدعُونَ إليه} مع قوله: {أَو أَتتكُمُ اَلسَاعَةُ} وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين قلت: قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله: {إن شاء} إيذاناً بأنه إن فعل كان له وجه من الحكمة إلا أنه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة أرجح منه.

{ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم ملبسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين}.

البأساء والضراء: البؤس والضر.

وقيل: البأساء: القحط والجوع.

والضراء: المرض ونقصان الأموال والأنفس.

والمعنى: ولقد أرسلنا إليهم الرسل فكذبوهم فأخذناهم {لعلهم يتضرعون} يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم {فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا} معناه: نفي التضرع كأنه قيل: فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا.

ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع إلا عنادهم وقسوة قلوبهم وأعجابهم بأعمالهم التي زينها الشيطان لهم {فلما نسوا ذكروا به} {من البأساء والضراء: أي تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم {فَتحنَا عَليهم أبوابَ كل شيء} {من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الأب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه أخرى طلباً لصلاحه {حتى إذا فرحوا بما أوتوا} {من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار {أخذناهم بَغتَة فإذا هُم مبلِسُونَ} وآجمون متحسرون آيسون {فَقُطِعَ دَابِرُ القوم} آخرهم لم يترك منهم أحد قد استؤصلت شأفتهم {والحمد لله رب العالمين} إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم.

وقرئ: {فَتَحنَا} بالتشديد.

{قل أرأيتم إن أخذ الله بسمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون}

{إن أخذ الله بسمعكم وأبصاركم {بأن يصمكم ويعميكم {وختم على قلوبكم {بأن يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم وعقلكم {يأتيكم به {أي يأتيكم بذلك إجراء للضمير مجرى اسم الإشارة أو بما أخذ وختم عليه {يصدِفوُنَ {يعرضون عن الآيات بعد ظهورها.

{قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمين {لما كانت البغتة أن يقع الأمر من غير أن يشعر به وتظهر أماراته قيل: {بَغتَة أَو جهرَةَ} وعن الحسن: ليلاً أو نهاراً.

وقرئ: بغتة أو جهرة {هَل يهلَكُ} أي ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الظالمون.

وقرئ: هل يهلك بفتح الياء.

{وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون}.

{مبشرين ومنذرين} من آمن بهم وبما جاءوا به وأطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم يرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة {وأصلح} ما يجب عليه إصلاحه مما كلف.

{وَالذَينَ كَذبوُا بآياتنَا يمسهمٌ اَلعَذَابُ بِمَا كاَنوُا يَفْسُقُونَ}.

جعل العذاب ماساً كأنه حي يفعل بهم ما يريد من الآلام.

ومنه قولهم: لقيت منه الأمرين والأقورين حيث جمعوا جمع العقلاء.

وقوله: {إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً}.

{قل لا أقول لكم عندي خزائن الأرض ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم أني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إليّ قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون}.

أي لا أدعي ما يستبعد في العقول أن يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمة بين الخلق وإرزاقه وعلم الغيب وأني من الملائكة الذين هم أشرف جنس خلقه الله تعالى وأفضله وأقربه منزلة منه.

أي لم أدع إلهية ولا ملكية لأنه ليس بعد الإلهية منزلة أرفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواي وتستنكرونها.

وإنما أدعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة {هَل يستويُ الأعمى والبصير {مثل للضال والمهتدي ويجوز أن يكون مثلاً لمن اتبع ما يوحي إليه.

ومن لم يتبع.

أو لمن ادعى المستقيم وهو النبوة.

والمحال وهو الإلهية أو الملكية {أفَلا تتفكرون} فلا تكونوا ضالين أشباه العميان.

أو فتعلموا أني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر.

أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى إلي مما لا بد لي منه.

فإن قلت: {أعلَمُ الغيبَ {ما محله من الإعراب قلت: النصب عطفاً على قوله: {عندي خزائن الأرض {لأنه من جملة المقول كأنه قال: لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول.

{وأنذر بِهِ الَذِينَ يَخَافوُنَ أَن يحشروا إلى رَبهم لَيس لَهُم من ولي وَلا شَفِيع لَعلَهُم يَتَقُونَ}.

{وَأنذر بِهِ} الضمير راجع إلى قوله: و {وما يوحى إلي}و {الَذِينَ يَخَافوُنَ أَن تحشَرُوا} إما قوم

داخلون في الإسلام مقرون بالبعث ألا أنهم مفرطون في العمل فينذرهم بما يوحي إليه {لعلهم يتقون} أي يدخلون في زمرة المتقين من المسلمين.

وأما أهل الكتاب لأنهم مقرون بالبعث.

وإما ناس من المشركين علم من حالهم أنهم يخافون إذا سمعوا بحديث البعث أن يكون حقاً فيهلكوا فهم ممن يرجى أن ينجع فيهم الإنذار دون المتمردين منهم فأمر أن ينذر هؤلاء.

وقوله: {لَيس لَهُم مِن دونه ولي ولا شفيع} في موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعاً لهم ولا بد من هذه الحال لأن كلاً محشور فالمخوف إنما هو الحشر على هذه الحال.

{ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين}.

ذكر غير المتقين من المسلمين وأمر بإنذارهم ليتقوا ثم أردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم وأكرامهم وأن لا يطيع فيهم من أراد بهم خلاف ذلك وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشي: الدوام.

وقيل معناه: يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالإخلاص في عبادتهم بقوله: {يُريدُونَ وجههُ {والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته.

روي: أن رؤوساً من المشركين قالوا لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم: لو طردت عنا هؤلاء الأعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وبلال وخباب وسلمان وأضرابهم رضوان الله عليهم وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا إليك وحادثناك فقال عليه الصلاة والسلام: ما أنا بطارد المؤمنين.

فقالوا: فأقمهم عنا إذا جئنا فإذا قمنا فأقعدهم معك إن شئت.

فقال: نعم طمعاً في إيمانهم.

وروي: أن عمر رضي اللّه عنه قال: لو فعلت حتى ننظر إلى ما يصيرون.

قال فاكتب بذلك كتاباً فدعا بصحيفة وبعلي رضي الله عنه ليكتب.

فنزلت.

فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته.

قال سلمان وخباب: فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا ويدنو منا حتى تمس ركبتنا ركبته.

وكان يقوم عنا إذا أراد القيام فنزلت: {واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم {فترك القيام عنا إلي أن نقوم عنه وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي.

معكم المحيا ومعكم الممات {وما عليك من حسابهم من شيء {كقوله: {إن حسابهم إلا على ربي} الشعراء: 113 وذلك أنهم طعنوا في دينهم وأخلاصهم فقال: {مَا عَلَيك من حسَابِهم من شيء} بعد شهادته لهم بالإخلاص وبإرادة وجه الله في أعمالهم على معنى: وإن كان الأمر على ما يقولون عند الله فما يلزمك إلا اعتبار الظاهر والاتسام بسيمة المتقين وإن كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم كقوله: {ولا تزر وازرة وزر أخرى} الزمر: 17.

فإن قلت: أما كفى قوله: {مَا عَلَيك مِنْ حسَابِهم من شيء} حتى ضم إليه {وما من حسابك عليهم من شيء} قلت: قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدى واحد وهو المعني في قوله: {ولا تزر وازرة وزر أخرى} الزمر: 7 ولا يستقل بهذا المعنى إلا الجملتان جميعاً كأنه قيل: لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه.

وقيل: الضمير للمشركين.

والمعنى: لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهمك إيمانهم ويحرك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين {فَتطرُدَهُم} جواب النفي {فَتكوُنَ مِنَ الظالمين} جواب النهي.

ويجوز أن يكون عطفاً على {فتطردهم} على وجه التسبيب لأن كونه ظالماً مسبب عن طردهم.

وقرئ: {بالغدوة والعشي}.

{وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين}.

{وكذلك فتنا} ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض أي ابتليناهم بهم.

وذلك أن المشركين كانوا يقولون للمسلمين {أَهؤلاء} الذين {من الله عليهم من بيننا} أي أنعم عليهم بالتوفيق لإصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء إنكاراً لأن يكون أمثالهم على الحق وممنوناً عليهم من بينهم بالخير ونحوه {أألقي الذكر عليه من} ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك: خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سبباً لهذا القول لأنه لا يقول مثل قولهم هذا إلا مخذول مفتون {أليس الله بأعلم بالشاكرين {أي الله أعلم بمن يقع منه الإيمان والشكر فيوفقه للإيمان.

وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق.

{وإذا جاء الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة إنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم}.

{فقل سلام عليكم} إما أن يكون أمراً بتبليغ سلام الله إليهم.

وإما أن يكون أمراً بأن يبدأهم بالسلام إكراماً لهم وتطييباً لقلوبهم.

وكذلك قوله: {كَتب رَبكم على نَفسِه الرحمة} من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم.

وقرئ: {إنه {فإنه بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل: {إِنه من عَمِلَ منكم {وبالفتح على الإبدال من الرحمة {بجهالة} في موضع الحال أي عمله وهو جاهل.

وفيه معنيان أحدهما: أنه فاعل فعل الجهلة لأن من عمل ما يؤدي إلى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من أهل السفه والجهل لا من أهل الحكمة والتدبير.

ومنه قول الشاعر: على أنها قالت عشية زرتها جهلت على عمد ولم تكن جاهلا

والثاني: أنه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة.

ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته.

وقيل: إنها نزلت في عمر رضي الله عنه حين أشار بإجابة الكفرة إلى ما سألوا ولم يعلم أنها مفسدة.

{وَكَذلَكَ نفَصِلُ الآَيَاتِ وَلتستبينَ سَبيلُ المجرمين}.

وقرئ: {ولتستبين} بالتاء والياء مع رفع السبيل لأنها تذكر وتؤنث.

وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل.

يقال: استبان الأمر وتبين واستبنته وتبينته.

والمعنى: ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة أحوال المجرمين.

من هو مطبوع على قلبه لا يرجى إسلامه ومن يرى فيه إمارة القبول وهو الذي يخاف إذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الإسلام إلا أنه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلاً منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل.

{قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين قل إني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين}.

{نهيت} صرفت وزجرت بما ركب في من أدلة العقل وبما أوتيت من أدلة السمع عن عبادة ما تعبدون {مِن دون الله} وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة {قل لا أتبع أهواءكم}أي لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من

أتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من أراد إصابة الحق ومجانبة الباطل {قد ضللت إذاً} أي إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال وما أنا من الهدى في شيء يعني أنكم كذلك.

ولما نفى أن يكون الهوى متبعاً نبه على ما يجب اتباعه بقوله: {قل إني على بينة من ربي} ومعنى قوله: {إني على بينة من ربي وكذبتم به}: إني من معرفة ربي وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق {وكذبتم به} أنتم حيث أشركتم به غيره.

ويقال: أنا على بينة من هذا الأمر وأنا على يقين منه إذا كان ثابتاً عندك بدليل.

ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وأنهم أحقاء بأن يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال: {مَا عِندِي مَا تستعجلون} يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم: {فأمطر علينا حجارة من السماء} 11 الأنفال: 32 {إنِ الحكمُ إلا لله} في تأخير عذابكم {يقضي الحق} أي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في أقسامه {وَهُو خيرُ الفاصِلِينَ} أي القاضين.

وقَرئ: {يقص الحق} أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره {لو أن عندِي}.

أي في قدرتي وإمكاني {ما تستعجلون به} من العذاب {لقضي الأمر بيني وبينكم} {لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربي وامتعاضاً من تكذيبكم به.

ولتخلصت منكم سريعاً} والله أعلم بالظالمين {بما يجب في الحكمة من كنه عقَابهم.

وقيل {على بينة من ربي} على حجة من جهة ربي وهي القرآن {وكذبتم به} أي بالبينة.

وذكر الضمير على تأويل البيان أو القرآن.

فإن قلت: بم انتصب الحق قلت: بأنه صفة لمصدر يقضي أي يقضي القضاء الحق.

ويجوز أن يكون مفعولاً به من قولهم: قضى الدرع إذا صنعها أي يصنع الحق ويدبره.

وفي قراءة عبد الله: يقضى بالحق فإن قلت: لم أسقطت الباء في الخط قلت: إتباعاً للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين.

{وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين}.

جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن المتوثق منها بالأغلاق والأقفال.

ومن كلم مفاتحها وكيف تفتح توصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في المخازن.

والمفاتح: جمع مفتح وهو المفتاح.

وقرئ: {مفاتيح} وقيل: هي جمع مفتحبفتح المِيمِ وهو المخزن {ولا حبة ولا رطب ولا يابس} عطف على ورقة وداخل في حكمها كأنه قيل: وما يسقط من شيء من هذه الأشياء إلا يعلمه.

وقوله: {إلا في كتاب مبين} كالتكرير لقوله: {إلا يعلمها} لأن معنى {إلا في كتاب مبين} واحد.

والكتاب المبين: علم الله تعالى أو اللوح: وقرئ: {ولا حبة ولا رطب ولا يابس} بالرفع.

وفيه وجهان: أن يكون عطفاً على محل {مِن وَرَقَة} وأن يكون رفعاً على الابتداء وخبره {إلا في كتاب مبين {كقولك: لا رجل منهم ولا امرأة إلا في الدار.

{وهوَ اَلذَي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضي أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبؤكم بما كنتم تعملون}. {وهوَ اَلذَي يتوفاكم بالليل} الخطاب للكفرة أي أنتم منسدحون الليل كله كالجيف {ويعلَمُ مَا جَرَحتم باللهارِ} ما كسبتم من الآثام فيه {ثُمَ يبعثكم فِيهِ} ثم يبعثكم من القبور في شأن ذلك الذي قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن أجله كقولك: فيم دعوتني فتقول: في أمر كذا {ليقضي أجل مسمى} وهو الأجل الذيِ سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم.

{ثم إليه مرجعكم} وهو المرجع إلى موقف الحساب {ثم ينبئكم بِمَا كُنتم تَعملون} في ليلكم ونهاركم.

{وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليهم حفظة حتى إذا جاء أحدهم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين}.

{الحفظة} ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون.

وعن أبي حاتم السجستاني كان يكتبَ عن الأصمعي كل شيء بلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه: أنت شبيه الحفظة تكتبَ لغط اللفظة: فقال أبو حاتم: وهذا أيضاً مما يكتب.

فإن قلت: الله تعالى غني بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها قلت: فيها لطف للعباد لأنهم إذا علموا أن الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم أعمالهم ويكتبونها في صحائف تعرض على رؤس الأشهاد في مواقف القيامة كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد عن السوء {تَوَفتْهُ رُسُنُاَ} أي استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه.

وعن مجاهد: جعلت الأرض له مثل الطست يتناول من يتناوله.

وما من أهل بيت إلا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين.

وقرئ: {توفاه} ويجوز أن يكون ماضياً ومضارعاً بمعنى تتوفاه.

و {يفَرطونَ} بالتشديد والتخفيف فالتفريط التواني والتأخير عن الحد والإفراط مجاوزة الحد أي لا ينقصون مما أمروا به أو لا يزيدون فيه {ثُمَ ردوا إلَى الله} أي إلى حكمه وجزائه {مولاهم} مالكهم الذي يلي عليهم أمورهم {الحق} العدل الذي لا يحكم إلا بالحق {ألا له اَلحكُمُ} يومئذ لا حكم فيه لغيره {وَهُوَ أسرَعُ اَلحاسبينَ} لا يشغله حساب عن حساب.

وقرئ: {الحق} بالنصب على المدح كقولك: الحمد لله الحقَّ.

{قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون}.

{ظلمات البر والبحر} مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما.

يقال لليوم الشديد: يوم مظلم ويوم ذو كواكب.

أي اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز أن يراد.

ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فإذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتها {لئن أنجيتنا} على إرادة القول {من هَذه} من هذه الظلمة الشديدة.

وقرئ: {ينجيكم} بالتشديد والتخفيف وأنجانا وخفية بالضم والكسر.

{قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون}.

{هو القادر} هو الذي عرفتموه قادراً وهو الكامل القدرة {عذاباً من فوقكم} كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة وأرسل على قوم نوح الطوفان {أو من تحت أرجلكم}

كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم: من قبل أكابركم وسلاطينكم.

ومن تحت أرجلكم: من قبل سفلتكم وعبيدكم.

وقيل: هو حبس المطر والنبات {أو يلبسكم شيعاً} أو يخلطكم فرقاً مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لإمام. ومعنى خلطهم: أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله: وكتيبة لبستها بكتيبة حتى إذا التبست نفضت لها يدي وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: {سألت الله أن لا يبعث على أمتي عذاباً من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطاني ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني وأخبرني جبريل أن فناء أمتي بالسيف {وعن جابر بن عبد اللّه: لما نزل {مِن فوقكم} قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أعوذ بوجهك} فلما نزل: {أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعاً} قال: هاتان أهون ومعنى الآية: الوعيد بأحد أصناف العذاب المعدودة.

والضمير في قوله: {وكذَبَ به} راجع إلى العذاب {وَهُو الحق} أي لا بد أن ينزل بهم {قُل لَستُ عَلَيهمُ بوَكيل} بحفيظ وكُل إلي أمركم أمنعكم من التكذيب إجباراً إنما أنا منذر {لكل نبأ {لكل شيء ينبأ به يعني إنباءهم بأنهم يعذبون وإيعادهم به {مستقر} وقت استقرار

{وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون}.

{يخوضون في آياتنا} في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في أنديتهم يفعلون ذلك {فأعرض عنهم {فلا تجالسهم وقم عنهم {حتى يخوضوا في حديث غيره {فلا بأس أن تجالسهم حينئذ {وإما ينسينك الشيطان {وإن شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم {فلا تقعد {معهم {بعد الذكرى {بعد أن تذكر اللهي.

وقرئ: {ينسينك {بالتشديد.

ويجوز أن يراد: وإن كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لأنها مما تنكره العقول {فَلا تقعُد بعدَ الذكرى {بعد أن ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم {وما على الذين تتقون من حسابهم من شيء {ما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم {ولكن {عليهم أن يذكِروهم {ذكرى {إذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم وإظهار الكراهة لهم وموعظتهم {لعلَهُم يتقونَ {لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم.

ويجوز أن يكون الضمير للذين يتقون أي يذكرونهم إرادة أن يثبتوا على تقواهم ويزدادوها.

وروي: أن المسلمين قالوا: لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام وأن نطوف فرخص لهم.

فإن قلت: ما محل {الذكرى {قلت: يجوز أن يكون نصباً على: ولكن يذكرونهم ذكرى أي تذكيراً.

ورفعاً على: ولكن عليهم ذكرى.

ولا يجوز أن يكون عطفاً على محل {مِن شَيء {كقولك: ما في الدار من أحد ولكن زيد لأن قوله: {من حِسَابهم {يأبى ذلك.

{وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين ألبسوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون {.

{اتخذوا دينهم لعباً ولهواً {أي دينهم الذي كان يجب أن يأخذوا به لعباً ولهواً.

وذلك أن عبادة الأصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد.

أو اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الأصنام وغيرها ديناً لهم.

أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام لعباً ولهواً حيث سخروا به واستهزؤا.

وقيل: جعل الله لكل قوم عيداً يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين وأهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعباً ولهواً وغير المسلمين فإنهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله.

ومعنى {ذرهم {أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم {وذكر به {أي: بالقرآن {أن تُبسَلَ نَفْسٌ {مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب وإبسالي بني بغير جرم بعوناه ولا بدم مراق ومنه: هذا عليك بسل أي حرام محظور.

والباسل: الشجاع لامتناعه من قرنه أو لأنه شديد البسور.

يقال: بسر الرجل إذا اشتد عبوسه.

فإذا زاد قالوا: بسل.

والعابس: منقبض الوجه {وإَن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها {وإن تفد كل فداء والعدل: الفدية.

لأن الفادي يعدل المفدي بمثله.

وكل عدل: نصب على المصدر.

وفاعل {يؤخذ {قوله: {منها {لا ضمير العدل لأن العدل ههنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ.

وأما في قوله تعالى: {ولا يؤخذ منها عدل {البقرة: 148 فبمعنى المفدي به فصح إسناده إليه {أولئكَ {إشارة إلى المتخذين دينهم لعباً ولهواً.

قيل: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن إلى عبادة الأوثان.

{قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى أئتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين {.

{قل أندعوا {أنعبد {مِن دونِ الله {الضار النافع ما لا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا {وَنَرد على أعقَابنَا {راجعين إلى الشرك بعد إذ أنقذنا الله منه وهدانا للإسلام {كالذي أستهوته الشياطين {كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان {وَفي الأرض {المهمه {حيرَان {تائهاً ضالاً عن الجادة لا يدري

كيف يصنع {له {أي لهذا المستوى {أصحاَب {رفقة {يدعُونه {إلَى الهُدَى {إلى أن يهدوه الطريق المستوي.

أو سمي الطريق المستقيم بالهدى يقولون له {ائتنا {وقد اعتسف المهمه تابعاً للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم.

وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده: أن الجن تستهوي الإنسان.

والغيلان تستولي عليه كقوله: {كالذي يتخبطه الشيطان من المس {البقرة: 275 فشبه الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه إليه فلا يلتفت إليهم {قل إن هُدَى الله {وهو الإسلام {هُوَ آلهُدَى {وحده وما وراءه ضلال وغي {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً {آل عمران: 85.

{فماذا بعد الحق إلا الضلال {يونس: 32.

فإن قلت: فما محل الكاف في قوله: {كالذي استهوته {قلت النصب على الحال من الضمير في {نرد على أعقابنا {أي: أننكص مشبهين من استهوته الشياطين فإن قلت: ما معنى {استهوته {قلت: هو استفعال من هوى في الأرض إذا ذهب فيها كأن معناه: طلبت هويه وحرصت عليه. فإن قلت: ما محل: {أمرنا {قلت: النصب عطفاً على محل قوله: {إن هُدَى الله هو الهُدَى {على أنهما مقولان كأنه قيل: قل هذا القول وقل أمرنا لنسلم. فإن قلت: ما معنى اللام في {لنسلم {قلت: هي تعليل للأمر بمعنى: أمرنا وقيل لنا أسلموا لأجل أن نسلم. فإن قلت: فإذا كان هذا وارداً في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكيف قيل للرسول عليه الصلاة والسلام قل أندعو قلت: للاتحاد الذي

كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين خصوصاً بينه وبين الصديق أبي بكر رضي الله تعالى عنه. {وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير {. فإن قلت علام عطف قوله {وأن أقيموا {قلت: على موضع {لنسلم {كأنه قيل: وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا: أي للإسلام ولإقامة الصلاة {قوله الحق {مبتدأ. ويوم يقول: خبره مقدماً عليه وانتصابه بمعنى الاستقراء كقولك: يوم الجمعة القتال. واليوم بمعنى الحين. والمعنى: أنه خلق السموات والأرض قائماً بالحق والحكمة وحين يقول لشيء من الأشياء {كن {فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة. أي لا يكون شيئاً من السموات والأرض وسائر المكونات إلا عن حكمة وصواب. و {يومَ يُنفَخُ {ظرف لقوله: {لمن الملك {كقوله: {لمن الملك اليوم {غافر: 16 ويجوز أن يكون {قوله الحق {فاعل يكون على معنى: وحين يقول لقوله الحق أي لقضائه الحق {كن {فيكون قوله الحق. وانتصاب اليوم لمحذوف دل عليه قوله {بالحق {كأنه قيل: وحين يكون ويقدر يقوم بالحق {عالم الغيب {هو عالم الغيب

{وإذ قال إبراهيم لأبيه أزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن الليل عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الأفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين {. {أزر {اسم أبي إبراهيم عليه السلام. وفي كتب التواريخ أن اسمه بالسريانية تارح. والأقرب أن يكون وزن {أزَرَ {فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما أشبهها من أسمائهم وهو عطف بيان لأبيه. وقرئ: {آزر {بالضم على النداء. وقيل: {آزر {اسم صنم فيجوز أن ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتي كان يشبب بهن فقيل: ابن قيس الرقيات. وفي شعر بعض المحدثين: أُدعَى بأَسمَاءَ نَبزاً في قَبَائِلِهَا كَأَن أسمَاءَ أَضحَت بعد أسمَائِي أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه. وقرئ: {أزر {تتخذ أصناماً آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم

صنم. ومعناه: أتعبد آزراً على الإنكار ثم قال: تتخذ أصناماً آلهة تثبيتاً لذلك وتقريراً وهو داخل في حكم الإنكار لأنه كالبيان له {فلما جن عليه الليل {عطف على قال إبراهيم لأبيه: وقوله: {وكذلك نرى إبراهيم {جملة معترض بها بين المعطوف والمعطوف عليه. والمعنى: ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف إبراهيم ونبصره. ملكوت السموات والأرض: يعني الربوبية والإلهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال. وليكون من الموقنين: فعلنا ذلك. ونري: حكاية حال ماضية وكان أبوه آزر وقومه يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ في دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن

شيئاً منها لا يصح أن يكون إلهاً لقيام دليل الحدوث فيها وأن وراءها محدثاً أحدثها وصانعاً صنعها مدبراً دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها {هذا ربي {قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه. لأن ذلك أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة {لا أحب الآفلين {لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين من حال إلى حال المتنقلين من مكان إلى آخر المحتجبين بستر فإن ذلك من صفات الأجرام {بازغاً {مبتدئاً في الطلوع {لئن لم يهديني ربي {تنبيه لقومه على أن من اتخذ القمر إلهاً وهو نظير الكوكب في الأفول

فهو ضال وأن الهداية إلى الحق بتوفيق الله ولطفه {هذا أكبر {من باب استعمال النصفة أيضاً مع خصومه {إني بريء مما تشركون {من الأجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها {إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض {أي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدؤها ومبتدعها. وقيل: هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله. والأول أظهر لقوله: {لئن لم يهديني ربي {. وقوله: {يا قوم إني بريء مما تشركون {. فإن قلت: لم احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال قلت: الاحتجاج بالأفول أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب. فإن قلت: ما وجه التذكير في قوله: {هَذَا رَبي {والإشارة للشمس قلت: جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم: ما جاءت حاجتك ومن كانت أمك و {لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا {الأنعام: 23 وكان اختيار هذه الطريقة واجباً لصيانة الرب عن شبهة التأنيث. ألا تراهم قالوا في صفة الله علام لم يقولوا علامة وإن كان العلامة أبلغ احترازاً من علامة التأنيث. وقرئ: {تري إبراهيمَ ملكوتُ السمواتِ والأرض {بالتاء ورفع الملكوت. ومعناه: تبصره دلائل الربوبية. {وحاجه قومه قال أتحاجونني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئاً وسع ربي كل شيء علماً أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم

أشركتم بالله ما لم ينزل به من عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلاً هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وألياس كل من الصالحين وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط المستقيم ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين أتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكر للعالمين {. {وحاجه قومه قال أتحاجونني في الله {وكانوا حاجوه في توحيد اللّه ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك {وَقَد هَدانِ {يعني إلى التوحيد {وَلا أخَافُ مَا تشركون به {وقد خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء {إلا أن يشاء ربي شيئاً {إلا وقت مشيئة ربي شيئاً يخاف فحذف الوقت يعني لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربي أن يصيبني بمخوف من جهتها إن أصبت ذنباً استوجب به إنزال

المكروه مثل أن يرجمني بكوكب أو بشقة من الشمس أو القمر أو يجعلها قادرة على مضرتي {وسِعَ رَبي كل شيءَ علماً {أي ليس بعجب ولا مستبعد أن يكون في علمه إنزال المخوف بي من جهتها {أفلا تتذكرون {فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز {وكيف أخاف {لتخويفكم شيئاً مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه {و {أنتم لا تخافون {ما يتعلق به كل مخوف وهو إشراككم بالله ما لم ينزل بإشراكه {سلطاناً {أي حجة لأن الإشراك لا يصح أن يكون عليه حجة كأنه قال: وما لكم تنكرون علي الأمن

في موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن في موضع الخوف. ولم يقل: فأينا أحق بالأمن أنا أم أنتم احترازاً من تزكيته نفسه فعدل عنه إلى قوله: {فأي الفريقين {يعني فريقي المشركين والموحدين. ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله: {الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم {أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم. وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس {وتلك {إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه من قوله: {فلما جن عليه الليل {إلى قوله: {وَهُم مهتَدُونَ {. ومعنى {أتيناها {أرشدناه إليها ووفقناه لها {نرفع درجات من نشاء {يعني في العلم والحكمة. وقرئ بالتنوين {وَمِن ذريّته {الضمير لنوح أو لإبراهيم. و {داود {عطف على نوحاً أي وهدينا داود {وَمِنْ آبائهم {في موضع النصب عطفاً على كلاً بمعنى: وفضلنا بعض آبائهم {وَلو أشركوا {مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من

الدرجات. لكانوا كغيرهم في حبوط أعمالهم كما قال تعالى وتقدس {لئن أشركت ليحبطن عملك {الزمر: 65 {أتيناهم الكتاب {يريد الجنس {فإن يكفر بها {بالكتاب والحكمة والنبوة. أو بالنبوة {هَؤلاء {يعني أهل مكة {قوماً {هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله: {أَلئك الذين هدى الله بهداهم اقتده {وبدليل وصل قوله: {فإن يَكفُر بِهَا هَؤُلاء {بما قبله. وقيل: هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به. وقيل: كل مؤمن من بني آدم. وقيل: الملائكة وادعى الأنصار أنها لهم. وعن مجاهد: هم الفرس. ومعنى توكيلهم بها: أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه. والباء في {بِهَا {صلة كافرين. وفي {بكافرين {تأكيد النفي. {فبهداهم اقتده {فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد إلا بهم. وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فإنها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ. فإذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فإنها هدى أبداً. والهاء في {اقتَده {للوقف تسقط في الدرج. واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء في المصحف. {وما قدروا له حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً وعلمتم ما لم تعلموا

{وما قدروا الله حق قدره {وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحي إليهم وذلك من أعظم وأجل نعمته {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين {الأنبياء: 107 أو ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من إنكار النبوة. والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ: {تجعلونه {بالتاء. وكذلك {تبدونها وَتُخْفُونَ {وإنما قالوا ذلك مبالغة في إنكار إنزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فألزموا ما لا بد لهم من الإقرار به من إنزال التوراة على موسى عليه السلام وأدرج تحت الإلزام توبيخهم وأن نعي عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم لما بداء بعض وإخفاء بعض فقيل: {جاء به موسى {وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء. وروي: أن مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: {أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها أن الله يبغض الحبر السمين فأنت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود. فضحك القوم فغضب ثم التفت إلى عمر فقال: ما أنزل الله على بشر من شيء فقال له قومه: ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك قال: إنه

أغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف. وقيل: القائلون قريش وقد ألزموا إنزال التوراة لأنهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم {وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم {الخطاب لليهود أي علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مما أوحى إليه ما لم تعلموا أنتم وأنتم

حملة التوراة ولم تعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم {إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون {النمل: 76 وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله تعالى: {لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم {ياسين: 6 {قل الله {أي أنزله الله فإنهم لا يقدرون أن يناكروك {ثم ذرهم في خوضهم {في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد إلزام الحجة. ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه: إنما أنت لاعب. و {يلعبون {حال من ذرهم أو من خوضهم ويجوز أن يكون {في خوضهم {حالاً من يلعبون وأن يكون صلة لهم أو لذرهم. {وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون {. {مُبَارَكٌ {كثير المنافع والفوائد {وَلتنذِرَ {معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كأنه قيل: أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والإنذار. وقرئ: {ولينذر {بالياء والتاء.

وسميت مكة {أم القرى {لأنها مكان أول بيت وضع للناس ولأنها قبلة أهل القرى كلها ومحجهم. لأنها أعظم القرى شأناً لبعض المجاورين: فَمن يلقَى فِي بعضِ القُرَياتِ رَحلَهُ فَأم القُرَى ملقَى رِحَالِي وَمُنتَابِي {والذَينَ يُؤمنونَ بالآخرة {يصدقون بالعاقبة ويخافونها {يؤمنون {بهذا الكتاب. وذلك أن أصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن. وخص الصلاة لأنها عماد الدين. ومن حافظ عليها كانت لطفاً في المحافظة على أخواتها. {ومن أظلم ممن أفتر على الله كذباً أو قال أوحي إلي ولم يوحى إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون {. {أفترى على الله كَذِباً {فزعم أن اللّه بعثه نبياً {أو قَالَ أُوحى إلي وَلَم يُوحَ إليه شيء {وهو مسيلمة الحنفي الكذاب. أو كذاب صنعاء الأسود العنسي. وعن النبي صلى الله عليه وسلم. رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين من ذهب فكَبُرا علي وأهماني فأوحى الله إلي أن أنفخهما فنفختهما فطارا عني فأولتهما الكذابين الذين أنا بينهما: كذاب اليمامة مسيلمة. وكذاب صنعاء الأسود العنسي. {وَمَن قَالَ سأنزل مِثل ما أنزَلَ الله هو عبد اللّه بن سعد بن

كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان إذا أملى عليه سميعاً عليماً كتب هو: عليماً حكيماً. وإذا قال: عليماً حكيماً كتب غفوراً رحيماً. فلما نزلت: {ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين {المؤمنون: 12 إلى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الإنسان: فقال: تبارك الله أحسن الخالقين. فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها: فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال: لئن كان محمداً صادقاً لقد أوحي إلي مثل ما أوحي إليه. ولئن كان كاذباً فلقد قلت كما قال: فارتد عن الإسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلماً قبل فتح مكة. وقيل: هو النضر بن الحرث والمستهزؤن {وَلَو تَرَى {جوابه محذوف. أي: رأيت أمراً عظيماً {إذ الظالمون {يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد. ويجوز أن تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله. و {غَمَرَتِ اَلَموت {شدائده وسكراته وأصل الغمرة: ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة {بَاسِطُوا أيديهم {يبسطون إليهم أيديهم يقولون: هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم. وهذه عبارة عن العنف في السياق والإلحاح والتشديد في الإزهاق من غير تنفيس وإمهال وإنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط يبسط يده إلى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله ويقول له: {أخرج {إلي ما لي عليك الساعة ولا أريم مكاني حتى أنزعه من أحداقك. وقيل: معناه باسطو أيديهم عليهم بالعذاب {أخرجوا أنفُسَكم {خلصوها من

أيدينا أي لا تقدرون على الخلاص {اليوم تجزون {يجوز أن يريدوا وقت الإماتة وما يعذبون به من شدة النزع وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة. والهون: الهوان الشديد وإضافة العذاب إليه كقولك: رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه {عن آياته تستكبرون {فلا تؤمنون بها. {ولقد جئتمونا

فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم وما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون {. {فرادى {منفردين عن أموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن أوثانكم التي زعمتم أنها شفعاؤكم وشركاء لله {كَمَا خلقناكم أول مرة {على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد {وتركتم ما خولناكم {ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة {وَراءَ ظهوركم {لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيراً ولا قدمتموه لأنفسكم {فِيكُم شركاء {في استبعادكم لأنهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها للّه شركاء فيهم وفي استعبادهم. وقرئ: {فرادى {بالتنوين. وفراد مثل ثلاث. وفردى نحو سكرى: فإن قلت: كما خلقناكم في أي محل هو قلت: في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أي مجيئنا مثل خلقنا لكم {تقَطّعَ بينكم {وقع التقطع بينكم كما تقول: جمع بين الشيئين تريد أوقع الجمع بينهما على إسناد الفعل إلى مصدره

بهذا التأويل ومن رفع فقد أسند الفعل إلى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم. وفي قراءة عبد الله: {لقد تقطع ما بينكم {. {إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذالكم الله فأنى تؤفكون {. {فالق الحب والنوى {بالنبات والشجر. وعن مجاهد: أراد الشقين الذين في النواة والحنطة {يُخرجُ الحي من الميت {أي الحيوان والنامي من النطف. والبيض والحب والنوى {ومُخرِجُ {هذه الأشياء الميتة من الحيوان والنامي. فإن قلت: كيف قال: {مخرج الميت من الحي {بلفظ اسم الفاعل بعد قوله: {يخرج الحي من الميت {قلت: عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل. ويخرج الحي من الميت: موقعة موقع الجملة المبينة لقوله: {فَالقُ الحب والنوى {لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي في حكم الحيوان. ألا ترى إلى قوله: {يحيي الأرض بعد موتها {الروم: 50 {ذَلِكُمُ الله {أي ذلكم المحي والمميت هو اللّه الذي تحق له الربوبية {فأنى تؤفَكُونَ {فكيف تصرفون عنه وعن توليه إلى غيره. {فالق الإصباح وجعل الليل ساكناً والشمس والقمر حسباناً ذلكم تقدير العزيز العليم {. {الإصباح {مصدر سمي به الصبح. وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وأنشد قوله:

بالكسر والفتح مصدرين وجمع مساء وصبح. فإن قلت: فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح. كما قال: تردت به ثم انفرى عن أديمها تفري ليل عن بياض نهار قلت وفيه وجهان أحدهما: أن يراد فالق الظلمة الإصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني أن يراد فالق الإصباح الذي هو عامود الفجر عن بياض النهار وإسفاره وقالوا أنشق عامود الفجر وانصدع الفجر. وسموا الفجر فلقاً بمعنى مفلوق. وقال الطائي: وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه وأول الغيث قطر ثم ينسكب وقرئ: فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً بالنصب على المدح. وقرأ النخعي: فلق الإصباح وجعل الليل السكن: ما يسكن إليه الرجل ويطمئن استئناساً به واسترواحاً إليه من زوج أو حبيب. ومنه قيل للنار: سكن لأنه يستأنس بها. ألا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز أن يراد: وجعل الليل مسكوناً فيه من قوله: {لتسكنوا فيه {{وَالشمس والقمر {قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على إضمار فعل دل عليه جاعل الليل أي وجعل الشمس والقمر حسباناً. أو يعطفان على محل الليل. فإن قلت كيف

يكون لليل محل والإضافة حقيقية لأن اسم الفاعل المضاف إليه في معنى المضي ولا تقول: زيد ضارب عمراً أمس قلت: ما هو في معنى المضي وإنما هو دال على جعل مستمر في الأزمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق الإصباح كما تقول: الله قادر عالم فلا تقصد زماناً دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره: والشمس والقمر مجعولان حسباناً أو محسوبان حسباناً ومعنى جعل

الشمس والقمر حسباناً: جعلهما على حسبان لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما. والحسبان بالضم: مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب. ونظيره الكفران والشكران {ذَلَكَ {إشارة إلى جعلهما حسباناً أي ذلك التسيير بالحساب المعلوم {تقدِيرُ العزيز {الذي قهرهما وسخرهما {العليم {بتدبيرهما وتدويرهما. {هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون {. {في ظلمات البحر والبر {في ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها إليهما لملابستها لهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات. {هو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يتفقهون {. من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدراً. ومن كسرها كان اسم

فاعل والمستودع اسم مفعول. والمعنى فلكم مستقر في الرحم. ومستودع في الصلب أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها. أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع. فإن قلت: لم قيل {يعلمون {مع ذكر النجوم و {يفقهون {مع ذكر إنشاء بني آدم قلت: كان إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيراً فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقاً له. {وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون {. {فأخرجنا به {بالماء {نَبَاتَ كل شيء {نبت كل صنف من أصناف النامي يعني أن السبب واحد وهو الماء. والمسببات صنوف مفتنة كما قال: {تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل {الرعد: 4 {فَأخرجنا مِنْهُ {من النبات {خضراً {شيئاً غضاً أخضر. يقال أخضر وخضر كأعور وعور وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة {نخرج مِنهُ {من الخضر {حباً متراكباً {وهو السنبل. و {وقنوان {رفع بالابتداء. و {من النخل {خبره. و {مِن طَلعِهَا {بدل منه كأنه قيل: وحاصلة من طلع النخل قنوان. ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً لدلالة أخرجنا

عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان {قِنوَان {عنده معطوفاً على حب. والقنوان: جمع قنو ونظيره: صنو وصنوان. وقرئ: بضم القاف وبفتحها على أنه اسم جمع كركب لأن فعلان ليس من زيادة التكسير {دَانِيَة {سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولأن النخلة وإن كانت صغيرة ينالها القاعد فإنها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول. وقال الحسن: دانية قريب بعضها من بعض. وقيل: ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لأن النعمة فيها أظهر وأدل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله: {سرابيل تقيكم الحر {النحل: 81 وقوله: {وجنات من أعناب {فيه وجهان أحدهما: أن يراد: وثم جنات من أعناب أي مع النخل. والثاني: أن يعطف على {قنوان {على معنى: وحاصلة أو ومخرجة من النخل قنوان وجنات من أعناب أي من نبات أعناب. وقرئ: وجنات بالنصب عطفاً على {نَبَاتَ كل شيء {أي: وأخرجنا به جنات من أعناب وكذلك قوله: {الزيتون والرمان {والأحسن أن ينتصبا على الاختصاص كقوله: {والمقيمين الصلاة {النساء: 162 لفضل هذين الصنفين {مشتبهاً وغير مشتبه {يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا. والافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً. وقرئ: متشابهاً وغير متشابه وتقديره: والزيتون متشابهاً وغير متشابه والرمان كذلك كقوله:

والمعنى: بعضه متشابهاً وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم. وذلك دليل على التعمد دون الإهمال {انظروا إلى ثمره إذا أثمر {إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلاً ضعيفاً لا يكاد ينتفع به. وانظروا إلى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيئاً جامعاً لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال إلى حال. وقرئ {وينعه {بالضم. يقال: ينعت الثمرة ينعاً وينعاً. وقرأ ابن محيصن: ويانعه. وقرئ: وثمره بالضم. {وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى

عما يصفون {. إن جعلت {لله شركاء {مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلاً من شركاء وإن جعلت {لله {لغواً كان {شركاء الجن {مفعولين قدم ثانيهما على الأول. فإن قلت: فما فائدة التقديم قلت: فائدته استعظام أن يتخذ لله شريك مَن كان ملكاً أو جنياً أو إنسياً أو غير ذلك. ولذلك قدم اسم الله على الشركاء. وقرئ: الجن بالرفع كأنه قيل: من هم فقيل: الجن. وبالجر على الإضافة التي للتبيين. والمعنى أشركوهم في عبادته لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله. وقيل: هم الذين زعموا أن الله خالق الخير وكل نافع وإبليس خالق الشر وكل ضار {وخلقكم {وخلق الجاعلين لله شركاء. ومعناه: وعلموا أن الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم أن يتخذوا من لا يخلق شريكاً للخالق. وقيل: الضمير للجن. وقرئ: وخلقهم أي اختلاقهم الإفك يعني: وجعلوا لله خلقهم

حيث نسبوا قبائحهم إلى اللّه في قولهم {والله أمرنا بها {الأعراف: 28 {وَخَرَقُوا له {وخلقوا له أي افتعلوا له {بنِينَ وَبنات {وهو قول أهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة يقال: خلق الإفك وخرقه واختلفه واخترقه بمعنى: وسئل الحسن عنه فقال: كلمة عربية كانت العرب تقولها: كان الرجل إذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم: قد خرقها والله ويجوز أن يكون من خرق الثوب إذا شقه أي اشتقوا له بنين وبنات وقرئ: وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله: {بنين وبنات {وقرأ ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما وحرفوا له بمعنى: وزوروا له أولاداً لأن المزور محرف مغير للحق إلى الباطل {بغير علم {من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب ولكن رمياً بقول عن عمى وجهالة. من غير فكر وروية. {بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل خلق عليم {. {بديع السموات {من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها كقولك: فلان بديع الشعر أي بديع شعره أو هو بديع في السموات والأرض كقولك: فلان ثبت الغدر أي ثابت فيه والمعنى أنه عديم النظير والمثل فيها. وقيل: البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ وخبره {أنى يكون له ولد {أو فاعل تعالى وقرئ بالجر رداً على قوله {وجعلوا لله {أو على

{سبحانه {. وبالنصب على المدح وفيه إبطال الولد من ثلاثة أوجه أحدها: مبدع السموات والأرض وهي أجسام عظيمة لا يستقيم يوصف بالولادة لأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسماً حتى يكون والداً. والثاني: أن الولادة لا تكون إلا بين زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة. والثالث: أنه ما من شيء وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنياً عن كل شيء والولد إنما يطلبه المحتاج. وقرئ: {ولم يكن له صاحبة {وإنما جاز للفصل كقوله: لقد ولد الأخيطل أم سوء {ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فأعبدوه وهو على كل شيء وكيل {. {ذلكم {إشارة إلى الموصوف مما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي {الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء {أي ذلكم الجامع لهذه الصفات {فاعبدوه {مسبب عن مضمون الجملة على معنى: أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه. ثم قال: {وهو على كل شيء قدير {يعني وهو مع تلك الصفات مالك لكل شيء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال. {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير {.

البصر: هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى أن الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه لأنه متعال أن يكون مبصراً في ذاته لأن الأبصار إنما تتعلق بما كان في جهة أصلاً أو تابعاً كالأجسام والهيآت {وَهُوَ يُدرِكُ اَلأبصاَرَ {وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك {وَهُوَ اللطيف {يلطف عن أن تدركه الأبصار {الخبير {بكل لطيف فهو يدرك الأبصار لا تلطف عن إدراكه وهذا من باب اللطف.

}قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ {. }قد جاءكم بصائر من ربكم {هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله: }وما أنا عَليكمُ بحفيظ {والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما أن البصر نور العين الذي به تبصر أي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر }فَمَن أبصر {الحق وآمن }فَلَنفسِه {أبصر وإياها نفع }ومن عمي {عنه فعل نفسه عمى وإياها ضر بالعمى }وَما أنا عَليكمُ بحفيظ {أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنا منذر والله هو الحفيظ عليكم. }وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون {.

}ويقولون {جوابه محذوف تقديره. وليقولوا درست تصرفها. ومعنى }دَرَست {قرأت وتعلمت. وقرئ: دارست أي دارست العلماء. ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا: أساطير الأولين ودرست بضم الراء مبالغة في درست أي اشتد دروسها. ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت. ودارست. وفسروها بدارست اليهود محمداً صلى الله عليه وسلم وجاز الإضمار لأن الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم. ويجوز أن يكون الفعل للآيات وهو لأهلها أي دارس أهل الآيات وحملتها محمداً وهم أهل الكتاب. ودرس أي درس محمد. ودارسات على: هي دارسات أي قديمات. أو ذات دروس كعيشة راضية فإن قلت: أي فرق بين اللامين في }ليقولوا {}ولنبينه {قلت: الفرق بينهما أن الأولى مجاز والثانية حقيقة وذلك أن الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لأنه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه. وقيل: ليقولوا كما قيل لنبينه: فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: }ولنبينه {قلت: إلى الآيات لأنها في معنى القرآن كأنه قيل: وكذلك نصرف القرآن. أو إلى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوماً إلى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم: ضربته زيداً. ويجوز أن يراد فيمن قرأ درست ودارست: درست الكتاب ودارسته فيرجع إلى الكتاب المقدر.

}اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل {. }لا إله إلا هو {اعتراض أكد به إيجاب اتباع الوحي لا محل له من الإعراب. ويجوز أن يكون حالاً من ربك وهي حال مؤكدة كقوله }وهو الحق مصدقاً {البقرة: 91. }ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون {. }ولا تسبوا {الآلهة }الذين يدعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا الله {وذلك أنهم قالوا عند نزول قوله تعالى: }إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم {الأنبياء: 98 لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون إلهك. وقيل: كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله تعالى. فإن قلت: سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهي عنه وإنما يصح النهي عن المعاصي قلت: رب طاعة علم أنها تكون مفسدة فتخرج عن أن تكون طاعة فيجب النهي عنها لأنها معصية لا لأنها طاعة كالنهي عن المنكر هو من أجل الطاعات فإذا علم أنه يؤذي إلى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي. كما يجب النهي عن المنكر. فإن قلت: فقد روي عن الحسن وابن سيرين: أنهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال

الحسن: لو تركنا الطاعة لأجل المعصية لأسرع ذلك في ديننا. قلت: ليس هذا ممن نحن بصدده لأن حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فإنهن يحضرنها حضر الرجال أو لم يحضروا بخلاف سب الآلهة. وإنما خيل إلى محمد أنه مثله حتى نبه عليه الحسن. }عدوا {ظلماً وعدواناً. وقرئ: }عُدواً {بضم العين وتشديد الواو بمعناه. ويقال: عدا فلان عدواً وعدواً وعدواناً وعداء. وعن ابن كثير: }عدواً {بفتح العين بمعنى أعداء }بغيرِ علم {على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به }كذلك زينا لكل أمة {مثل ذلك

التزيين زينا لكل أمة من أمم الكفار سوء عملهم. أو خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم أو أمهلنا الشيطان حتى زين لهم أو زيناه في زعمهم. وقولهم: إن الله أمرنا بهذا وزينه لنا {فينبئهم {فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم. {وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون {. {لئن جاءتهم آية {من مقترحاتهم {ليؤمنن بها قُل إِنَمَا اَلآياتِ عِندَ اَللَّهِ {وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها إلا على موجب الحكمة أو إنما الآيات عند اللّه لا عندي. فكيف أجيبكم إليها وآتيكم بها {وَمَا يشُعِركُم {وما يدريكم {أنها {أن الآية التي تقترحونها {إذا جاءت لا يؤمنون {يعني أنا أعلم

أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرون بذلك. وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها. فقال عز وجل وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون به ألا ترى إلى قوله {كما لم يؤمنوا به أول مرة {وقيل: {أنها {بمعنى لعلها من قول العرب: ائت السوق أنك تشتري لحماً. وقال امرؤ القيس: عُوجَاً عَلَى الطلَلِ المحِيلِ لأننَا نَبكِي الديَارَ كمَا بَكَى ابنُ خُذَامِ وتقويها قراءة أبي لعلها إذا جاءت لا يؤمنون وقرئ بالكسر على أن الكلام قد تم قبله بمعنى: وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال: إنها إذا جاءت لا يؤمنون البتة. ومنهم من جعل لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ: {وما يشعرهم أنها إذا جاءت لا يؤمنون {أي يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجيئها. وما يشعرهم أن تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعاً عليها فلا يؤمنوا بها. {ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون {. {ونقلب أفئدتهم... وَنَذَرُهُم {عطف على يؤمنون داخل في حكم وما يشعركم بمعنى: وما يشعركم أنهم لا يؤمنون وما يشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم: أي نطبع على قلوبهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا أو لا يؤمنون بها لكونهم

مطبوعاً على قلوبهم وما يشعركم أنا نذرهم في طغيانهم أي نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه. وقرئ: ويقلب ويذرهم بالياء أي الله عز وجل. وقرأ الأعمش: وتقلب أفئدتهم وأبصارهم على البناء للمفعول. {ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون {. {ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة {كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة الفرقان: 21 {وكلمهم الموتى {كما قالوا: {فأتوا بآبائنا {الدخان: 36 {وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً {كما قالوا {أو تأتي باللّه والملائكة قبيلاً {الإسراء: 92 قبلاً كفلاء بصحة ما بشرنا به وأنذرنا أو جماعات. وقيل: {قُبلاً {مقابلة. وقرئ: قبلا أي عياناً {إلا أن يشاء الله {مشيئة إكراه واضطرار {ولكن أكثرهم يجهلون {فيقسمون باللّه جهد إيمانهم على ما لا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات. أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون إلا أن يضطرهم فيطمعون في إيمانهم إذا جاءت الآية المقترحة. {وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوا فذرهم وما يفترون {.

{{وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً {وكما خلينا بينك وبين أعدائك وكذلك فعلنا بمن قبلك من الأنبياء وأعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر. وانتصب {الشياطين {على البدل من عدوا. أو على أنهما مفعولان كقوله {وجعلوا للّه شركاء الجن {الأنعام: 100 {يوُحِى بَعضُهُم إلىَ بعضٍ {يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس. وكذلك بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض. وعن مالك بن دينار: إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن لأني إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الأنس يجيئني فيجزني إلى المعاصي عياناً {زُخرُفَ القولِ {ما يزينه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصي ويموهه {غروراً

}خدعاً وأخذاً على غزة {ولو شاء ربك ما فعلوه {ما فعلوا ذلك أي ما عادوك أو ما أوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول بأن يكفهم ولا يخليهم وشأنهم. {ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوا وليقترفوا ما هم مقترفون {. {ولتصغي {جوابه محذوف تقديره: وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدواً على أن اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر. والضمير في {إليه {يرجع إلى ما رجع إليه الضمير في فعلوه أي ولتميل إلى ما ذكر من عداوة الأنبياء ووسوسة الشياطين {أفئدة {الكفار {وليرضوا {لأنفسهم

}أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين أتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين {. {أفغير الله أبتغي حكماً {على إرادة القول أي قل يا محمد: أفغير اللّه أطلب حاكماً يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل {وَهُو الَذِي أَنزَلَ إليكمُ الكتاب {المعجز {مفصلاً {مبيناً فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء. ثم عضد الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له {فلا تكونن من الممترين {من باب التهييج والإلهاب كقوله تعالى: {ولا تكونن من المشركين {الأنعام: 14 أو {فلا تكونن من الممترين {في أن أهل الكتاب يعلمون أنه منزل بالحق ولا يريبك جحود أكثرهم وكفرهم به. ويجوز أن يكون {فلا تكونن {خطاباً لكل أحد على معنى أنه إذا تعاضدت الأدلة على صحته وصدقه فما ينبغي أن يمتري فيه أحد. وقيل: الخطاب لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم خطاب لأمته. {وتمت كلمات ربك صدقاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم {. {وتمت كلمات ربك صدقاً {أي تم كل ما أخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد {صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته {لا أحد يبدل شيئاً من ذلك مما هو أصدق وأعدل. وصدقاً وعدلاً. نصب على

}وإن تطع أكثر من في الأرض يضلونك عن سبيل الله وإن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون {. {}وإن تطع أكثر من في الأرض {أي من الناس أضلوك لأن الأكثر في غالب الأمر يتبعون هواهم ثم قال: {إن يتبعون إلا الظَنَ {وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم {إن هم إلا يخرصون {يقدرون أنهم على شيء. أو يكذبون في أن اللّه حرم كذا وأحل كذا. {إنَ رَبَكَ هُوَ أعلَمُ مَن يضلُ عَن سَبِيله وَهُوَ أعلَمُ بالمُهتَدِينَ فكُوا مما ذكرَ اسمُ الله عليه إن كنُتُم بآياته مُؤمنِينَ وَمَا لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما أضطررتم إليه وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هم أعلم بالمعتدين {. وقرئ: من يضل بضم الياء أي يضله اللّه {فكلوا {مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذي يحلون الحرام ويحرمون الحلال. وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين: إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين: إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا {مما ذكر اسم الله عليه {خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه وما ذكر اسم الله عليه هو المذكى ببسم الله {وَمَا لَكمُ ألا تأكلوا {وأي غرض لكم في أن لا تأكلوا {وَقد فصَلَ

لكمُ {وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله: أحرمت عليكم الميتة المائدة: 3 وقرئ: {فصل لكم ما حرم عليكم {على تسمية الفاعل وهو اللّه عز وجل {إلا مَا اَضطُرِرتم إليه {مما حرم عليكم فإنه حلال لكم في حال الضرورة {وَإن كَثيراً ليضلون {قرئَ بفتح الياء وضمها أي يضلون فيحرمون ويحللون {بأهوائهم {وشهواتهم من غير تعلق بشريعة. {وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون {. {ظاهر الإثم وباطنه {ما أعلنتم منه وما أسررتم. وقيل: ما عملتم وما نويتم. وقيل: ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر. {ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون {. {وإنه لفسق {الضمير راجع إلى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف اللهي يعني وإن الأكل منه لفسق. أو إلى الموصول على: وإن أكله لفسق أو جعل ما لم يذكر

اسم الله عليه في نفسه فسقاً. فإن قلت: قد ذهب جماعة من المجتهدين إلى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان أو عمد. قلت: قد تأوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم اللّه عليه: كقوله: {أو فسقاً أهل لغير الله به {الأنعام: 145 {ليوحون {ليوسوسون {إلَى أوليائهم {من المشركين {ليجادلونك {بقولهم: ولا تأكلوا مما قتله الله. وبهذا يرجع تأويل من تأوله بالميتة {إنكم لمشركون {لأن من اتبع غير الله تعالى في دينه فقد أشرك به. ومن حق ذي البصيرة في دينه أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وإن كان أبو حنيفة رحمة الله مرخصاً في النسيان دون العمد ومالك والشافعي رحمهما الله فيهما. {أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا أنفسهم وما يشعرون {. مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان ميتاً فأحياه اللّه وجعل له نوراً يمشي به في الناس مستضيئاً به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله: {كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها {كمن صفته هذه وهي قوله: {في الظلمات ليس بخارج منها {بمعنى: هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله تعالى: {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار {محمد: 15 أي صفتها هذه وهي قوله: {فيها أنهار {. {وزين للكافرين {أي زينه الشيطان أو الله عز وعلا على قوله: {زينا لهم أعمالهم {النمل: 4 ويدل عليه قوله: {وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها {يعني: وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها لذلك. ومعناه: خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الأكابر لأنهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله: {أمرنا مترفيها {الإسراء: 16 وقرئ: أكبر مجرميها على قولك: هم أكبر قومهم وكابر قومهم {وَمَا يمكرون إلا بأنفسهم {لأن مكرهم يحيق بهم. وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصرة عليهم. روي: أن الوليد بن المغيرة قال: لو كانت النبوة حقاً لكنت أولى بها منك لأني أكبر منك سناً وأكثر منك مالاً. وروي: أن أبا جهل قال: زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يوحى إليه والله لا نرضى به ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوها قوله تعالى: {بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً مُنَشرَة {المدثر: 52. {وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن بها حتى نؤتى مثل ما أتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون {. {الله أَعلَمُ {كلام مستأنف للإنكار عليهم وأن لا يصطفي للنبوة إلا من علم أنه يصلح لها وهو أعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم {سَيُصِيبُ الَذِينَ أجرَمُوا {من أكابرها {صغَار {وقماءة بعد {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للأسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا سراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون {. {فمن يرد الله أن يهديه {أن يلطف به ولا يريد أن يلطف إلا بمن له لطف {يشرح صدره للإسلام {يلطف به حتى يرغب في الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه {وَمَن يُرِد أَن يضُله {أن يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له {يجعل صدره ضيقَاً حَرَجاً {يمنعه ألطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الإيمان. وقرئ: ضيقاً بالتخفيف والتشديد: {حَرَجاً {بالكسر وحرجاً بالفتح وصفاً بالمصدر {كأنما يصعد في السماء {كأنما يزاول أمراً غير ممكن. لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة. وقرئ: يصعد وأصله يتصعد. وقرأ عبد الله: يتصعد. ويصاعد. وأصله: يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من أصعد {يجعل الله الرجس {يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب. أو أراد الفعل المؤذي إلى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب {وَهَذَا صِرَطُ رَبك {وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان {مستَقِيمَاً {عادلاً

مطرداً. وانتصابه على أنه حال مؤكدة كقوله: {وهو الحق مصدقاً {البقرة: 91 {لهم {لقوم يذكرون {دَارُ اَلسَّلام {دار الله يعني الجنة أضافها إلى نفسه تعظيماً لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر {عِندَ رَبِهِم {في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى أو ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله: {فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين {السجدة: 17 {وَهُو وَلِيهم {مواليهم ومحبهم أو ناصرهم على أعدائهم {بِمَا كَانوا يَعمَلوُنَ {بسبب أعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون. {ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن لقد استكثرتم من الإنس وقال أولياءهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك عليم حكيم {. {ويوم يحشرهم {منصوب بمحذوف أي واذكر يوم نحشرهم أو يوم نحشرهم قلنا {يا معشر اَلِجنِّ {أو ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم. والجن هم الشياطين {قَدِ استكثرتم مِّنَ الإنس {أضللتم منهم كثيراً أو جعلتموهم أتباعكم فحضر معكم منهم الجم الغفير كما تقول: استكثر الأمير من الجنود واستكثر فلان من الأشياع {وقَالَ أَولِيَاَءهُم مِنَ الإنسِ {الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم {ربنَا استمتع

بَعضُنَا ببعض {أي انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في إغوائهم وقيل: استمتاع الإنس بالجن ما في قوله: {وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن {الجن: 65 وأن الرجل كان إذا نزل وادياً وخاف قال: أعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن. واستمتاع الجن والإنس: اعتراف الإنس لهم بأنهم يقدرون على الدفع عنهم وإجارتهم لهم {وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا {يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم {خالدين فيها إلا ما شاء الله {أي يخلدون في عذاب النار الأبد كله إلا ما شاء الله إلا الأوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار إلى عذاب الزمهرير فقد روي: أنهم يدخلون وادياً فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد إلى الجحيم. أو يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب إليه أن ينفس عن خناقه. أهلكني الله إن نفست عنك إلا إذا شئت وقد علم أنه لا يشاء إلا التشفي منه بأقصى ما يقدر عليه عن التعنيف والتشديد فيكون قوله: إلا إذا شئت من أشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه إطماع {إِنَ ربك حكيم {لا يفعل شيئاً إلا بموجب الحكمة {العليم {بأن الكفار{وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون {. {نولي بعض الظالمين بعضاً {نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضاً كما فعل الشياطين وغواة الإنس أو نجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا {بِمَا كانوا يَكسِبُونَ {بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي. {يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين {. يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ {ألم يأتكم رسل منكم {واختلف في أن الجن هل بعث إليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين أن يبعث إليهم رسول من جنسهم لأنهم به آنس وله آلف. وقال آخرون: الرسل من الإنس خاصة وإنما قيل: رسل منكم لأنه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما كقوله: {يخرج منها اللؤلؤ والمرجان {الرحمن: 22 وقيل: أراد رسل الرسل من الجن إليهم كقوله تعالى: {ولوا إلى قومهم منذرين {الأحقاف: 29 وعن الكلبي: كانت الرسل قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون إلى الإنس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الإنس والجن {قالوا شهدنا على أنفسنا {حكاية لتصديقهم وإيجابهم قوله: {ألم يأتكم {لأن الهمزة الداخلة على نفي إتيان الرسل للإنكار فكان تقريراً لهم. وقولهم: {شهدنا على أنفسنا {إقرار منهم بأن حجة الله لازمة لهم وأنهم محجوجون بها. فإن قلت: ما لهم مقرين في

هذه الآية جاحدين في قوله: {واللّه ربنا ما كنا مشركين {الأنعام: 23 قلت: تتفاوت الأحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في بعضها أو أريد شهادة أيديهم وأرجلهم وجلودهم حين يختم على أفواههم. فإن قلت: لم كرر ذكر شهادتهم على أنفسهم قلت: الأولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لأنفسهم وأنهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة أمرهم أن اضطروا إلى الشهادة على أنفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وإنما قال ذلك تحذيراً للسامعين من مثل حالهم. {ذلك إن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ولكن درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون {. {ذلك {إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وإنذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف: أي الأمر ذلك. و {وأن لم يكن ربك مهلك القرى {تعليل أي الأمر ما قصصناه عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن {أن {هي التي تنصب الأفعال ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة على معنى: لأن الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم. ولك أن تجعله بدلاً من ذلك كقوله: {وقضينا إليه ذلك الأمر في دابر هؤلاء مقطوع {الحجر: 66 {بظلم {سبب ظلم قدموا عليه. أو ظالماً على أنه لو أهلكهم وهم غافلون ولم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظلماً لم هو متعال عن الظلم وعن كل قبيح {ولكل {من المكلفين درجات {منازل {مما عملوا {من جزاء أعمالهم {وما ربك بغافل عما يعملون {بساه عنه يخفى عليه مقاديره وأحواله وما يستحق عليه من الأجر. {وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما شاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين {. {وربك الغني {عن عباده وعن عبادتهم {ذو الرحمة {يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة {إن يشأ يذهبكم {أيها العصاة {ويستخلف من بعدكم ما يشاء {من الخلق المطيع {كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين {من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام. {قل يا قوم أعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون {. المكانة تكون مصدراً يقال: مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن. وبمعنى المكان يقال: مكان ومكانة ومقام ومقامة. وقوله: {اعملوا على مكانتكم {يحتمل: اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم. أو اعملوا على جهتكم وحالكم التي أنتم عليها. يقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله على مكانتك يا فلان أي اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه {إني عَامل {أي عامل على مكانتي التي أنا عليها. والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لي فإني ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم {فَسَوفَ تعلَمُون {أينا تكون له العاقبة المحمودة. وطريقة هذا الأمر طريقة قوله {اعملوا ما شئتم {فصلت: 40 وهي التخلية والتسجيل على المأمور بأنه لا يأتي منه إلا الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له أن يتفصى عنه ويعمل بخلافه فإن قلت: ما موضع فإن قلت: الرفع إذا كان بمعنى أي وعلق عنه فعل العلم. أو النصب إذا كان بمعنى الذي و {عاقبة الدار {العاقبة الحسنى التي خلق اللّه تعالى هذه الدار لها. وهذا طريق من الإنذار لطيف المسلك فيه إنصاف في المقال وأدب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بأن المنذر محق والمنذر مبطل. {وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمكم وهذا لشركائهم فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون {. كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منها لآلهتهم فإذا رأوا ما جعلوه للّه زاكياً نامياً يزيد في نفسه خيراً رجعوا فجعلوه للآلهة وإذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه لها واعتلوا بأن الله غني وإنما ذاك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها: وقوله: {ممَّا ذَرَأَ {فيه أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكي لأنه هو الذي ذرأه وزكاه ولا يرد إلى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكيه {بزعمهم {وقرئ: بالضم أي قد زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي من الشرك لأنهم أشركوا بين اللّه وبين أصنامهم في القربة {فلا يصل إلى الله {أي لا يصل إلى الوجوه التي كانوا يصرفونه إليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين {فَهُوَ يصل إلى شركائهم {من إنفاق عليها في بذبح النسائك عندها والإجراء على سدنتها

ونحو ذلك {ساء ما يحكمون {في إيثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم ما لم يشرع لهم. {وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤكم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون {. {وكذلك {ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان بين الله تعالى والآلهة أو مثل ذلك التزيين البليغ الذي هو علم من الشياطين. والمعنى: أن شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الأصنام زينوا لهم قتل أولادهم بالوأد أو بنحرهم للآلهة وكان الرجل في الجاهلية يحلف: لئن ولد له كذا غلاماً لينحرن أحدهم كما حلف عبد المطلب. وقرئ: زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب {قتل أولادهم {وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين كأنه قيل: لما قيل زين لهم قتل أولادهم من زينه فقيل: زينه لهم شركاؤهم. وأما قراءة ابن عامر: قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً كما سمج ورد. زج القلوص أبي مزاده فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته. والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء. ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأق الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب {ليردهم {ليهلكوهم بالإغواء {وليلبسوا عليهم دينهم {وليخلطوا عليهم ويشبهوه. ودينهم: ما كانوا عليه من دين إسماعيل عليه السلام حتى زلوا عنه إلى الشرك. وقيل: دينهم الذي وجب أن يكونوا عليه. وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس. فإن قلت: ما معنى اللام قلت: إن كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وإن كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة {وَلو شَآءَ الله {مشيئة قسر {ما فعلوه {لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل. أو لما فعل الشياطين أو السدنة التزيين أو الإرداء أو اللبس أو جميع ذلك إن جعلت الضمير جارياً مجرى اسم الإشارة {وَمَا يفْترون {وما يفترونه من الإفك. أو وافتراؤهم. {وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكر اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيه بما كانوا يفترون {. {حجر {فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات: وقرأ الحسن وقتادة {حجر {بضم الحاء. وقرأ ابن عباس: حرج وهو من التضييق وكانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا: {لا يطعمها إلا من نشاء {يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء {وأنعام حرمت ظُهُورهَا {وهي البحائر والسوائب والحوامي {وأنعام لا يذكر اسم الله عليها {في الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام. وقيل: لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها. والمعنى: أنهم قسموا أنعامهم فقالوا: هذه أنعام حجر وأنعام محرمة الظهور وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله. فجعلوها أجناساً بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس إلى الله {افتراء عليه {أي فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وانتصابه على أنه مفعول له: أو حال أو مصدر مؤكد لأن قولهم ذلك في معنى الافتراء. {وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم {. كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب: ما ولد منها حياً فهو خالص للذكور لا تأكل منه الإناث ومما ولد منها ميتاً اشترك فيه الذكور الإناث. وأنث {خالِصَة {للحمل على المعنى لأن ما في معنى الأجنة وذكر {وأنعام حُرمَت {للحمل على اللفظ. ونظيره {ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك {محمد: 16 ويجوز أن تكون التاء للمبالغة مثلها في رواية الشعر. وأن تكون مصدراً وقع موقع الخالص كالعاقبة أي ذو خالصة. ويدل عليه قراءة من قرأ: خالصة بالنصب على أن قوله {لذكورنا {هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز أن يكون حالاً متقدمة لأن المجرور لا يتقدم عليه حاله. وقرأ ابن عباس: خالصة على الإضافة. وفي مصحف عبد الله: خالص {وإن يَكنُ مَيتَة {وإن يكن ما في بطونها ميتة. وقرئ: وإن تكن بالتأنيث على: وإن تكن الأجنة ميتة. وقرأ أهل مكة: {وإن تكن ميتة {بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله: {فهم فيه شركاء {لأن الميتة لكل ميت ذكر أو أنثى

فكأنه قيل: وإن يكن ميت فهم فيه شركاء {سيجزيهم وصفهم {أي: جزاء وصفهم الكذب على اللّه في التحليل والتحريم من قوله تعالى: {ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام { {قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين {. نزلت في ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر {سفهاً بغير علم {لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم لا هم. وقرئ: قتلوا بالتشديد {مَا رزقهم الله {من البحائر والسوئب وغيرها. {وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخيل والزرع مختلف أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين {. {أنشَأ جنات {من الكروم {معروشات {مسموكات {وَغير معروشات {متروكات على وجه الأرض لم تعرش. وقيل: المعروشات ما في الأرياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه {وَغيرَ معروشات {مما أنبته الله وحشياً في البراري والجبال فهو غير معروش. يقال: عرشت الكرم إذا جعلت له دعائم وسمكاً تعطف عليه القضبان. وسقف البيت: عرشه {مختلفاً أكله {في اللون والطعم والحجم والرائحة. وقرئ: أكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يؤكل. والضمير للنخل والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفاً عليه. ومختلفاً: حال مقدرة لأنه لم يكن وقت الإنشاء كذلك كقوله تعالى: {فادخلوها خالدين {الزمر: 3. وقرئ: ثمرة بضمتين. فإن قلت: ما فائدة قوله: {إذَآ أثمَرَ {وقد علم أنه إذا لم يثمر لم يؤكل منه قلت: لما أبيح لهم الأكل من ثمره قيل: إذا أثمر ليعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك وأينع {وأتوا حقه يوم حصاده {الآية مكية والزكاة إنما فرضت بالمدينة فأريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجباً حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر. وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة. ومعناه: واعزموا على إيتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن أول وقت يمكن فيه الإيتاء {ولا تسرفوا {في الصدقة كما روي عن ثابت بن قيس بن شماس: أنه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئاً إلى منزله {ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً {الإسراء: 29.

{ومن الأنعام حمولة وفرشاً كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل الذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل الذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه الأرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن أفترى على {حمولة وفرشاً {عطف على جنات. أي: وأنشأ من الأنعام ما يحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش. وقيل: الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لأنها دانية من الأرض للطافة أجرامها مثل الفرش المفروش عليها {ولا تتبعوا خطوات الشيطان {في التحليل والتحريم من عند أنفسكم فعل كما أهل الجاهلية {ثمانية أزواج {بدل من حمولة وفرشاً {اثنين {زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى كالجملوالناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد إذا كان وحده فهو فرد فإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منها زوجاً وهما زوجان بدليل قوله: {خلق الزوجين الذكر والأنثى {النجم: 45 والدليل عليه قوله تعالى: {ثمانية أزواَج {ثم فسرها بقوله: {من الضأن اثنين ومن العنز اثنين {{وَمِنَ الإبل اَثنَينِ وَمنَ البقرِ اَثنَين {ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط أن يكون معه آخر من جنسه: تسميتهم الزجاجة كأساً بشرط أن يكون فيها خمر. والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر. وقرئا بفتح العين. وقرأ أبي: ومن المعزى وقرئ: اثنان على الابتداء. الهمزة في الذكرين للإنكار والمراد بالذكرين: الذكر من الضأن والذكر من المعز. وبالإثنيين: الأنثى من الضأن والأنثى من المعز على طريق الجنسية. والمعنى إنكار أن يحرم الله تعالى من جنس الغنم ضأنها ومعزها شيئاً من نوعي ذكورها وإناثها ولا مما تحمل إناث الجنسين وكذلك الذكران من

جنسي الإبل والبقر والأنثيان منهما وما تحمل إناثهما وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها تارة وأولادهما كيفما كانت ذكوراً وإناثاً أو مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها اللّه فأنكر ذلك عليهم {نبؤني بعلم {خبروني بأمر معلوم من جهة اللّه تعالى يدلّ على تحريم ما حرمتم {إن كُنتم صادِقِينَ {في أن الله حرمه {أم كنتم شُهَدَاءَ {بل أكنتم شهداء. ومعنى الهمزة الإنكار يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لأنهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون: الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله: {أم كنتم شُهَدَاءَ {على معنى: أعرفتم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل {فمن أظلم ممن أفترى على الله كذباً {فنسب إليه تحريم ما لم يحرم {ليضُل اَلناسَ {وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب. {قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم {. فإن قلت: كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت: قد وقع الفاصل بينهما اعتراضاً غير أجنبي من المعدود. وذلك أن الله عز وجل من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وإباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تأكيد وتسديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق إلا للتوكيد {في ما أوحي إلي {تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحي الله تعالى وشرعه لا بهوى الأنفس {مُحَرَماً {طعاماً محرماً من المطاعم التي حرمتموها {إلا أن يكون ميتة {إلا أن يكون الشيء المحرم ميتة {أو دماً مسفوحاً {أي: مصبوباً سائلاً كالدم في العروق لا كالكبد والطحال. وقد رخص في دم العروق بعد الذبح {أو فسقاً {عطف على المنصوب قبله. سمى ما أهل به لغير الله فسقاً لتوغله في باب الفسق. ومنه قوله تعالى: {ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق {الأنعام: 121 وأهل: صفة له منصوبة المحل. ومجوز أن يكون مفعولاً له من أهل أي أهل لغير الله به فسقاً. فإن قلت: فعلام تعطف {أهِل {لام يرجع الضمير في {به {على هذا القول قلت: يعطف على يكون ويرجع الضمير إلى ما يرجع إليه المستكن في يكون {فَمَنِ أضْطر {فمن دعته الضرورة إلى كل شيء من هذه المحرمات {غيرَ بَاغ {على مضطر مثله تارك لمواساته {ولا عَادٍ {متجاوز قدر حاجته من تناوله {فإن ربك غفور رحيم {لا يؤاخذه. {وعلى الذين هادوا حرمنا كل ظفر ومن الغنم والبقر حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما أختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون فإن كذبوك فقل ذو الظفر ما له أصبع من دابة أو طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالاً لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله: {فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم {النساء: 60 وقوله: ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما {كقولك: من زيد أخذت ماله تريد الإضافة زيادة الربط. والمعنى أنه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما إلا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلي. وقوله: {إلا مَا حَمَلَت ظهورها {يعني إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحقة {أوِ الحوايا {أو اشتمل على الأمعاء {وما أختلط بعظم {وهو شحم الإلية. وقيل {الحوايا {عطف على شحومها. وأو بمنزلتها في قولهم: جالس الحسن أو ابن سيرين {ذلك {الجزاء {جزيناهم {وهو تحريم الطيبات {ببغيهم {بسبب ظلمتهم {وإنا لصادقون {فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه أهل الطاعة. فلما عصوا وبغوا ألحقنا بهم الوعيد وأحللنا بهم العقاب. {فإن كذبوك {في ذلك وزعموا أن اللّه واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جوداً وكرماً {فَقُل {لهم {ربكم ذو رحمة واسعة {لأهل طاعته {ولا يرد بأسه {مع سعة رحمته {عن القوم المجرمين {فلا تغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته. {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آبائنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وأن أنتم إلا تخرسون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين {. {سيقول الذين أشركوا {إخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال: {وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء {النحل: 35 يعنون

بكفرهم وتمردهم أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله بمشيئة الله وإرادته. ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه {كذلك كذب الذين من قبلهم {أي جاءوا بالتكذيب المطلق لأن الله عز وجل ركب في العقول وأنزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وإرادتها والرسل أخبروا بذلك. فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وإرادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ أدلة العقل والسمع وراء ظهره {حتى ذاقوا بأسنا {حتى أنزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم {قل هَل عِندَكم مِن علم {من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم {فتخرجوه لنا {وهذا من التهكم والشهادة بأن مثل قولهم محال أن يكون له حجة {وإن تتبعوا إلا الظَن {في قولكم هذا {وإن أنتم إلا تخرصون {تقدرون أن الأمر كما تزعمون أو تكذبون. وقرئ: {كذلك كذب الذين من قبلهم {بالتخفيف {قل فلله الحجة البالغة {يعني فإن كان الأمر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فللّهِ الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم {فلو شاء لهداكم أجمعين {منكم ومن مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي أن تعلقوا دين من يخالفكم أيضاً بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لأن المشيئة تجمع بين ما أنتم عليه وبين ما هم عليه. {قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهدوا معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهو بربهم يعدلون {{هلم {يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين. وبنو تميم تؤنث وتجمع. والمعنى: هاتوا شهداءكم وقربوهم. فإن قلت: كيف أمره باستحضار شهدائهم الذين يشهدون أن الله حرم ما زعموه محرماً ثم أمره بأن لا يشهد معهم قلت: أمره باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في أنهم لا يرجعون إلى ما يصح التمسك به. وقوله: {فلا تشهد معهم {يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم: لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحداً منهم {ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا {من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لأنه لو اتبع الدليل لم يكن إلا مصدقاً بالآيات موحداً للّه تعالى. فإن قلت: هلا قيل: قل هلم شهداء يشهدون أن اللّه حرّم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل قلت: المراد أن يحضروا شهداءهم الذين علم أنهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيفت الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على أنهم شهداء معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله تعالى: {فَإن شَهدُوا فلا تشهد معهم {ولو قيل: هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناساً يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض. ويناقضه قوله تعالى: {فإن شهدوا فلا تشهد معهم {. {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيء وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون {. تعال من الخاص الذي صار عاماً وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم. و {ما حرم {منصوب بفعل التلاوة أي أتل الذي حرمه ربكم. أو يحرم بمعنى: أقل أيّ شيء حرم ربكم لأن التلاوة من القول وأن في {إلا تشركوا {مفسرة ولا للنهي. فإن قلت: هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت أن لا تشركوا بدلاً من {ما حرم الله {قلت: وجب أن يكون {لا تشركوا {و {لا تقربوا {و {لا تقتلوا {و {لا تتبعوا السبل {الأنعام: 53 نواهي لانعطاف الأوامر عليها وهي قوله: {وبالوالدين أحسنا {لأن التقدير: وأحسنوا بالوالدين إحساناً. و {أوفوا {وإذا قلتم فاعدلوا {الأنعام: 152 {وبعهد اللّه أوفوا {الأنعام: 152. فإن قلت: فما تصنع بقوله: {وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه {فيمن قرأ بالفتح وإنما يستقيم عطفه على أن لا تشركوا إذا جعلت أن هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى: أتل عليكم نفي الإشراك والتوحيد وأتل عليكم أن هذا صراطي مستقيماً قلت: أجعل

قوله: أن هذا صراطي مستقيماً الأنعام: 153 علة للاتباع بتقدير اللام كقوله تعالى: {أن المساجد لله فلا تدعوا مع اللّه أحداً }الجن: 18 بمعنى: ولأن هذا صراطي مستقيم فاتبعوه. والدليل عليه القراءة بالكسر كأنه قيل: واتبعوا صراطي لأنه مستقيم أو اتبعوا صراطي إنه مستقيم. فإن قلت: إذا جعلت {أن }مفسرة لفعل التلاوة وهو معلق حرم ربكم وجب أن يكون ما بعده منهياً عنه محرماً كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه حرف النهي فما تصنع بالأوامر قلت لما وردت هذه الأوامر مع النواهي وتقدمهن جميعاً فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم أن التحريم راجع إلى أضدادها وهي الإساءة إلى الوالدين وبخس الكيل والميزان. وترك العدل في القول ونكث عهد الله {من إملاق {من أجل فقر ومن خشيته كقوله تعالى: {خشية إملاق }الإسراء: 31 {وما ظَهَرَ منها وما بطن }مثل قوله: {ظاهر الإثم وباطنه }الأنعام: 120 {إلا الحق }كالقصاص والقتل على الردة والرجم. {ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون {. {إلا بالتي هي أحسن }إلا بالخصلة التي هي أحسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى: احفظوه عليه حتى يبلغ أشده فادفعوه إليه {بالقسط }بالسوية والعدل {لا نكلف نفساً إلا وسعها }إلا ما يسعها ولا تعجز عنه. وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل في الميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه {ولو كان ذا قربى }ولو كان المقول له أو عليه في شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل فما ينبغي أن يزيد في القول أو ينقص كقوله: {ولو على أنفسهم أو الوالدين و الأقربين }النساء 135. {وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرقوا بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون {. وقرئ: {وأن هذا صراطي مستقيماً }بتخفيف {أن }وأصله: وأنه هذا صراطي على أن الهاء ضمير الشأن والحديث. وقرأ الأعمش: وهذا صراطي. وفي مصحف عبد الله: وهذا صراط ربكم. وفي مصحف أبي: وهذا صراط ربك {وَلا تتبعوا السبل }الطرق المختلفة في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات {فتفرق بكم }فتفرقكم أيادي سبا {عَن سَبِيلِه }عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام. وقرئ: {فَتفرقَ بكم }بإدغام التاء. وروى أبو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه خط خطاً ثم قال: هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطاً ثم قال: هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم تلا هذه الآية {وَأَنَ هَذَا صِراطي مستَقِيماً فَاَتبعُوُه }وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما: هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب. وقيل: إنهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الأحبار: والذي نفس كعب بيده إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة. فإن قلت: علام عطف قوله: {ثم أتينا مُوسىَ اَلكتَبَ }قلت: على {وصاكمُ بِه }. فإن قلت: كيف صح عطفه عليه بثم والإيتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت: هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل أمة على لسان نبيهم كما قال ابن عباس رضي اللّه عنهما: محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكأنه {ثم أتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون }. {ثم }أعظم من ذلك أباً {أتينا مُوسىَ اَلكتاب }وأنزلنا هذا الكتاب المبارك. وقيل: هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله تعالى: }ووهبنا له إسحاق ويعقوب }الأنعام: 84 {تَمَاماً على الذي أحسن }تماماً للكرامة والنعمة على الذي أحسن على من كان محسناً صالحاً يريد جنس المحسنين. وتدل عليه قراءة عبد الله: على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أي تتمة للكرامة على العبد الذي أحسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما أمر به أو تماماً على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من أحسن الشيء إذا أجاد معرفته أي زيادة على علمه على وجه التتميم. وقرأ يحيى بن يعمر: على الذي أحسن بالرفع أي على الذي هو أحسن بحذف المبتدأ كقراءة من قرأ: {مثلاً ما بعوضة }البقرة: 26 الرفع أي على الدين الذي هو أحسن دين وأرضاه. أو آتينا موسى الكتاب تماماً أي تاماً كاملاً على أحسن ما تكون عليه الكتب

أي على الوجه والطريق الذي هو أحسن وهو معنى قول الكلبي: أتم له الكتاب على أحسنه. {وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون وأن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون }. {أن تقولوا {كراهة أن تقولوا {على طائفتين {يريدون أهل التوراة وأهل الإنجيل {وإن كنا {هي إن المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية. والأصل: وإنه كنا عن عاصيتهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن {عَن دِرَاسَتِهِم {عن قراءتهم أي لم نعرف مثل دراستهم {لكنا أهدى منهم {لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لأيام العرب ووقائعهم وخطبها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها على أنا أميون وقرئ: أن يقولوا أو يقولوا بالياء {فقد جاءكم بينة من ربكم{تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ: {يقولوا {على لفظ الغيبة أحسن لما فيه من الالتفات. والمعنى: إن صدقتكم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف {فمن أظلم ممن كَذَبَ بآيات الله {بعد ما عرف صحتها وصدقها أو تمكن من معرفة ذلك {وصدف عنها {الناس فضل وأضل {سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب {كقوله: {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب {النحل: 88. {هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتيهم ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون {. {الملائكة {ملائكة الموت أو العذاب {أو يأتي ربك {أو يأتي كل آيات ربك. بدليل قوله: {أو يأتي بعض آيات ربك {يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض الآيات أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك. وعن البراء بن عازب: كنا نتذاكر الساعة إذ أشرف علينا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقال: {ما تتذاكرون فقلنا: نتذاكر الساعة قال: إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: الدخان ودابة الأرض وخسفاً بالمغرب وخسفاً بالمشرق وخسفاً بجزيرة العرب والدجال وطُلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى وناراً تخرج من عدن {. {لم تكن آمنت من قبل {صفة لقوله نفساً. وقوله: {أو كسبت في أيمانها خيراً {عطف على آمنت. والمعنى أن أشراط الساعة إذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب أوان التكليف عندها فلم ينفع الإيمان حينئذ نفساً غير مقدمة إيمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة الإيمان غير كاسبة في إيمانها خيراً فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة إذا آمنت في غير وقت الإيمان وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكسب خيراً ليعلم أن قوله: {الذين آمنوا وعملوا الصالحات {البقرة: 25 جمع بين قرينتين لا ينبغي أن تنفك إحداهما عن الأخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد وإلا فالشقوة والهلاك {قل انتظروا إنا منتظرون {وعيد. وقرئ: {أن يأتيهم الملائكة {بالياء والتاء. وقرأ ابن سيرين: {لا تنفع {بالتاء لكون الأيمان مضافاً إلى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك: ذهبت بعض أصابعه. {إن الذين فرقوا دينهم كانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون {. {فرقوا دينهم {اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى. وفي الحديث: {افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية إلا واحدة {وقيل: فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. وقرئ: {فارقوا دينهم {أي تركوه {وكانوا شيعاً {فرقاً كل فرقة تشيع إماماً لها {لست منهم في شيء {أي من السؤال عنهم وعن تفرقهم. وقيل: من عقابهم. وقيل: هِي منسوخة بآية السيف. {من جاء الحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون {. {عَشرُ أمثالِهَا {على إقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات أمثالها وقرئ: {عشرُ أمثالُهَا {برفعهما جميعاً على الوصف. وهذا أقل ما وعد من الإضعاف. وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثواباً بغير حساب. ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيئات عدل {هم لا يُظلَمُونَ {لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم. {قل أنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً وما

كان من المشركين {. {دِيناً {نصب على البدل من محل {إلى صراط {لأنّ معناه: هداني صراطاً بدليل قوله: {ويهديكم صراطاً مستقيماً {الفتح: 2 والقيم: فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم. وقرئ: {قيماً {والقيم: مصدر بمعنى القيام وصف به. و {ملة إبراهيم {عطف بيان. و {حَنِيفاً {حال من إبراهيم. {قل أن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين {. {قل أن صلاتي ونسكي {وعبادتي وتقربي كله. وقيل: وذبحي. وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله: {فصل لربك وانحر {الكوثر: 2 وقيل: صلاتي وحجي من مناسك الحج {ومحياي ومماتي {وما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح {لله رب العالمين {خالصة {قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفساً إلا عليها ولا تزر وارزرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون {. {قل أغير الله أبغي رباً {جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم والهمزة للإنكار أي منكر أن أبغي رباً غيره {وهو رب كل شيء {فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال: {قل أفغير اللّه تأمروني أعبد {الزمر: 64 {ولا تكسب كل نفس إلا عليها {جواب عن قولهم: {اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم {العنكبوت: 12. {وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما أتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم {. {جعلكم خلائف الأرض {لأنّ محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الأمم. أو جعلهم يخلف بعضهم بعضاً. أو هم خلفاء الله في أرضه يملكونها ويتصرفون فيها {ورفع بعضكم فوق بعض درجات {في الشرف والرزق {ليبلوكم فيما أتاكم {من نعمة المال والجاه كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير {إن ربك سريع العقاب {لمن كفر نعمته {وإنه لغفور رحيم {لمن قام بشكرها. ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آت قريب. {أنزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الأنعام صلى الله عليه وسلم واستغفر له أولئك السبعون ألف ملك بعدد كل آية من سورة الأنعام يوماً وليلة {.

سورة الأعراف

مكية وهي مائتان وست آيات

بسم الله الرحمن الرحيم {المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين {. {كتاب {خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب. و {أُنزِلَ إليك {صفة له. والمراد بالكتاب السورة {فلا يكن في صدرك حرج منه {أي شك منه كقوله: {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك {يونس: 4 وسمى الشك حرجاً لأن الشاك ضيق الصدر حرجه كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه. أي لا تشك في أنه منزل من الله ولا تحرج من تبليغه لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الأداء ولا ينبسط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم. فإن قلت: بم تعلق قوله: {لتُنذِرَ {قلت: بأنزل أي أنزل إليك لإنذارك به أو بالنهي لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك إذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار لأن صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته فإن قلت فما محل ذكرى قلت: يحتمل الحركات الثلاث. النصب بإضمار فعلها. كأنه قيل: لتنذر به وتذكر تذكيراً لأن الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفاً على كتاب أو بأنه خبر مبتدأ محذوف. والجر للعطف على محل أن تنذر أي للإنذار وللذكر. فإن قلت: النهي في قوله: {فلا يكن {متوجه إلى الحرج فما وجهه قلت: هو من قولهم: لا أرينك ههنا. {اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكرون {. {اتبعوا ما أنزل إليكم {من القرآن والسنة {ولا تتبعوا من دونه {من دون الله {أولياء {أي ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع ويضلوكم عن دين اللّه وما أنزل إليكم وأمركم باتباعه. وعن الحسن: يا ابن آدم أمرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم. والله ما نزلت آية إلا وهو يحب أن

تعلم فيم نزلت وما معناها. وقرأ مالك بن دينار: {ولا تبتغوا {من الابتغاء {ومن يبتغ غير الإسلام ديناً {آل عمران: 85. ويجوز أن يكون الضمير في {مِن دونه {لما أنزل على: ولا تتبعوا من دون دين اللّه دين أولياء {قليلاً ما تَذَكَرُونَ {حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره. وقرئ: {تذكرون {بحذف التاء. ويتذكرون بالياء. و {قليلاً {: نصب بتذكرون أي تذكرون تذكراً قليلاً. و {مَا {مزيدة لتوكيد القلة. {وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون {. {فجاءها {فجاء أهلها {بياتاً {مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين. يقال: بات بياتاً حسناً وبيتة حسنة وقوله: {هم القائلون {حال معطوفة على بياتاً كأنه قيل: جاءهم بأسنا بائتين أو قائلين. فإن قلت: هل يقدر حذف المضاف الذي هو الأهل قبل {قرية {أو قبل الضمير في {أهلكناها {قلت: إنما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فإن القرية تهلك كما يهلك أهلها. وإنما قدرناه قبل الضمير في {فجاءها {لقوله {أم هم قائلون {فإن قلت: لا يقال: جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله: {هُم قائلون {قلت: قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال: لو قلت جاءني زيد راجلاً أو هو فارس. أو جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه إلى واو لأن الذكر قد عاد إلى الأول. والصحيح أنها إذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالاً. لاجتماع حرفي عطف لأن واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك: جاءني زيد راجلاً أو هو فارس كلام فصيح وارد على حده وأما جاءني زيد هو فارس فخبيث. فإن قلت: فما معنى قوله: {أهلكناها فجاءها بأسنا {والإهلاك إنما هو بعد مجيء البأس قلت: معناه أردنا إهلاكها كقوله: {إذا قمتم إلى الصلاة {المائدة: 6 وإنما حض هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لأنهما وقت الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشدّ وأفظع وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة. {فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين {. {فما كان دعواهم {ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم إلا اعترافهم ببطلانه وفساده. وقولهم: {إِنَا كُنَّا ظالمين {فيما كنا عليه. ويجوز: فما كان استغاثتهم إلا قولهم هذا لأنه لا مستغاث من اللّه بغيره ومن قولهم دعواهم: يا لكعب. ويجوز فما كان دعواهم ربهم إلا اعترافهم لعلمهم أن الدعاء لا ينفعهم وأن لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم و {دعواهم {نصب خبر لكان و {أن قَالوا {رفع اسم له ويجوز العكس. {فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين فلنقص عليهم بعلم ما كنا غائبين {. {فلنسألن الذين أرسل إليهم {أرسل {مسند إلى الجار والمجرور وهو {إليهم {ومعناه: فلنسألن المرسل إليهم وهم الأمم يسألهم عما أجابوا عنه رسلهم كما قال: {ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين {القصص: 65 ويسأل المرسلين عما أجيبوا به كما قال: {يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم {المائدة: 109 {فليقصن عليهم {على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم {بعلم {عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم {وما كنا غائبين {عنهم وعما وجد منهم فإن قلت: فإذا كان عالماً بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت: معناه التوبيخ والتقريع والتقرير إذا فاهوا به بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم. {والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون {. {والوزن يومئذ الحق {يعني وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها. ورفعه على الابتداء. وخبره {يَومئذٍ {. {الحق {صفته أي: والوزن يوم يسأل الله الأمم ورسلهم الوزن الحق أي العدل. وقرئ: القسط. واختلف في كيفية الوزن فقيل: توزن صحف الأعمال بميزان له لسان وكفتان تنظر إليه الخلائق تأكيداً للحجة وإظهاراً للنصفة وقطعاً للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فيعترفون بها بألسنتهم وتشهد بها عليهم أيديهم وأرجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الأنبياء والملائكة والإشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف الحساب. وقيل: هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل {فمن ثقلت موازينه {جمع ميزان أو موزون أي فمن رجحت أعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات. أو ما توزن به حسناتهم. وعن الحسن: وحق لميزان توضع فيه الحسنات أن يثقل. وحق لميزان توضع فيه السيئات أن يخف. {بآياتنا يَظلِمُونَ {يكذبون بها ظلماً. كقوله: {فظلموا بها الإسراء: 59. {ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش

قليلاً ما تشكرون }. {مكناكم في الأرض {جعلنا لكم فيها مكاناً وقراراً. أو ملكناكم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها {وجعلنا لكم فيها معايش }جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها. أو ما يتوصل به إلى ذلك. والوجه تصريح الياء. وعن ابن عامر: أنه همز على التشبيه بصحائف. {ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين }. {ولقد خلقناكم ثم صورناكم }يعني خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه بعد ذلك. ألا ترى إلى قوله: {ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم {الآية {من الساجدين {ممن سجد لآدم. {قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين }. {ألا تسجد {لا في {أن لا تسجد }صلة بدليل قوله: {ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي }ص: 5 ومثلها {لئلا يعلم أهل الكتاب }الحديد: 29 بمعنى ليعلم: فإن قلت: ما فائدة زيادتها قلت: توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل: ليتحقق علم أهل الكتاب. وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك {إذ أمرتك {لأن أمري لك بالسجود أوجبه عليك إيجاباً وأحتمه عليك حتماً لا بد منه فإن قلت: لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه قلت: للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وازدرائه بأصل آدم وأنه خالف أمر ربه معتقداً أنه غير واجب عليه لما رأى أن سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب. فإن قلت: كيف يكون قوله: {أنا خير منه {جواباً لما منعك وإنما الجواب أن يقول: منعني كذا قلت: قد استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو أن أصله من نار وأصل آدم من طين فعلم منه الجواب وزيادة عليه وهي إنكار للأمر واستبعاد أن يكون مثله مأموراً بالسجود لمثله كأنه يقول: من كان على هذه الصفة كان مستبعداً أن يؤمر بما أمر به. {قال فأهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين }. {فاهبط منها {من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة إلى الأرض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين {فَمَا يَكُونُ لَكَ {فما يصح لك أن تتكبر فيها {وتعصي {فَاَخرُجْ إِنَكَ مِنَ الصاغرين {من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أولياؤه لتكبرك كما تقول للرجل: قم صاغراً إذا أهنته. وفي ضده: قم راشداً. وذلك أنه لما أظهر الاستكبار ألبس الصغار. وعن عمر رضي الله عنه: من تواضع لله رفع الله حَكَمَتَهُ وقال: انتعش أنعشك الله. ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله إلى الأرض. {قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال أنك من المنظرين }. فإن قلت: لم أجيب إلى استنظاره وإنما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت: لما في ذلك من ابتلاء العباد وفي مخالفته من أعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق في الدنيا من صنوف الزخارف وأنواع الملاذ والملاهي وما ركب في الأنفس من الشهوات ليمتحن بها عباده. {قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين }. {فَبِما أَغْوَيتني {فبسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم. وهو تكليفه إياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل منه ومن آدم أنفساً ومناصب وعن الأصم: أمرتني بالسجود فحملني الأنف على معصيتك. والمعنى: فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في إغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم. فإن قلت: بم تعلقت الباء فإن تعلقها بلأقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول: والله بزيد لأمرن قلت: تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره: فبما أغويتني أقسم بالله لأقعدن أي فبسبب إغوائك أقسم. ويجوز أن تكون الباء للقسم أي: فأقسم بإغوائك لأقعدن وإنما أقسم بالإغواء لأنه كان تكليفاً والتكليف من أحسن أفعال اللّه لكونه تعريضاً لسعادة الأبد فكان جديراً بأن يقسم به. ومن تكاذيب المجبرة ما حكوه عن طاوس: أنه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمي بالقدر فجلس إليه فقال له طاوس: تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له: أتقول هذا لرجل فقيه فقال: إبليس أفقه منه قال رب بما أغويتني وهذا يقول: أنا أغوي نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على إضافة القبائح إلى اللّه سبحانه أن لفقوا الأكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين. وقيل: {ما }للاستفهام كأنه قيل: بأي شيء أغويتني ثم ابتدئ لأقعدن. وإثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على {ما {الاستفهامية قليل شاذ. وأصل الغي الفساد. ومنه: غوى الفصيل إذا

بشم. والبشم: فساد في المعدة {لأقعدن لهم صراطك المستقيم} لأعترضن لهم على طريق الإسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله: كما عسل الطريق الثعلب وشبهه الزجاج بقولهم: ضرب زيد الظهر والبطن أي على الظهر والبطن. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرُقِهِ: قعد له بطريق الإسلام فقال له: تدع دين آبائك فعصاه فأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له: تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له: تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل {ثم لأتينهم {من الجهات الأربع التي يأتي منها العدو في الغالب. وهذا مثل لوسوسته إليهم وتسويله ما أمكنه وقدر عليه كقوله: {واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك {الإسراء: 4. فإن قلت: كيف قيل: {من بين أيديهم ومن خلفهم {بحرف الابتداء {وعن أيمانهم وعن شمائلهم {بحرف المجاوزة قلت: المفعول فيه عدي إليه الفعل نحو تعديته إلى المفعول به. فكما اختلفت حروف التعدية في ذاك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس. وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا: معنى {على يمينه {أنه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه. ومعنى {عن يمينه {أنه جلس متجافياً عن صاحب اليمين منحرفاً عنه غير ملاصق له. ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال. ونحوه من المفعول به قولهم: رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لأن السهم يبعد عنها ويستعليها إذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها. كذلك قالوا: جلس بين يديه وخلفه بمعنى فيه لأنهما ظرفان للفعل. ومن بين يديه ومن خلفه: لأن الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول: جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق: ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربع مراصد: من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي: أما من بين يدي فيقول: لا تخف فإن الله غفور رحيم فأقرأ: {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً طه: 82 وأما من خلفي فيخوفني الضيعة على مخلفي فأقرأ: {وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها {هود: 6 وأما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فأقرأ: {والعاقبة للمتقين} الأعراف: 128 وأما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ: {وحيل بينهم وبين ما يشتهون {سبأ: 54. {ولا تجد أكثرهم شاكرين {قاله تظنيناً بدليل قوله: {ولقد صدق عليهم إبليس ظنه {سبأ: 20 وقيل: سمعه من الملائكة بإخبار الله تعالى لهم. {قال اخرج منها مذءوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن منكم جهنم أجمعين {. {مذءوماً {من ذأمه إذا ذمه. وقرأ الزهري: مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤل. واللام في {لمن تبعك {موطئه للقسم. و {لأملأن {جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط {منكم {منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله: {إنكم قوم تجهلون {الأعراف: 138. وروى عصمة عن عاصم: {لمن تبعك {بكسر اللام بمعنى: لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله:

{ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوءتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءتهما وطفقاً يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلك الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين {. {يا آدم {وقلنا: يا آدم. وقرئ: {هذي الشجرة {والأصل الياء والهاء بدل منها ويقال: وسوس إذا تكلم كلاماً خفياً يكرره. ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس إليه وهو الذي تلقى إليه الوسوسة. ومعنى وسوس له: فعل الوسوسة لأجله ووسوس إليه: ألقاها إليه {ليبدي {جعل ذلك غرضاً له ليسوءهما إذا رأيا ما يؤثران ستره وأن لا يطلع عليه مكشوفاً. وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور وأنه لم يزل مستهجناً في الطباع مستقبحاً في العقول. فإن قلت: ما للواو المضمومة في {ورىَ {لم تقلب همزة

كما قلبت في أو يصل قلت: لأن الثانية مدة كألف وارى. وقد جاء في قراءة عبد اللّه: {أورى {بالقلب {إلا أن تكونا ملكين {إلا كراهية أن تكونا ملكين. وفيه دليل على أن الملكية بالمنظر الأعلى وأن البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا. وقرئ: ملكين بكسر اللام كقوله {وملك لا يبلى {طه: 120. {مِنَ الخالدين {من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين. وقرئ: {من سوأتهما {بالتوحيد وسؤاتهما بالواو المشددة {وقاسمهما {وأقسم لهما {إني لكما من الناصحين {. فإن قلت: المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول: قاسمت فلاناً حالفته وتقاسماً تحالفاً. ومنه قوله تعالى: {تقاسموا بالله لنبيتنه {النمل: 49. قلت: كأنه قال لهما: أقسم لكما إني لمن الناصحين وقالا له أتقسم بالله إنك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم. أو أقسم لهما بالنصحية وأقسما له بقبولها أو أخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم {فدلاهما {فنزلهما إلى الأكل من الشجرة {بغرور {بما غرهما به من القسم بالله. وعن قتادة: وإنما يخدع المؤمن بالله. وعن ابن عمر رضي الله عنه: أنه كان إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلباً للعتق فقيل له: إنهم يخدعونك فقال: من خدعنا بالله انخدعنا له {فلما ذاقا اَلشَجَرَة {وجدا طعمها آخذين في الأكل منها. وقيل: الشجرة هي السنبلة. وقيل: شجرة الكرم {بَدَت لهُمَا سَوءتهمَا {أي تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر. وعن عائشة رضي الله عنها: ما رأيت منه ولا رأى مني. وعن سعيد بن جبير: كان لباسهما من جنس الأظفار. وعن وهب: كان لباسهما نوراً يحول بينهما وبين النظر. ويقال: طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا. وقرأ أبو السمال: وطفقا بالفتح {يخصفان {ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بأن تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور. وقرأ الحسن: يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصفان. وقرأ الزهري: {يخصفان {من أخصف وهو منقول من خصف أي يخصفان أنفسهما وقرئ: {يخصفان {من خصف بالتشديد {مَن وَرَقِ اَلجَنة {قيل: كان وْرق التين {ألم أنهكما {عتاب من الله تعالى وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة إبليس وروي: أنه قال لآدم: ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال: بلى وعزتك ولكن ما ظننت أن أحداً من خلقك يحلف بك كاذباً. قال: فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدا. فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز. {قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين {. وسميا ذنبهما وإن كان صغيراً مغفوراً ظلماً لأنفسهما وقالا: لنكونن من الخاسرين {على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات. {قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين قال فيها تحيون وفيها {اهبطوا {الخطاب لآدم وحواء وإبليس. و {بعضكم لبعض عدو {في موضع الحال أي متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه {مستقر {استقرار أو موضع استقرار {ومتاع إلى حين {وانتفاع بعيش إلى انقضاء آجالكم. وعن ثابت البناني: لما أهبط آدم وحفرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها: خلي ملائكة ربي فإنما أصابني الذي أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وتراً وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه: هذه سنتكم بعده. {يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون {. جعل ما في الأرض منزلاً من السماء لأنه قضى ثم وكتب. ومنه {وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج {الزمر: 6 والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين: لباساً يواري سوآتكم ولباساً يزينكم لأن الزينة غرض صحيح كما قال: {لتركبوها وزينة {. {ولكم فيها جمال {النحل: 6 وقرأ عثمان رضي اللّه عنه: {ورياشاً {جمع ريش كشعب وشعاب {ولباس التقوى {ولباس الورع والخشية من الله تعالى وارتفاعه على الابتداء وخبره إما الجملة التي هي {ذلك خير {كأنه قيل: ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر. وأما المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدأ كأنه قيل: ولباس

التقوى المشار إليه جر. ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى أو أن تكون إشارة إلى اللباس المواري للسوأة لأن مواراة السوأة من التقوى تفضيلاً له على لباس الزينة. وقيل: لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أي وهو لباس التقوى ثم قيل: ذلك خير. وفي قراءة عبد الله وأبي: {ولباس التقوى خير {وقيل: المراد بلباس التقوى: ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب وقرئ: {ولباس التقوى {بالنصب عطفاً على لباساً وريشاً {ذلك من آيات الله {الدالة على فضله ورحمته على عباده. يعني إنزال الباس {لعلهم يذكرون {فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها إظهاراً للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى. {يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون {. {لا يفتننكم الشيطان {لا يمتحننكم بأن لا تدخلوا الجنة كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها. {ينزع عنهما لباسهما {حال أي إخرجهما نازعاً لباسهما بأن كان سبباً في أن نزع عنهما {إنه يراكم هُو {تعليل للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون. وعن مالك بن دينار: إن عدواً يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم اللّه {وقبيله {وجنوده من الشياطين وفيه دليل بَين أن الجن لا يرون ولا يظهرون للإنس وأن أظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة {إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون {أي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول. فإن قلت: علام عطف وقبيله قلت: على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في أنه للشأن والحديث وقرأ اليزيدي: وقبيله بالنصب وفيه وجهان: أن يعطفه على اسم إن وأن تكون الواو بمعنى مع وإذا عطفه على اسم إن وهو الضمير في أنه كان راجعاً إلى إبليس. {وإذا ما فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليه آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولوا على الله ما لا تعلمون {. الفاحشة: ما تبالغ في قبحه من الذنوب أي إذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن اللّه تعالى أمرهم بأن يفعلوها. وكلاهما باطل من العذر لأن أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم. والثاني: افتراء على الله وإلحاد في صفاته كانوا يقولون: لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه. وعن الحسن: إن الله تعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله. وتصديقه قول الله تعالى: {وَإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء {لأن فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله {أتقولون على الله ما لا تعلمون {إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أن مبنى قولهم على الجهل المفرط. وقيل: المراد بالفاحشة: طوافهم بالبيت عراة. {قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون {. {بالقسط {بالعدل وبما قام في النفوس أنه مستقيم حسن عند كل مميز. وقيل: بالتوحيد {وأقيموا وجوهكم {وقل: أقيموا وجوهكم أي: اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها {عِندَ كل مسجد {في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود وهو الصلاة {وادعوه {واعبدوه {مخلصين له الدين {أي الطاعة مبتغين بها وجه الله خالصاً {كما بدأكم تعودون {كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق والمعنى: أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة. {فريقاً هدى وفريقاً حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون {. {فريقاً هدى {وهم الذين أسلموا أي وفقهم للإيمان {وفريقاً حق عليهم الضلالة {أي كلمة الضلالة وعلم اللّه أنهم يضلون ولا يهتدون.

وانتصاب قوله: {وَفرَيقاً {بفعل مضمر يفسره بعده كأنه قيل: وخذل فريقاً حق عليهم الضلالة {إنهم {إن الفريق الذي حق عليهم الضلالة: {اتخذوا الشيطان أولياء {أي تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على أن علم الله لا أثر له في ضلالهم وأنهم

هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله. {يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين }. {خذوا زينتكم {أي ريشكم ولباس زينتكم {عِند كل مسجدٍ {كلما صليتم أو طفتم وكانوا يطوفون عراة. وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وإنما كان أحدهم يطوف عرياناً ويدع ثيابه وراء المسجد وإن طاف وهي عليه ضرب وانتزعت عنه لأنهم قالوا: لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل: تفاؤلاً ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب. وقيل: الزينة المشط. وقيل: الطيب. والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتاً ولا يأكلون دسماً يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون: فإنا أحق أن نفعل فقيل لهم: وكلوا واشربوا ولا تسرفوا. وعن ابن عباس رضي الله عنه: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة. ويحكى: أن الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء. والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه. قال: وما هي قال: قوله تعالى: {كلوا واشربوا ولا تسرفوا }فقال النصراني: ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال: قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال: وما هي قال قوله: {المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأعط كل بدن ما عودته {فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً. {قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون }. {زِينَةَ الله {من الثياب وكل ما يتجمل به {والطيبات من الرزق {المستلذات من المآكلِ والمشارب. ومعنى الاستفهام في من: إنكار تحريم هذه الأشياء. قيل: كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها {قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا {غير خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها {خالِصَة {لهم {يومَ القيامة {لا يشركهم فيها أحد. فإن قلت: هلا قيل: هي للذين آمنوا ولغيرهم. قلت: لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة وأن الكفرة تبع لهم كقوله تعالى: {ومن كفر فأمتعه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار }البقرة: 126 وقرئ: {خالصةً {بالنصب على الحال وبالرفع على أنها خبر بعد خبر. {قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تفعلون }. {الفواحِشَ {ما تفاحش قبحه أي تزايد. وقيل: هي ما يتعلق بالفروج {والإثمَ {عام لكل ذنب. وقيل: شرب الخمر {والَبغي {الظلم والكبر أفرده بالذكر كما قال: {وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي {. {مَا لم ينزل به سلطاناً {فيه تهكم لأنه لا يجوز أن ينزل برهاناً بأن يشرك به غيره {وإن تقولوا على الله {وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره. {ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا تستأخرون ساعة ولا يستقدمون {. {ولكل أمة أجل {وعيد لأهل مكة بالعذابِ النازل في أجلٍ معلوم عند اللّه كما نزل بالأمم وقرئ: {فإذا جاء آجالهم {. وقال: {سَاعَةَ {لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس. يقول المستعجل لصاحبه: في ساعة يريد أقصر وقت وأقربه. {يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون {. {أما يأتينكم {هي أن الشرطية ضمت إليها ما مؤكدة لمعنى الشرط. ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة. فإن قلت: فما جزاء هذا الشرط قلت: الفاء وما بعده من الشرط والجزاء. والمعنى: فمن اتقى وأصلح منكم والذين كذبوا منكم. وقرئ: {تأتينكم {بالتاء. {فمن أظلم ممن أفترى على الله كذباً أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين {. {فمن أظلم {فمن أشنع ظلماً ممن تقول على اللّه ما لم يقله أو كذب ما قاله: {أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب }أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار {حتى إذا جاءتهم رسلنا {حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له أي إلى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي إذا جاءتهم رسلنا قالوا. و {يتوفونهم {حال من الرسل أي متوفيهم. والرسل ملك الموت

وأعوانه. وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وكان حقها أن تفصل لأنها موصولة بمعنى: أين الآلهة الذين تدعون {ضلوا عَنَا {غابوا عنا فلا نراهم ولا {قال أدخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون {. {قال ادخلوا {أي يقول اللّه تعالى يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم: {فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته {وهم كفار العرب {في أمم {في موضع الحال أي كائنين في جملة أمم وفي غمارهم مصاحبين لهم أي ادخلوا في النار مع أمم {قد خلت من قبلكم {وتقدم زمانهم زمانكم {لعنت أختها {التي ضلت بالاقتداء بها {حتى إذا أدركوا فيها {أي تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار {قَالَت أخراهم " منزلة وهي الأتباع والسفلة " لأولاهم " منزلة وهي القادة والرؤس. ومعنى لأولاهم: لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم " عذاباً ضعفاً " مضاعفاً " لكل ضعف " لأن كلا من القادة والأتباع كانوا ضالين مضلين " ولكن لا تعلمون " قرئ بالياء والتاء " فَمَا كانَ لَكم عَلينا مِن فَضْلِ " عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة " لكل ضعف " أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا وأنا متساوون في استحقاق الضعف " فذوقوا العذاب " من قول القادة أو من قول الله لهم جميعاً. {إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين {. {لا تفتح لهم أبواب السماء {لا يصعد لهم عمل صالح {إليه يصعد الكلم الطيب {فاطر 10 {كلا إن كتاب الأبرار لفي علين {المطففين: 18 وقيل: إن الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم في صعود السماء ولا يطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة. وقيل: لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين. وقيل: لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا أبواب السماء. وقرئ: لا تفتح بالتشديد. ولا يفتح بالياء. ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل للآيات. وبالياء على أن الفعل لله عز وجل. وقرأ ابن عباس: الجمل بوزن القمل. وسعيد بن جبير: الجمل بوزن النغر وقرئ: الجمل بوزن القفل. والجمل بوزن النصب. والجمل. بوزن الحبل. ومعناها القلس الغليظ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس رضي الله عنه: إن الله أحسن تشبيهاً من أن يشبه بالجمل يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة والبعير لا يناسبه إلا أن قراءة العامة أوقع لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك يقال: أضيق من خرت الإبرة. وقالوا للدليل الماهر: خِريت للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات جسم الجمال وأحلام العصافير إن الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الأجسام فقيل: لا يدخلون الجنة حتى يكون ما يكون أبداً من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع في ثقب الإبرة وعن ابن أنه سئل عن الجمل فقال: زوج الناقة استجهالاً للسائل وإشارة إلى أن طلب معنى آخر تكلف. وقرئ في سم بالحركات الثلاث: وقرأ عبد الله: في سم المهيط {والمخيط كالحزام والمحزم: ما يخاط به وهو الإبرة {وكذَلِكَ {ومثل ذلك الجزاء الفظيع {نجزي المجرمين {ليؤذن أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب وأن كل من أجرم عوقب وقد كرره فقال: {كذَلِكَ تجزِي الظالمين {لأن كل مجرم ظالم لنفسه {مهاد {فراش {غواش {أغطية. وقرئ: غواش بالرفع كقوله تعالى: {وله الجوار المنشآت {الرحمن: 24 في قراءة عبد الله. {والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون {. {لا نكلف نفساً إلا وسعها {جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو في الوسع وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل والصالح. وقرأ الأعمش: {لا تكلف نفس. {ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم يعملون {. من كان في قلبه غل على أخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم إلا التواد والتعاطف. وعن علي رضي الله عنه: إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة

والزبير منهم {هدانا لهذا {أي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الإيمان والعمل الصالح {وما كنا لنهتدي {اللام لتوكيد النفي ويعنون: وما كان يستقيم أن نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه. وفي مصاحف أهل الشام: ما كنا لنهتدي بغير واو على أنها جملة موضحة للأولى {لقد جاءت رسلنا بالحق {فكان لنا لطفاً وتنبيهاً على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سروراً واغتباطاً بما نالوا وتلذذاً بالتكلم به لا تقرباً وتعبداً كما نرى من رزق خيراً في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك أن لا يقوله للفرح لا للقربة: {نودوا أن تلكم الجنة {أن مخففة من الثقيلة تقديره: ونودوا بأنه تلكم الجنة {أورثتُمُوهَا {والضمير ضمير الشأن والحديث أو تكون بمعنى أي لأن المناداة من القول كأنه قيل: وقيل لهم أي تلكم الجنة أورثتموها. {بما كنتم يعملون {بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة.
{ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون {. أن في {أن قد وَجدنَا {يحتمل أن تكون مخففة من الثقيلة وأن تكون مفسرة كالتي سبقت آنفاً وكذلك {أن لعنة الله على الظالمين {وإنما قالوا لهم ذلك اغتباطاً بحالهم وشماتة بأصحاب النار وزيادة في غمهم لتكون حكايته لطفاً لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم: لعنة الله على الظالمين. وهو ملك يأمره اللّه فينادي بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار. وقرئ: أن لعنة الله بالتشديد والنصب. وقرأ الأعمش: إن لعنة الله بكسر إن على إرادة القول أو على إجراء {أذن {مجرى قال. فإن قلت: هلا قيل: ما وعدكم ربكم كما قيل: ما وعدنا ربنا قلت: حذف ذلك تخفيفاً لدلالة وعدنا عليه. ولقائل أن يقول: أطلق ليتناول كل ما وعد اللّه من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر أحوال القيامة لأنهم كانوا مكذبين بذلك أجمع ولأن الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة إلا عذاب لهم فأطلق لذلك. {وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهو يطمعون {. {وبينهما حجاب {يعني بين الجنة والنار. أو بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله تعالى: {فضرب بينهم بسور {الحديد: 13 {وَعَلَى اَلأعرَافِ {وعلى أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك {رجال {من المسلمين من آخرهم دخولاً في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنة والنار إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنة {يعرفون كلاً {من زمر السعداء والأشقياء {بسيماهم {بعلامتهم التي أعلمهم اللّه تعالى بها يلهمهم اللّه ذلك: أو تعرفهم الملائكة. {وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جميعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون {. إذا نظروا إلى أصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم {وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار {ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا باللّه وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم. ونادوا رجالاً من رؤوس الكفرة يقولون لهم: {أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمته {إشارة لهم إلى أهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون أن اللّه لا يدخلهم الجنة {ادخلوا الجنة {يقال لأصحاب الأعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد أن يحبسوا على الأعراف وينظروا إلى الفريقين ويعرفونهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون. وفائدة ذلك بيان أن الجزاء على قدر الأعمال وأن التقدم والتأخر على حسبها وأن أحداً لا يسبق عند اللّه إلا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده إلا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا على إحراز قصبتهم وليتصوروا أن كل أحد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب أن يوسم بها من أهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن إساءته ويزيد المحسن في إحسانه. وليعلم أن العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملاً. وقوله: {إذا صرفت أبصارهم {فيه أن صارفاً يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرأ الأعمش: {وإذا قلبت أبصارهم {وقرئ: {ادخلوا الجنة {على البناء للمفعول. وقرأ عكرمة: دخلوا الجنة فإن قلت: كيف لاءم هاتين القراءتين قوله: {لا خوف عليهم ولا أنتم تحزنون {قلت: تأويله: ادخلوا أو

دخلوا الجنة مقولاً لهم: لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون. فإن قلت: ما محل قوله: لم يدخلوها وهم يطمعون قلت: لا محل له لأنه استئناف كأن سائلاً سأل عن حال أصحاب الأعراف فقيل: لم يدخلوها وهم يطمعون يعني حالهم أن دخولهم الجنة استأخر عن دخول أهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا. ويجوز أن يكون له محل بأن يقع صفة لرجال {ما أغنى عنكم جميعاً {المال أو كثرتكم واجتماعكم {ما كنتم تستكبرون {واستكباركم عن الحق وعلى الناس {ونادى أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون {. {أفِيضوا علينا {فيه دليل على أن الجنة فوق النار {أو مما رزقكم الله {من غيره من الأشربة لدخوله في حكم الإفاضة ويجوز أن يراد: أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام و الفاكهة. كقوله: علفتها تبناً وماء بارداً وإنما يطلبون ذلك مع يأسهم من الإجابة إليه حيرة في أمرهم كما يفعل المضطر الممتحن. {حرمهما على الكافرين {منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما جرم عليه ويحظر كقوله: حرام على عينيّ أن تطعم الكرى {فَاليوَمَ نَنساهم {نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به {كما نسوا لقاء يومهم هذا {كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به. {ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون {. {فصلناه على علم {عالمين كيف نفصل أحكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيماً قيماً غير ذي عوج قرأ ابن محيصن فضلتاه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين أنه أهل للتفضيل عليها و {هدى ورحمة {حال من منصوب فصلناه كما أن على علم حال من مرفوعه {إلا تأويله {إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد {قد جاءت رسل ربنا بالحق {أي تبين وصح أنهم جاءوا بالحق {نرد {جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام كأنه قيل: هل لنا من شفعاء أو هل نرد ورافعه وقوعه موقعاً يصلح للاسم كما تقول ابتداء: هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه. فلا يقدر: هل يشفع لنا شافع أو نرد وقرأ ابن أبي إسحاق: أو نرد بالنصب عطفاً على فيشفعوا لنا أو تكون أو بمعنى حتى أن أي يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع {فنعمل {بمعنى: فنحن نعمل. {إن ربكم الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل والنهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب {يغشي الليل النهارَ يطلبه حَثِيثَاً {وقرئ: {يغشى بالتشديد أي يلحق الليل النهار والنهار بالليل يحتملهما جميعاً. والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس: يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أي يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثاً حسن الملاءمة لقراءة حميد {بأمره {بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات أي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد أن يصرفها سمي ذلك أمراً على التشبيه كأنهن مأمورات بذلك. وقرئ: {والشمس والقمر والنجوم مسخرات {بالرفع. لما ذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال: {ألا له الخلق والأمر {أي هو الذي خلق الأشياء كلها وهو الذي صرفها على حسب إرادته. {ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمت الله قريب من المحسنين وهو الذي يرسل الريح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته بإذن الله والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون {. {تضرعاً وخفية {نصب على الحال أي ذوي تضرع وخفية. وكذلك خوفاً وطمعاً. والتضرع تفعل من الضراعة وهو الذل أي تذللاً وتملقاً. وقرئ: وخِفيَة وعن الحسن رضي الله عنه: إن الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي إن كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وإن كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به وإن كان الرجل ليصلي

الصلاة الطويلة وعنده الزوار وما يشعرون به ولقد أدركنا أقواماً ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السر فيكون علانية أبداً. ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم. وذلك أن الله تعالى يقول: {أدعو ربكم تضرعاً وخفية {وقد أثنى على زكريا فقال: {إذ نادى ربه نداءً خفياً {مريم: 3 وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً. {إنه لا يحب المعتدين {أي المجاوزين ما أمروا به في كل شيء من الدعاء وغيره. وعن ابن جريج: هو رفع الصوت بالدعاء. وعنه: الصياح في الدعاء مكروه وبدعة. وقيل: هو الإسهاب في الدعاء. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء أن يقول: اللهم إني أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قول وعمل ثم قرأ قوله تعالى: {إنه لا يحب المعتدين {. {إنَّ رَحمَتَ اَللَهِ قَرِيب من المحسنين {كقوله: {وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً {طه: 82. وإنما ذكر {قَرِيب {على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو لأنه صفة موصوف محذوف أي شيء قريب. أو على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء وأسراء أو على أنه بزنة المصدر الذي هو النقيض والضغيب. أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي قرئ: نشراً وهو مصدر نشر. وانتصابه إما لأن أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل: نشرها نشراً: وإما على الحال بمعنى منتشرات. ونشراً جمع نشور. ونشراً تخفيف نشر كرسل ورسل. وقرأ مسروق: {نشراً بمعنى منشورات فعل بمعنى مفعول كنفض وحسب. ومنه قولهم ضم نشره وبشراً جمع بشير. وبشراً بتخفيفه. وبشر بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره أي باشرات وبشرى {بين يدي رحمته {أمام رحمته وهي الغيث الذي هو من أتم النعم وأجلها وأحسنها أثراً {أقلت {حملت ورفعت واشتقاق الإقلال من القلة لأن الرافع المطيق يرى الذي يرفعه قليلاً {سحاباً ثقالاً {سحائب ثقالاً بالماء جمع سحابة {سقناه {الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلاً {لبلد ميت {لأجل بلد ليس فيه حياً ولسقيه. وقرئ: مَيتٍ {فَأنزلنَا بِهِ {بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق. وكذلك {فأخرجنا به... كذلك {مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات {نخرج الموتى لعلكم تذكرون {فيؤديكم التذكر إلى أنه لا فرق بين الإخراجين. إذ كل واحد منهما إعادة للشيء بعد إنشائه {والبلد الطيب {الأرض الغداة الكريمة التربة {وَاَلَّذِي خَبُثَ {الأرض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به {بأذن ربه {بتيسيره وهو في موضع الحال كأنه قيل: يخرج نباته حسناً وافياً لأنه واقع في مقابلة {نكداً {والنكد الذي لا خير فيه. وقرئ: يخرج نباته أن يخرجه البلد وينبته وقوله: {والذي خَبُثَ {صفة للبلد ومعناه: والبلد الخبيث لا يخرج بناته إلا نكداً فحذف المضاف الذي هو النبات وأقيم المضاف إليه الذي هو الراجع إلى البلد مقامه إلا أنه كان مجروراً بارزاً فانقلب مرفوعاً مستكناً لوقوعه موقع الفاعل أو يقدر: ونبات الذي خبث. وقرئ: {نكداً {بفتح الكاف على المصدر. أي ذا نكد. ونكداً بإسكانها للتخفيف كقوله: نزه عن الريب بمعنى نزه. وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يؤثر شيء من ذلك. وعن مجاهد: آدم وذريته منهم خبيث وطيب. وعن قتادة: المؤمن سمع كتاب الله فوعاه بعقله وانتفع به كالأرض الطيبة أصابها الغيث فأنبتت. والكافر بخلاف ذلك. وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد {وكذلك {مثل ذلك التصريف {نصَرِفُ الآيات {نرددها ونكررها {لقوم يشكرون {نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها ويعتبروا بها. وقرئ: يصرف بالياء أي يصرفها الله. {لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم {. {لقد أرسلنا نوحاً {جواب قسم محذوف. فإن قلت: ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام إلا حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما إن من حديث ولا وصالي قلت: إنما كان ذلك لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيداً للجملة المقسم عليها التي هي جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم. قيل: أرسل نوح عليه السلام وهو ابن خمسين سنة وكان نجاراً وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وأخنوخ اسم إدريس النبي عليه السلام. وقرئ: غيره

بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كأنه قيل: ما لكم إله غيره. والجر على اللفظ والنصب على الاستثناء بمعنى: ما لكم من إله إلا إياه كقولك: ما في الدار من أحد إلا زيد أو غير زيد. فان قلت: فما موقع الجملتين بعد قوله: {اعبدوا الله {قلت: الأولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة. والثانية: بيان للداعي إلى عبادته لأنه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله واليوم العظيم يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان.

{قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قومي ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون {. {الملأ {الأشراف والسادة وقيل: الرجال ليس معهم النساء {في ظلال {في ذهاب عن طريق الصواب والحق. ومعنى الرؤية: رؤية القلب. فإن قلت: لم قال: {ليس بي ضلالة {ولم يقل ضلال كما قالوا قلت: الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ في نفي الضلال عن نفسه كأنه قال: ليس بي شيء من الضلال كما لو قيل لك: ألك تمر فقلت: ما لي تمرة فإن قلت: كيف وقع قوله: {ولكني رسول {استدراكاً للانتفاء عن الضلالة. قلت: كونه رسولاً من الله مبلغاً رسالاته ناصحاً في معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك أن يكون استدراكاً للانتفاء عن الضلالة. وقرئ: {أبلغكم {بالتخفيف. فإن قلت: كيف موقع قوله: {أبلغكم {قلت: فيه وجهان. أحدهما: أن يكون كلاماً مستأنفاً بياناً لكونه رسول رب العالمين. والثاني: أن يكون صفة لرسول. فإن قلت: كيف جاز أن يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب قلت: جاز ذلك لأن الرسول وقع خبراً عن ضمير المخاطب وكان معناه كما قال: أنا الذي سمتني أمي حيدره {رسالات ربي {ما أوحي إلي في الأوقات المتطاولة أو في المعاني المختلفة من الأوامر والنواهي والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر. ويجوز أن يريد رسالاته إليه وإلى الأنبياء قبله من صحف جده إدريس وهي ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة {وأَنصَحُ لكم {يقال نصحته ونصحت له. وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة وأنها وقعت خالصة للمنصوح له مقصوداً بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعاً ولا نصحية أمحض من نصيحة اللّه تعالى ورسله عليهم السلام {وأعلم من الله ما لا تعلمون {أي من صفات الله وأحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لا يرد عن القوم المجرمين. وقيل: لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله إليه أو أراد: وأعلم من جهة الله أشياء لا علم لكم بها قد أوحى إلي بها. {أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا لعلكم ترحمون {. {أو عجبتم {الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل: كذبتم وعجبتم {أن جاءكم {من أن جاءكم {ذكر {موعظة {من ربكم على رجل منكم {على لسان رجل منكم كقوله: {ما وعدتنا على رسلك {آل عمران: 194 وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون: ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة {لينذركم وتتفوا {ليحذركم عاقبة الكفر وليوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الإنذار {ولعلكم ترحمون {ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم. {فكذبوا وأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوماً عمين {. {والذين معه {قيل: كانوا أربعين رجلاً وأربعين امرأة. وقيل: تسعة بنوه صام وحام ويافث وستة ممن آمن به. فإن قلت: {في الفلك {بم يتعلق قلت: هو متعلق بمعه كأنه قيل: والذين استقروا معه في الفلك أو صحبوه في الفلك. ويجوز أن يتعلق بفعل الإنجاء أي أنجيناهم في السفينة من الطوفان {عمين {عمى القلوب غير مستبصرين. وقرئ: عامين. والفرق بين العمي والعامي: أن العمى يدل على عمى ثابت والعامي على عمى حادث. ونحوه قوله: {وضاق به صدرك {هود: 12. {وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قومي اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم

ناصح أمين أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون {.
{أخاهم {واحداً منهم من قولك: يا أخا العرب للواحد منهم. وإنما جعل واحداً منهم لأنهم أفهم عن رجل منهم وأعرف بحاله في صدقه وأمانته وهو هود بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وأخاهم: عطف على نوحاً. و {هُود {عطف بيان له. فإن قلت: لم حذف العاطف من قوله: {قال يا قوم {ولم يقل فقال كما في قصة نوح قلت: هو على تقدير سؤال سائل قال: فما قال لهم هود فقيل: قال يا قوم اعبدوا اللّه وكذلك {قال الملأ {. فإن قلت: لم وصف الملأ ب {الذين كفروا {دون الملأ من قوم نوح قلت: كان في أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي أسلم وكان يكتم إسلامه فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في أشراف قوم نوح مؤمن. ونحوه قوله تعالى: {وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة {المؤمنون: 33 ويجوز أن يكون وصفاً وارداً للذم لا غير {في سفاهة {في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفاً على طريق المجاز: أرادوا أنه متمكن فيها غير منفك عنها. وفي إجابة الأنبياء عليهم السلام من نسبهم إلى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسبلون أذيالهم على مما يكون منهم {ناصح أمِين {أي عرفت فيما بينكم بالنصح والأمانة فما حقي أن أتهم. أو أنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه {خُلَفَاء مِن بَعدِ قوم نوُحٍ {أي خلفتموني في الأرض أو جعلكم ملوكاً في الأرض قد استخلفكم فيها بعدهم {في الخلق بصطة {فيما خلق من أجرامكم ذهاباً في الطول والبدانة. قيل: كان أقصرهم ستين ذراعاً وأطولهم مائة ذراع {فأذكروا آلاء الله {في استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه. وواحد الآلاء إلى نحو إني وإناء وضلع وأضلاع وعنب وأعناب. فإن قلت إذ في قوله: {إذ جعلناكم خلفاء ما وجه انتصابه قلت: هو مفعول به وليس بظرف أي اذكروا وقت استخلافكم. {قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين {.
{أجئتنا لنعبد الله وحده {أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء. في اتخاذ الأصنام شركاء معه حباً لما نشأوا عليه وألفاً لما صادفوا آباءهم يتدينون به. فإن قلت: ما معنى المجيء في قوله: {أجئتنا {قلت: فيه أوجه: أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوهم. وأن يريدوا به الاستهزاء لأنهم كانوا يعتقدون أن الله تعالى لا يرسل إلا الملائكة فكأنهم قالوا: أجئتنا من السماء كما يجيء الملك وأن لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض لذلك والقصد كما يقال: ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا: أقصدتنا لنعبد اللّه وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك {فأتنا بما تعدنا {استعجال منهم للعذاب {قد وقع عليكم {أي حق عليكم ووجب أو قد نزل عليكم. جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع. ونحوه قولك لمن طلب إليك بعض المطالب قد كان ذلك. وعن حسان أن ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي. فقال له يا بني مالك قال: لسعني طوير كأنه ملتف في بردى حبرة فضمه إلى صدره وقال له: يا بني قد قلت الشعر. والرجس: العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب {في أسماء سميتموها {في أشياء ما هي إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمونها آلهة. ومعنى الإلهية فيها معدوم محال وجوده. وهذا كقوله تعالى: {ما تدعون من دونه من شيء {ومعنى {سميتموها {سميتم بها من: سميته زيداً. وقطعُ دابرهم: استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم. وقصتهم أن عاداً قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت. وكانت لهم أصنام يعبدونها. صداء. وصمود والهباء فبعث الله إليهم

هوداً نبياً وكان من أوسطهم وأفضلهم حسباً فكذبوه وازدادوا عتواً وتجبراً فأمسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله تعالى الفرج منه عند بيته المحرم مسلمهم ومشركهم وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد إلى مكة من أماثلهم سبعين رجلاً منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم إسلامه. فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجاً عن الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان. قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له أهمه ذلك وقال: قد هلك أخوالي وأصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحي أن يكلمهم خيفة أن يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين. فقالتا: قل شعراً نغنيهم به لا يدرون من قاله. فقال معاوية: ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماماً فيسقي أرض عاد إن عاداً قد أمسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا: إن قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد: واللّه لا تسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم وتبتم إلى الله سقيتم وأظهر إسلامه فقالوا لمعاوية: احبس عنا مرثداً لا يقدمن معنا مكة فإنه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثاً بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه منادٍ من السماء. ياقيل اختر لنفسك ولقومك فقال: اخترت السوداء فإنها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادٍ لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا. فإن قلت: ما فائدة نفي الإيمان عنهم في قوله: }وما كانوا مؤمنين {مع إثبات التكذيب بآيات الله قلت: هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كأنه قال: وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن أن الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين. }وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا إذ جعلناكم خلفاء من بعد عاد وبوأهم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً فأذكروها آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين {. قرئ: }وإلى ثَمُوَد {بمنع الصرف بتأويل القبيلة وإلى ثمود بالصرف بتأويل الحي أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر وهو ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح. وقيل: سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الثمام والحجاز إلى وادي القرى }قد جاءتكم {آية ظاهرة لم شاهد على صحة نبوتي. وكأنه قيل: ما هذه البينة فقال: }هذه ناقة الله لكم آية {وآية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل كأنه قيل: أشير إليها آية. وخلكم: بيان لمن هي له آية موجبة عليه الإيمان خاصة وهم ثمود لأنهم عاينوها وسائر الناس أخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كأنه قال: لكم خصوصاً وإنما أضيفت إلى اسم الله تعظيماً لها وتفخيماً لشأنها وأنها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول: آية اللّه. وروى أن عاداً لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الأرض وكثروا وعمروا أعماراً طوالاً حتى أن الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وأفسدوا في الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله تعالى إليهم صالحاً عليه السلام وكانوا قوماً عرباً وصالح من أوسطهم نسباً فدعاهم إلى الله تعالى فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وأنذرهم فسألوه آية فقال: أية آية تريدون قالوا: تخرج معنا إلى فيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعوا إلهك وندعو آلهتنا فإن استجيب لك أتبعناك وإن استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح: نعم فخرج معهم ودعوا أوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قمال سيدهم جندع بن عمرو وأشار إلى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فإن فعلت صدقناك

وأجبناك. فأخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا: نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء. كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها إلا اللّه تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولداً مثلها في العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع أعقابهم ناس من رؤوسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غباً فإذا كان يومها وضعت رأسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون. قال أبو موسى الأشعري: أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعاً. وكانت الناقة إذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها أنعامهم فتهبط إلى بطنه وإذا وقع البرد تشتت بطن الوادي فتهرب مواشيهم إلى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان: عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار لما أضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلاً اسمه قارة فرغى ثلاثاً وكان صالح قال لهم: أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها. فقال لهم صالح: تصبحون غداً ووجوهكم مصفرة وبعد ذلك غدٍ ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصحبكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه. فأنجاه اللّه إلى أرض فلسطين. ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبح وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا {تأكل في أرض الله {أي الأرض أرض اللّه والناقة ناقة الله فذروها تأكل في أرض ربها فليست الأرض لكم ولا ما فيها من النبات من أنباتكم {لا تمسوها بسوء {لا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء من الأذى إكراماً لآية الله. ويروى: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه: {لا يدخلن أحد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم وقال صلى الله عليه وسلم: يا علي أتدري من أشقى الأولين قال: الله ورسوله أعلم. قال: عاقر ناقة صالح أتدري من أشقى الآخرين قال: الله ورسوله أعلم. قال: قاتلك وقرأ أبو جعفر في رواية: تأكل في أرض الله وهو في موضع الحال بمعنى آكلة {بوأكم {وتر لكم. والمباءة: المنزل {في الأرض {في أرض الحجر بين الحجاز والشام {مِن سُهُولِهَا قصوراً {أي تبنونها من سهولة الأرض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر. وقرأ الحسن: وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون بإشباع الفتحة كقوله: ينباع من ذفرى أسيل حرّة فإن قلت: علام انتصب {بيوتاً {قلت: على الحال كما تقول: خِطِ هذا الثوب قميصاً وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لأن الجبل لا يكون بيتاً في حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصاً وقلماً في حال الخياطة والبري. وقيل: كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتاء. {قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح أئتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين {. {للذين استضعفوا {للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم و {لمن آمن منهم {بدل من الذين استضعفوا. فإن قلت: الضمير في منهم راجع إلى ماذا قلت: إلى {قومه {أو إلى {الذين استضعفوا {. فإن قلت: هل لاختلاف المرجعين أثر في اختلاف المعنى قلت: نعم وذلك أن الراجع إذا رجع إلى قومه فقد جعل {من آمن {مفسراً لمن استضعف منهم فدل أن استضعافهم كان مقصوراً على المؤمنين وإذا رجع إلى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصوراً عليهم ودل أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين: {أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه {شيء قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة: أتعلمون أن الله فوق العرش. فإن قلت: كيف صح قولهم: {إنا بما أرسل به مؤمنون {جواباً عنه قلت: سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمراً معلوماً مكشوفاً مسلماً لا يدخله ريب كأنهم قالوا: العلم بإرساله وبما أرسل به ما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وإنارته وإنما الكلام في وجوب

الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة: {إنا بالذي آمنتم به كافرون
}فوضعوا {أمنتم به {موضع {أرسل به {رداً لما جعله المؤمنون معلوماً وأخذوه مسلماً
}فعقروا الناقة {أسند العقر إلى جميعهم لأنه كان برضاهم وإن لم يباشره إلا بعضهم
وقد يقال للقبيلة الضخمة: أنتم فعلتم كذا وما فعله إلا واحداً منهم {وعتوا عن أمر ربهم
}وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وأمر ربهم: ما أمر به على لسان صالح عليه
السلام من قوله: {فذروها تأكل في أرض الله }الأعراف: 73 أو شأن ربهم وهو دينه. ويجوز
أن يكون المعنى: وصدر عتوهم عن أمر ربهم كأن أمر ربهم بتركها كان هو السبب في
عتوهم. ونحو عن هذه ما في قوله: {وما فعلته عن أمري }الكهف: 82 {ائتنا بما تعدنا
}أرادوا من العذاب. وإنما جاز الإطلاق لأنه كان معلوماً. واستعجالهم له لتكذيبهم به
ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين {الرجفة {الصيحة التي زلزلت
لها الأرض واضطربوا لها {في دارهم {في بلادهم أو في مساكنهم {جاثمين {هامدين لا
يتحركون موتى. يقال: الناس جثم أي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة. ومنه المجثمة
التي جاء النهي عنهما وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى. وعن جابر: أن النبي
صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال: {لا تسألوا الآيات {فقد سألها قوم صالح
فأخذتهم الصيحة فلم يبق منهم إلا رجل واحد كان في حرم الله. قالوا من هو قال: ذاك
أبو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه {وروى: أن صالحاً كان بعثه إلى
قوم فخالف أمره. وروى: أنه عليه السلام مر بقبر أبي رغال فقال: أتدرون من هذا قالوا:
الله ورسوله أعلم. فذكر قصة أبي رغال وأنه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب
فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن. {فتولى عنهم {الظاهر أنه كان
مشاهداً لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعدما أبصرهم جاثمين تولى مغتم متحسر على
ما فاته من إيمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهداً في
إبلاغ النصيحة لكم ولكنكم {لا تحبون الناصحين {ويجوز أن يتولى عنهم تولى ذاهب عنهم
منكر لإصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب. وروى: أن عقرهم الناقة كان يوم
الأربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي أنه خرج في مائة وعشرة من المسلمين
وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعاً فعلم أنهم قد هلكوا وكانوا ألفاً وخمسمائة دار.
وروي أنه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم. فإن قلت: كيف صح خطاب الموتى وقوله:
}ولكن لا تحبون الناصحين {قلت: قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه حياً
فلم يسمع منه حتى ألقى بنفسه في التهلكة: يا أخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل
مني وقوله: {ولكن لا تحبون الناصحين {حكاية حال ماضية. {ولوطاً إذ قال لقومه أتاتون
الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء
بل أنتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس
يتطهرون فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف
كان عاقبة المجرمين {. {وَلوطًا {وأرسلنا لوطاً. و {إذ {ظرف لأرسلنا. أو واذكر لوطاً
وإذ بدل منه بمعنى: واذكر وقت: {قال لقومه أتأتون الفاحشة }أتفعلون السيئة المتمادية
في القبح {مَا سَبَقَكُمْ بِهَا {ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك: سبقته بالكرة إذا
ضربتها قبله. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: سبقك بها عكاشة {من أحد من العالمين
}من الأولى زائدة لتوكيد النفي وإفادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض. فإن قلت: ما
موقع هذه الجملة قلت: هي جملة مستأنفة أنكر عليهم أولاً بقوله: {أَتأتُونَ الفاحَشَةَ {ثم
وبخهم عليها فقال: أنتم أول من عملها. أو على أنه جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا: لما
لا نأتيها فقال: ما سبقكم بها أحد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به {إنكم لتأتون الَرجَالَ {بيان
لقوله: أتأتون الفاحشة. والهمزة مثلها في {أتأتون {للإنكار والتعظيم. وقرئ: إنكم على
الإخبار المستأنف لتأتون الرجال من أتى المرأة إذا غشيها {شهوة {مفعول له أي
للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم أعظم منه لأنه
وصف لهم بالبهيمية وأنه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه أو حال
بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين إلى السماجة {بَل أَنتم قوم مسرفون
}أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو إلى اتباع

الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد. ونحوه {بل أنتم قوم عادون }الشعراء: 166. {ما كان جَوَابَ قومه إلا أن قالوا {يعني ما أجابوه بما يكون جواباً عما كلمهم به لوط عليه السلام من إنكار الفاحشة وتعظيم أمرها ووسمهم بسمة الإسراف الذي هو أصل الشر كله لكنهم جاءوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجراً بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم. وقولهم: {إنهم أناس يتطهرون {سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخاراً بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم: أبعدوا عنا هذا المتقشف وأريحونا من هذا المتزهد {وأهله {ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين {من الغابرين {من الذين غبروا في ديارهم أي بقوا فهلكوا. والتذكير لتغليب الذكور على الإناث. وكانت كافرة موالية لأهل سدوم. وروي: أنها التفتت فأصابها حجر فماتت. وقيل: كانت المؤتفكة خمس مدائن. وقيل: كانوا أربعة آلاف بين الشام والمدينة فأمطر الله عليهم الكبريت والنار. وقيل: خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم. وقيل: أمطر عليهم ثم خسف بهم. وروي: أن تاجراً منهم كان في والحرم فوقف له الحجر أربعين يوماً حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه. فإن قلت: أي فرق بين مطر وأمطر قلت: يقال مطرتهم السماء وواد ممطور. وفي نوابغ الكلم: حرى غير ممطور. وحرى أن يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم: أصابتهم المطر كقولهم: غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم. ويقال: أمطرت عليهم كذا بمعنى أرسلته عليهم إرسال المطر {فأمطر علينا حجارة عن السماء }الأنفال: 32 {وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل }هود: 82. ومعنى {وأمطرنا عليهم مطراً }وأرسلنا عليهم نوعاً من المطر عجيباً يعني الحجارة. ألا ترى إلى قوله: {فساء مطر المنذرين { {وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم واذكروا كيف كان عاقبة المفسدين وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين {. كان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين {قد جاءتكم بينة من ربكم {معجزة شاهدة بصحة نبوتي أوجبت عليكم الإيمان بي والأخذ بما آمركم به والانتهاء عما أنهاكم عنه فأوفوا ولا تبخسوا. فإن قلت: ما كانت معجزته قلت: قد وقع العلم بأنه كانت له معجزة لقوله: {قد جاءتكم بينة من ربكم {ولأنه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه وإلا لم تصح دعواه وكان متنبئاً لا نبياً غير أن معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه. ومن معجزات شعيب عليه السلام: ما روي من محاربة عصى موسى عليه السلام التنين حين دفع إليه غنمه. وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده أن تكون له الدرع من أولادها ووقوع عصى آدم عليه السلام على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لأن هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسى عليه السلام فكانت معجزات لشعيب. فإن قلت: كيف قيل: {الكيل والميزان {وهلا قيل: المكيال والميزان كما في سورة هود عليه السلام قلت: أريد بالكيل: آلة الكيل وهو المكيال أو سمي ما يكال به الكيل كما قيل: العيش لما يعاش به. أو أريد: فأوفوا الكيل ووزن الميزان. ويجوز أن يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر ويقال: بخسته حقه: إذا نقصته إياه. ومنه قيل للمكس: البخس وفي أمثالهم: تحسبها حمقاء وهي باخس. وقيل: {أشياءهم {لأنهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم أو كانوا مكاسين لا يدعون شيئاً إلا مكسوه كما يفعل أمراء الحرمين. وروي: أنهم كانوا إذا دخل الغريب بلدهم أخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعاً ثم أخذوها بنقصان ظاهر أو أعطوه بدلها زيوفاً {بعد إصلاحها {بعد الإصلاح فيها أي لا تفسدوا فيها بعدما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم. وإضافة قوله: {بل مكر

الليل والنهار {سبأ: 33 بمعنى بل مكركم في الليل والنهار أو بعد إصلاح أهلها على حذف المضاف {ذلكم {إشارة إلى ما ذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والإفساد في الأرض أو إلى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه. ومعنى: {خير لكم {يعني في الإنسانية وحسن الأحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لأن الناس أرغب في متاجرتكم إذا عرفوا منكم الأمانة والسوية {إن كنتم مؤمنين {إن كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم {ولا تقعدوا بكل صراط {ولا تقتدوا بالشيطان في قوله: {لأقعدن لهم صراطك المستقيم {الأعراف: 16 فتقعدوا بكل صراط أي بكل منهاج من مناهج الدين. والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله: {وتصدون عن سبيل الله {ومحل {تُوعِدُونَ {وما عطف عليه: النصب على الحال أي: ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجاً. فإن قلت: صراط الحق واحد {وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله {الأنعام: 153 فكيف قيل: بكل صراط قِلت: صراط الحق واحد ولكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا إذا رأوا أحداً يشرع في شيء منها أو عدوه وصدوه. فإن قلت إلام يرجع الضمير في {آمن به {قلت: إلى كل صراط. تقديره: توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح أمرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه. وقيل: كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم إن شعيباً كذاب فلا يفتنكم عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة. وقيل: كانوا يقطعون الطرق. وقيل: كانوا عشارين {وتبغونها عوجاً {وتطلبون لسبيل اللّه عوجاً أي تصفونها للناس بأنها سبيل معوج غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها: أو يكون تهكماً بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لأن طريق الحق لا يعوج {واذكروا إذ كنتم قليلاً {إذ مفعول به غير ظرف. أي: واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلاً عددكم {فكثركم {اللّه ووفر عددكم. قيل: إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا. ويجوز إذ كنتم مقلين فقراء فكثركم: فجعلكم مكثرين موسرين. أو كنتم أقلة أذلة فأعزكم بكثرة العدد والعدد {عاقبة المفسدين {آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي العهد مما أصاب المؤتفكة {فاصبروا {فتربصوا وانتظروا {حتى يحكم الله بيننا {أي بين الفريقين {بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم. وهذا وعيد للكافرين بانتقام اللّه منهم كقوله: {فتربصوا إنا معكم متربصون {التوبة: 52 أو هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم. ويجوز أن يكون خطاباً للفريقين أي ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم اللّه فيميز الخبيث من الطيب {وهو خير الحاكمين {لأن حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف. {قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم من بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن شاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا وأنت خير الفاتحين {. أي ليكونن أحد الأمرين: إما إخراجكم وإما عودكم في الكفر. فإن قلت: كيف خاطبوا شعيباً عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم: {أو لتعودن في ملتنا {وكيف أجابهم بقوله: {إن عدنا في ملتكم من بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها {والأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم من الصغائر إلا ما ليس فيه تنفير فضلاً عن الكبائر فضلاً عن الكفر قلت: لما قالوا: {لنخرجنك يا شعيب والذين لآمنوا معك {فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الإيمان منهم بعد كفرهم قالوا: {لتعُودُنَّ {فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعاً إجراءً للكلام على حكم التغليب. وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال: {إن عدنا في ملتكم من بعد إذ نجانا الله منها {وهو يريد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئاً من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب. فإن قلت: فما معنى قوله {وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن شاء الله {والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم في الكفر قلت: معناه إلا أن يشاء اللّه خذلاننا ومنعنا

الألطاف لعلمه أنها لا تنفع فينا وتكون عبثاً. والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله: {وسع ربنا كل شيء علماً {أي هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع إلى الكفر بعد الإيمان {على الله توكلنا {في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان. ويجوز أن يكون قوله: {إلا أن شاء الله {حسماً لطمعهم في العود لأن مشيئة اللّه لعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة {أولو كنا كارهين {الهمزة للاستفهام والواو واو الحال تقديره: أتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع كوننا كارهين. وما يكون لنا وما ينبغي لنا. وما يصح لنا {ربنا افتح بيننا {احكم بيننا. والفتاحة: الحكومة أو أظهر أمرنا حتى يتفتح ما بيننا {وبين قومنا {وينكشف بأن تنزل عليهم عذاباً يتبين معه أنهم على الباطل {وأنت خير الفاتحين {كقوله: {وهو خير الحاكمين {يونس: 109. فإن قلت: كيف أسلوب قوله: {قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم {قلت: هو إخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان أحدهما: أن يكون كلاماً مستأنفاً فيه معنى التعجب كأنهم قالوا: ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر بعد الإسلام. لأن المرتد أبلغ في الافتراء من الكافر لأن الكافر مفتر على الله الكذب. حيث يزعم أن لله نداً ولا ند له. والمرتد مثله في ذلك وزائد عليه حيث يزعم أنه قد تبين له ما خفي عليه من التمييز بين الحق والباطل.

والثاني: أن يكون قسماً على تقدير حذف اللام بمعنى: والله لقد افترينا على الله كذباً. {وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيباً كأن لم تغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين {.

{وقال الملأ الذين كفروا من قومه {أي أشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الإيمان {لئن اتبعتم شعيباً إنكم إذاً لخاسرون {لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله تعالى: {أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم {البقرة: 16 وقيل: تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على الإيفاء والتسوية فإن قلت: ما جواب القسم الذي وطأته اللام في {لئن اتبعتم شعيباً {وجواب الشرط قلت: قوله: {إنكم إذا لخاسرون {ساد مسد الجوابين {الذين كذبوا شعيباً {مبتدأ خبره {كأن لم يغنوا فيها {وكذلك {كانوا هم الخاسرين {وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل: الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بأن أهلكوا واستؤصلوا كأن لم يقيموا في دارهم لأن الذين اتبعوا شعيباً قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فإنهم الرابحون. وفي هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير: مبالغة في رد مقالة الملأ لأشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم. الأسى: شدة الحزن. قال العَجاجُ: وانحلت عيناه من فرط الأسى اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال: فكيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز أن يريد لقد أعذرت إليكم في الإبلاغ والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف آسي عليكم يعني أنه لا يأسى عليهم لأنهم ليسوا أحقاء بالأسى. وقرأ يحيى بن وَثاب: فكيف يأسى بكسر الهمزة. {وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهو لا يشعرون {. {إلا أخذنا أهلها بالبأساء {بالبؤس والفقر {والضراء {بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه {لعلهم يضرعون {ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر والعزة {ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة {أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة والرخاء والصحة والسعة كقوله: {وبلوناهم بالحسنات والسيئات {الأعراف: 168 {حتى عفوا {كثروا ونموا في أنفسهم وأموالهم من قولهم: عفا النبات وعفا الشحم والوبر إذا كثرت. ومنه قوله صلى الله عليه {واعفوا اللحى {وقال الحطيئة: بمستأسد القريان عاف نباته وقال: ولكنا نعض السيف منها بأسواق عافيات الشحم كوم {وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء {يعني وأبطرتهم النعمة وأشروا فقالوا: هذه عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء. وقد مس آباؤنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات والحسنات إلا أن نأخذهم بالعذاب {فأخذناهم {أشد

الأخذ وأفظعه وهو أخذهم فجأة من غير شعور منهم. {ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون {. اللام في القرى: إشارة إلى القرى التي دل عليها قوله: {وما أرسلنا في قرية من نبي {الأعراف: 4 كأنه قال: ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا {آمنوا {بدل كفرهم {واتقوا {المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض {لآتيناهم بالخير من كل وجه. وقيل: أراد المطر والنبات {ولكن كذبوا فأخذناهم {بسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام في القرى للجنس. فإن قلت: ما معنى فتح البركات عليهم قلت: تيسيرها عليهم كما ييسر أمر الأبواب المستغلقة بفتحها. ومنها قولهم: فتحت على القارئ إذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين.

{أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بيتا وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون {. البيات يكون بمعنى البيتوتة. يقال: بات بياتاً. ومنه قوله تعالى: {فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون {الأعراف: 4 وقد يكون بمعنى: التبييت كالسلام بمعنى التسليم. يقال: بيته العدو بياتاً فيجوز أن يراد: أن يأتيهم بأسنا بائتين أو وقت بيات أو مبيتاً أو مبيتين أو يكون بمعنى تبييتاً كأنه قيل: أن يبيتهم بأسنا بياتاً. و {ضُحًى {نصب على الظرف. يقال: أتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الأصل اسم لضوء الشمس إذا أشرقت وارتفعت. والفاء والواو في {أَفَأَمِنَ {و {أو أمن {حرفا عطف دخلت عليهما همزة الإنكار. فإن قلت: ما المعطوف عليه ولم عطفت الأولى بالفاء والثانية بالواو قلت: المعطوف عليه قوله: {فأخذناهم بغتة {وقوله: {ولو أن أهل القرى {الأعراف: 96 إلى {يَكسبونَ {وقع اعتراضاً بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطف بالفاء لأن المعنى: علوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى وقرئ: أو أمن على العطف بأو {وهم يلعبون {يشتغلون بما لا يجدي عليهم كأنهم يلعبون. {أفأمنوا مكر الله فلا يأمر مكر الله إلا القوم الخاسرين {. فإن قلت: فلم رجع فعطف بالفاء قوله: {أفأمنوا مكر الله {قلت: هو تكرير لقوله: {أفأمن أهل القرى {الأعراف: 97 ومكر الله: استعارة لأخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه. فعلى العاقل أن يكون في خوفه من مكر اللّه كالمحارب الذي يخاف. من عدوه الكمين والبيات والغيلة. وعن الربيع بن خثيم: أن ابنته قالت له: ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام فقال: يا بنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله: {أن يأتيهم بأسنا بياتاً {. {ألم يهد للذين يورثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون {. إذا قرئ: أو لم يهد بالياء كان {أن لو نشاء {مرفوعاً بأنه فاعله بمعنى: أو لم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وأهلكنا الوارثين كما أهلكنا المورثين. لماذا قرئ بالنون فهو منصوب كأنه قيل: أو لم يهد الله للوارثين هذا الشأن بمعنى: أو لم نبين لهم أنا {لو نشاء أصبناهم بذنوبهم {كما أصبنا من قبلهم. وإنما عدى فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين. فإن قلت بم تعلق قوله تعالى: {ونطبع على قلوبهم {قلت: فيه أوجه أن يكون معطوفاً على ما دل عليه معنى {أولم يهد {كأنه قيل: يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم. أو على يرثون الأرض أو يكون منقطعاً بمعنى: ونحن نطبع على قلوبهم. فإن قلت: هل يجوز أن يكون {ونطبع {بمعنى وطبعنا كما كان {لو نشاء {بمعني: لو شئنا ويعطف على أصبناهم قلت: لا يساعد عليه المعنى لأن القوم كانوا مطبوعاً على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والإصابة بها. وهذا التفسير يؤدي إلى خلوهم عن هذه الصفة وأن الله تعالى لو شاء لاتصفوا بها. {تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين {. {تلك القرى نقص عليك من أنبائها {كقوله: {هذا لعلي شيخاً {هود: 72 في أنه مبتدأ وخبر وحال ويجوز أن يكون {القرى {صفة لتلك و {نقص {خبراً

وأن يكون {القرى نقص {خبر بعد خبر. فإن قلت: ما معنى: {تلك القرى {حتى يكون كلاماً مفيداً قلت: هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك: هو الرجل الكريم. فإن قلت: ما معنى الإخبار عن القرى بنقص عليك من أنبائها قلت: معناه: أن تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لم نقصها عليك {فما كانوا ليؤمنوا {عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل مجيء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولاً حين جاءتهم الرسل أي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسلَ إليهم إلى أن ماتوا مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات. ومعنى اللام تأكيد النفي وأن الإيمان كان منافياً لحالهم في التصميم على الكفر. وعن مجاهد: هو كقوله: {ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه {الأنعام: 28. {كذلك {مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين. {وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين {. {وما وجدنا لأكثرهم من عهد {الضمير للناس على الإطلاق أي وما وجدنا لأكثر الناس من عهد يعني أن أكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الإيمان والتقوى {وإن وجدنا {وإن الشأن والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين. والآية اعتراض. ويجوز أن يرجع الضمير إلى الأمم المذكورين وأنهم كانوا إذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم نخاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام: {لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك {إلى قوله: {إذا هم ينكثون {الأعراف: 135 والوجود بمعنى العلم من قولك: وجدت زيداً ذا الحفاظ بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة. ولا يسوغ ذلك إلا في المبتدأ والخبر. والأفعال الداخلة عليهما. {ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل {. {مِن بعدِهِم {الضمير للرسل في قوله: {ولقد جاءتهم رسلهم {الأعراف: 101 أو للأمم {فَظَلَمُوا بها {فكفروا بآياتنا. أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد واحد {إن الشرك لظلم عظيم {لقمان: 13 أو فظلموا الناس بسببها حين أو عدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلماً فلذلك قيل: فظلموا بها أي: كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو مودع الإيمان. يقال: لملوك مصر: الفراعنة كما يقال لملوك فارس: الأكاسرة فكأنه قال: يا ملك مصر وكان اسمه قابوس. وقيل: الوليد بن مصعب بن الريان {حقيق علي أن لا أقول على الله إلا الحق {فيه أربع قراآت المشهورة: وحقيق علي أن لا أقول وهي قراءة نافع: {وحقيق أن لا أقول {وهي قراءة عبد اللّه: {وحقيق بأن لا أقول {وهي قراءة أبي وفي المشهورة إشكال ولا تخلو من وجوه وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر ومعناه: وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق علي أن لا أقول وهي قراءة نافع. والثاني: أن ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقاً عليه كان هو حقيقاً على قول الحق أي لازماً له. والثالث: أن يضمن {حقيق {معنى حريص كما ضمن {هيجني {معنى ذكرني في بيت الكتاب. والرابع: وهو الأوجه الأدخل في نكت القرآن: أن يغرق موسى في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي أن عدوا الله فرعون قال له لما قال: {إني رسول من رب العالمين {كذبت فيقول: أنا حقيق علي قول الحق أي واجب على قول الحق أن أكون أنا قائله والقائم به ولا يرضى إلا بمثلي ناطقاً به {فأرسل معي بني إسرائيل {فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين إلى الأرض المقدسة التي هي وطنهم ومولد أبائهم وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الأسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فأنقذهم اللّه بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى أربعمائة عام.

{قال إن كنت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين {. فإن قلت: كيف قال له: {فَأت بها {بعد قوله: {إن كنت جئت بآية {قلت: معناه إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها

عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك {ثعبان مبين {ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان. وروي أنه كان ثعباناً ذكراً أشعر فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعاً وضع لحيه الأسفل في الأرض ولحية الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً قتل بعضهم بعضاً ودخل فرعون البيت وصاح: يا موسى خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذه موسى فعاد عصى. فإن قلت: بم يتعلق {للناظرين {قلت: يتعلق ببيضاء. والمعنى: فإذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضها عجيباً خارجاً عن العادة يجتمع الناس للنظر إليه كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى: أنه أرى فرعون يده وقال: ما هذه قال: يدك ثم أدخلهما جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فإذا هي بيضاء بياضاً نورانياً غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة. {قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر مبين يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم {. {إن هذا لساحر عليم {أي عالم بالسحر ماهر فيه قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل إليهم العصى حية والآدم أبيض. فإن قلت: قد عزى هذا الكلام إلى فرعون في سورة الشعراء وأنه قاله للملأ وعُزي ههنا إليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثم وقولهم ههنا: أو قاله ابتداء فتلقته منه الملأ فقالوه لأعقابهم. أو قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة. والدليل عليه أنهم أجابوه في قولهم: {أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم {. وقرئ: سحار أي يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة: أو بخير منه. وكانت هذه مؤامرة مع القبط. وقولهم: {فَمَاذَا تأمرون {من امرأته فأمرني بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأي. وقيل: فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له: إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم كأنه قيل: قال فماذا تأمرون قالوا: أرجئه وأخاه ومعنى أرجئه وأخاه: أخرهما وأصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر أمرهما. وقيل: احبسهما. وقرئ: أرجئه بالهمزة: وأرجه من أرجاءه وأرجاه. {وجاء سحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين {. فإن قلت: هلا قيل: وجاء السحرة فرعون فقالوا: قلت: هو على تقدير سائل سأل: ما قالوا إذ جاؤه فأجيب بقوله {قالوا أإن لنا لأجراً {أي جعلا على الغلبة: وقرئ: {إن لنا لأجراً {على الإخبار وإثبات الأجر العظيم وإيجابه: كأنهم قالوا: لا بد لنا من أجر والتنكير والتعظيم كقول العرب: إن له لإبلاً وإن له لغنماً يقصدون الكثرة. فإن قلت: {وإنكم لمن المقربين {الذي عطف عليه قلت: هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الإيجاب كأنه قال إيجاباً لقولهم: إن لنا لأجراً: نعم إن لكم لأجراً وإنكم لمن المقربين أراد: إني لأقتصر بكم على الثواب وحده وإن لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لأن المثاب إنما يتهنأ بما يصل إليه ويغتبط به إذا نال معه الكرامة والرفعة. وروي أنه قال لهم: تكونون أول من يدخل وآخر من يخرج. وروى: أنه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم: ما صنعتم قالوا قد علمنا سحراً لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمراً من السماء فإنه لا طاقة لنا به. وروي أنهم كانوا ثمانين ألفاً. وقيل: سبعين ألفاً وقيل: بضعة وثلاثين ألفاً. واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر. وقيل: كان يعلمهم مجوسيان من أهل نينوى. وقيل: قال فرعون: لا نغالب موسى إلا بما هو منه يعني السحر. {قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقي السحرة تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين قبل أن يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل أن يتآخذوا للصراع. وقولهم: {وإما أن نكون نحن الملقين {فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر أو تعريف الخبر وإقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم. وثقة بما كان

بصدده من التأييد السماوي وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبداً {سحروا أعين الناس {أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه كقوله تعالى: {يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى {طه: 66. روي: أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً وخشباً طوالاً فإذا هي أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضاً {واسترهبوهم {وأرهبوهم إرهاباً شديداً كأنهم استدعوا رهبتهم {بسحر عظيم {في باب السحر. روي أنهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة. قيل: جعلوا فيها الزئبق {مَا يأفِكوُنَ {ما موصولة أو مصدرية بمعنى: ما يأفكونه أي يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه أو إفكهم تسمية للمأفوك بالإفك روي أنها لما تلقفت ملئ الوادي من الخشب والحبال رفعها موسى. أو إفكهم فرجعت عصى كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الإبرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت للسحرة: لو كان هذا سحراً لبقيت حبالنا وعصينا {فرقع اَلحقُّ {فحصل وثبت. ومن بدع التفاسير: فوقع قلوبهم أي فأثر فيها من قولهم. قاس وقيع {وانقلبوا صاغرين {وصاروا أذلاء مبهوتين {وألقى السحرة {وخروا سجداً: كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم. وقيل: لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا. وعن قتادة: كانوا أول النهاركفاراً سحرة وفي آخره شهداء بررة. وعن الحسن: تراه ولد في الإسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر بذلوا أنفسهم لله. {قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين {. {آمنتم به {على الإخبار أي فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخاً لهم وتقريعاً. وقرئ: {أآمنتم {بحرف الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد {إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة {إن صنعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا منها إلى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو أن تخرجوا منها القبط وتسكنوها بني إسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويهاً على الناس لئلا يتبعوا السحرة في الإيمان. وروي أن موسى عليه السلام قال للساحر الأكبر: أتؤمن بي إن غلبتك قال: لآتين بسحر لا يغلبه سحر. وإن غلبتني لأومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ما قال: {فسوف تعلمون {وعيد أجمله ثم فصله بقوله: {لأقطعن {وقرئ: لأقطعن بالتخفيف وكذلك {ثم لأصلبن {{من خلف {من كل شق طرفاً. وقيل: إن أول {قالوا إنا إلى ربنا منقلبون وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين {. {آمنتم به {فيه أوجه أن يريدوا: إنا لا نبالي بالموت لانقلابها إلى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك. أو ننقلب إلى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب أو إنا جميعاً يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب إلى اللّه فيحكم بيننا أو إنا لا حمالة ميتون منقلبون إلى الله فما تقدر أن تفعل بنا إلا ما لا بد لنا منه {وما تنتقم منا إلا أن آمنا {وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله أرادوا: وما تعيب منا إلا ما هو أصل المناقب والمفاخر كلها وهو الإيمان. ومنه قوله: ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم {أفرغ علينا صبراً {هب لنا صبراً واسعاً وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء فراغاً وعن بعض السلف: إن أحدكم ليفرغ على أخيه ذنوباً ثم يقول: قد مازحتك أي يغمره بالحياء والخجل. أو صمت علينا ما يطهرنا من أوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لأنهم علموا أنهم إذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم {وتوفنا مسلمين {ثابتين على الإسلام. {وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل {ويذرك {عطف على {ليفسدوا {لأنه إذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤذياً إلى ما دعوه فساداً وإلى تركه وترك آلهته فكأنه تركهم لذلك. أو هو جواب للاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة: ألم أك جاركم ويكون بيني وبينكم المودة والإخاء والنصب بإضمار أن تقديره: أيكون منك ترك موسى ويكون تركه إياك وآلهتك. وقرئ: ويذرك وآلهتك بالرفع عطفاً على أتذر موسى بمعنى: أتذره وأيذرك يعني: تطلق له ذلك. أو يكون مستأنفاً أو حالاً على معنى: أتذره وهو يذرك وآلهتك. وقرأ الحسن: ويذرك بالجزم كأنه قيل: يفسدوا كما قرئ: {وأكن من الصالحين {المنافقون: 10 كأنه قيل: أصدق. وقرأ أنس رضي الله عنه: ونذرك بالنون والنصب أي يصرفنا عن عبادتك فنذرها. وقرئ: ويذرك وإلاهك أي عبادتك. وروي: أنهم

قالوا له ذلك لأنه وافق السحرة على الإيمان ستمائة ألف نفس فأرادوا بالفساد في الأرض ذلك وخافوا أن يغلبوا على الملك وقيل: صنع فرعون لقومه أصناماً وأمرهم أن يعبدوها تقرباً إليه كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون: ليقربونا إلى الله زلفى ولذلك قال: أنا ربكم الأعلى {سنقتل أبناءهم {يعني سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الأبناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا وأن غلبة موسى لا أثر لها في ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة أنه هو المولود الذي أخبر المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه وأنه منتظر بعد. {قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون {. {قال موسى لقومه استعينوا بالله {قال لهم ذلك حين قال فرعون: سنقتل أبناءهم فجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسلبهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد اللّه بني إسرائيل من إهلاك القبط وتوريثهم أرض وديارهم. فإن قلت: لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على التي قبلها قلت: هي جملة مبتدأة مستأنفة. وأما {وقال الملأ {الأعراف: 127 فمعطوفة على ما سبقها من قوله: {قال الملأ من قوم فرعون {وقوله: {إن الأرض لله {يجوز أن تكون اللام للعهد ويراد أرض مصر خاصة كقوله: {وأورثنا الأرض {الزمر: 74 وأن تكون للجنس فيتناول أرض مصر لأنها من جنس الأرض كما قال ضمرة: إنما المرء بأصغريه فأراد بالمرء الجنس وغرضه أن يتناوله تناولاً أولياً {والعاقبة للمتقين {بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأن المشيئة متناولة لهم. وقرأ: والعاقبة للمتقين بالنصب: أبي وابن مسعود عطفاً على الأرض. {أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا {يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى عليه السلام إلى أن استنبئ وإعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب {عَسَى ربكم أن يهلك عدوكم {تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل. وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر {فينظر كيف تعملون {فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم. وعن عمرو بن عبيد رحمه اللّه أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال: قد بقي فينظر كيف تعملون {. {ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون {. {بالسنين {بسني القحط. و السنة من الأسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا: أسنت القوم بمعنى: أقحطوا. وقال ابن عباس رضي اللّه عنه: أما السنون فكانت لباديتهم وأهل مواشيهم. وأما نقص الثمرات فكان في أمصارهم. وعن كعب: يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا تمرة {لعلهم يذكَّرُونَ {فيتنبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولأن الناس في حال الشدة أضرع خدوداً وألين أعطافاً وأرق أفئدة. وقيل: عاش فرعون أربعمائة سنة ولم ير مكروهاً في ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه في تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية. {فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطّيّروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون {. {فإذَا جاءتهم الحسنة {من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه {أي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك. الجل للفرس {وإن تصبهم سيئة {من ضيقة وجدب {يتطيروا بموسى ومن معه {يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا: هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك. فإن قلت: كيف قيل فإذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة قلت: لأن جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه. وأما السيئة فلا تقع إلا في الندرة ولا يقع إلا شيء منها. ومنه قول بعضهم: قد عددت أيام البلاء فهل عددت أيام الرخاء {طائرهم عند الله {أي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته واللّه هو الذي يشاء ما يصيبهم من الحسنة

والسيئة وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه كقوله تعالى: {قل كل من عند اللّه }النساء: 78 ويجوز أن يكون معناه: ألا إنما سبب شؤمهم عند اللّه وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لأجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم اللّه في قوله سبحانه: {النار يعرضون عليها }غافر: 46 الآية. ولا طائر أشأم من هذا. وقرأ الحسن: إنما طيركم عند اللّه وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره: التجر والركب. وعند أبي الحسن: هو تكسير. {وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وآيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين {. {مهما {هي ما المضمنة معنى الجزاء ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء في قولك: متى ما تخرج أخرج {أينما تكونوا يدرككم الموت }النساء: 78 {فإنما نذهبن بك }الزخرف: 41 إلا أن الألف قلبت هاء استثقالاً لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم أن مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف و ما للجزاء كأنه قيل: كف ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين. فإن قلت: ما محل مهما قلت: الرفع بمعنى: أيما شيء تأتنا به. أو النصب بمعنى: أيما شيء تحضرنا تأتنا به. ومن آية: تبيين لمهما. والضميران في {به {و {بِهَا {راجعان إلى مهما إلا أن أحدهما ذكر على اللفظ والثاني أنث على المعنى لأنه في معنى الآية. ونحوه قول زهير: ومهما تكن عند امريء من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد له في علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني أعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر {مهما تأتينا من آية {بمعنى الوقت فَيُلحِد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وأمثاله مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه. فإن قلت: كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها قلت: ما سموها آية لاعتقادهم أنها آية وإنما سموها اعتباراً لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي {الطوفان {ما طاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل. قيل: طغى الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة لا يرون شمساً ولا قمراً ولا يقدر أحدهم أن يخرج من داره. وقيل: أرسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني إسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء إلي تراقيهم فمن جلس غرق ولم تدخل بيوت بني إسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه أرضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة أيام. وعن أبي قلابة: الطوفان الجدري وهو أول عذاب وقع فيهم فبقي في الأرض. وقيل: هو المُوتان وقيل: الطاعون فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد بمثله فأقاموا شهراً فبعث الله عليهم الجراد فأكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم أكلت كل شيء حتى الأبواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بني إسرائيل منها شيء ففزعوا إلى موسى ووعدوه التوبة فكشف عنهم بعد سبعة أيام: خرج موسى عليه السلاء إلى الفضاء فأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد إلى النواحي التي جاء منها فقالوا: ما نحن بتاركي ديننا فأقاموا شهراً فسلط اللّه عليهم القمل وهو الحمنان في قول أبي عبيدة كبار القردان. وقيل: الدبا وهو أولاد الجراد. وقيل: نبات أجنحتها. وقيل: البراغيث. وعن سعيد بن جبير: السوس فأكل ما أبقاه الجراد ولحس الأرض وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيمصه وكان يأكل أحدهم طعاماً فيمتلئ قملاً وكان يخرج أحدهم عشرة أجربة إلى الرحى فلا يرد منها إلا يسيراً. وعن سعيد بن جبير أنه كان إلي جنبهم كثيب أعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملاً فأخذت في أبشارهم وأشعارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كأنه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا إلى موسى فرفع عنهم فقالوا: قد تحققنا الآن أنك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك أبداً فأرسل اللّه عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم وأطعمتهم ولا يكشف أحد شيئاً من ثوب ولا طعام ولا شراب إلا وجد فيه الضفادع وكان الرجل إذا أراد أن يتكلم وثبت الضفدع إلى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بأنفسها في القدرو وهي تغلي وفي التنانير وهي تفور فشكوا

إلى موسى وقالوا: ارحمنا هذه المرة فما بقي إلا أن نتوب التوبة النصوح ولا نعود فأخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فأرسل اللّه عليهم الدم فصارت مياههم دماً فشكوا إلى فرعون فقال: إنه سحركم فكان يجمع بين القبطي والإسرائيلي على إناء واحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دماً ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللإسرائيلي الماء حتى إن المرأة القبطية تقول لجارتها الإسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم فجيه في فيّ فيصير الماء في فيها دماً. وعطش فرعون حتى أشفي على الهلاك فكان يمص الأشجار الرطبة فإذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحاً أجاجاً. وعن سعيد بن المسيب: سال عليهم النيل دماً. وقيل: سلط الله عليهم الرعاف وروي: أن موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروي: أنه لما أراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال: يا رب إن عبدك هذا قد علا في الأرض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية. فحينئذ بعث اللّه عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم. وقرأ الحسن: والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف {آيات مفصلات {نصب على الحال. ومعنى مفصلات: مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وأنها عبرة لهم على كفرهم. أو فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه أحوالهم وينظر أيستقيمون ما وعدوا من أنفسهم أم ينكثون إلزاماً للحجة عليهم.
{ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشف عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسل معك بني إسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين {.
{بِمَا عَهِدَ عِندَك {ما مصدرية. والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء إما أن تتعلق بقوله: {ادع لنا ربك {على وجهين: أحدهما أسعفنا إلى ما نطلب إليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد اللّه وكرامته بالنبوة. أو ادع اللّه لنا متوسلاً إليه بعهده عندك. وإما أن يكون قسماً مجاباً بلنؤمنن أي أقسمنا بعهد اللّه عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك {إلى أجل هم بالغوه {إلى حد من الزمن هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله {إذَا هم ينكثون {جواب لما يعني: فلما كشفناه عنهم فاجاؤوا النكث وبادروا لم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكثوا {فانقمنا منهم {فأردنا الانتقام منهم {فأغرقناهم {. واليم: البحر الذي لا يدرك قعره. وقيل: هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لأن المستنفعين به يقصدونه {بأنهم كذبوا بآياتنا {أي كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها. {وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون {. {وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون{هم بنو إسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه. والأرض: أرض مصر والشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤا في أطرافها ونواحيها الشرقية والغربية {باركنا فيها {بالخصب وسعة الأرزاق {كلمة ربك الحسنى {قوله: {ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض {إلى قوله: {ما كانوا يحذرون{القصص: 6 والحسنى: تأنيث الأحسن صفة للكلمة. ومعنى تمت على بني إسرائيل: مضت عليهم واستمرت من قولك: تم على الأمر إذا مضى عليه {بما صبروا {بسبب صبرهم وحسبك به حاثاً على الصبر ودالاً على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه ومن قابله بالصبر. وانتظار النصر ضمن الله له الفرج. وعن الحسن: عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله. وتلا الآية. ومعنى خف: طاش جزعاً وقلة صبر ولم يرزن رزانة أولي الصبر. وقرأ عاصم في رواية: وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره {من آيات ربه الكبرى{النجم: 18. {ما كان يصنع فرعون وقومه {ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور {وَمَا كانوا يعرشون {من الجنات {هو الذي أنشأ جنات معروشات{الأنعام: 141 أو وما كانوا يرفعون من الأبنية المشيدة في السماء. كصرح هامان وغيره وقرئ: {يعرشون {بالكسر والضم. وذكر اليزيدي أن الكسر أفصح. وبلغني أنه قرأ بعض الناس: يغرسون من غرس الأشجار. وما أحسبه إلا تصحيفاً منه.

{وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلاهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله أبغيكم إلاهاً وهو فضلكم على العالمين {. وهذا آخر ما اختص الله من نبأ فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم أتبعه اقتصاص نبأ بني إسرائيل وما أحدثوه بعد إنقاذهم من مملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من أنواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الإنسان وأنه كما وصفة ظلوم كفار جهول كنود إلا من عصمة الله {وقليل من عبادي الشكور {سبأ: 13 وليسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني إسرائيل بالمدينة. وروي: أنه عبر بهم موسى يوم عاشور بعد ما أهلك اللّه تعالى فرعون وقومه فصاموه شكراً للّه تعالى: {فأتوا على قوم {فمروا عليهم {يعكفون على أصنام لهم {يواظبون على عبادتها ويلازمونها. قال ابن جريج: كانت تماثيل بقر. وذلك أول شأن العجل وقيل: كانوا قوماً من لخم. وقيل: كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم وقرئ: وجوزنا بمعنى أجزنا. يقال: أجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك: أعلاه وعلاه وعالاه. وقرئ: يعكفون بضم الكاف وكسرها {اجعل لنا إلاهاً {صنماً نعكف عليه {كما لهم آلهة {أصنام يعكفون عليها {وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه أن يهود قال له: اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه. فقال: قلتم اجعل لنا إلهاً قبل أن تجف أقدامكم {إنكم قوم تجهلون {تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده لأنه لا جهل أعظم مما رأى منهم ولا أشنع {إن هؤلاء {يعني عبدة تلك التماثيل {متبر ما هم فيه {مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم إناء متبر إذا كان فضفاضاً ويقال لكسار الذهب: التبر أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم أصنامهم هذه ويتركها رضاضاً {وباطل ما كانوا يعملون {أي ما عملوا شيئاً من عبادتها فيما سلف إلا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وإن كان في زعمهم تقرباً إلى الله كما قال تعالى {وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً {الفرقان: 23 وفي إيقاع {هؤلاء {اسماً لإن وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبراً لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار وأنه لا يعدوهم البتة وأنه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض إليهم ما أحبوا {أغير الله أبغيكم إلهاً {أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبوداً وهو فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحد غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره. ومعنى الهمزة: الإنكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين في نعمة اللّه عبادة غير اللّه. {وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم {. {يسومونكم سوء العذاب {يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها. فإن قلت: ما محل يسومونكم قلت: هو استئناف لا محل له. ويجوز أن يكون حالاً من المخاطبين أو من آل فرعون. و {وذلكم {إشارة إلى الإنجاء أو إلى العذاب. والبلاء: النعمة أو المحنة. وقرئ: يقتلون {وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين {. وروي: أن موسى عليه السلام وعد بني إسرائيل وهو بمصر إن أهلك اللّه عدوهم أتاهم بكتاب من عند اللّه فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوماً وهو شهر ذي القعدة فلما أتتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة: كنا نشتم من فيك رائحة المسك فأفسدته بالسواك. وقيل: أوحى الله تعالى إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك فأمره الله تعالى أن يزيد عليها عشرة أيام من ذي الحجة لذلك. وقيل: أمره اللّه أن يصوم ثلاثين يوماً وأن يعمل فيها بما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها. ولقد أجمل ذكر الأربعين في سور البقرة وفصلها ههنا. و {ميقات ربه {ما وقته له من الوقت وضربه له. و {أربعين ليلة {نصب على الحال أي تم بالغاً هذا العدد. و {هارون {عطف بيان لأخيه. وقرئ بالضم على النداء {اخلفني في قومي {كن خليفتي فيهم {وَأَصلَحَ {وكن

مصلحاً. أو وأصلح ما يجب أن يصلح منأمور بني إسرائيل ومن دعاك منهم إلى الفساد فلا تتبعه ولا تطعه. {ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين {. {لميقاتنا {لوقتنا الذي وقتنا له وحددنا. ومعنى اللام الاختصاص فكأنه قيل: واختص مجيئه بميقاتنا كما يقول: أتيته لعشر خلون من الشهر {وكلمه ربه {من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه: أن يخلق الكلام منطوقاً به في بعض الأجرام كما خلقه مخطوطاً في اللوح وروي: أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة. وعن ابن عباس رضي الله عنه: كلمه أربعين يوماً وأربعين ليلة وكتب له الألواح. وقيل: إنما كلمه في أول الأربعين {أرني انظر إليك {ثاني مفعول أرني حذوف أي أرني نفسك أنظر إليك فإن قلت: الرؤية عين النظر فكيف قيل: أرني أنظر إليك قلت: معنى أرني نفسك اجعلني متمكناً من رؤيتك بأن تتجلى لي فأنظر إليك وأراك فإن قلت: فكيف قال: {لن تراني {ولم يقل: لن تنظر إلي لقوله: {أنظر إليك {قلت: لما قال: {أرني {بمعنى اجعلني متمكناً من الرؤية التي هي الإدراك علم أن الطلبَة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه فقيل: لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي. فإن قلت: كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس باللّه وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان في جهة. وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون في جهة. ومنعُ المجبرة إحالته في العقول غير لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا اللّه جهرة {أتهلكنا بما فعل السفهاء منا {الأعراف: 155 إلى قوله: {تضل بها من تشاء {الأعراف: 155 فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالاً قلت: ما كان طلب الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالاً وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا: لا بد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأراد أن يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله: {لن تراني {ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال: {ربي أرني أنظر إليك {فإن قلت: فهلا قال: أرهم ينظروا إليك قلت: لأن الله سبحانه إنما كلم موسى عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه إرادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسى: أرني أنظر إليك ولأنه إذا زجر عما طلب وأنكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله تعالى وقيل له: لن يكون ذلك: كان غيره أولى بالإنكار لأن الرسول إمام أمته فكان ما يخاطب به أو ما يخاطب راجعاً إليهم. وقوله: {انظر إليك {وما فيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على أنه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وجل صاحب الجمل أن يجعل الله منظوراً إليه مقابلاً بحاسة النظر فكيف بمن هو أعرق في معرفة الله تعالى من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين فإن قلت: ما معنى {لن {قلت: تأكيد النفي الذي تعطيه {لا {وذلك أن {لا {تنفي المستقبل. تقول: لا أفعل غداً فإذا أكدت نفيها قلت: لن أفعل غداً. والمعنى: أن فعله ينافي حالي كقوله: {لن يخلقوا ذباباً ولو احتمعوا له {الحج: 73 فقوله: {لا تدركه الأبصار {الأنعام: 103 نفي للرؤية فيما يستقبل. و {لنَ تَرني {تأكيد وبيان لأن المنفي مناف لصفاته. فإن قلت: كيف اتصل الاستدراك في قوله: {ولكن انظر إلى الجبل {بما قبله قلت: اتصل به على معنى أن النظر إلي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر: وهو أن تنظر إلى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لأجلهم كيف أفعل به وكيف أجعله دكاً بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره كأنه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله: {وتخز الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولدا {مريم: 91. {فإن استقر مكانه {كما كان مستقراً ثابتاً ذاهباً في جهاته {فَسَوفَ تَرني {تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكاً ويسويه بالأرض وهذا كلام مدبج بعضه في بعض وارد على

أسلوب عجيب ونمط بديع. ألا ترى كيف تخلص من النظر إلى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية أعني قوله: {فإن استقر مكانه فسوف تراني {. {فلما تجلى ربه للجبل {فلما ظهر له اقتداره وتصدى له أمره وإرادته {جعله دكاً {أي مدكوكاً مصدر بمعنى مفعول كضرب الأمير. والدك والدق أخوان كالشك والشق وقرئ: {دكاء {والدكاء اسم للرابية الناشزة من الأرض كالدكة أو أرضاً دكاء مستوية. ومنه قولهم: ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي: قال لي الربيع بن خثيم: ابسط يدك دكاء أي مدها مستوية. وقرأ يحيى بن وثاب: دكاً أي قطعاً دكا جمع دكاء {وخر موسى صعقاً {من هول ما رأى. وصعق من باب: فعلته ففعل. يقال صعقته فصعق. وأصله من الصاعقة. ويقال لها الصاقعة. من صقعه إذا ضربه على رأسه ومعناه: خز مغشياً عليه غشية كالموت. وروي: أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون: يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة {فلما أفاق {من صعقته {قال سبحانك {أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها {تبت إليك {من طلب الرؤية {وأنا أول المؤمنين {بأنك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس. فإن قلت: فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب قلت: من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من اللّه تعالى فانظر إلى إعظام الله تعالى أمر الرؤية في هذه الآية وكيف أرجف الجبل بطالبها وجعله دكاً وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر وكيف سبح ربه ملتجئاً إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهباً. ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم! والقول ما قال بعض العدلية فيهم: لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفه قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفه وتفسير آخر: وهو أن يريد بقوله: {أرني أنظر إليك {عرفني نفسك تعريفاً واضحاً جلياً كأنها إراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك {انظر إليك {أعرفك معرفة اضطرار كأني أنظر إليك كما جاء في الحديث: {سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر {بمعنى: ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى {قال لن تراني {أي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر إلى الجبل. فإني أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فإن ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها {فلما تجلى ربك للجبل {فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته {جعله دكاً وخر موسى صعقاً {لعظم ما رأى {فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك {مما اقترحت وتجاسرت {وأنا أول المؤمنين {بعظمتك وجلالك وأن شيئاً لا يقوم لبطشك وبأسك. {قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين {. {اصطفيتك على الناس {اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم {برسالتي {وهي أسفار التوراة {وبكلامي {وبتكليمي إياك {فخذ ما أتيتك {ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة {وكن من الشاكرين {على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم. وقيل: حر موسى صعقاً يوم عرفة وأعطي التوراة يوم النحر. فإن قلت: كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هارون مصطفى مثله ونبياً قلت: أجل ولكنه كان تابعاً له ورداءاً وزيراً. والكليم: هو موسى عليه السلام والأصيل في حمل الرسالة. {وكتبنا له في الألواح في كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذه بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين سأصرف عن آياتي الذين يستكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبكت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون {. ذكروا في عدد الألواح وفي جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل: سبعة. وقيل لوحين وأنها كانت من زمرد جاء بها جبريل عليه السلام. وقيل: من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء. وقيل: أمر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشقها بأصابعه. وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها

كان عشرة أذرع. وقوله: {من كل شيء {في محل النصب مفعول كتبنا. و {موعظة {وتفصيلاً بدل منه. والمعنى: كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام. وقيل: أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزأ منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى ويوشع وعزير وعيسى عليه السلام. وعن مقاتل: كتب في الألواح: إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئاً ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبين فإن من حلف باسمي كاذباً فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين {فخذها {فقلنا له: خذها عطفاً على كتبنا ويجوز أن يكون بدلاً من قوله: {فخذ ما آتيتك {الأعراف: 144 والضمير في {فَخُذهَا {للألواح أو كل شيء لأنه في معنى الأشياء أو للرسالات أو للتوراة. ومعنى {بقوة {بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل {يأخذوا بأحسنها {أي فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر. فمرهم أن يحملوا على أنفسهم في الأخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله تعالى: {واتبعوا أحسن ما أنزل إليكمن ربكم {الزمر: 55 وقيل يأخذوا بما هو واجب أو ندب لأنه أحسن من المباح. ويجوز أن يراد: يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه على قولك: الصيف أحر من الشتاء {سأريكم دار الفاسقين {يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم. وقيل: منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم اللّه لفسقهم في ممركم عليها في أسفاركم. وقيل: دار الفاسقين: نار جهنم. وقرأ الحسن: سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز. يقال: أورني كذا وأوريته. ووجهه أن تكون من أوريت الزند كأن المعنى بينه لي وأنره لأستبينه وقرئ: سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله: {وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون {الأعراف: 137. {سأصرف عن آياتي {بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكاً فيما يشغلهم عنها من شهواتهم. وعن الفضيل بن عياض: ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي {. وقيل: سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى اللّه إلا علو الحق وانتكاس الباطل. ويجوز: سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها. وتسميتها سحراً بإهلاكهم. وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم {بغير الحق {فيه وجهان: أن يكون حالاً بمعنى يتكبرون غير محقين لأن التكبر بالحق لله وحده. وأن يكون صلة لفعل التكبر أي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم {وإن يروا كل آية {من الآيات المنزلة عليهم {لا يؤمنون بها {وقرأ مالك بن دينار: وإن يروا بضم الياء. وقرئ: سبيل الرشد و الرشد والرشاد كقولهم: السقم والسقم والسقام. وما أسفه من ركب المفازة فإن رأى طريقاً مستقيماً أعرض عنه وتركه وإن رأى معتسفاً مردياً أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه أسفه {ذلِكَ {في محل الرفع أو النصب على معني: ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم اللّه ذلك الصرف بسبب {ولقاء الآخرة {يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به. أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن إضافة المصدر إلى الظرف بمعنى: ولقاء ما وعد الله في الآخرة.

{واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً وكانوا ظالمين ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين {. {من بعده {من بعد فراقه إياهم إلى الطور فإن قلت: لم قيل: واتخذ قوم موسى عجلاً والمتخذ هو السامري قلت: فيه وجهان أحدهما: أن ينسب الفعل إليهم لأن رجلاً منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال: بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد ولأنهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكأنهم أجمعوا عليه. والثاني: أن يراد واتخذوه إلهاً وعبدوه. وقرئ: {من حليهم {بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للإتباع

كدلى. ومن حليهم على التوحيد والحلي: اسم لما يتحسن به من الذهب والفضة. فإن قلت: لم قال: من حليهم ولم يكن الحلي لهم إنما كانت عوارى في أيديهم قلت: الإضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عوارى في أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم. ألا ترى إلى قوله عز وعلا: {فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل }الشعراء: 57 - 59 {جسداً }{بدناً ذا لحم ودم كسائر الأجساد. والخوار: صوت البقر قال الحسن: إن السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام يوم قطع البحر فقذفه في فيّ العجل فكان عجلاً له خوار. وقرأ علي رضي الله عنه: جؤار بالجيم والهمزة من جأر إذا صاح. وانتصاب جسداً على البدل من {عجلاً }{ألم يروا }حين اتخذوه إلهاً أنه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مداداً لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق إلى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الأدلة وبما أنزل في كتبه. ثم ابتدأ فقال: }اتخذوه {أي أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر }وكانوا ظالمين {واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعاً منهم ولا أول مناكيرهم {ولما سقط في أيديهم }ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غماً فتصير يده مسقوطاً فيها لأن فاه قد وقع فيها. و }سقط {مسند إلى }في أيديهم {وهو من باب الكناية. وقرأ أبو السمَيفع: سقط في أيديهم على تسمية الفاعل أي وقع العض فيها وقال الزجاج: معناه سقط الندم في أيديهم أي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال: حصل في يده مكروه وإن كان محالاً أن يكون في اليد تشبيهاً لما يحصل في القلب وفي النفس وبما يحصل في اليد ويرى العين {ورأوا أنفسهم قد ضلوا }وتبينوا ضلالهم تبيناً كأنهم أبصروه بعيونهم. وقرئ: }لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا {بالتاء. وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين }ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين {. الأسِف: الشديد الغضب }فلما آسفونا انتقمنا منهم {الزخرف: 55 وقيل: هو الحزين }خلفتموني {قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي. وهذا الخطاب إما أن يكون لعبدة العجل في السامري وأشياعه أو لوجوه بني إسرائيل وهم هارون عليه السلام والمؤمنون معه. ويدل عليه قوله: }اخلفني في قومي {الأعراف: 142 والمعنى: بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله. فإن قلت: أين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت: الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني. والمخصوص بالذم محذوف تقديره: بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم. فإن قلت: أي معنى لقوله: }مِن بعَدي {بعد قوله: }خلفتموني {قلت: معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه وإخلاص العبادة له. أو من بعد ما كنت أحمل بني إسرائيل على التوحيد وأكفهم عما طمحت نحوه أبصارهم من عبادة البقر حين قالوا: }اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة {الأعراف: 128 ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه. ونحوه: }فخلف من بعدهم خلف {الأعراف: 169 أي من بعد أولئك الموصوفين بالصفات الحميدة يقال: عجل عن الأمر إذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه وأعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الأمر والمعنى أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الأمر على أن الميعاد قد بلغ آخره ولن أرجع إليكم فحدثتم أنفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الأمم بعد أنبيائهم. وروي: أن السامري قال لهم حين أخرج لهم العجل وقال هذا إلهكم وإله موسى: إن موسى لن يرجع وإنه قد مات وروي: أنهم عدوا عشرين يوماً بلياليها فجعلوها أربعين ثم أحدثوا ما أحدثوا }وألقى الألواح {وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضباً لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديداً شديد الغضب وكان هارون ألين منه جانباً ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى. وروي: أن التوراة كانت سبعة أسباع فلما

ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي منها سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة {وأخذ برأس أخيه {أي بشعر رأسه {يجره إليه {بذؤابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزه وذهب بفطنته وظناً بأخيه أنه فرط في الكف {ابن أم {قرئ بالفتح تشبيهاً بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الإضافة. وابن أمي بالياء. وابن إم بكسر الهمزة والميم. وقيل: كان أخاه لأبيه وأمه فإن صح فإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى أنهما من بطن واحد. وذلك أدعى إلى العطف والرقة وأعظم للحق الواجب ولأنها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولأنها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها {إن القوم استضعفوني {يعني أنه لم يأل جهداً في كفهم بالوعظ والإنذار. وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق إلا أن يقتلوه {فلا تشمت بي الأعداء {فلا تفعل بي ما هو أمنيتهم من الاستهانة بي والإساءة إلي وقرئ: {فلا يشمت بي الأعداء {على نهي الأعداء عن الشماتة. والمراد أن لا يحل به ما يشمتون به لأجله {ولا تجعلني مع القوم الظالمين {ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي قريناً لهم وصاحباً. أو ولا تعتقد أني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم. لما اعتذر إليه أخوه وذكر له شماتة الأعداء {قال رب اغفر لي ولأخي {ليرضي أخاه ويظهر لأهل الشماتة رضاه عنه فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه إلى أخيه ولأخيه أن عسى فرط في حسن الخلافة. وطلب أن لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة. {إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين {. {غضب من ربهم وذلة {الغضب ما أمروا به من قتل أنفسهم. والذلة: خروجهم من ديارهم لأن ذل الغربة مثل مضروب. وقيل: هو ما نال أبناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية {المفترين {المتكذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامري: هذا إلهكم وإله موسى. ويجوز أن يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد: سينالهم غضب في الآخرة وذلة في الحياة الدنيا وضربت الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله. {والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم {. {والذين عملوا السيئات {من الكفر والمعاصي كلها {ثم تابوا {ثم رجعوا {من بعدها {إلى الله واعتذروا إليه {وآمنوا {وأخلصوا الإيمان {إن ربك من بعدها {من بعد تلك العظائم {لَغَفُور {لستور عليهم محاء لما كان منهم {رحيم {منعم عليهم بالجنة. وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم. عالم جنايتهم أو لا ثم أردفها تعظيم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن جلت وعظمت فإن عفوه وكرمه أعظم وأجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة: وهي وجوب التوبة والإنابة وما وراءه طمع فارغ وأشعبية باردة لا يلتفت إليها حازم. {ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون {. {ولما سكت عن موسى الغضب {هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له: قل لقومك كذا وألقي الألواح وجر برأس أخيك إليك فترك النطق بذلك وقطع الإغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق صحيح إلا لذلك ولأنه من قبيل شعب البلاغة وإلا فما لقراءة معاوية بن قرة: ولما سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة وطرفاً من تلك الروعة. وقرئ: ولما سكت وأسكت أي أسكته اللّه أو أخوه باعتذاره إليه وتنصله والمعنى: ولما طفئ غضبه {أخذ الألواح {التي ألقاها {وفي نسختها {وفيما نسخ منها أي كتب. والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة {لربهم يرهبون {دخلت اللام لتقدم المفعول لأن تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفاً. ونحوه {للرؤيا تعبرون {يوسف: 43 وتقول: لك ضربت. {واختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال ربي لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم

بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون {. {واختار موسى قومه {أي من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله: ومنا الذي اختير الرجال سماحة قيل: اختار من اثني عشر سبطاً من كل سبط ستة حتى تتاموا اثنين وسبعين فقال: ليتخلف منكم رجلان: فتشاحوا فقال: إن لمن قعد منكم مثل أجير من خرج فقعد كالب ويوشع. وروي: أنه لم يصب إلا ستين شيخاً فأوحى الله تعالى إليه أن يختار من الشبان عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخاً. وقيل: كانوا أبناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الأربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فأمرهم موسى أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم إلى طور سينا لميقات ربه وكان أمره ربه أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا مرسى ودخل فيه وقال للقوم: ادنوا فدنوا حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجداً فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه: افعل ولا تفعل. ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم فقالوا: يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. فقال: رب أرني أنظر إليك يريد: أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته فأجيب بلن تراني ورجف بهم الجبل فصعقوا. ولما كانت الرجفة {قَالَ {موسى {رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي {وهذا تمن منه للإهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول على الأمر إذا رأى سوء المغبة: لو شاء اللّه لأهلكني قبل هذا {اتهلكنا بما فعل السفهاء منا {يعني أتهلكنا جميعاً يعني نفسه وإياهم لأنه إنما طلب الرؤية زجراً للسفهاء وهم طلبوها سفهاً وجهلاً {إن هي ألا فتنتك {أي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالاً فاسداً حتى افتتنوا وضلوا {تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء {تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين بك الثابتين بالقول الثابت. وجعل ذلك إضلالاً من اللّه وهدى منه لأن محنته لما كانت سبباً لأن ضلوا واهتدوا فكأنه أضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام {وأنت ولينا {مولانا القائم بأمورنا {واكتب لنا {وأثبت لنا وأقسم {في هذه الدنيا حسنة {عافية وحياة طيبة وتوفيقاً في الطاعة {وفي الآخرة {الجنة {هدنا إليك {تبنا إليك. وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب. والهود: جمع هائد وهو التائب. ولبعضهم: يا راكب الذنب هدهد واسجد كأنك هدهد وقرأ أبو وجرة السعدي: هدنا إليك بكسر الهاء من هاده يهيده إما حركه وأماله. ويحتمل أمرين أن يكون مبنياً للفاعل والمفعول بمعنى حركنا إليك أنفسنا وأملناها أو حركنا إليك وأملنا على تقدير: فعلنا كقولك: عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة. ويجوز: عدت بالإشمام. وعدت بإخلاص الضمة فيمن قال: عود المريض. وقول القول. ويجوز على هذه اللغة أن يكون {هدنا {بالضم فعلنا من هاده يهيده {عذابي {من حاله وصفته أني {أصيب به من أشاء {أي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة. وأما {ورحمتي {فمن حالها وصفتها أنها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمتي. وقرأ الحسن: من أساء من الإساءة. فسأكتب هذه الرحمة كتبةً خاصة منكم يا بني إسرائيل للذين يكونون في آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشيء منها {الذين يتبعون الرسل {الذي نوحي إليه كتاباً مختصاً به وهو القرآن {النبي {صاحب المعجزات {الذي يجدونه {يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بني إسرائيل {مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل... ويحل لهم الطيبات {ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها. أو ما طاب في الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما خلي كسبه من السحت ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير اللّه به أو ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة. الإصر: الثقل الذي يأصر صاحبه أي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الأنفس في صحة توبتهم وكذلك الأغلال. مثل لما كان في شرائعهم من الأشياء الشاقة نحو: بت القضاء بالقصاص عمداً كان أو خطأ من غير شرع الدية وقطع الأعضاء الخاطئة

وقرض موضع النجاسة من الجلد الثوب وإحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت. وعن عطاء: كانت بنو إسرائيل إذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا أيديهم إلى أعناقهم. وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة وأوثقها إلى السارية يحبس نفسه على العبادة. وقرئ: آصارهم على الجمع {وعزروه {ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو. وقرئ بالتخفيف. أصل العزر: المنع. ومنه التعزير للضرب دون الحد لأنه منع عن معاودة القبيح. ألا ترى إلى تسميته الحد والحد هو المنع. و {ألنورَ {القرآن. فإن قلت: ما معنى قوله {أنزل معه {وإنما أنزل مع جبريل قلت: معناه أنزل مع نبوته لأن استنباءه كان مصحوباً بالقرآن مشفوعاً به. ويجوز أن يعلق باتبعوا. أي: واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته وبما أمر به ونهي عنه أو واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه. فإن قلت: كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت: لما دعا لنفسه ولبني إسرائيل أجيب بما هو منطو على توبيخ بني إسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التي أجراها على يد موسى وعرض بذلك في قوله: {والذين هم بآياتنا يؤمنون {وأريد أن يكون استماع أوصاف أعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من أهل الكتابين لطفاً لهم وترغيباً في إخلاص الإيمان والعمل الصالح وفي أن يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين أعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء. {قل يا أيها الذين آمنوا إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فأمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون {. {إني رسول الله إليكم جميعاً {قيل: بعث كل رسول إلى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم إلى كافة الإنس والجن. وجميعاً: نصب على الحال من إليكم. فإن قلت: {الذي له ملك السموات والأرض {ما محله قلت: الأحسن أن يكون منتصباً بإضمار أعني وهو الذي يسمى النصب على المدح. ويجوز أن يكون جراً على الوصف وإن حيل بين الصفة والموصوف بقوله: {إليكم جميعاً {وقوله: {لا إله إلا هُوَ {بدل من الصلة التي هي له ملك السموات والأرض وكذلك {يحيي ويميت {وفي {لا إله إلا هو {بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة. وفي يحيي ويميت: بيان لاختصاصه بالإلهية لأنه لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره {وكلماته {وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه. وقرئ: {وكلمته {على الإفراد وهي القرآن. أو أراد جنس ما كلم به. وعن مجاهد: أراد عيسى ابن مريم. وقيل: هي الكلمة التي تكون عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله: {كن {وإنما قيل إن عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم لأنه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى {لعلكم تهتدون {إرادة أن تهتدوا. فإن قلت: هلا قيل: فآمنوا باللّه وبي بعد قوله: {إني رسول الله إليكم {قلت: عدل من المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن الذي وجب الإيمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الأمي الذي يؤمن باللّه وكلماته كائناً من كان أنا أو غيري إظهاراً للنصفة وتفادياً من العصبية لنفسه. {ومن قوم موسى أمة يهتدون بالحق وبه يعدلون {. {ومن قوم موسى أمة {هم المؤمنون التائبون من بني إسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى أقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله تعالى ذكر أن منهم أمة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم. وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به من أعقابهم. وقيل: إن بني إسرائيل لما قتلوا أنبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطاً تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا اللّه أن يفرق بينهم وبين إخوانهم ففتح اللّه لهم نفقاً في الأرض فساروا فيه سنة ونصفاً حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا. وذُكر عن النبي صلى الله عليه وسلم: {أن جبريل ذهب به ليلة الإسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل: هل تعرفون من تكلمون قالوا: لا. قال: هذا محمد النبي الأمي فآمنوا به وقالوا: يا رسول الله إن موسى أوصانا من أدرك منكم

أحمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام السلام ثم أقرؤهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وأمرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فأمرهم أن يجمعوا ويتركوا السبت {. وعن مسروق: قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل: إني منهم فقال: عبد الله يعني لمن كان في مجلسه من المؤمنين: وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيئاً من يهدي بالحق وبه يعدل وقيل: لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين. وهذا من باب الفرض والتقدير وإلا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم إلى كل أفق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله أهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الأرض ومغاربها وإلا وقد ألقاه إليهم وملأ به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيامة. {وقطعناهم اثني عشرة أسباطاً أمماً وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلموا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون {. {وقطعناهم {وصيرناهم قطعاً أي فرقاً وميزنا بعضهم من بعض لقلة الألفة بينهم. وقرئ: {وقطعناهم {بالتخفيف {اثني عشرة أسباطاً {كقولك: اثنتي عشرة قبيلة. والأسباط: أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولداً من ولد يعقوب عليه السلام. فإن قلت: مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعاً وهلا قيل: اثني عشر سبطاً قلت: لو قيل ذلك لم يكن تحقيقاً لأن المراد: وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباطاً موضع قبيلة. ونظيره: بين رماح مالك ونهشل {وأمماً {بدل من اثنتي عشرة بمعنى: وقطعناهم أمماً لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى لا تكاد تأتلف. وقرئ: {اثنتي عشرة {بكسر الشين {فانبجست {فانفجرت. والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة: قال العجاج: وكيف غربي دالج تبجساً فإن قلت: فهلا قيل: فضرب فانبجست قلت: لعدم الإلباس وليجعل الإنبجاس مسبباً عن الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن اتباع الأمر وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به. من قوله: {كل أناس {نظير قوله: اثنتي عشرة أسباطاً يريد كل أمة من تلك الأمم اثنتي عشرة والأناس اسم جمع غير تكسير نحو. رخال وتناء وتؤام وأخوات لها. ويجوز أن يقال: إن الأصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما أبدلت في نحو سكارى وغيارى من الفتحة {وظللنا عليهم الغمام {وجعلناه ظليلاً عليهم في التيه و {كلوا {على إرادة القول {وما ظلمونا {وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم ولكن كانوا يضرون أنفسهم. ويرجع وبال ظلمهم إليهم.

{وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا {وإذ قِيلَ لَهُمُ {واذكر إذ قيل لهم. والقرية: بيت المقدس. فإن قلت: كيف اختلفت العبارة ههنا وفي سورة البقرة قلت: لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض. ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله: فكلوا لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون في الإيجاد بينهم وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته وقوله: {نغفر لكم خطيئاتكم {موعد بشيئين: بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب على تقدير قول القائل: وماذا بعد الغفران فقيل له: سنزيد المحسنين وكذلك زيادة {منهم {زيادة بيان وأرسلنا وأنزلنا. و {يظلمون {ويفسقون من واد واحد. وقرئ: {يغفر لكم خطيئاتكم {وتغفر لكم خطاياكم. وخطيئاتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول. {وسلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر

إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون وإذ قالت أمة منهم لم تعظوا قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئس ما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين {. {وسلهم {وسل اليهود. وقرئ: واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والإعلام بأن هذا من علومهم التي لا لعلم إلا بكتاب أو وحي فإذا أعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحي. ونظيره همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك: أعدوتم في السبت والقرية أيلة. وقيل: مدين. وقيل: طبرية. والعرب تسمي المدينة قرية. وعن أبي عمرو بن العلاء: ما رأيت قرويين أفصح من الحسن والحجاج يعني رجين من أهل المدن {حاضرة البحر {قريبة منه راكبة لشاطئه {إذ تعدون في السبت {إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت وقد نهوا عنه. وقرئ: يعدون بمعنى يعتدون أدغمت التاء في الدال ونقلت حركتها إلى العين ويعدون من الإعداد وكانوا يعدّون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بأن لا يشتغلوا فيه بغير العبادة. والسبت: مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه: يعدون في تعظيم هذا اليوم كذلك قوله: {يوم سبتهم {معناه يوم تعظيمهم أمر السبت. ويدل عليه قوله: {ويوم لا يسبتون {وقراءة عمر بن عبد العزيز: يوم إسباتهم وقرئ: لا يسبتون بضم الباء. وقرأ علي: لا يسبتون ضم الياء من أسبتوا. وعن الحسن: لا يسبتون على البناء للمفعول أي لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بأن يسبتوا فإن قلت: إذ يعدون وإذ تأتيهم ما محلهما من لإعراب قلت: أما الأول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل: واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال. ويجوز أن يكون منصوباً بكانت أو بحاضرة. وأما الثاني فمنصوب بيعدون. ويجوز أن يكون بدلاً بعد بدل. والحيتان السمك وأكثر ما تستعمل العرب الحوت في معنى السمكة {شرعاً {ظاهرة على وجه الماء. وعن الحسن: تشرع على أبوابهم كأنها الكباش البيض. يقال شرع علينا فلان إذا دنا منا وأشرف علينا. وشرعت على فلان في بيته فرأيته يفعل كذا {كذلك نبلوهم {أي مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم {وإذ قالت {معطوف على إذ يعدون وحكمه حكمه في الإعراب {أمة منهم {جماعة من أهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول في موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم {لم تعظون قوماً الله مهلكهم {أي مخترهم ومطهر الأرض منهم {أو معذبهم عذاباً شديداً {لتماديهم في الشر. وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الواعظ لا ينفع فيهم {قالوا معذرة إلى ربكم {أي: موعظتنا إبلاء عذر إلى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر إلى بعض التفريط {ولعلهم يتقون {ولطمعنا في أن يتقوا بعض الاتقاء. وقرئ: معذرة بالنصب أي وعظناهم معذرة إلى ربكم أو اعتذرنا معذرة {فلما نسوا {يعني أهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون ترك الناسي لما ينساه {أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا {الظالمين الراكبين للمنكر. فإن قلت: الأمة الذين قالوا {لم تعظون {من أي الفريقين هم أمن فريق الناجين أم المعذبين قلت من فريق الناجين لأنهم من فريق الناهين. وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضاً صحيحاً لعلمهم بحال القوم. وإذا علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه سقط عنه اللهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث. ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثاً منك ولم يكن إلا سبباً للتلهي بك. وأما الآخرون فإنما لم يعرضوا عنهم إما لأن يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الأولين ولم يخبروهم كما خبروهم أو لفرط حرصهم وجدهم في أمرهم كما وصف الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام في قوله: {فلعلك باخع نفسك {الكهف: 6 وقيل: الأمة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين: لم تعظون منا قوماً تزعمون أن اللّه مهلكهم أو معذبهم وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: يا ليت شعري ما فعل بهؤلاء الذين قالوا: لم تعظون قوماً قال عكرمة: فقلت:

جعلني الله فداك ألا ترى أنهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا: لم تعظون قوماً الله مهلكهم فلم أزل به حتى عَرفته أنهم قد نجوا. وعن الحسن: نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان. وروي: أن اليهود أمروا باليوم الذي أمرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعاً بيضاً سماناً كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهةً من الدهر ثم جاءهم إبليس فقال لهم: إنما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضاً تسوقون الحيتان إليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها. وتأخذونها يوم الأحد وأخذ رجل منهم حوتاً وربط في ذنبه خيطاً إلى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الأحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له: إني أرى اللّه سيعذبك فلما لم يره عذب أخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا أن العذاب لا يعاجلهم صادوا وأكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحواً من سبعين ألفاً فصار أهل القرية أثلاثاً ثلث نهوا وكانوا نحواً من اثني عشر ألفاً وثلث قالوا: لم تعظون قوماً وثلث هم أصحاب الخطيئة. فلما لم ينتهوا قال المسلمون: إنا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار: للمسلمين باب وللمعتدين باب. ولعنهم داود عليه السلام فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين أحد فقالوا: إن للناس شأناً فعلوا الجدار فنظروا فإذا قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود أنسباءها من الأنس والأنس لا يعرفون أنسباءهم من القرود فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول: ألم ننهك فيقول برأسه: بلى وقيل: صار الشباب قردة والشيوخ خنازير. وعن الحسن: أكلوا واللّه أوخم أكلة أكلها أهلها أثقلها خزياً في الدنيا وأطولها عذاباً في الآخرة هاه وايم اللّه وما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم. ولكن اللّه جعل موعداً والساعة أدهى وأمر {بئس {شديد. يقال: بؤس يبؤس بأساً إذا اشتد فهو بئيس. وقرئ: بئس بوزن حَذِر. وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء. كما يقال: في كبد في كبد. وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وإدغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين. وبائس على فاعل {فلما عتوا عما نهوا عنه {فلما تكبروا عن ترك ما نهوا عنه كقوله: {عتوا عن أمر ربهم الأعراف: 77 {قلنا لهم كونوا قردة {عبارة عن مسخهيم قردة كقوله: {إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون {ياسين: 82 والمعنى: أن اللّه تعالى عذبهم أولاً بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم. وقيل: فلما عتوا تكرير لقوله: {فلما نسوا {والعذاب البئيس: هو المسخ. {وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم {. {تأذن ربك {عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام لأن العازم على الأمر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله وأجرى مجرى فعل القسم كعلم اللّه وشهد اللّه. ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله: {ليبعثن {والمعنى: وإذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود {إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب {فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث اللّه محمداً صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر. ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله. {بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد {الإسراء: 5. {وقطعناهم في الأرض أمماً منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا تقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون {. {وقطعناهم في الأرض أمماً {وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلوا بلد من فرقة منهم {منهم الصالحون {الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين {ومنهم دون ذلك {ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة. فإن قلت: ما محل دون ذلك قلت: الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه: ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه {وما منا إلا له مقام معلوم {الصافات: 64 بمعنى: وما منا أحد إلا له مقام {وبلوناهم بالحسنات والسيئات {بالنعم والنقم {لعلهم يرجعون {فينيبون {فخلف {من بعد

المذكورين {خلف {وهم الذين كانوا في زمن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم {ورثوا الكتاب {التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها {يأخذون عرض هذا الأدنى {أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها. وفي قوله: {هذا الأدنى {تخسيس وتحقير. والأدنى: إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد: ما كانوا يأخذونه من الرشا في الأحكام على تحريف الكلم للتسهيل على العامة {ويقولون سيغفر لكم {لا يؤاخذنا الله بما أخذنا. وفاعل {سيغفر {الجار والمجرور وهو {لَنَا {ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون {وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه {الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين. وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة والمصر لا غفران له {ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب {يعني قوله في التوراة: من ارتكب ذنباً عظيماً فإنه لا يغفر له إلا بالتوبة {ودرسوا ما فيه {في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى. وعن مالك بن دينار رحمه اللّه: يأتي على الناس زمان إن قصروا عما أمروا به قالوا: سيغفر لنا لأنا لم نشرك باللّه شيئاً كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية. {والدار الآخرة خير {من ذلك العرض الخسيس {للذين يتقون {الرضا ومحارم الله. وقرئ: ورثوا الكتاب وإلا تقولوا بالتاء. وادارسو بمعنى تدارسوا. وأفلا تعقلون بالياء والتاء. فإن قلت: ما موقع قوله: {ألا يقولوا على اللّه إلا الحق {قلت: هو عطف بيان لميثاق الكتاب. ومعنى ميثاق الكتاب. الميثاق المذكور في الكتاب. وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على اللّه. وتقول عليه ما ليس بحق. وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان {أن لا يقولوا {مفعولاً له. ومعناه: لئلا يقولوا. ويجوز أن تكون {أن مفسرة و {لا تقولوا {نهياً كأنه قيل: ألم يقل لهم لا تقولوا على اللّه إلا الحق فإن قلت: علام عطف قوله: {ودرسوا ما فيه {قلت: على {ألم يؤخذ عليهم {لأنه تقرير فكأنه قيل: أخذ عليم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه.

{والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين {. {والذين يمسكون بالكتاب {فيه وجهان أحدهما: أن يكون مرفوعاً بالابتداء وخبره {إنا لا نضيع أجر المصلحين {والمعنى: إنا لا نضيع أجرهم لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله: {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا {الكهف: 30 والثاني: أن يكون مجروراً عطفاً على الذين يتقون ويكون قوله: {إنا لا نضيع {اعتراضاً. وقرئ: {يمسكون {بالتشديد. وتنصره قراءة أبي: {والذين مسكوا بالكتاب {فإن قلت: التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة. ومنها إقامة الصلاة فكيف أفردت قلت: إظهار لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقه بين الكفر والإيمان. وقرأ ابن مسعود رضي اللّه عنه: {والذين استمسكوا بالكتاب. {إذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما أتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون {. {وإذ نتقنا الجبل فوقهم {قلعناه ورفعناه كقوله: {ورفعنا فوقهم الطور {. ومنه: نتق السقاء إذا نفضه ليقتلع الزبدة منه. والظلة: كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب. وقرئ بالطاء من أطل عليه إذا أشرف {وظنوا أنه واقع بهم {وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقلبوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ. وقيل لهم. إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجداً على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من سقوطه فلذلك لا ترى يهودياً يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون: هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فلذلك لا ترى يهودياً تقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه {خذوا ما آتيناكم {على إرادة القول. أي: وقلنا خذوا ما آتيناكم خذوا ما آتيناكم من الكتاب {بقوة {وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه {اَذكُرُوا ما فيه {من الأوامر والنواهي ولا تنسوه أو اذكروا ما

فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه. وجوز أن يراد: خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه كقوله: {إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض {الرحمن: 33 فأنفذوا. {واذكروا ما فيه {من الدلالة على القدرة الباهرة والإنذار {لعلكم تتقون {ما أنتم عليه. وقرأ ابن مسعود: وتذكروا وقرئ: واذكروا بمعنى وتذكروا. {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا من الغافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون {. {مِن ظهُورِهم {بدل من بني آدم بدل البعض من الكل. ومعنى أخذ ذرّياتهم من ظهورِهِم: إخراجهم من أصلابهم نسلاً وإشهادهم على أنفسهم. وقوله: {ألست بربكم قالوا بلى شهدنا {من باب التمثيل والتخييل! ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم: ألست بربكم وكأنهم قالوا: بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك. وباب التمثيل واسع في كلام اللّه تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام وفي كلام العرب. ونظيره قوله تعالى: {إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون {النحل: 40 {فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين {فصلت: 11 وقوله: إذ قالت الأنساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقاز ومعلوم أنه لا قول ثَم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى {وأن تقولوا {مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة {أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا من الغافلين {لم ننبه عليه {أو {كراهة {أن تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم {فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال على التقليد والاقتداء بالآباء. كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم فإن قلت: بنو آدم وذرياتهم من هم تلت: عنى ببني آدم: أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا: عزير ابن الله. وبذرياتهم: الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلافهم المقتدين بآبائهم. والدليل على أنها في المشركين وأولادهم: قوله: {أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل {والدليل على أنها في اليهود: الآيات التي عطفت عليها هي والتي عطفت عليها وهي على نمطها وأسلوبها وذلك قوله: {واسألهم عن القرية {الأعراف: 163 {وإذ قالت أمة منهم لم تعظون {الأعراف: 164 {وإذ تأذن ربك {الأعراف: 167 {وإذ نتقنا الجبل فوقهم الأعراف: 171. {واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا {الأعراف: 175. {أفتهلكنا بما فعل المبطلون {أي كانوا السبب في شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا {وكذلكَ {ومثل ذلك التفصيل البليغ {نفُصِلُ الآيات {لهم {لعلم يرجعون {وإرادة أن يرجعوا عن شركهم نفصلها. وقرئ: ذريتهم على التوحيد. وأن يقولوا: بالياء. {واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص عليهم القصص لعلهم يتفكرون {. {واتل عليهم {على اليهود {نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها {هو عالم من علماء بني إسرائيل. وقيل: من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء أوتي علم بعض كتب الله {فانسلخ منها {من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره {فأتبعه الشيطان {فلحقه الشيطان وأدركه وصار قريناً له. أو فأتبعه خطواته. وقرئ: فاتبعه بمعنى فتبعه {فكان من الغاوين {فصار من الضالين الكافرين. روي أن قومه طلبوا إليه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى وقال: كيف أدعو على من معه الملائكة فألحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل {ولو شئنا لرفعناه بها {لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات {ولكنه أخلد في الأرض {مال إلى الدنيا ورغب فيها. وقيل: مال إلى السفالة. فإن قلت: كيف علق رفعه بمشيئة الله تعالى ولم يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى. ولو لزم بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها. وذلك أن مشيئة اللّه تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة. والمراد: ما هي تابعة له ومسببة عنه كأنه قيل: ولو لزمها لرفعناه بها. ألا ترى

إلى قوله: {ولكنه أخلد في الأرض {فاستدرك المشيئة بإخلاده الذي هو فعله فوجب أن يكون {لو شئنا {في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب أن يقال: ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ {فمثله كمثل الكلب {فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في أخس أحواله وأذلها وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه أي شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه. وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا هيج منه وحرك وإلا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعاً وكان حق الكلام أن يقال: ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله {فمثله كمثل الكلب {موضع حططناه أبلغ حط لأن تمثيله بالكلب في أخس أحواله وأذلها في معنى ذلك. وعن ابن عباس رضي اللّه عنه الكلب منقطع الفؤاد يلهث إن حمل عليه أو لم يحمل عليه. وقيل: معناه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال كالكلب إن طردته فسعى لهث وإن تركته على حاله لهث. فإن قلت: ما محل الجملة الشرطية قلت: النصب على الحال كأنه قيل: كمثل الكلب ذليلاً دائم الذلة لاهثاً في الحالتين. وقيل: لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب {ذلك مثل الكلب الذين كذبوا بآياتنا {من اليهود بعد ما قرؤا نعت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به {فاقصُصِ {قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم {لعلهم يَتَفَكَّرُونَ {فيحذرون مثل عاقبته إذ ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون أنك علمته من جهة الوحي فيزدادوا إيقاناً بك وتزداد الحجة لزوماً لهم. {ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون {. {ساء مثلاً القوم {أي مثل القوم. أو ساء أصحاب مثل القوم. وقرأ الجحدري: ساء مثل القوم. {وأنفسهم كانوا يظلمون {إما أن يكون معطوفاً على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى: الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم. وإما أن يكون كلاماً منقطعاً عن الصلة بمعنى: وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كأنه قيل: وخصوا {من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون {. {فهو المهتدي {حمل على اللفظ. و {فأولئك هم الخاسرون {حمل على المعنى. {ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون {. {كثيراً من الجن والإنس {هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله أنه لا لطف لهم. وجعلهم في أنهم لا يلقون أذهانهم إلى معرفة الحق ولا ينظرون بأعينهم إلى ما خلق الله نظرا اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كأنهم عدموا فهم القلوب وإبصار العيون وإستماع الآذان. وجعلهم لإعراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وأنه لا يأتي منهم إلا أفعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في موجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد: بلغني أن أهل الشام اتخذوا لك دَلُوكاً عجن بخمر وإني لأظنكم آل المغيرة ذرء النار. ويقال لمن كان عريقاً في بعض الأمور: ما خلق فلان إلا لكذا. والمراد وصف حال مود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه النبي الموعود. وإنهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم كأنهم خلقوا للنار {أولئك {في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر {بل هم أضل {من الأنعام عن الفقه والاعتبار والتدبر {أولئك هم الغافلون {الكاملون في الغفلة. وقيل: الأنعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار. {ولله الأسماء الحسنى فادعوا بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون بما كانوا يعملون {. {ولله الأسماء الحسنى {التي هي أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك {فادعوا بها {فسموه بتلك الأسماء {وذروا الذين يلحدون في أسمائه {واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه لغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم: يا أبا المكارم يا أبيض الوجه يا نخي أو أن يأبوا تسميته ببعض أسمائه الحسنى. نحو أن يقولوا: يا ألله

ولا يقولوا: يا رحمن وقد قال الله تعالى: {قل ادعوا اللّه أو ادعوا الرحمن أياماً تدعوا فله الأسماء الحسنى }الإسراء: 110 ويجوز أن يراد: ولله الأوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير والإحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في أوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل: إلحادهم في أسمائه: تسميتهم الأصنام آلهة واشتقاقهم اللات من اللّه والعزى من العزيز. {وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون {. لما قال: {ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً }الأعراف: 179 فأخبر أن كثيراً من الثقلين عاملون بأعمال أهل النار أتبعه قوله: {وممن خلقنا أمة يهدون بالحق {وعن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان يقول إذا قرأها: {هذه لكم {وقد أعطى القوم بين أيديكم مثلها {ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق }الأعراف: 159 وعنه صلى الله عليه وسلم: {إن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام وعن الكلبي: هم الذين آمنوا من أهل الكتاب. وقيل: هم العلماء والدعاة إلى الدين. {والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إن كيدي متين أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون {. الاستدراج: استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة. قال الأعشى: فلو كنت في جب ثمانين قامة ورقيت أسباب السماء بسلم ليستدرجنك القول حتى تهره وتعلم أني عنكم غير مفحم ومنه: درج الصبي إذا قارب بين خطاه. وأدرج الكتاب: طواه شيئاً بعد شيء. ودرج القوم: مات بعضهم في أثر بعض. ومعنى {سنستدرجهم {نستدنيهم قليلاً قليلاً إلى ما يهلكهم ويضاعف عقابهم {من حيث لا يعلمون {ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي. فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطراً وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين أن مواترة النعم أثرة من الله وتقريب وإنما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله تعالى نعوذ بالله منه {وأملي لهم {عطف على {سنستدرجهم {وهو داخل في حكم السين {إن كيدي مكين {سماه كيداً لأنه شبيه بالكيد من حيث أنه في الظاهر إحسان وفي الحقيقة خذلان {وما بصاحبهم {بمحمد صلى الله عليه وسلم {من جنة {من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون. وعن قتادة: أن النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذاً فخذاً يحذرهم بأس الله فقال: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت إلى الصباح {ألم ينظروا {نظر استدلال {في ملكوت السموات والأرض {فيما تدلان عليه من عظم الملك. والملكوت: الملك العظيم {وما خلق الله من شيء {وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء ومن أجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف {وأن عسى {أن مخففة من الثقيلة والأصل: أنه عسى على أن الضمير ضمير الشأن. والمعنى: أو لم ينظروا في أن الشأن والحديث عسى {أن يكَوُنَ قد اقترب أجلهم {ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم. قبل مغافصة الأجل وحلول العقاب ويجوز أن يراد باقتراب الأجل: اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشأن. فإن قلت: بم يتعلق قوله: {فبأي حديث بعده يؤمنون {قلت: بقوله: {عسى أن يكون قد اقترب أجلهم {كأنه قيل: لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون إلى الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا. {من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون {. قرئ: ويذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف ويذرهم بالياء والجزم عطفاً على محل {فلا هادي له {كأنه قيل: من يضلل اللّه لا يهده أحد ويذرهم. {يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون {. {يسألونك {قيل: إن قوماً من اليهود قالوا: يا محمد أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً فإنا نعلم متى هي وكان ذلك امتحاناً منهم مع علمهم أن الله تعالى قد استأثر بعلمها. وقيل: السائلون قريش. و {الساعة {من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا. وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو على العكس لطولها أو لأنها عند الله

على طولها كساعة من الساعات عند الخلق. {أيان {بمعنى متى. وقيل اشتقاقه من أي فعلان منه لأن معناه أي وقت وأي فعل من أويت إليه لأن البعض آو إلى الكل متساند إليه قاله ابن جني وأبى أن يكون من {أين {لأنه زمان {وأين {مكان. وقرأ السلمي {إيان {بكسر الهمزة {مرساها {إرساؤها أو وقت إرسائها أي إثباتها وإقرارها. وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره. ومنه رسي الجبل وأرسي السفينة. والمرسى: الأنجر الذي ترسى به ولا أثقل من الساعة بدليل قوله {ثقلت في السموات والأرض {والمعنى حتى يرسيها اللّه {إنما علمها {أي علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به ولم يخبر به أحداً من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك {لا يجليها لوقتها إلا هو {أي لا تزال خفية لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده إذا جاء بها في وقتها بغتة لا جليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره إلى وقت وقوعها {ثقلت في السموات والأرض {أي كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة وبوده أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه. أو ثقلت فيها لأن أهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها وأهوالها. أو لأن كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيها {إن الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه {{كأنك حفي عنها {كأنك عالم بها.
وحقيقته: كأنك بليغ في السؤال عنها لأن من بالغ في المسألة عن الشيء والتنقير عنه استحكم فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة. ومنه إحفاء الشارب. إحتفاء البقل: استئصاله. وأحفى في المسألة إذا ألحف وحفي بفلان وتحفى به: بالغ في البر به. وعن مجاهد: استحفيت عنها السؤال حتى علمت. وقرأ ابن مسعود: {كأنك حفي بها {أي عالم بها بليغ في العلم بها. وقيل: {عنها {متعلق بيسئلونك: أي يسئلونك عنها كأنك حفي أي عالم بها. وقيل: إن قريشاً قالوا له إن بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى لساعة فقيل: يسئلونك عنها كأنك حفي تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لأجل القرابة تزوي علمها عن غيرهم ولو أخبرت بوقتها لمصلحة عرفها اللّه في إخبارك به لكنت بلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحي إليك. وقيل: كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني أنك تكره السؤال عنها لأنها من علم الغيب الذي استأثر اللّه به ولم يؤته أحداً من خلقه. فإن قلت: لم كرر يسألونك وإنما علمها عند اللّه قلت: للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله: {كأنك حفي عنها {وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله {ولكن أكثر الناس لا {قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وإن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون {. {قل لا أملك لنفسي {هو إظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب: أي أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرركما المماليك والعبيد {إلا ما شاء الله {ربي ومالكي من النفع لي والدفع عني {ولو كنت أعلم الغيب {لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها. ولم أكن غالباً مرة ومغلوباً أخرى في الحروب. ورابحاً وخاسراً في التجارات ومصيباً ومخطئاً في التدابير {إن أنا إلا {عبد أرسلت نذيراً وبشيراً وما من شأني أني أعلم الغيب {لقوم يؤمنون {يجوز أن يتعلق بالنذير والبشير جميعاً لأن النذارة والبشارة إنما تنفعان فيهم. أو يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفاً أي إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون. {هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن أتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين فلما آتيناهم صالحاً جعلا له شركاء فيما آتيناهما فتعالى الله عما يشركون {. {من نفس واحدة {وهي نفس آدم عليه السلام {وجعل منها زوجها {وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه. أو من جنسها كقوله: {جعل لكم من أنفسكم أزواجاً {النمل: 2 {ليسكن إليها {ليطمئن إليها ويميل ولا ينفر لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس لماذا كانت بعضاً منه كان السكون والمحبة أبلغ كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة

نفسه لكونه بضعة منه. وقال: {ليسكن {فذكر بعد ما أنث في قوله: واحدة منها زوجها ذهاباً إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم. ولأن الذكر هو الذي يسكن إلى الأنثى ويتغشاها فكان التذكير أحسن طباقاً للمعنى. والتغشي: كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والإتيان {حَمَلَت حملاً خَفِيفاً {خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه. وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها: ما كان أخفه على كبدي حين حملته {فَمَرت به {فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق وقيل: {حملت حملاً خفيفاً {يعني النطفة {فمرت به {فقامت به وقعدت. وقرأ ابن عباس رضي اللّه عنه: فاستمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به بالتخفيف. وقرأ غيره فمارت به من المرية كقوله: {أفتمارونه {وأفتمرونه. ومعناه: فوقع في نفسها ظن الحمل فارتابت به. {فلما أثقلت {حان وقت ثقل حملها كقولك: أقربت. وقرئ أثقلت على البناء للمفعول: أي أثقلها الحمل {دعوا الله ربهم {دعا آدم وحواء رَبهما ومالِكَ أمرهما الذي هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ إليه فقالا: {لئن أتيتنا {لئن وهبت لنا {صالحاً {ولداً سوياً قد صلح بدنه وبرئ. وقيل: ولداً ذكراً لأن الذكورة من الصلاح والجودة. والضمير في {أتيتنا {و {لنكونن {. لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما {فلما آتاهما {ما طلباه من الولد الصالح السوي {جعلا له شركاء {أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك {فيما آتاهما {أي آتى أولادهما وقد دل على ذلك بقوله: {فتعالى الله عما يشركون {حيث جمع الضمير. وآدم وحواء بريئان من الشرك. ومعنى إشراكهم فيما آتاهم اللّه: تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما أشبه ذلك مكان عبد اللّه وعبد الرحمن وعبد الرحيم. ووجه آخر وهو أن يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي ألا ترى إلى قوله في قصة أم معبد. فيل لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في {يشركون {لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا إشكال فيه. وقرئ شركا أي ذوي شرك وهم الشركاء أو أحدثا لله شركاً في الولد. {أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون {. أجريت الأصنام مجرى أولي العلم في قوله: {وهم يخلقون {بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة. والمعنى: أيشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لأن اللّه عز وجل خالقهم. أو لا يقدر على اختلاق شيء لأنه جماد وهم يخلقون لأن عبدتهم يختلقونهم فهم أعجز من عبدتهم {لا يستطيعون لهم {لعبدتهم {نصراً ولا أنفسهم ينصرون {فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذي يدفعون عنهم ويحامون عليهم وإن تدعوهم {وإن تدعوا هذه الأصنام {إلى الهدى {أي إلى ما هو هدى ورشاد وإلى أن يهدوكم. والمعنى: وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم إلى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله. ويدل عليه قوله: {فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين {سواء عليهم أدعوتهم {أم صمتم عن دعائهم في أنه لا فلاح معهم. فإن قلت: هلا قيل: أم صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت: لأنهم كانوا إذا حزبهم أمر دعوا الله دون أصنامهم كقوله: {وإذا مس الناس ضر {الروم: 33 فكانت حالهم المستمرة أن يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل: إن دعوتموهم لم تفترق الحال بين إحداثكم دعاءهم وبين ما أنتم عليه من عادة {إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون {. {إن الذين تدعون من دون الله {أي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله {عباد أمثالكم {وقوله: {عباد أمثالكم {استهزاء بهم أي قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء فإن ثبت ذلك فهم عباد أمثالكم لا تفاضل بينكم. ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال:

{ألهم أرجل يمشون بها {وقيل: عباد أمثالكم مملوكون أمثالكم. وقرأ سعيد بن جبير: إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم بتخفيف إن ونصب عباداً أمثالكم والمعنى: ما الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم على إعمال إن النافية عمل ما الحجازية {قل ادعوا شركاءكم {واستعينوا بهم في عداوتي {ثم كيدون {جميعاً أنتم وشركاؤكم {فلا تنظرون {فإني لا أبالي بكم ولا يقول هذا إلا واثق بعصمة اللّه وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له: {إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء }هود: 54 قال لهم: {إني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون }هود: 55. {إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون {إن ولي الله {أي ناصري عليكم اللّه {الذي نزل الكتاب {الذي أوحى إلي كتابه وأعزني برسالته {وهو يتولى الصالحين {ومن عادته أن ينصر الصالحين من عباده وأنبيائه ولا يخذلهم. {وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون {. {ينظرون إليك {يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشيء ينظر إليه {وهم لا يبصرون {وهم لا يدركون المرئي. {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين {. {العفو {ضد الجهد: أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله صلى الله عليه وسلم: {يسروا ولا تعسروا {قال: خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا ينطقي في سورتي حين أغضب وقيل: خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت أمر أن يأخذهم بها طوعاً أو كرهاً. والحرف: المعروف والجميل من الأفعال {وأعرض عن الجاهلين {ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم وأغض على ما يسوؤك منهم. وقيل: لما نزلت الآية سأل جبريل ما هذا فقال: لا أدري حتى أسأل العالم ثم رجع فقال: يا محمد إن ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك. وعن جعفر الصادق: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها. {وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم {. {وإما ينزغنك من الشيطان نزغ }وإما ينخسنك منه نخس بأن يحملك بوسوسته على خلاف ما أمرت به {فاستعذ بالله {ولا تطعه. النزغ والنسغ: الغرز والنخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي. وجعل النزغ نازغاً كما قيل جد جده. وروي: أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل {وإما ينزغنك من الشيطان نزغ {ويجوز أن يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبي بكر رضي الله عنه: إن لي شيطاناً يعتريني.

{إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون {. {طائف من الشيطان {لمة منه مصدر من قولهم: طاف به الخيال يطيف طيفاً قال: أو هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين أو من طاف يطوف كهين. وقرئ: طائف وهو يحتمل الأمرين أيضاً. وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن المتقين هذه عادتهم: إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته {تذكروا {ما أمر اللّه به ونهى عنه فأبصروا السداد ودفعوا ما وسوس به إليهم ولم يتبعوه أنفسهم. وأما إخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فإن الشياطين يمدونهم في الغي أي يكونون مدداً لهم فيه ويعضدونهم. وقرئ: يُمدونهم من الإمداد. ويمادونهم بمعنى يعاونونهم {ثم لا يقصرون {ثم لا يمسكون عن إغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا. قوله: {وإخوانهم يمدونهم {كقوله: قوم إذا الخيل جالوا في كواثبها في أن الخبر جار على ما هو له. ويجوز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين فيكون الخبر جارياً على ما هو له والأول أوجه لأن إخوانهم في مقابلة الذين اتقوا. فإن قلت: لم جمع الضمير في إخوانهم والشيطان مفرد قلت: المراد به الجنس كقوله: {أولياؤهم الطاغوت }البقرة: 257. {وإذا لم تأتيهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما اتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة

لقوم يؤمنون {. اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه: أي جمعه كقولك: اجتمعه أو جبي إليه فاجتباه: أي أخذه كقولك: جليت إليه العروس فاجتلاها ومعنى {لولا اجتبيتها {هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لأنهم كانوا يقولون: {إن هذا إلا إفك مفترى {سبأ: 43 أو هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة {قل إنما اتبع ما يوحى إلي من ربي {ولست بمفتعل للآيات أو لست بمقترح لها {هذا بصائر {هذا القرآن بصائر {من ربكم {أي حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى أو هو بمنزلة بصائر القلوب. {وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون {. {وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا {ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة. وقيل: كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة في غير الصلاة أن ينصت القوم إذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن. وقيل معناه: وإذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له. وقيل: معنى فاستمعوا له: فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه. {واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ولا تكن من الغافلين {. {{واذكر ربك في نفسك {هو عام في الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك {تضرعاً وخيفة {متضرعاً وخائفاً {ودون الجهر {ومتكلماً كلاماً دون الجهر لأن الإخفاء أدخل في الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر {بالغدو والأصال {لفضل هذين الوقتين. أو أراد الدوام. ومعنى بالغدو: بأوقات الغدو وهي الغدوات. وقرئ: والإيصال من آصل إذا دخل في الأصيل كأقصر وأعتم وهو مطابق للغدو {ولا تكن من الغافلين {من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه. {إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون {. {إن الذين عند ربك {هم الملائكة صلوات اللّه عليهم. ومعنى {عَندَ {دنو الزلفة والقرب من رحمة الله تعالى وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته {وله يسجدون {ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من قرأ سورة الأعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين إبليس ستراً وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة {. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين آمين.

سورة الأنفال

مدنية وهي خمس وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم {يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله ورسوله فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم {. النفل: الغنيمة لأنها من فضل الله تعالى وعطائه. قال لبيد: إن تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي أي يعطاه زائداً على سهمه من المغنم وهو أن يقول الإمام تحريضاً على البلاء في الحرب: من قتل قتيلاً فله سلبه. أو قال لسرية: ما أصبتم فهو لكم أو فلكم نصفه أو ربعه. ولا يخمس النفل ويلزم الإمام الوفاء بما وعد منه. وعند الشافعي رحمه الله في أحد قوليه: لا يلزم. ولقد وقع الاختلاف بين المسلمين في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في قسمتها أللمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعاً فقيل له: قل لهم: هي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لأحد غيره فيها حكم. وقيل: شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر اللّه لهم الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان: نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات: كنا ردءاً لكم وفئة تنحازون إليها إن انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: المغنم قليل والناس كثير: وإن تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك. فنزلت. وعن سعد بن أبي وقاص: قتل أخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن

العاص وأخذت سيفه فأعجبني فجئت به إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقلت: إن اللّه قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال: ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القَبَض فطرحته وبي ما لا يعلمه إلا الله تعالى من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت إلا قليلاً حتى جاءني رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وقد أنزلت سورة الأنفال فقال: يا سعد إنك سألتني السيف وليس لي وإنه قد صار لي فاذهب فخذه. وعن عبادة بن الصامت: نزلت فينا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين. وقرأ ابن محيصن: يسألونك علنفال بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام وإدغام نون عن في اللام: وقرأ ابن مسعود: يسألونك الأنفال أي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال. فإن قلت: ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول في قوله: {قل الأنفال لله ورسوله {قلت: معناه أن حكمها مختص باللّه ورسوله يأمر اللّه بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر اللّه فيها وليس الأمر في قسمتها مفوضاً إلى رأي أحد والمراد: أن الذي اقتضته حكمة اللّه وأمر به رسوله أن يواسي المقاتلة المشروط لهم النفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فإنهم إن فعلوا لم يؤمن أن يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافي {فاتقوا الله {في الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين في الله {وأصلحوا ذات بينكم {وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم. وعن عطاء: كان الإصلاح بينهم أن دعاهم وقال: اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا: قد أكلنا وأنفقنا فقال: ليرد بعضكم على بعض. فإن قلت: ما حقيقة قوله: {ذَاتَ بينكم {قلت: أحوال بينكم يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال إلفة ومحبة واتفاق كقوله: {بذات الصدور{آل عمران: 199 وهي مضمراتها. لما كانت الأحوال ملابسة للبين قيل لها: ذات البين كقولهم: اسقني ذا إنائك يريدون ما في الإناء من الشراب. وقد جعل التقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الإيمان وموجباته ليعلمهم أن كمال الإيمان موقوف على التوفر عليها. ومعنى قوله: {إن كنتم مؤمنين {إن كنتم كاملي الإيمان. واللام في قوله: {إنما المؤمنون {إشارة إليهم. أي إنما الكاملو الإيمان من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله: {أولئك هم المؤمنون حقاً {. {وجلت قلوبهم {فزعت. وعن أم الدرداء: الوجل في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعرير قال: بلى قالت: فادع اللّه فإن الدعاء يذهبه. يعني فزعت لذكره استعظاماً له وتهيباً من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله: {ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله {الزمر: 23 لأن ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه. وقيل: هو الرجل يريد أن يظلم أو يهم بمعصية فيقال له: اتق الله فينزع. وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد اللّه: فَرِقَت {زادتهم إيماناً {ازدادوا بها يقيناً وطمأنينة في نفس. لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل. وعن أبي هريرة رضي اللّه عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم: {الإيمان سبع وسبعون شعبة أعلاها: شهادة أن لا إله إلا اللّه. وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان {. وعن عمر بن العزيز رضي الله عنه: إن للإيمان سنناً وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان {وعلى ربهم يتوكلون {ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون إلا إياه. جمع بين أعمال القلوب من الخشية والإخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة {حقاً {صفة للمصدر المحذوف أي أولئك هم المؤمنون إيماناً حقً أو هو مصدر مؤكد للجملة التي هي {أولئك هم المؤمنون {كقولك: هو عبد الله حقاً أي حق ذلك حقاً. وعن الحسن أن رجلاً سأله: أمؤمن أنت قال: الإيمان إيمانان فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن. وإن كنت تسألني عن قوله: {إنما المؤمنون {فواللّه لا أدري أمنهم أنا أم لا. وعن الثوري: من زعم أنه مؤمن بالله حقاً ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف

الآية. وهذا إلزام منه يعني كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقاً فلا يقطع بأنه مؤمن حقاً وبهذا تعلق من يستثني في الإيمان. وكان أبو حنيفة رضي اللّه عنه ممن لا يستثني فيه. وحكي عنه أنه قال لقتادة: لم تستثنى في إيمانك قال: اتباعاً لإبراهيم عليه السلام في قوله: {والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين}الشعراء: 82 فقال له: هلا اقتديت به في قوله: {أولم تؤمن قال بلى} البقرة: 260 {درجات} شرف وكرامة وعلو منزلة {ومغفرة} وتجاوز لسيئاتهم {ورزق كريم} نعيم الجنة. يعني لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب. {كما أخرجك ربك} فيه وجهان أحدهما. أن يرتفع محل الكاف على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره. هذه الحال كحال إخراجك. يعني أن حالهم في كراهة ما رأيت من تنفل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب. والثاني: أن ينتصب على أنه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله: {الأنفال لله والرسول} الأنفال: 1 أي الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتاً مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون. و {من بيتك} يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لأنها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه {بالحق} أي إخراجاً ملتبساً بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه {وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون} في موضع الحال أي أخرجك في حال كراهتهم وذلك: أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة معها أربعون راكباً منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فأخبر جبريل رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ أهل مكة خبر خروجهم فنادى أبو جهل فوق الكعبة: يا أهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم إن أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبداً وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لأخيها: إني رأيت عجباً رأيت كأن ملكاً نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة إلا أصابه حجر من تلك الصخرة. فحدث بها العباس فقال أبو جهل: ما يرضى رجالهم أن يتنبئوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهم النفير. في المثل السائر: لا في العير ولا في النفير فقيل له: إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس إلى مكة فقال: لا واللّه لا يكون ذلك أبداً حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وإن محمداً لم يصب العير وإنا قد أعضضناه فمضى بهم إلى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوماً في السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد إن الله وعدكم إحدى الطائفتين: إما العير وإما قريشاً فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال: ما تقولون إن القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير أحب إليكم أم النفير قالوا: بل العير أحب إلينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم: ثم ردد عليهم فقال: إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال: انظر أمرك فامض. فواللّه لو سرت إلى عدن أبين. ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما أمرك الله فإنا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن: إذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الأنصار لأنهم قالوا له حين بايعوه على العقبة: إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال: لكأنك تريدنا يا رسول الله قال: أجل قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل اللّه يريك منا ما تقر به عينك

فسر بنا على بركة الله ففرح رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال: سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين واللّه لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم. وروي: أنه قيل لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر: عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه: لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لم قال: لأن الله وعدك إحدى الطائفتين. وقد أعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله: {إن فريقاً من المؤمنون لكارهون {. {يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون {. والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: تلقي النفير لإيثارهم عليه تلقي العير {بعدما تبين {بعد إعلام رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بأنهم ينصرون. وجدالهم: قولهم ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتأهب وذلك لكراهتهم القتال. ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يعتل إلى القتل ويساق على الصغار إلى الموت المتيقن وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لا يشك فيها. وقيل: كان خوفهم لقلة العدد وأنهم كانوا رجالة. وروي أنه ما كان فيهم إلا فارسان. {وإذ يعدهم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين {. {وإذ {منصوب بإضمار اذكر. و {إنها لكم {بدل من إحدى الطائفتين. والطائفتان: العير والنفير. {غيرَ ذَاتِ الشوكة {العير لأنه لم يكن فيها إلا أربعون فارساً والشوكة كانت في النفير لعددهم وعدتهم: والشوكة: الحدة مستعارة من واحدة الشوك. ويقال: شوكالقنا لشباها. ومنها قولهم: شائك السلاح أي تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التي لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الأخرى {أن يحق الحق {أن يثبته ويعليه {بكلماته {بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر. والدابر الآخر: فاعل مر دبر. إذا أدبر. ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفاسف الأمور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم في أبدانكم وأحوالكم واللّه عز وجل يريد معالي الأمور وما يرجع إلى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين. وشتان ما بين المرادين. ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم وأعزكم وأذلهم وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها. وقرئ: بكلمته على التوحيد. {ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون {. فإن قلت: بم يتعلق قوله: {ليحق الحق {قلت: بمحذوف تقديره: ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله إلا لهما. وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه. فإن قلت: أليس هذا تكريراً قلت: لا لأن المعنيين متباينان وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض. ويجب أن يقدر المحذوف متأخراً حتى يفيد معنى الاختصاص فينطبق عليه المعنى: وقيل: قد تعلق بيقطع. {إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين {. فإن قلت بم يتعلق {إذ تستغيثون {قلت: هو بدل من {إذ يعدكم {الأنفال: 7 وقيل بقوله: {ليحق الحق ويبطل الباطل {واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله ويقولون: أي ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا. وعن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى المشركين وهم ألف وإلى أصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو: {اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فأخذه أبو بكر رضي اللّه عنه فألقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال: يا نبي اللّه كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك {أني ممدكم {أصله بأني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله. وعن أبي عمرو أنه قرأ: إني ممدكم بالكسر على إرادة القول أو على إجراء استجاب مجرى {قال {لأن الاستجابة من القول. فإن قلت: هل قاتلت الملائكة يوم بدر قلت: اختلف فيه فقيل: نزل جبريل في يوم بدر في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها

علي بن أبي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض وقد أرخوا أذنابها بين أكتافهم. فقاتلت وقيل: قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الأحزاب ويوم حنين. وعن أبي جهل أنه قال لابن مسعود: من أين كان ذلك الصوت الذي كنا فسمع ولا شرى شخصاً قال: من الملائكة فقال أبو جهل: هم غلبونا لا أنتم. وروي: أن رجلاً من المسلمين بينما هو يشتد في أثر رجل من المشركين: إذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر إلى المشرك قد خر مستلقياً وشق وجهه فحدث الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: صدقت ذاك من مدد السماء. وعن أبي داود المازني: تبعت رجلاً من المشركين لأضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدي قبل أن يصل إليه سيفي قيل: لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد كاف في إهلاك أهل الدنيا كلها فإن جبريل عليه السلام أهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط وأهلك بلاد ثمود قوم صالح بصيحة واحدة. وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك: ردفه إذا تبعه. ومنه قوله تعالى: {ردف لكم بعض الذي تستعجلون {النمل: 72 بمعنى ردفكم. وأردفته إياه: إذا أتبعته. ويقال: أردفته كقولك أتبعته إذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من أن يكون بمعنى متبعين أو متبعين فإن كان بمعنى متبعين فلا يخلو من أن يكون بمعنى: متبعين بعضهم بعضاً أو متبعين بعضهم لبعض أو بمعنى: متبعين إياهم المؤمنين أي يتقدمونهم فيتبعونهم أنفسهم أو متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين أيديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على أعينهم وحفظهم. أو بمعنى متبعين أنفسهم ملائكة آخرين أو متبعين غيرهم من الملائكة: ويعضد هذا الوجه قوله تعالى في سورة آل عمران: {بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين }آل عمران: 124 {بخمسة آلاف من الملائكة مسومين }آل عمران: 125 ومن قرأ: مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين أو متبعين. وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال: وأصله مرتدفين أي مترادفين أو متبعين من ارتدفه فأدغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الأصل أو على إتباع الدال. وبالضم على إتباع الميم. وعن السدي: بآلاف من الملائكة. على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران. فإن قلت: فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بإرداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بأردافهم غيرهم قلت: بأن المراد بالألف من قاتل منهم. أو الوجوه منهم الذين من سواهم أتباع لهم. {وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله وإن الله عزيز حكيم {. فإن قلت: إلام يرجع الضمير في {ما جَعَلَهُ {قلت: إلى قوله: {أني ممدكم {الأنفال: 9 لأن المعنى: فاستجاب لكم بإمدادكم. فإن قلت: ففيمن قرأ بالكسر قلت: إلى قوله: {إني ممدكم {لأنه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول. ويجوز أن يرجع إلى الإمداد الذي يدل عليه ممدكم {إلا بشرى {إلا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني إسرائيل يعني أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكيناً منكم وربطاً على قلوبكم {وما النصر إلا من عند الله {يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فإن الناصر هو اللّه لكم وللملائكة. أو وما النصر بالملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند اللّه والمنصور من نصره الله. {إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به أقدامكم {. {إذ يغشيكم {بدل ثان من {إذ يعدكم {الأنفال: 7 أو منصوب بالنصر أو بما في أمن عند الله الأنفال: 10 من معنى الفعل أو بما جعله اللّه أو بإضمار اذكر. وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عزّ وجل. و {أمنة {مفعول له. فإن قلت: أما وجب أن يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحداً قلت: بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس. تنعسون انتصب أمنة على أن النعاس والأمنة لهم. والمعنى: إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أي لأمنكم و {منه {صفة لها: أي أمنة حاصلة لكم من الله عزّ وجل. فإن قلت: فعلى غير هذه القراءة قلت: يجوز أن تكون الأمنة بمعنى الإيمان أي ينعسكم إيماناً منه. أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمناً فإن قلت: هل يجوز أن ينتصب على أن الأمنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم أي يغشاكم النعاس لأمنه على أن إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازي وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف أن لا

يقدم على غشيانكم وإنما غشيكم أمنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل قلت: لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من قال: يهاب النوم أن يغشى عيوناً تهابك فهو نفار شرود وقرئ أمنة بسكون الميم. ونظير أمن أمنة حيي حياة ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى: أن ما كان بهم من الخوف كأن يمنعهم من النوم فلما طمأن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنه: النعاس في القتال: أمنة من الله وفي الصلاة: وسوسة من الشيطان {وينزل {قرئ بالتخفيف والتثقيل. وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني: ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال: ما للطهور. و {جزر الشيطان {وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش. وقيل: الجنابة لأنها من تخييله. وقرئ رجس الشيطان وذلك أن إبليس تمثل لهم وكان المشركين قد سبقوهم إلى الماء ونزل المسلمون في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم فقال لهم: أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وأنكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة فحزنوا حزناً شديداً وأشفقوا فأنزل اللّه عز وجل المطر فمطروا ليلاً حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس. والضمير في {بِه {للماء. ويجوز أن يكون للربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال. {إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان {. {إذ يوحي {يجوز أن يكون بدلاً ثالثاً من {إذ يعدكم {الأنفال: 7 وأن ينتصب بيثبت {إني معكم {مفعول يوحي وقرئ إني بالكسر على إرادة القول أو على إجراء يوحي مجرى يقول كقوله: {أني ممدكم {الأنفال: 9 والمعنى: أني معينكم على التثبيت فثبتوهم. وقوله: {سألقي... فاضربوا {يجوز أن يكون تفسيراً لقوله: {أني معكم فثبتوا {ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم. واجتماعهما غاية النصرة. ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وأن يظهروا ما يتيقنون به أنهم ممدون بالملائكة. وقيل: كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول: إني سمعت المشركين يقولون: واللّه لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول: أبشروا فإن الله ناصركم لأنكم تعبدونه. وهؤلاء لا يعبدونه. وقرئ الرعب بالتثقيل {فوق الأعناق {أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح لأنها مفاصل فكان إيقاع الضرب فيها حزاً وتطييراً للرؤوس. وقيل: أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب الهام. قال: وأضرب هامة البطل المشيح غشيته وهو في جأواء باسلة عضباً أصاب سواء الرأس فانفلقا والبنان: الأصابع يريد الأطراف. والمعنى: فاضربوا المقاتل والشوي لأن الضرب وإما واقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين معاً. ويجوز أن يكون قوله {سألقى {إلى قوله: {كل بنان {عقيب قوله: {فثبتوا الذين آمنوا {تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قال: قولوا لهم قولي: {سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب {أو كأنهم قالوا: كيف نثبتهم فقيل: قولوا لهم قولي: {سألقي {فالضاربون على هذا هم المؤمنون. {ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذروه وأن للكافرين عذاب النار {. {ذلك {إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء و {بأنهم {خبره أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم. والمشاقة: مشتقة من الشق لأن كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت: لأن هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل: المخاصمة والمشاقة لأن هذا في خصم أي في جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق. والكاف في {ذلك {لخطاب الرسول عليه الصلاة السلام أو لخطاب كل واحد وفي {ذلكم {للكفرة على طريقة

الالتفات. ومحل {ذلكم {الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم {فذوقوه {ويجوز أن يكون نصباً على: عليكم ذلكم فذوقوه كقولك: زيداً فاضربه {وإن للكافرين {عطف على ذلكم في وجهيه أو نصب على أن الواو بمعنى مع. والمعنى: ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وإن للكافرين بالكسر. {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ومن تولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير {. {زحفاً {حال من الذين كفروا. والزحف: الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيباً من زحف الصبي إذا دلت على آسته قليلاً قليلاً سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى: إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا فضلاً أن تدانوهم في العدد أو تساووهم أو حال من الفريقين. أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثني عشر ألفاً وتقدمه نهي لهم عن الفرار يومئذ. وفي قوله: {ومن يولهم يومئذ {أمارة عليه {إلا محترفاً لقتال {هو الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها {أو متحيزاً {أو منحازاً {إلى فئة {إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها. وعن ابن عمر رضي اللّه عنه: خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت: يا رسول الله نحن الفرارون فقال: بل أنتم العكارون وأنا فئتكم. وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين هلكت فررت من الزحف فقال عمر رضي اللّه عنه: أنا فئتك. وعن ابن عباس رضي الله عنه: إن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر. فإن قلت: بم انتصب {إلا محترفاً {قلت: على الحال وإلا لغو. أو على الاستثناء من المولين أي: ومن يولهم إلا رجلاً منهم متحرفاً أو متحيزاً. وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لأنه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز. {فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنون منه بلاء حسناً إن الله سميع عليم {. لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا أقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول: قتلت وأسرت ولما طلعت قريش قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسلك اللهم إني أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل عليه السلام فقال: خذ قبضة من تراب فارمهم بها قال: لما التقى الجمعان لعلي رضي اللّه عنه: أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال: شاهت الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم فقيل لهم {فلم تقتلوهم {. والفاء جواب شرط محذوف تقديره: إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم {ولكن الله قتلهم {لأنه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقرى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع {ومَا رَميتَ {أنت يا محمد {إذ رميت ولكن الله رمى {يعني أن الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية اللّه حيث أثرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم لأن صورتها وجدت منه ونفاها عنه لأن أثرها الذي لا تطيقه البشر فعل الله عز وجل فكأن اللّه هو فاعل الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول عليه الصلاة والسلام أصلاً. وقرئ {ولكن الله قتلهم {ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده {وليبلي المؤمنين {وليعطيهم {بلاء حسناً {عطاء جميلاً. قال زهير: فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى: وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله إلا لذلك {إن الله سميع {{لدعائهم {عليم {بأحوالهم. {ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين {. {ذلكم {إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع: أي الغرض ذلكم وأن الله موهن {معطوف على ذلكم. يعني: أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين. وقرئ: موهن بالتشديد. وقرئ على الإضافة وعلى الأصل الذي هو التنوين والإعمال.

{إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين {. {إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح }خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا: اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعاني إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على حق فانصرنا. وروي: أنهم قالوا: اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين. وروي أن أبا جهل قال يوم بدر: اللهم أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه اليوم أي فأهلكه. وقيل: {وإن تستفتحوا {خطاب للمؤمنين وإن تنتهوا {خطاب للكافرين يعني وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم {فهو خير لكم {وأسلم {وإن تعودوا {لمحاربته {نعد {لنصرته عليكم وإن الله {قرئ بالفتح على: ولأن الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه أوجه. ويعضدها قراءة ابن مسعود والّله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل. {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون {. {ولا تولوا {قرئ بطرح إحدى التاءين وإدغامها والضمير في {عنه {لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأن المعنى: وأطيعوا رسول الله كقوله: الّله ورسوله أحق أن يرضوه ولأن طاعة الرسول وطاعة الّله شيء واحد {من يطع الرسول فقد أطاع الّله {النساء: 8 فكأن رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك: الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان. ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة أي: ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأنتم تسمعونه. أو ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه {وانتم تسمَعونَ {أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة {ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا {أي ادعوا السماع {وهم لا يسمعون {لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين. والمعنى: أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن. ثم قال: {إن شر الدواب {أي إن شر من يدب على وجه الأرض. أو إن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها {ولو علم الله {في هؤلاء الصم البكم {خيراً {أي انتفاعاً باللطف {لأسمعهم {للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال: {ولو أسمعهم لتولوا {عنه. يعني: ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه. أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل: هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان: مصعب بن عمير وسويد بن حرملة: كانوا يقولون: نحن صم بُكم عُمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعاً بأحد وكانوا أصحاب اللواء. وعن ابن جريج: هم المنافقون. وعن الحسن: أهل الكتاب. {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله ولرسوله إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون {. {إِذَا دَعَاكم {وحد الضمير كما وحده فيما قبله لأن استجابة رسول الّله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة. الطاعة والامتثال. وبالدعوة: البعث والتحريض. وروى أبو هريرة: أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال: ما منعك عن إجابتي قال: كنت أصلي. قال: ألم تخبر فيما أوحي إلي {استجيبوا لله وللرسول {قال: لا جرم لا تدعوني إلا أجبتك. وفيه قولان أحدهما: إن هذا مما اختص به رسول الّله صلى الله عليه وسلم. والثاني أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير وإذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته {لما يحييكم {من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت. ولبعضهم: لا تعجبن الجهول حلته فذاك ميت وثوبه كفن وقيل لمجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله: {ولكم في القصاص حياة {البقرة: 179 وقيل للشهادة لقوله: {بل أحياء عند ربهم {آل عمران: 169 {وعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه {يعني أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليماً كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة

وأخلصوا قلوبكم لطاعة اللّه ورسوله {واعلموا أنكم إليه تحشرون {فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة. وقيل: معناه إن الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمناً وبالأمن خوفاً وبالذكر نسياناً وبالنسيان ذكراً وما أشبه ذلك مما هو جائز على اللّه تعالى. فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر وبينه وبين الكفر إذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وقيل معناه: أنه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفي عليه شيء من ضمائره فكأنه بينه وبين قلبه. وقرئ: {بين المر {بتشديد الراء. ووجهه أنه قد حذف الهمزة وألقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول: مررت بعمر. {واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب {. {فِتنَة {ذنباً. قيل هو إقرار المنكر بين أظهرهم. وقيل: افتراق الكلمة. وقيل: {فِتنَة {عذاباً. وقوله: {لا تصيبن {لا يخلو من أن يكون جواباً للأمر. أو نهياً بعد أمر. أو صفة لفتنة فإذا كان جواباً فالمعنى إن إصابتكم لا تصيب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نُهوا عن المنكر تعذيراً فعمهم اللّه بالعذاب وإذا كانت نهياً بعد أمر فكأنه قيل: واحذروا ذنباً أو عقاباً ثم قيل: لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول كأنه قيل: واتقوا فتنة مقولاً فيها لا تصيبن ونظيره قوله: حتى إذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط أي بمذق مقول فيه هذا القول لأنه سمار فيه لون الورق التي هي لون الذئب. ويعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود: {لتصيبن {على جواب القسم المحذوف. وعن الحسن: نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة. قال الزبير: نزلت فينا وقرأناها زماناً وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها. وعن السدي: نزلت في أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل. وروي: أن الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوماً إذ أقبل علي رضي الله عنه فضحك إليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني أحبه كحبي لوالدي أو أشد حباً. قال: فكيف أنت إذا سرت إليه تقاتله فإن قلت: كيف جاز أن يدخل النون المؤكدة في جواب الأمر قلت: لأن فيه معنى النهي إذا قلت: أنزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم. فإن قلت: فما معنى من في قوله: {الذين ظلموا منكم {قلت: التبعيض على الوجه الأول والتبيين على الثاني لأن المعنى: لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لأن الظلم أقبح منكم من سائر الناس. {واذكروا إذ كنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون {. {إذ أنتم {نصبه على أنه مفعول به مذكور لا ظرف: أي اذكروا وقت كونكم أقلة أذلة مستضعفين {في الأرض {أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش {تخافون أن يتخطفكم الناس {لأن الناس كانوا جميعاً لهم أعداء منافين مضادين {فآواكم {إلى المدينة {وأيدكم بنصره {بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر {ورزقكم من الطيبات {من الغنائم {لعلكم تشكرون {إرادة أن تشكروا هذه النعم وعن قتادة: كان هذا الحي من العرب أذل الناس وأشقاهم عيشاً وأعراهم جلداً وأبينهم ضلالاً يؤكلون ولا يأكلون فمكن اللّه لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكاً. {يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول ولا تخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون {. معنى الخون: النقص كما أن معنى الوفاء التمام. ومنه: تخونه إذا تنقصه ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل: خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لأنه إذا انقطع به فكأنه لم يف له. ومنه قوله تعالى: {وتخونوا أماناتكم {والمعنى لا تخونوا الله بأن تعطلوا فرائضه ورسوله بأن لا تستنوا به. و {أماناتكم {فيما بينكم بأن لا تحفظوها {وأنتم تعلمون {تبعة ذلك ووباله وقيل وأنتم تعلمون أنكم تخونون يعني أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو. وقيل: وأنتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن. وروي: أن نبي اللّه صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة إحدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح إخوانهم بني النضير على أن يسيروا إلى أذرعات وأريحاء من أرض

الشام فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فأبوا وقالوا: أرسل إلينا أبا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحاً لهم لأن عياله وماله في أيديهم فبعثه إليهم فقالوا له: ما ترى هل ننزل على حكم سعد فأشار إلى حلقه إنه الذبح قال أبو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت أني قد خنت اللّه ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله علي فمكث سبعة أيام حتى خر مغشياً عليه ثم تاب الله عليه فقيل له: قد تيب عليك فحل نفسك. فقال: لا واللّه لا أحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال: إن من تمام توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي. فقال صلى الله عليه وسلم: يجزيك الثلث أن تتصدق به. وعن المغيرة: نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقيل: {أماناتكم {ما ائتمنكم اللّه عليه من فرائضه وحدوده. فإن قلت: {وتخونوا {جزم هو أم نصب قلت: يحتمل أن يكون جزماً داخلاً في حكم النهي وأن يكون نصباً بإضمار أن كقوله: {وتكتموا الحق {البقرة: 42 وقرأ مجاهد: {وتخونوا أمانتكم {على التوحيد. {واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر المحسنين {. جعل الأموال والأولاد فتنة لأنهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الإثم أو العذاب. أو محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده و {الله عنده أجر عظيم {فعليكم أن تنوطوا بطلبه وبما تؤدي إليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا أنفسكم من أجلهما كقوله: {المال والبنون {الآية الكهف: 46 وقيل: هي من جملة ما نزل في أبي لبابة وما فرط منه لأجل ماله وولده. {يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو {فرقاناً {نصراً لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله. ومنه قوله تعالى: {يوم الفرقان {الأنفال: 41 أو بياناً وظهوراً يشهر أمركم ويبث صيتكم وآثاركم في أقطار الأرض من قولهم: بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان: أي طلع الفجر. أو مخرجاً من الشبهات وتوفيقاً وشرحاً للصدور. أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلاً ومزية في الدنيا والآخرة. {وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين {. ما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله عز وجل في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما أتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى: واذكر إذ يمكرون بك وذلك أن قريشاً لما أسلمت الأنصار وبايعوه فرِقوا أن يتفاقم أمره فاجتمعوا في دار الندوى متشاورين في أمره فدخل عليهم إبليس في صورة شيخ وقال: أنا شيخ من نجد ما أنا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأياً ونصحاً فقال أبو البختري: رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون. فقال إبليس: بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم. فقال هشام بن عمرو: رأي أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم. فقال إبليس: بئس الرأي يفسد قوماً غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل: أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاماً وتعطوه سيفاً صارماً فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا. فقال الشيخ لعنه الله: صدق هذا الفتى هو أجردكم رأياً. فتفرقوا على رأي أبي جهل مجتمعين على قتله. فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله لمجيد وأمره أن لا يبيت في مضجعه وأذن اللّه له في الهجرة فأمر علياً رضي الله عنه فنام في مضجعه وقال له: اتشح ببردتي فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا علياً فبهتوا وخيب الله عز وجل سعيهم واقتصوا أثره فأبطل الله مكرهم {ليثبتوك {ليسجنوك أو يوثقوك أو يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم: ضربوه حتى أثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعاً. وقرئ: ليثبتوك بالتشديد. وقرأ النخعي: ليبيتوك ومن البيات. وعن ابن عباس: ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالإيثاق {ويمكرون {ويخفون المكايد له {وَيمكُرُ الله {ويخفي الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة {والله خير

الماكرين {أي مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيراً أو لأنه لا ينزل إلا ما هو حق وعدل ولا يصيب إلا بما هو مستوجب. {وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا لو سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو أئتنا بعذاب أليم وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون }. {لو نشاء لقلنا مثل هذا {نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فإنهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة وإلا فما منعهم إن كانوا مستطيعين أن يشاءوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلي دونه مع فرط أنفتهم واستنكافهم أن يغلبوا في باب البيان خاصة وأن يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على أن يقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهالكهم على أن يغمروه. وقيل: قائله النضر بن الحرث المقتول صبراً حين سمع اقتصاص اللّه أحاديث القرون: لو شئت لقلت مثل هذا. وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم وأسفنديار فزعم أن هذا مثل ذاك وأنه من جملة تلك الأساطير وهو القائل: {إن كان هذا هو الحق {وهذا أسلوب من الجحود بليغ يعني إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر. ومراده نفي كونه حقاً وإذا انتفى كونه حقاً لم يستوجب منكره عذاباً فكان تعليق العذاب بكونه حقاً مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال في قولك: إن كان الباطل حقاً فأمطر علينا حجارة. وقوله: {هو الحق {تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين: هذا هو الحق. وقرأ الأعمش {هُوَ الحَق {بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل. وهو في القراءة الأولى فصل. ويقال: أمطرت السماء كقولك أنجمت وأسبلت ومطرت كقولك: هتنت وهتلت وقد كثر الأمطار في معنى العذاب. فإن قلت: ما فائدة قوله: {من السماء {والأمطار لا تكون إلا منها. قلت: كأنه يريد أن يقال: فأمطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع {حجارة من السماء {موضع السجيل كما تقول: صب عليه مسرودة من حديد تريد درعاً {بعذاب أليم {أي بنوع آخر من جنس العذاب الأليم يعني أن أمطار السجيل بعض العذاب الأليم فعذبنا به أو بنوع آخر من أنواعه. وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ: ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال: أجهل من قومي قومك قالوا لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى الحق {إن كان هذا الحق من عندك فأمطر علينا حجارة {ولم يقولوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا له. اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة لأن عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوماً عذاب استئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصودون بالعذاب إذا هاجر عنهم. والدليل على هذا الإشعار قوله: {وما لهم ألا يعُذِبَهُمُ الله {وإنما يصح هذا بعد إثبات التعذيب كأنه قال: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم وما لهم أن لا يعذبهم {وهم يستغفرون {في موضع الحال. ومعناه نفي الاستغفار عنهم: أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله: {وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون {أهود: 117 ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم. وقيل معناه وما كان اللّه معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من المستضعفين {وما لهم أن لا يعذبهم اللّه {وأي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني: لا حظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة. وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وإخراجهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون: نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء {وما كانوا أولياءه {وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه {إن أولياؤه إلا المتقون {من المسلمين ليس كل مسلم أيضاً ممن يصلح لأن يلي أمره إنما يستأهل ولايته من كان براً تقياً فكيف بالكفرة عبدة الأصنام {ولكن أكثرهم لا يعلمون {كأنه استثنى من كان يعلم وهو {ما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون {. المكاء: فعال بوزن الثغاء والرغاء من

مكا يمكو إذا صفر: ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه. وأصله الصفة نحو الوضاء والفراء. وقرئ: مكا بالقصر. ونظيرهما البكي والبكاء. والتصدية: التصفيق تفعلة من الصدى أو من صد يصد {إذا قومك منه يصدون {الزخرف: 7 وقرأ الأعمش: {وما كان صلاتهم {بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فإن قلت: ما وجه هذا الكلام قلت: هو نحو من قوله: وما كنت أخشى أن يكون عطاؤه أداهم سوداً أو محدرجة سمراً والمعنى أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة: الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه {فذوقوا {عذاب القتل والأسر يوم بدر بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها إلا الكفرة. {إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على قيل: نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر. وقيل: قالوا لكل من كان له تجارة في العير: أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثأرنا بما أصيب منا ببدر. وقيل: نزلت في أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الأحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية. والأوقية اثنان وأربعون مثقالاً {ليصدوا عن سبيل الله {أي كان غرضهم في الإنفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وإن لم يكن عندهم كذلك {ثم تكون عليهم حسرة {أي تكون عاقبة إنفاقها ندماً وحسرة فكأن ذاتها تصير ندماً وتنقلب حسرة {ثم يغلبون {آخر الأمر وإن كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالاً قبل ذلك فيرجعون طلقاء {كتب اللّه لأغلبن أنا ورسلي {المجادلة: 21. {والذين كفروا {والكافرون منهم {إلى جهنم يحشرون {لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه {ليميز الله الخبيث من الطيب {الفريق الخبيث من الكفار {منَ {الفريق {الطيب {من المؤمنين فيجعل الفريق {الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً {عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله تعالى: {كادوا يكونون عليه لبدا {يعني لفرط ازدحامهم {أولئك {إشارة إلى الفريق الخبيث وقيل: ليميز المال الخبيث الذي أنفقه المشركون في عداوة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذي أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان في نصرته {فيركمه {فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به كقوله: {فتكوى بها جباههم وجنوبهم {الآية التوبة: 35 واللام على هذا متعلقة بقوله: ثم تكون عليهم حسرة {وعلى الأول بيحشرون وأولئك: إشارة إلى الذين كفروا. وقرئ: ليميز على التخفيف. {قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين {. {قل للذين كفروا {من أبي سفيان وأصحابه. أي قل لأجلهم هذا القول وهو {إن ينتهوا {ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل: إن تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود. ونحوه: {وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه {الأحقاف: 11 خاطبوا به غيرهم لأجلهم ليسمعوه أي إن ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الإسلام {يغفر لهم ما قد سلف {لهم من العداوة {وإن تعودوا {لقتاله: {فَقَدْ مَضَت سُنتُ الأولين {منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر. أو فقد مضت سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الأمم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك إن لم ينتهوا. وقيل: معناه أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام. الإسلام يجب ما قبله وقالوا: الحربي إذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط. وأما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين. وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة. وقبلها وفسر {وإن يعودوا {بالارتداد. وقرئ يغفر لهم على أن الضمير للّه عز وجل. {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير {. {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة {إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط {ويكون الدين كله لله {ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام وحده

{فإن انتهوا {عن الكفر وأسلموا {فإن الله بما يعملون بصير {يثيبهم على توبتهم وإسلامهم. وقرئ: تعملون بالتاء فيكون المعنى: فإن الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة إلى دينه والإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإسلام {بصير {يجازيكم عليه أحسن الجزاء {وإن تولوا {ولم ينتهوا {فاعلموا أن الله مولاكم {أي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته. {واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير {. {أنما غنمتم {ما موصولة. و {من شيء {بيانه. قيل: من شيء حتى الخيط والمخيط {فأن لله { مبتدأ خبره محذوف تقديره: فحق أو فواجب أن لله خمسه. وروى الجعفي عن أبي عمرو فإن للّه بالكسر. وتقويه قراءة النخعي: فلله خمسة. والمشهورة آكد وأثبت للإيجاب كأنه قيل: فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه من حيث إنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك: ثابت واجب حق لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لإيجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون فإن قلت: كيف قسمة الخمس قلت: عند أبي حنيفة رحمه الله أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم: سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي قرباء من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوهحينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما أنهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت إخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وإنما نحن وهم بمنزلة واحدة: فقال صلى الله عليه وسلم: {إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد {وشبك بين أصابعه وثلاثة أسهم: لليتامى والمساكين وابن السبيل. وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وإنما يعطون لفقرهم فهم أسوة سائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل. وأما عند الشافعي رحمه اللّه فيقسم على خمسة أسهم: سهم لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم يصرف إلى ما كان يصرفه إليه من مصالح المسلمين: كعدة الغزاة من السلاح والكراع. ونحو ذلك. وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين. والباقي للفرق الثلاث. وعند مالك بن أنس رحمه الله: الأمر فيه مفوض إلى اجتهاد الإمام إن رأى قسمه بين هؤلاء وإن رأى أعطاه بعضهم دون بعض وإن رأى غيرهم أولى وأهم فغيرهم. فإن قلت: ما معنى ذكر الله عز وجل وعطف الرسول وغيره عليه قلت: يحتمل أن يكون معنى لله وللرسول لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله: {واللّه ورسوله أحق أن يرضوه {التوبة: 62 وأن يراد بذكره إيجاب سهم سادس يصرف إلى وجه من وجوه القرب. وأن يراد بقوله: {فأن لله خمسه {أن من حق الخمس أن يكون متقرباً به إليه لا غير. ثم خض من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلاً لها على غيرها. كقوله تعالى: {وجبريل وميكال {البقرة: 98 فعلى الاحتمال الأول مذهب الإمامين. وعلى الثاني ما قال أبو العالية: أنه يقسم على ستة أسهم: سهم لله تعالى يصرف إلى رتاج الكعبة. وعنه: كان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم اللّه تعالى. ثم يقسم ما بقي على خمسة. وقيل: إن سهم الله تعالى لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه كان على ستة أسهم للّه وللرسول سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر رضي الله عنه الخمس على ثلاثة. وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء. وروي أن أبا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال: إنما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئاً ولا يتيم موسر. وعن زيد بن علي رضي الله عنه: كذلك قال ليس لنا أن نبني منه قصوراً ولا أن نركب منه البراذين. وقيل: الخمس كله للقرابة. وعن علي رضي اللّه عنه أنه قيل له: إن الله تعالى قال: {واليتامى والمساكين {البقرة: 83 فقال: أيتامنا ومساكيننا. وعن الحسن رضي اللّه عنه

في سهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: أنه لولي الأمر من بعده. وعن الكلبي رضي اللّه عنه أن الآية نزلت ببدر. وقال الواقدي: كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهراً من الهجرة. فإن قلت: بم تعلق قوله: {إن كنتم آمنتم بالله {قلت: بمحذوف يدل عليه {واعلَمُوا {المعنى: إن كنتم آمنتم بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالأخماس الأربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لأمر اللّه تعالي لأن العلم المجرد يستوي فيه المؤمن والكافر {وما أنزلنا {معطوف على {لله {أي إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل: {على عبدنا {وقرئ عبدنا كقوله: {وعبد الطاغوت {المائدة: 65 بضمتين {يوم الفرقان {يوم بدر. و {الجمعان {الفريقان من المسلمين والكافرين. والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ {والله على كل شيء قدير {يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم. {إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب الأسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حيّ عن بينة وإن الله لسميع عليم {. {إذ {بدل من يوم الفرقان. والعدوة: شط الوادي بالكسر والضم والفتح. وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لأن بينها وبين الكسرة حاجزاً غير حصين كما في الصبية. والدنيا والقصوى: تأنيث الأدنى والأقصى. فإن قلت: كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية بالواو قلت: القياس هو قلب الواو ياء كالعليا. وأما القصوى فكالقود في مجيئه على الأصل. وقد جاء القصيا إلا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء استصاب وأغيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة {والركب أسفل منكم {يعني الركب الأربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل. وأسفل: نصب على الظرف معناه: مكاناً أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ. فإن قلت: ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم قلت: الفائدة فيه الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم في مثل هذه الحال ليست إلا صنعاً من اللّه سبحانه ودليلاً على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضاً لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يمش فيها إلا بتعب ومشقة. وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم. ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وأن لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز إليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهمِ وقصارى شدتهم. وفيه تصوير ما دبر سبحانه من أمر وقعة بدر. ليقضي أمراً كان مفعولا من إعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لأموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الأسباب حتى أناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان {ولو تواعدتم {أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه القتال لخالف بعضكم بعضاً فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي في ما وفقه الله وسبب له {ليقضي {متعلق بمحذوف أي ليقضي أمراً كان واجباً أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك. وقوله: {ليهلك {بدل منه. واستعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضاً عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول فيه

والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغز المحجلة التي من كفر بعدها كان مكابراً لنفسه مغالطاً لها. وقرئ: {ليهلك {بفتح اللام وحي بإظهار التضعيف {لسميع عليم {يعلم كيف يدبر أموركم ويسوي مصالحكم. أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه. {إذ يريكم الله في منامك قليلاً ولو أراكم كثيراً لفشلتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه {إذ يريكم الله {نصبه بإضمار اذكر. أو هو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله {لسميع عليم {أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك {في منامك {في رؤياك. وذلك أن الله عز وجل أراه في رؤياه قليلاً فأخبر بذلك أصحابه فكان تثبيتاً لهم وتشجيعاً على عدوهم. وعن الحسن: في منامك في عينك لأنها مكان النوم كما قيل للقطيفة: المنامة لأنه ينام فيها. وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته {لفشلتم {لجبنتم وهبتم الإقدام {لتنازعتم {في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار {ولكن الله سلم {أي عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف {إنه عليم بذات الصدور {يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع. {وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولا وإلى الله ترجع الأمور {. {وإذ يريكموهم {الضميران مفعولان. يعني: وإذ يبصركم إياهم. و {قَلِيلاً {نصب على الحال وإنما قللهم في أعينهم تصديقاً لرؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا. قال ابن مسعود رضي اللّه عنه: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي: أتراهم سبعين قال: أراهم مائة فأسرنا رجلاً منهم فقلنا له: كم كنتم قال: ألفاً {ويقللكم في أعينهم {حتى قال قائل منهم: إنما هم أكلة جزور. فإن قلت: الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم قلت: قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجؤهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله: {يرونهم مثليهم رأي العين {آل عمران: 13 ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أولاً وكثرتهم آخراً. فإن قلت: بأي طريق يبصرون الكثير قليلاً قلت بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين. قيل لبعضهم: إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال: مالي لا أرى هذين الديكين أربعة

{يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين {. {إذا لقيتم فئة {إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار. واللقاء اسم للقتال غالب {فاثبتوا {لقتالهم ولا تفروا {واذكروا الله كثيراً {في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم: اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم {لعلكم تفلحون {لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة. وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلباً وأكثر ما يكون هماً وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره. وناهيك بما في خطب أمير المؤمنين عليه السلام في أيام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني وبليغات المواعظ والنصائح دليلاً على أنهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر اللّه شاغل وإن تفاقم الأمر {ولا تنازعوا {قرئ بتشديد التاء {فتفشلوا {منصوب بإضمار أن أو مجزوم لدخوله في حكم النهي وتدل على التقديرين قراءة من قرأ: وتذهب ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرأ: ويذهب ريحكم بالياء والجزم والريح: الدولة شبهت في نفوذ أمرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل: هبت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره. ومنه قوله: يا صاحبي ألا لاحيّ بالوادي إلا عبيد قعود بين أذواد أتنظران قليلاً ريث غفلتهم أم تعدون فإن الريح للعادي وقيل: لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله تعالى. وفي الحديث: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور. {ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء

الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الرأي نحو ما وقع لهم بأحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. من فشلهم وذهاب ريحهم {كالذين خرجوا من ديارهم {هم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير فأتاهم رسول أبي سفيان وهم بالجحفة: أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال: حتى نقدم بدراً نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب. فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية اللّه عز وجل مخلصين أعمالهم للّه. {وإذ زين الشيطان لهم أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب {. {و {اذكر {إذ زين لهم الشيطان أعمالهم {التي عملوها في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس إليهم أنهما لا يغلبون ولا يطاقون وأوهمهم أن اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم أي بطل كيده حين نزلت جنود الله ما اجتمعت قريش على السير ذكرت الذي بينها وبين بني كنانة من الحرب فكان ذلك يثنيهم فتمثل لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من أشرافهم في جند من الشياطين معه راية وقال: لا غالب لكم اليوم وإني مجيركم من بني كنانة. فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل: كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث: إلى أين أتخذلنا في هذه الحال فقال: إني أرى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا: هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال: والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان. وفي الحديث: {وما رؤي إبليس يوماً أصغر ولا أدحر ولا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رؤي يوم بدر {. فإن قلت: هلا قيل لا غالباً لكم كما يقال: لا ضارباً زيداً عندنا قلت: لو كان لكم مفعولاً لغالب بمعنى: لا غالباً إياكم لكان الأمر كما قلت لكنه خبر تقديره: لا غالب كائن لكم. {إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غرّ هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم {. {إذ يقول المنافقون {بالمدينة {والذين في قلوبهم مرض {يجوز أن يكون من صفه المنافقين وأن يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الأقدام في الإسلام. وعن الحسن: هم المشركون {غرّ هؤلاء دينهم {يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم وأنهم يتقوون به وينصرون من أجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر إلى زهاء ألف ثم قال جواباً لهم {ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز {غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوي. {ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذاقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد {. {ولو ترى {ولو عاينت وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال. و {إذ {نصب على الظرف وقرئ: يتوفى بالياء والتاء و {الملائكة {رفعها بالفعل و {يضربون {حال منهم ويجوز أن يكون في {يتوفى {ضمير الله عز وجل و {الملائكة {مرفوعة بالابتداء و {يضربون {خبر. وعن مجاهد: وأدبارهم: استاههم ولكن اللّه كريم يكنى وإنما خصوهما بالضرب. لأن الخزي والنكال في ضربهما أشده وبلغني عن أهل الصين أن عقوبة الزاني عندهم أن يصبر ثم يعطي الرجل القوي البطش شيئاً عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضربه على دبره ضربه واحد بقوته فيجمد في مكانه. وقيل: يضربون ما أقبل منهم وما أدبر {وذوقوا {معطوف على {يضربون {على إرادة القول: أي ويقولون ذوقوا {عَذَابَ الحريق {أي مقدمة عذاب النار. أو وذوقوا عذاب الآخرة: بشارة لهم به. وقيل: كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار أو ويقال لهم يوم القيامة: ذوقوا. وجواب لو محذوف: أي لرأيت أمراً فظيعاً منكراً {ذلِكَ بِمَا قَدَّمَت أيديكم {يحتمل أن يكون من كلام اللّه ومن كلام الملائكة و {ذلَكَ {رفع بالابتداء و {بِمَا قدمَت {خبره {وأن الله {عف عليه أي ذلك العذاب بسببين: بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن اللّه {ليس بظلام للعبيد {لأن تعذيب

الكفار من العدل كإثابة المؤمنين. وقيل: ظلام للتكثير لأجل العبيد أو لأن العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاماً بليغ الظلم متفاقمه. {كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإن الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين }. الكاف في محل الرفع: أي دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون. ودأبهم: عادتهم وعملهم الذي دأبوا فيه: أي داوموا عليه وواظبوا. و {كفروا }تفسير لدأب آل فرعون. و {ذلِك }إشارة إلى ما حل بهم يعني ذلك العذاب أو الانتقام بسبب أن اللّه لم ينبغ له ولم يصح في حكمته أن يغير نعمته عند قوم {حتى يغيروا ما }بهم من الحال. فإن قلت: فما كان من تغيير آل فرعون ومشركي مكة حتى غير اللّه نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة قلت: كما تغير الحال المرضية إلى المسخوطة تغير الحال المسخوطة إلى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين في إراقة دمه غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغير اللّه ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب {وأن الله سميع {لما يقول مكذبو الرسل {عليم {بما يفعلون {كدأب آل فرعون {تكرير للتأكيد. وفي قوله: {بآيات ربهم {زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق. وفي ذكر الإغراق بيان للأخذ بالذنوب {وكل كانوا ظالمين }وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي. {إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون }. {الذين كفروا فهم لا يؤمنون {أي أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم إيمان وهم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فنكثوا بأن أعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا: نسينا وأخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الأشرف إلى مكة فحالفهم {الذين عاهدت منهم {بدل من الذين كفروا أي الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود {وهم لا يتقون {لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون لما فيه من العار والنار {فإما تثقفنهم في الحرب {فإما تصادفنهم وتظفر بهم {فشرد بهم من خلفهم {ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتباراً بهم واتعاظاً بحالهم وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه فشرذ بالذال المعجمة بمعنى: ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه: الشذر: المتلقط من المعدن لتفرقه وقرأ أبو حيوة من خلفهم ومعناه: فافعل التشريد من ورائهم لأنه إذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد في الوراء وأوقعه فيه لأن الوراء جهة المشردين فإذا جعل الوراء ظرفاً للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين {لعلهم يذكرون {لعل المشردين من ورائهم يتعظون. {وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على السواء إن الله لا يحب الخائنين }. {وإما تخافن من قوم {معاهدين {خِيَانَةً {ونكثاً بإمارات تلوح لك }فانبذ إليهم {فاطرح إليهم العهد {على السواء {على طريق مستو قصد وذلك أن تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم إخباراً مكشوفاً بينا أنك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك {إن الله لا يحب الخائنين {فلا يكن منك إخفاء نكث العهد والخداع وقيل: على استواء في العلم بنقض العهد. وقيل على استواء في العداوة. والجار والمجرور في موضع الحال كأنه قيل: فانبذ إليهم ثابتاً على طريق قصد سوى أو حاصلين على استواء في العلم أو العداوة على أنها حال من النابذ والمنبوذ إليهم معاً. {ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون }. {سبقوا {أفلتوا وفاتوا من أن يظفر بهم {إنهم لا يعجزون {إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزاً عن إدراكهم وقرئ: أنهم بالفتح بمعنى: لأنهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل إلاّ أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ: يعجزون بالتشديد

وقرأ ابن محيصن: يعجزون بكسر النون وقرأ الأعمش {ولا تحسب الذين كفروا {بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة: {ولا يحسبن {بالياَء على أن الفعل للذين كفروا وقيل فيه: أصله أن سبقوا فحذفت أن كقوله: {ومن آياته يريكم البرق {الروم: 24 واستدل عليه بقراءة ابن مسعود رضي اللّه عنه: أنهم سبقوا. وقيل: وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين أي مفلتين هاربين. وقيل معناه: ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوماً. وقيل: ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا. وهذه الأقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة. وعن الزهري أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين. {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون {. {من قوة {من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها. وعن عقبة بن عامر: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر: {ألا إن القوة الرمي {قالها ثلاثاً. ومات عقبة عن سبعين قوساً في سبيل اللّه. وعن عكرمة: هي الحصون والرباط: اسم للخيل التي تربط في سبيل اللّه. ويجوز أن يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط. ويجوز أن يكون قوله: {ومن رباط الخيل {تخصيصاً للخيل من بين ما يتقوى به كقوله: {وجبريل وميكال {البقرة: 98 وعن ابن سيرين رحمه الله: أنه سئل عمن أوصى بثلثماله في الحصون فقال: يشتري به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزي عليها فقيل له: إنما أوصى في الحصون فقال: ألم تسمع قول الشاعر: {ترهبون {قرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما تخزون والضمير في {بِهِ {راجع إلى ما استطعتم {عدو الله وعدوكم {هم أهل مكة {وآخرين من دونهما {هم اليهود وقيل: المنافقون وعن السدي: هم أهل فارس وقيل: كفرة الجن وجاء في الحديث: إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا داراً فيها فرس عتيق وروي: أن صهيل الخيل يرهب الجن. {وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم {. جنح له وإليه: إذا مال. والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب قال: السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع وقرئ بفتح السين وكسرها. وعن ابن عباس رضي اللّه عنه أن الآية منسوخة بقوله تعالى: {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله {التوبة: 29 وعن مجاهد بقوله: {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم {التوبة: 5 والصحيح أن الأمر موقوف على ما يرى فيه الإمام صلاح الإسلام وأهله من حرب أو سلم وليس يحتم أن يقاتلوا أبداً أو يجابوا إلى الهدنة أبداً وقرأ الأشهب العقيلي: فاجنح بضم النون {وتوكل على الله {ولا تخف من إبطانهم المكر في جنوحهم إلى السلم فإن اللّه كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم. قال مجاهد يريد قريظة. {وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم ولو {فإن حسبك الله {فإن محسبك الله: قال جرير: إني وجدت من مكارم حسبكم أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا {وألف بين قلوبهم {التأليف بين قلوب من بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لأن العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والإنطواء على الضغينة في أدنى شيء وإلقائه بين أعينهم إلى أن ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم واتحدوا وأنشؤا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتواد وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في اللّه والبغض في اللّه ولا يقدر على ذلك إلا من يملك القلوب. فهو يقلبها كما شاء. ويصنع فيها ما أراد وقيل: هم الأوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما أهلك سادتهم ورؤسائهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة أن تتجنب هذه ما آثرته أختها وتكرهه وتنفر عنه فأنساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا أنصاراً وعادوا أعواناً وما ذاك إلا بلطيف صنعه وبليغ قدرته. {يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين {. {وَمَنِ

اتبَعَكَ {الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول: حسبك وزيداً درهم ولا تجر لأن عطف الظاهر المجرور على المكنى ممتنع قال: فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى: كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصراً أو يكون في محل الرفع: أي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في إسلام عمر رضي اللّه عنه وعن سعيد بن جبير: أنه أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلاً وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت. {يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبون مائتين وإن منكم مائة يغلبون ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ألئن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعيفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبون مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبون ألفين بإذن الله والله مع الصابرين {. التحريض: المبالغة في الحث على الأمر من الحرض وهو أن ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفى على الموت أو أن تسميه حرضاً: وتقول له: ما أراك إلا حرضاً في هذا الأمر وممرضاً فيه ليهيجه ويحرك منه. ويقال: حركه وحرضه وحرصه وحرشه وحربه بمعنى وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الأخفش من الحرص وهذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتأييده ثم قال: {بأنهم قوم لا يفقهون {أي بسبب أن الكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم باللّه نصرته ويستحقون خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والإظهار من الله تعالى. وعن ابن جريج كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد منهم للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة رضي الله عنه في ثلاثين راكباً فلقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب. قيل: ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل: كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف. وقرئ ضعفاً بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر. وضعفاً: جمع ضعيف. وقرئ الفعل المسند إلى المائة بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف: الضعف في البدن. وقيل: في البصيرة والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فإن قلت: لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت: للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لأن الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين. {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الحياة الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب أليم {. وقرئ: للنبي على التعريف وأسارى. ويثخن بالتشديد. ومعنى الإثخان: كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم: أثخنته الجراحات إذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة. وأثخنه المرض إذا أثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة يعني حتى يذل الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله ويعز الإسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر. ثم الأسر بعد ذلك. ومعنى {وما كان {ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل {فإما مناً بعد وإما فداء {محمد: 4 وروي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بسبعين أسيراً فيهم العباس عمه وعقيل بن أبي طالب فاستشار أبا بكر رضي الله عنه فيهم فقال: قومك وأهلك استبقهم لعل اللّه أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك. وقال عمر رضي الله عنه: كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء: مكن علياً من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم. فقال صلى الله عليه وسلم: لا إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال: {فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم {إبراهيم: 36 ومثلك يا عمر مثل نوح قال: {رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً {نوح: 26 ثم قال لأصحابه: لا أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منكم إلا بفداء أو ضرب عنق. وروي: أنه قال لهم: إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا: بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد وكان فداء الأسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية. وعن محمد بن سيرين:

كان فداؤهم مائة أوقية والأوقية أربعون درهماً وستة دنانير. وروي: أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال: يا رسول اللّه أخبرني فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت فقال: أبكي على أصحابك في أخذهم الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي أنه قال: لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما لقوله كان الإثخان في القتل أحب إلي {عرض الدنيا {حطامها سمى بذلك لأنه حدث قليل اللبث يريد الفداء {والله يريد الآخرة {يعني ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان في القتل وقرئ: يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجز الآخرة على حذف المضاف وإبقاء المضاف أكل امرئ تحسبين امرأ ونار توقد بالليل ناراً ومعناه واللّه يريد عرض الآخرة. على التقابل يعني ثوابها {والله عزيز {يغلب أولياءه على أعدائه ويتمكنون منهم قتلاً وأسراً ويطلق لهم الفداء ولكنه {حكيم {يؤخر ذلك إلى أن يكثروا ويعزوا وهم يعجلون {لولا كتاب من الله سَبَقَ {لولا حكم منه سبق إثباته في اللوح وهو أنه لا يعاقب أحد بخطأ وكان هذا خطأ في الاجتهاد لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سبباً في إسلامهم وتوبتهم وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم أن قتلهم أعز للإسلام وأهيب لمن وراءهم وأفل لشوكتهم. وقيل: كتابه أنه سيحل لهم الفدية التي أخذوها. وقيل: إن أهل بدر مغفور لهم. وقيل: إنه لا يعذب قوماً إلا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي ولم يتقدم نهي عن ذلك {فكلوا مما غنمتم {روي: أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها فنزلت. وقيل: هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم {واتقوا الله {فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه. {فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله إن الله غفور رحيم {. فإن قلت: ما معنى الفاء قلت: التسبيب والسبب محذوف معناه: قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم. وحلالاً: نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلاً حلالاً وقوله: {إن الله غفور رحيم {معناه أنكم إذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم. {يا أيها النبي قل لمن في أيديكم كم الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم {. {في أيديكم {في ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم وقرئ: من الأسرى {في قلوبكم خيراً {خلوص إيمان وصحة نية {يؤتكم خيراً مما أخذ منكم {من الفداء إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة وفي قراءة الأعمش. يثبكم خيراً وعن العباس رضي الله عنه أنه قال: كنت مسلماً لكنهم استكرهوني. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إن يكن ما تذكره حقاً فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا أو كان أحد الذين ضمنوا إطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس: {افد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال: يا محمد تركتني أتكفف قريشاً ما بقيت. فقال له: فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها: لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال: {أخبرني به ربي {قال العباس: فأنا أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتاباً في أمرك فأما إذ أخبرتني بذلك فلا ريب. قال العباس رضي الله عنه: فأبدلني الله خيراً من ذلك لي الآن عشرون عبداً إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفاً وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي. وروي: أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم: مال البحرين ثمانون ألفاً فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه ما قدر على حمله وكان يقول: هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة: مما أَخِذَ منكم على البناء للفاعل. {وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم والله عليم حكيم {. {وإن يريدون خيانتك {نكث ما بايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم {فقد خانوا الله من قبل {في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه {فأمكن منهم {كما رأيتم يوم بدر فسيمكن

منهم إن أعادوا الخيانة. وقيل: المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء. {إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين أووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن الذين هاجروا: أي فارقوا أوطانهم وقومهم حباً لله ورسوله: هم المهاجرون. والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم: هم الأنصار {بعضهم أولياء بعض {أي يتولى بعضهم بعضاً في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله تعالى {وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض {وقرئ: {من ولايتهم {بالفتح والكسر أي من توليهم في الميراث. ووجه الكسر أن تولى بعضهم بعضاً شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمراً ويباشر عملاً {فعليكم النصر {فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين {إلا على قوم {منهم {بينكم وبينهم {عهد فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يبتدئون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك. {والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلون تكن فتنة في الأرض وفساد كبير {. {والذين كفروا بعضهم أولياء بعض {ظاهره إثبات الموالاة بينهم كقوله تعالى في المسلمين {أولئك بعضهم أولياء بعض {الأنفال: 72 ومعناه: نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بحضهم بعضاً ثم قال: {إلا تَفعَلوه {أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضاً حتى في التوارث تفضيلاً لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تجعلوا العلائق بينكم وبين الكفار. ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين ما لم يصيروا يداً واحدة على {والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين أووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم {. {أولئك هم المؤمنون حقاً {لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأجل الدين وليس بتكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل {والذين آمنوا من بعد {يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة كقوله: {والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان {الحشر: 15 ألحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلاً منه وترغيباً {وأولو الأرحام {أولو القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة {في كتاب الله {تعالى في حكمه وقسمته. وقيل في اللوح. وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة رحمه اللّه على توريث ذوي الأرحام. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا {.

سورة التوبة

مدنية وآياتها تسع وعشرين ومائة

لها عدة أسماء: براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم. وعن حذيفة رضي الله عنه: إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب والله ما تركت أحداً إلا نالت منه. فإن قلت: هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور قلت: سأل عن ذلك عبد الله بن عباس عثمان رضي اللّه عنهما فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نزلت عليه السورة أو الآية قال: اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول

الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا لن نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين. وعن أبي بن كعب: إنما توهموا ذلك لأن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود. وسئل ابن عيينة رضي الله عنه فقال: اسم اللّه سلام وأمان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى: {ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً }النساء: 94 قيل: فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب إلى أهل الحرب: بسم الله الرحمن الرحيم. قال: إنما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ إليهم ألا تراه يقول: سلام على من اتبع الهدى فمن دعي إلى الله عز وجل فأجاب ودعي إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى وأما النبذ فإنما هو البراءة واللعنة وأهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال: لا تفرق ولا تخف ومترس ولا بأس: هذا أمان كله. وقيل: سورة الأنفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال تعدان السابعة من الطّوَل وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لأنهما معاً مائتان وست فهما بمنزلة إحدى الطول. وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم: الأنفال وبراءة سورة واحدة. وقال بعضهم: هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال: هما سورتان وتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال: هما سورة واحدة. {براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين }. {براءة }خبر مبتدأ محذوف أي هذه براءة و {من }لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك: برئت من الدين. والمعنى: هذه براءة واصلة من الله ورسوله {إلى الذين عاهدتم }كما يقال: كتاب من فلان إلى فلان. ويجوز أن يكون {براءة }مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر {إلى الذين عاهدتم }كما تقول: رجل من بني تميم في الدار وقرئ براءة بالنصب على: اسمعوا براءة وقرأ أهل نجران مِن الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته. والمعنى أن اللّه ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم. فإن قلت: لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين قلت: قد أذن الله في معاهدة المشركين أولاً فاتفق المسلمون مح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد أوجب الله تعالى النبذ إليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم: اعلموا أن اللّه ورسوله قد بردا مما عاهدتم به المشركين. وروي أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا إلا ناساً منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد إلى الناكثين وأمروا أن يسيحوا في الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاؤا لا يتعرض لهم وهي الأشهر الحرم في قوله: {فإذا انسلخ الأشهر الحرم { وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم أتبعه علياً رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له: لو بعثت بها إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: لا يؤدي عني إلا رجل مني فلما دنا علي سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال: هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال: أمير أو مأمور قال: مأمور. وروي: أن أبا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام فقال: يا محمد لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك فأرسل علياً فرجم أبو بكر رضى اللّه عنهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أشيء نزل من السماء قال: نعم فسر وأنت على الموسم وعلي ينادي بالآي. فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضي اللّه عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال: يا أيها الناس إني رسول رسول الله إليكم. فقالوا: بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية. وعن مجاهد رضي اللّه عنه ثلاثة عشرة آية ثم قال: أمرت بأربع: أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذي عهد عهده: فقالوا عند ذلك يا علي أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن بالرماح وضرب بالسيوف. وقيل: إنما أمر أن لا يبلغ عنه إلا رجل منه لأن العرب عادتها في نقض عهودها أن يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه أبو بكر رضي الله عنه. لجاز أن يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا من نقض العهود فأزيحت عليهم بتولية ذلك

علياً رضي الله عنه فإن قلت: الأشهر الأربعة ما هي قلت: عن الزهري رضي الله عنه أن براءة نزلت في شوال فهي أربعة أشهر: شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من شهر ربيع الآخر. وكانت حرماً لأنهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم. أو على التغليب لأن ذا الحجة والمحرم منها. وقيل: لعشر من ذي القعدة إلى عشر من ربيع الأول لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة. فإن قلت ما وجه إطباق أكثر العلماء على جواز مقاتلة المشركين في الأشهر الحرم وقد صانها الله تعالى عن ذلك قلت: قالوا قد نسخ وجوب الصيانة وأبيح قتال المشركين فيها {غير معجزي الله {لا تفوتونه وإن أمهلكم وهو خزيكم: أي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب. {وأذن من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم {وأذن {ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول من قال: إنه معطوف على براءة كما لا يقال: عمرو معطوف على زيد في قولك: زيد قائم وعمرو قاعد والأذان: بمعنى الإيذان وهو الإعلام كما أنّ الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء. فإن قلت: أي فرق بين معنى الجملة الأولى والثانية قلت: تلك إخبار بثبوت البراءة. وهذه إخبار بوجوب الإعلام بما ثبت. فإن قلت: لم علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس قلت: لأن البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث {يوم الحج الأكبر {يوم عرفة. وقيل: يوم النحر لأن فيه تمام الحج ومعظم أفعاله من الطواف. والنحر والحلق والرمي. وعن علي رضي الله عنه: أن رجلاً أخذ بلجام دابته فقال: ما الحج الأكبر قال يومك هذا. خل عن دابتي. وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال {هذا يوم الحج الأكبر {ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر أو جعل الوقوف بعرفة هو الحج الأكبر لأنه معظم واجباته لأنه إذا فات فات الحج وكذلك إن أريد به يوم النحر لأن ما يفعل فيه معظم أفعال الحج فهو الحج الأكبر. وعن الحسن رضي الله عنه: سمي يوم الحج الأكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لأعياد أهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم على قلب كل مؤمن وكافر. حذفت الباء التي هي صلة الأذان تخفيفاً وقرئ {إن الله {بالكسر لأن الأذان في معنى القول {وَرَسُولِه {عطف على المنوي في {بريء {أو على محل إن المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفاً على اسم إن أو لأن الواو بمعنى مع: أي بريء معه منهم وبالجر على الجوار. وقيل: على القسم كقوله: لعمرك. ويحكى أن أعرابياً سمع رجلاً يقرؤها فقال: إن كان الله بريئاً من رسوله فأنا منه بريء فلببه الرجل إلى عمر فحكى الأعرابي قراءته فعندها أمر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية {فَإن تبتم {من الكفر والغدر {فهو خير لكم وإن توليتم {عن التوبة أو ثبتم على التولي والإعراض عن الإسلام والوفاء فاعلموا أنكم غير سابقين الله تعالى ولا فائتين أخذه وعقابه. {إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين {. فإن قلت: مم استثنى قوله {إلا الذين عاهدتم {قلت: وجهه أن يكون مستثنى من قوله: فسيحوا في الأرض {التوبة: 2 لأن الكلام خطاب للمسلمين. ومعناه: براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين. فقولوا لهم سيحوا إلا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فأتموا إليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك وكأنه قيل بعد أن أمروا في الناكثين ولكن الذين لم يمكثوا فأتموا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر {إنَ الله يُحِبُ المتقين {يعني أن قضية التقوى أن لا يسوي بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك {لم ينقصوكم شيئاً {لم يقتلوا منكم أحداً ولم يضروكم قط {ولم يظاهروا {ولم يعاونوا {عليكم {عدواً كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد: لاهم إني ناشد محمداً حلف أبنا وأبيك الأتلدا إن قريشاً أخلفوك الموعدا ونقضوا

ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعاً وسجداً فقال عليه الصلاة والسلام: {لا نصرت إن لم أنصركم {وقرئ: {لم ينقضوكم {بالضاد معجمة أي لم ينقضوا عهدكم. ومعنى {فأتموا إليهم {فأدوه إليهم تاماً كاملاً. قال ابن عباس رضي الله عنه: بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فأتم إليهم عهدهم. {فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم انسلخ الشهر كقولك انجرد الشهر وسنة جرداء. و {اَلأشَهُرُ الحُرُمُ {التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا {فاقتلوا المشركين {يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم {حيث وجدتموهم {من حل أو حرم {وخذوهم {وأسروهم. والأخيذ: الأسير {واحصروهم {وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد. وعن ابن عباس رضي الله عنه: حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام {كل مرصد {مجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله {لأقعدن لهم صراطك المستقيم {الأعراف: 16. {فخلوا سبيلهم {فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر. أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله: خل السبيل لمن يبني المنار به وعن ابن عباس رضي الله عنه: دعوهم وإتيان المسجد الحرام {إن الله غفور رحيم {يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر. {وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون {. {أحد {مرتفع بفعل الشرط مضمراً يفسره الظاهر تقديره: وإن استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل لا تدخل على غيره. والمعنى: وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فأمنه {حتى يسمع كلام الله {ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر {ثم أبلغه {بعد ذلك داره التي يأمن فيها إن لم يسلم. ثم قاتله إن شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت. وعن الحسن رضي الله عنه: هي محكمة إلى يوم القيامة. وعن سعيد بن جبير: جاء رجل من المشركين إلى علي رضي الله عنه فقال: إن أراد الرجل منا أن يأتي محمداً بعد انقضاء هذا الأجل يسمع كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال: لا لأن الله تعالى يقول: {وإن أحد من المشركين استجارك {الآية. وعن السُدي والضحاك رضي الله عنهما: هي منسوخة بقوله تعالى: {فاقتلوا المشركين {التوبة: 5 {ذَلِكَ {أي ذلك الأمر يعني الأمر بالإجارة في قوله: {فَأَجِرْه {. {ب {سبب {أنهم {قوم جهلة {لا يسمعون {ما الإسلام وما حقيقة ما تدعو إليه فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا ويفهموا الحق. {كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين كيف وإن يظهروا عليكم لا يراقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون {. {كيف {استفهام في معنى الاستنكار والاستبعاد لأن يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أضداد وغرة صدورهم يعني: محال أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا في قتلهم. ثم استدرك ذلك بقوله: {إلا اَلذَين عاهدتم {أي ولكن الذين عاهدتم منهم {عِندَ المسجد الحرام {ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم {فما استقاموا لكم {على العهد {فاستقيموا لهم {على مثله {إن الله يحب المتقين {يعني أن التربص بهم من أعمال المتقين {كيف {تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوماً كما قال: وخبرتماني أن الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة وقليب يريد: فكيف مات. أي: كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم {إن يظهروا عليكم {بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم {لا يرقبوا فيكم إلا {لا يراعوا حلفاً. وقيل: قرابة. وأنشد لحسان رضي الله عنه: لعمرك إن إلك من قريش كإل السقب من رأل النعام وقيل: لا إلهاً وقرئ: إيلا بمعناه وقيل: جبرئيل وجبرئل من ذلك. وقيل: منه اشتق الآل بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه إن اشتقاق الإل بمعنى الحلف لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه من الأل وهو الجؤار وله أليل: أي أنين يرفع به صوته. ودعت ألليها: إذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق: إل. وسميت به القرابة لأن القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق {يرضوكم {كلام مبتدأ في

وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد. وإباء القلوب مخالفة ما فيها من الأضغان لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل {وأكثرهم فاسقون {متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجز أحدوثة السوء. {اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون {. {اشتروا {استبدلوا {بآيات الله {بالقرآن والإسلام {ثمناً قليلاً {وهو اتباع الأهواء والشهوات {فصدوا عن سبيله {فعدلوا عنه أو صرفوا غيرهم. وقيل: هم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم {هم المعتدون {المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة. {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون {. {فإن تابوا {عن الكفر ونقض العهد {فإخوانكم في الدين {فهم إخوانكم على حذف المبتدأ كقوله تعالى: {فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم {الأحزاب: 5 {ونفصل الآيات {ونبينها. وهذا اعتراض كأنه قيل: وإن من تأمل تفصيلها فهو العالم بعثاً وتحريضاً على تأمل ما فصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها. {وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون {. {وطعنوا في دينكم {وثلبوه وعابوه {فقاتلوا أئمة الكفر {فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم: إشعاراً بأنهم إذا نكثوا في حال الشرك تمرداً وطغياناً وطرحاً لعادات الكرام الأوفياء من العرب ثم آمنوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا إخواناً للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الإسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم أئمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم. وقالوا: إذا طعن الذمي في دين الإسلام طعناً ظاهراً جاز قتله لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة {إنهم لا أيمان لهم {جمع يمين: وقرئ: لا إيمان لهم أي لا إسلام لهم أو لا يعطون الأمان بعد الردة والنكث ولا سبيل إليه فإن قلت: كيف أثبت لهم الإيمان في قوله: {فإن نكثوا أيمانهم {ثم نفاها عنهم قلت: أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا إيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست بأيمان. وبه استشهد أبو حنيفة رحمه اللّه على أن يمين الكافر لا تكون يميناً. وعند الشافعي رحمه الله: يمينهم يمين. وقال: معناه أنهم لا يوفون بها بدليل أنه وصفها بالنكث {لعلهم ينتهون {متعلق بقوله {فقاتلوا أئمة الكفر {أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم أن تكون المقاتلة سبباً في انتهائهم عما هم عليه. وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد. فإن قلت: كيف لفظ أئمة قلت: همزة بعدها همزة بين بين أي: بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وإن لم تكن بمقبولة عند البصريين. وأما التصريح بالياء فليس بقراءة. ولا يجوز أن تكون قراءة. ومن صرح بها فهو لاحن محرف. {ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانكم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم والله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين {. {ألا تقاتلون {دخلت الهمزة على {لا تقاتلون {تقريراً بانتفاء المقاتلة. ومعناه: الحض عليها على سبيل المبالغة {نكثوا أيمانكم {التي حلفوها في المعاهدة {وهموا بإخراج الرسول {من مكة حين تشاوروا في أمره بدار الندوة حتى أذن الله تعالى له في الهجرة فخرج بنفسه {وهم بدءوكم أول مرة {أي: وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولاً بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادءون بالقتال والبادئ أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم بمثله وأن تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها. ويقرر أن من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بأن لا تترك مصادمته وأن يوبخ من فرط فيها {أتخشونهم {تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها {والله أحق أن تخشوه {فتقاتلوا أعداءه {إن كنتم مؤمنين {يعني أن قضية الإيمان الصحيح أن لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى: {ولا يخشون أحداً إلا اللّه

الأحزاب: 39. {قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم {. ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الأمر به فقال: {قاتلوهم {ووعدهم ليثبت قلوبهم وبصحح نياتهم أنه يعذبهم بأيديهم قتلاً ويخزيهم أسراً ويوليهم النصر والغلبة عليهم {وَيَشفِ صدُور {طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنه: هم بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فأسلموا فلقوا من أهلها أذى شديداً فبعثوا إلى لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم يشكون إليه فقال: أبشروا فإن الفرج قريب {ويذهب غيظ {قلوبكم لما لقيتم منهم من مكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلاً على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته {ويتوب الله على من يشاء {ابتداء كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضاً فقد أسلم ناس منهم وحسن إسلامهم وقرئ: ويتوب بالنصب بإضمار أن ودخول التوبة في جملة ما أجيب به الأمر من طريق المعنى {والله عليم {يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان {حكيم {لا يفعل إلا ما اقتضته الحكمة. {أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون {. {أم {منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان. والمعنى: أنكم لا تتركون على ما أنتم عليه حتى يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل اللّه لوجه الله ولم يتخذوا وليجة أي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضوان اللّه عليهم {وَلَمَّا {معناها التوقع وقد دلت على أن تبين ذلك وإيضاحه متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم للّه يميز بينهم وبين المخلصين. وقوله: {لم يتخذوا {معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كأنه قيل: ولما يعلم الله المجاهدين منكم المخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله. والوليجة: فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل. والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل. ما علم الله مني ما قيل في يريد: ما وجد ذلك مني. {ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون {. {ما كان للمشركين {ما صح لهم وما استقام {أن يعمروا مساجد الله {يعني المسجد الحرام لقوله: {وعمارة المسجد الحرام {وأما القراءة بالجمع ففيها وجهان أحدهما: أن يراد المسجد الحرام وإنما قيل مساجد لأنه قبلة المساجد كلها وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد. والثاني: أن يراد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لأن طريقته طريقة الكناية كما لو قلت: فلان لا يقرأ كتب الله كنت أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك. و {شاهدين {حال من الواو في {يعمروا {والمعنى: ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين: عمارة متعبدات الله مع الكفر باللّه وبعبادته. ومعنى شهادتهم على أنفسهم بالكفر: ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون: لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا بها شوطاً سجدوا لها. وقيل: هو قولهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. وقيل: قد أقبل المهاجرون والأنصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك فطفق علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول. فقال العباس: تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا. فقال: أو لكم محاسن قالوا: نعم ونحن أفضل منكم أجراً. إنا لنعمر المسجد الحرام. ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت {حبطت أعمالهم {التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة. وإذا هدم الكفر أو الكبيرة الأعمال الثابتة الصحيحة إذا تعقبها فما ظنك بالمقارن. وإلى ذلك أشار في قوله: {شاَهِدِينَ {حيث جعله حالاً عنهم ودل على أنهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم. {إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين {.

{إنما يعمر مساجد الله {وقرئ بالتوحيد: أي: إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتداً بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلاً عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم: {يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقاً ذكرهم الدنيا وحب {الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش {وقال عليه الصلاة السلام: {قال الله تعالى: إن بيوتي في أرضي المساجد وإن زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه عليه الصلاة والسلام: {من ألف المسجد ألفه الله وقال عليه الصلاة والسلام: {إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان {وعن أنس رضي الله عنه: من أسرج في مسجد سراجاً لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه. فإن قلت: هلا ذكر الإيمان برسول اللّه صلى الله عليه وسلم قلت: لما علم وشهر أن الإيمان باللّه تعالى قرينته الإيمان بالرسول عليه الصلاة السلام لاشتمال كلمة الشهادة والأذان والإقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الإيمان باللّه تعالى الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام. وقيل: دل عليه بذكر إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فإن قلت: كيف قيل: {ولم يخش إلا الله {والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها قلت: هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا اللّه غيره لتوقع مخوف وإذا اعترضه أمران: أحدهما حق اللّه والآخر حق نفسه أن يخاف اللّه فيؤثر حق اللّه على حق نفسه. وقيل: كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفي تلك الخشية عنهم {فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين {تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم من الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بأن الذين آمنوا وضموا إلى إيمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى. وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار باللّه تعالى. {أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين {. السقاية والعمارة: مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية. ولا بد من مضاف محذوف تقديره {أجعلتم {أهل {سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله {تصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوي بينهم. وجعل تسويتهم ظلماً بعد ظلمهم بالكفر. وروي أن المشركين قالوا لليهود: نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود: أنتم أفضل. وقيل: إن علياً رضي الله عنه قال للعباس: يا عم ألا تهاجرون ألا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: ألست في أفضل من الهجرة: أسقي حافي بيت اللّه وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس: ما أراني إلا تارك سقايتنا. فقال عليه الصلاة والسلام: {أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيراً {. {الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم {. هم {أعظم درجة عند الله {من أهل السقاية والعمارة عندكم {وأولئك هم الفائزون {لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم وقرئ: يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف. وعن ابن عباس رضي الله عنه: هي في المهاجرين خاصة. {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم ولا إخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال أقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين {. وكان قبل فتح مكة من آمن لم يتم إيمانه إلا بأن

يهاجر ويصارم أقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم. فقالوا: يا رسول الله: إن نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت أموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه أو أبوه أو أخوه أو بعض أقاربه فلا يلتفت إليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك. وقيل: نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله تعالى عن موالاتهم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: {لا يطعم أحدكم طعم الإيمان حتى يحب في الله ويبغض في الله: حتى يحب في اللّه أبعد الناس ويبغض في اللّه أقرب الناس إليه. وقرئ: عشيرتكم وعشيراتكم. وقرأ الحسن: وعشائركم {فتربصوا حتى يأتي الله بأمره {وعبيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن هي عقوبة عاجلة أو آجلة. وهذه آية شديدة لا ترى أشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف أورع الناس وأتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله والثبات على دين اللّه ما يستحب له دينه على الآباء والأبناء والإخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لأجله أم يزوي اللّه عنه أحقر شيء منها بمصلحته فلا يدري أي طرفيه أطول ويغويه الشيطان عن أجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على أنفه ذباب فطيره. {لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم }. مواطن الحرب: مقاماتها ومواقفها قال: وكم موطن لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قلة النيق منهوي وامتناعه من الصرف لأنه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة: وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة. فإن قلت: كيف عطف الزمان والمكان وهو {يوم حنين {على المواطن قلت: معناه وموطن يوم حنين. أو في أيام مواطن كثيرة ويوم حنين. ويجوز أن يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على أن الواجب أن يكون يوم حنين منصوباً بفعل مضمر لا بهذا الظاهر. وموجب ذلك أن قوله: {إذ أعجبتكم {بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لأن كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيراً في جميعها فبقي أن يكون ناصبه فعلاً خاصاً به إلا إذا نصبت إذ بإضمار اذكر وحنين: واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفاً الذين حضروا فتح مكة منضماً إليهم ألفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فيمن ضاقهم من إمداد سائر العرب فكان الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين: لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل: أبو بكر رضي اللّه عنه وذلك قوله: {إذ أعجبتكم كثرتكم {فاقتتلوا قتالاً شديداً وأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن اللّه هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه إلا عمه العباس رضي الله تعالى عنه آخذ بلجام دابته وأبو سفيان بن الحرث ابن عمه وناهيك بهذه الوحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جأشه صلى الله عليه وسلم وما هي إلا من آيات النبوة وقال: يا ربي ائتني بما وعدتني. وقال صلى الله عليه وسلم للعباس وكان صيتاً: صيح بالناس فنادى الأنصار فخذاً فخذاً ثم نادى: يا أصحاب الشجرة يا أصحاب البقرة فكزوا عنقاً واحداً وهم يقولون: لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قتال المسلمين فقال: هذا حين حمي الوطيس ثم أخذ كفاً من تراب فرماهم به ثم قال: انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس: لكأني أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض. خلفهم على بغلته {بما رَحُبَت {ما مصدرية والباء بمعنى مع أي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور في موضع الحال كقولك: دخلت عليه بثياب السفر أي ملتبساً بها لم أحلها تعني مع ثياب السفر. والمعنى: لا تجدون موضعاً تستصلحونه لهربكم إليه ونجاتكم لفرط الرعب فكأنها ضاقت عليكم {ثم وليتم مدبرين {ثم انهزمتم {سكينته {رحمته

التي سكنوا بها وآمنوا {وعلى المؤمنين {الذين انهزموا. وقيل: هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب {وأَنزَلَ جُنوداً {يعني الملائكة. وكانوا ثمانية آلاف وقيل: خمسة آلاف وقيل: ستة عشر ألفاً {وعذب الذين كفروا {بالقتل والأسر وسبي النساء والذراري {ثم يتوب الله {أي يسلم بعد ذلك ناس منهم. وروي: أن ناساً منهم جاءوا فبايعوا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على الإسلام وقالوا: يا رسول الله أنت خير الناس وأبر الناس وقد سبي أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا. قيل: سبي يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الأبل والغنم ما لا يحصى فقال: إن عندي ما ترون إن خير القول أصدقه اختاروا: إما ذراريكم ونساءكم وإما أموالكم. قالوا: ما كنا نعدل بالأحساب شيئاً فقام رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فقال: {إن هؤلاء جاءوا مسلمين {وإنا خيرناهم بين الذراري والأموال فلم يعدلوا بالأحساب شيئاً فمن كان بيده شيء طابت نفسه أن يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضاً علينا حتى نصيب شيئاً فنعطيه مكانه. قالوا: رضينا وسلمنا فقال: إني لا أدري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك إلينا فرفعت إليه العرفاء أن قد رضوا. {يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون رجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء إن الله عليم حكيم {. النجس: مصدر يقال: نجس نجساً قذر قذراً. ومعناه ذوو نجس لأن معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم. أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها. وعن ابن عباس رضي الله عنه: أعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير. وعن الحسن: من صافح مشركاً توضأ. وأهل المذاهب على خلاف هذين القولين. وقرئ: نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل: إنما المشركون جنس نجس أو ضرب نجس وأكثر ما جاء تابعاً لرجس وهو تخفيف نجس نحو: كبد في كبد {فلا يقربوا المسجد الحرام {فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية {بعد عامهم هذا {بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين أمر أبو بكر على الموسم وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه ويدل عليه قول علي كرم الله وجهه حين نادى ببراءة: ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم. وعند الشافعي: يمنعون من المسجد الحرام خاصة. وعند مالك: يمنعون منه ومن غيره من المساجد. وعن عطاء رضي اللّه عنه أن المراد بالمسجد الحرام: الحرم وأن على المسلمين أن لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين أن يقربوه راجع إلى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل: المراد أن يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحة ويعزلوا عن ذلك {وإن خفتم عيلة {أي فقراً بسبب منع المشركين من الحج ومما كان لكم في قدومهم عليكم من الأرفاق والمكاسب {فسوف يغنيكم الله من فضله {من عطائه أو من تفضله بوجه آخر فأرسل السماء عليهم مدراراً فأغزر بها خيرهم وأكثر يرهم وأسلم أهل تبالة وجرش فحملوا إلى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك أعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته. وعن ابن عباس رضي الله عنه: ألقى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال: من أين تأكلون فأمرهم اللّه بقتال أهل الكتاب وأغناهم بالجزية. وقيل: بفتح البلاد والغنائم. وقرئ: عائلة بمعنى المصدر كالعافية أو حالاً عائلة. ومعنى قوله: {إن شاء {الله. إن أوجبت الحكمة إغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم {إن الله عليم {بأحوالكم {حكيم {لا يعطي ولا يمنع إلا عن حكمة وصواب. {قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين {من الذين أوتوا الكتب {بيان للذين مع ما في حيزه. نفى عنهم الإيمان بالله لأن اليهود مثنية والنصارى مثلثة. وإيمانهم باليوم الآخر لأنهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لأنهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة. وعن أبي روق: لا يعملون بما في التوراة والإنجيل وأن يدينوا دين الحق وأن يعتقدوا دين الإسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل. وقيل: دين الله يقال: فلان يدين بكذا إذا اتخذه دينه ومعتقده. سميت جزية لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه أو لأنهم يجزون بها من من عليهم بالإعفاء عن القتل {عن يد {إما أن يراد يد المعطي أو الآخذ فمعناه على إرادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد: أي عن يد

مؤاتية غير ممتنعة لأن من أبى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا: أعطى بيده. إذا انقاد وأصب. ألا ترى إلى قولهم: نزع يده عن الطاعة كما يقال: خلع ربقة الطاعة عن عنقه أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقداً غير نسيئة لا مبعوثاً على يد أحد. ولكن عن يد المعطي إلى يد الآخذ وأما على إرادة يد الأخذ فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أو عن إنعام عليهم. لأن قبول الجزية منهم وترك أرواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم {وهم صاغرون {أي تؤخذ منهم على الصغار والذل. وهو أن يأتي بها بنفسه ماشياً غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وأن يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له: أد الجزية وإن كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالإسلام عند أبي حنيفة ولا يسقط به خراج الأرض. واختلف فيمن تضرب عليه فعند أبي حنيفة: تضرب على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي إلا على مشركي العرب وحدهم. روى الزهري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان من العرب وقال لأهل مكة: وهل لكم في كلمة إذا قلتموها دانت لكم بها العرب وأدت إليكم العجم الجزية وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم. والمأخوذ عند أبي حنيفة في أول سنة من الفقير الذي له كسب: اثنا عشر درهماً. ومن المتوسط في الغني: ضعفها ومن المكثر: ضعف الضعف ثمانية وأربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له. وعند الشافعي: يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيراً كان أو غنياً كان له كسب أو لم يكن.

{وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلكم قولهم بأفواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون {. {عزيز ابن الله {مبتدأ وخبر كقوله: المسيح ابن اللّه وعزير: اسم أعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه: امتنع صرفه. ومن نون فقد جعله عربياً. وأما قول من قال: سقوط التنوين للالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ: أحد الله أو لأن الابن وقع وصفاً والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس رضي الله عنه: جاء رسول اللّه صلى الله عليه وسلم سلامُ بنِ مشكم ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك. وقيل: قالَه فنحاص. وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض فأتاه جبريل عليه السلام فقال له: إلى أين تذهب قال: أطلب العلم فحفظه التوراة. فأملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفاً فقالوا ما جمع اللّه التوراة في صدره وهو غلام إلا لأنه ابنه. والدليل على أنْ هذا القول كان فيهم: أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب. فإن قلت: كل قول يقال بالفم فما معنى قوله: {ذلكم قولهم بأفواههم {قلت: فيه وجهان: أحدهما: أن يراد أنه قول لا يعضده برهان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالألفاظ المهملة التي هي أجراس ونغم لا تدل على معان. وذلك أن القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب. وما لا معنى له مقول بالفم لا غير. والثاني: أن يراد بالقول المذهب كقولهم: قول أبي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كأنه قيل: ذلك مذهبهم ودينهم بأفواههم لا بقلوبهم لأنه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك أنهم إذا اعترفوا أنه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد {يضاهون {لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعاً. والمعنى: أن الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث. أو يضاهي قول المشركين: الملائكة بنات الله تعالى الله عنه. وقيل: الضمير للنصارى أي يضاهي قولهم: المسيح ابن الله قول اليهود: عزير ابن الله لأنهم أقدم منهم. وقرئ: يضاهؤن بالهمز من قولهم: امرأة ضهيأ على فعيل: وهي التي ضاهأت الرجال في أنها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في عرقئ {قاتلهم الله {أي هم أحقاء بأن يقال لهم هذا تعجباً من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء: قاتلهم الله ما أعجب فعلهم {أنى يؤفكون {كيف يصرفون عن الحق. {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا

ليعبدوا إلاهاً واحد لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون {. اتخاذهم أرباباً: أنهم أطاعوهم في الأمر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حقله كما تطاع الأرباب في أوامرهم.
ونحوه تسمية أتباع الشيطان فيما يوسوس به: عباده بل كانوا يعبدون الجن {يا أبت لا تعبد الشيطان {مريم: 44 وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه: انتهيت إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال: {أليسوا يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه الله فتحلونه {قلت: بلى. قال: {فتلك عبادتهم {وعن فضيل رضي اللّه عنه. ما أبالي أطعت مخلوقاً في معصية الخالق أو صليت لغير القبلة. وأما المسيح فحين جعلوه ابناً للّه فقد أهلوه للعبادة. ألا ترى إلى قوله: {قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين {الزخرف: 81. {وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً {أمرتهم بذلك أدلة العقل والنصوص في الإنجيل والمسيح عليه السلام: أنه من يشرك باللّه فقد حرم الله عليه الجنة {سبحانه {تنزيه له عن الإشراك به واستبعاد له. ويجوز أن يكون الضمير في {وما أمروا {للمتخذين أرباباً أي: وما أمر هؤلاء الذين هم عندهم أرباب إلا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح أن يكونوا أرباباً وهم مأمورون مستعبدون مثلهم. {يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون {. مثل حالهم في طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد صلى اللّه عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد اللّه أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى في الإشراق أو الإضاءة. ليطفئه بنفخة ويطمسه {ليظهره {ليظهر الرسول عليه السلام {على الدين كله {على أهل الأديان كلهم. أو ليظهر دين الحق على كل دين. فإن قلت: كيف جاز أبى اللّه إلا كذا ولا يقال: كرهت أو أبغضت إلا زيداً قلت: قد أجرى أبى مجرى لم يرد ألا ترى كيف قوبل {يريدون أن يطفئوا {بقوله: {يأبى الله {وكيف أوقع موقع ولا يريد الله إلا أن يتم نوره. {يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلوا أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة لا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنتم يكنزون لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون {. معنى أكل الأموال على وجهين: إما أن يستعار الأكل للأخذ. ألا ترى إلى قولهم: أخذ الطعام وتناوله. وإما على أن الأحوال يؤكل بها فهي سبب الأكل. ومنه قوله: أن لنا أحمرة عجافاً يأكلن كل ليلة إكافاً يريد: علفاً يشترى بثمن إكاف. ومعنى أكلهم بالباطل: أنهم كانوا يأخذون الرشا في الأحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع {والذين يكنزون {يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم: أخذ البراطيل وكنز الأموال والضن بها عن الإنفاق في سبيل الخير. ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظاً ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله: سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم. وقيل: نسخت الزكاة آية الكنز. وقيل: هي ثابتة وإنما عني بترك الإنفاق في سبيل الله منع الزكاة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: {ما أدى زكاته فليس بكنز وإن كان باطناً وما بلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهراً {وعن عمر رضي اللّه عنه أن رجلاً سأله عن أرض له باعها فقال: أحرز ممالك الذي أخذت احفر له تحت فراش امرأتك. قال: أليس بكنز قال: ما أدى زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر رضي اللّه عنهما: كل ما أديت زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين وما لم يؤد زكاته فهو الذي ذكر الله تعالى وإن كان على ظهر الأرض فإن قلت: فما تصنع بما روى سالم بن أبي الجعد رضي الله عنهم أنها لما نزلت قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: {تباً للذهب تباً للفضة {قالها ثلاثاً. فقالوا له: أي مال نتخذ قال: {لساناً ذاكراً وقلباً خاشعاً وزوجة تعين أحدكم على دينه {وبقوله عليه الصلاة والسلام: {من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها {. وتوفي رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال: كيتان قلت: كان هذا قبل أن تفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالاً من حيث أذن له فيه ويؤدي عنه

ما أوجب عليه فيه ثم يعاقبه. ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وعبيد الله رضي الله عنهم يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وما عابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الإعراض اختيار للأفضل وإلا دخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد. وما روي عن علي رضي الله عنه: أربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز. كلام في الأفضل. فإن قلت: لم قيل: ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان قلت: ذهاباً بالضمير إلى المعنى دون اللفظ: لأن كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا }وقيل: ذهب به إلى الكنوز وقيل: إلى الأموال. وقيل: معناه ولا ينفقونها والذهب كما أن معنى قوله: فإني وقيار بها لغريب وقيار كذلك. فإن قلت: لم خصا بالذكر من بين سائر الأموال قلت: لأنهما قانون التمول وأثمان الأشياء ولا يكنزهما إلا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر أجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلاً على ما سواهما فإن قلت: ما معنى قوله: {يحمى

عليها }وهلا قيل: تحمى من قولك: حمى الميم وأحميته ولا تقول: أحميت على الحديد قلت: معناه أن النار تحمى عليها أي توقد ذات حمى وحر شديد من قوله: {نار حامية }القارعة: 11 ولو قيل: يوم تحمى لم يعط هذا المعنى. فإن قلت: فإذا كان الإحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت: لأنه مسند إلى الجار والمجرور أصله: يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل: يحمى عليها لانتقال الإسناد عن النار إلى عليها كما تقول: رفعت القصة إلى الأمير فإن لم تذكر القصة قلت: رفع إلى الأمير وعن ابن عامر أنه قرأ: تحمى بالتاء. وقرأ أبو حيوة: فيكوى بالياء. فإن قلت: لم خصت هذه الأعضاء قلت: لأنهم لم يطلبوا بأموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل الله إلا الأغراضَ الدنيوية ومن وجاهة عند الناس وتقدم وأن يكون ماء وجوههم مصوناً عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالإكرام ويبجلون ويحتشمون ومن أكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى أغنياء زمانك هذه أغراضهم وطلباتهم من أموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ذهب أهل الدثور بالأجور }وقيل: لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا لماذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم. وقيل: معناه يكون على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم {هذا ما كنزتم {على إرادة القول. وقوله: {لأنفسكم {أي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الأغراض التي حامت حولها وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم {فذوقوا ما كنتم تكنزون {. وقرئ: تكنزون بضم النون أي وبال المال الذي كنتم تكنزونه أو وبال كونكم كانزين. {إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيه أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين {. {في كتاب الله {فيما أثبته وأوجبه من حكمه ورآه حكمة وصواباً. وقيل في اللوح: {أربعة حرم {ثلاثة سرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب. ومنه قوله عليه السلام في خطبته في حجة الوداع: {ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض {. والسنة اثنا عشر شهراً: منها أربعة حرم ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم. ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان. والمعنى: رجعت الأشهر إلى كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسئ الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكان حجة أبي بكر رضي الله عنه قبلها في ذي القعدة {ذلكم الدين القيم {يعني أن تحريم الأشهر الأربعة هو الدين المستقيم دين إبراهيم وإسماعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الأشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل أبيه أو أخيه لم يهجه وسموا رجباً: الأصم ومنصل الأسنة حتى أحدثت النسئ فغيروا {فلا تظلموا فيهن {في الحرم }أنفسكم {أي لا تجعلوا حرامها حلالاً. وعن عطاء: تالله ما يحل للناس أن يغزوا في الحرم ولا في الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني رضي الله

عنه: أحقت القتال في الأشهر الحرم براءة من اللّه ورسوله. وقيل: معناه لا تأتموا فيهن بياناً لعظم حرمتهن كما عظم أشهر الحج بقوله تعالى: {فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق {الآية البقرة: 197 وإن كان ذلك محرماً في سائر الشهور {كافة {حال من الفاعل أو المفعول {مع المتقين {ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصر لأهلها.

{إنما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا لحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين {. والنسئ: تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهر آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شق شهور العام أربعة أشهر وذلك قوله تعالى: {ليواطؤا عدة ما حرم الله {أي ليوافقوا العدة التي هي الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو أحد الواجبين. وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر أو أربعة عشر ليتسع لهم الوقت. ولذلك قال عز وعلا {إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً {التوبة: 36 يعني من غير زيادة زادوها. والضمير في: يحلونه ويحزمونه للنسئ. أي إذا أحلوا شهراً من الأشهر الحرم عاماً رجعوا فحرموه في العام المقبل وروي: أنه حدث ذلك في كنانة لأنهم كانوا فقراء محاويج إلى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعاً في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته: إن آلهتكم قد أحقت لكم المحرم فأحلوه ثم يقوم في القابل فيقول: إن آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه. جعل النسئ زيادة في الكفر لأن الكافر كلما أحدث معصية ازداد كفراً {فزادتهم رجساً إلى رجسهم {التوبة: 125 كما أن المؤمن إذا أحدث الطاعة ازداد إيماناً {فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون {التوبة: 124. وقرئ: {يُضِل {على البناء للمفعول ويَضَل بفتح الياء والضاد و يضَلُ على أن الفعل لله عز وجل. وقرأ الزهري: ليوطئوا بالتشديد. والنسئ مصدر نسأه إذا أخره. يقال نسأه ونسأ ونساء ونسيئاً كقولك: مسه مساً ومساساً ومسيساً. وقرئ بهن جميعاً. وقرئ: النسَى بوزن الندى. والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسئ والنسء. فإن قلت: ما معنى قوله: {فيحلون ما حرم الله {قلت: معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال أو من ترك الاختصاص للأشهر بعينها {زين لهم سوء أعمالهم {خذلهم اللّه فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة {وَالله لا يهدِي {أي لا يلطف بهم بل يخذلهم. وقرئ: {زين لهم سوء أعمالهم {على البناء للفاعل وهو اللّه عز وجل. {يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم في الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون {. {اثاقلتم {تثاقلتم. وبه قرأ الأعمش أي تباطأتم وتقاعستم. وضمن معنى الميل والإخلاد فعدي بإلى. والمعنى: ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه: {أخلد إلى الأرض واتبع هواه {الأعراف: 176 وقيل: ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم. وقرئ: {أثاقلتم {على الاستفهام الذي معناه الإنكار والتوبيخ. فإن قلت: فما العامل في {إذا {وحرف الاستفهام مانعة أن يعمل فيه قلت: ما دل عليه قوله: {اثاقلتم {أو ما في {مالكم {من معنى الفعل كأنه قيل: ما تصنعون إذا قيل لكم كما تعمله في الحال إذا قلت: مالك قائماً وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف. استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم. وقيل: ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة إلا ورى عنها بغيرها إلا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة {من الآخرة {أي بدل الآخرة كقوله: {لجعلنا منكم ملائكة {الزخرف: 60 {في الآخرة {في جنب الآخرة {إلا تنفروا {سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوماً

آخرين خيراً منهم وأطوع وأنه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئاً: وقيل: الضمير للرسول: أي ولا تضروه لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل: يريد بقوله: {قوماً غيركم }التوبة: 39 أهل اليمن. وقيل: أبناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص. فإن قلت: كيف يكون قوله: {فقد نصره الله {جواباً للشرط قلت: فيه وجهان أحدهما: إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد ولا أقل من الواحد فدل بقوله: {فقد نصره الله {على أنه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت. والثاني: أنه أوجب له النصرة وجعله منصوراً في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده. وأسند الإخراج إلى الكفار كما أسند إليهم في قوله: {من قريتك التي أخرجتك }محمد: 3 لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم أخرجوه {ثاني اثنين {أحد اثنين كقوله: {ثالث ثلاثة {وهما رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه. يروى: أن جبريل عليه السلام لما أمره بالخروج قال: من يخرج معي قال: أبو بكر وانتصابه على الحال. وقرئ: {ثاني اثنين {بالسكون و {إذ هُمَا {بدل من إذ أخرجه. والغار: ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمين مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثاً {إذ يقول {بدل ثان. وقيل: طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر رضي اللّه عنه على رسول اللّه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم فقال: إن تصب اليوم ذهب دين اللّه فقال عليه الصلاة والسلام: {ما ظنك باثنين الله ثالثهما {: وقيل: لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه. وقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: {اللهم أعم أبصارهم {: فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون. وقد أخذ الله بأبصارهم عنه. وقالوا: من أنكر صحبة أبي بكر رضي اللّه عنه فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة {سكينته {ما ألقى في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه والجنود الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين. وكلمة الذين كفروا: دعوتهم إلى الكفر {وكلمة الله {دعوته إلى الإسلام. وقرئ: كلمة الله بالنصب والرفع أوجه و {هي {فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة اللّه في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم {خِفَافَاً وثقالا {خفافاً في النفور لنشاطكم له وثقالاً عنه لمشقته عليكم أو خفافاً لقلة عيالكم وأذيالكم وثقالاً لكثرتها. أو خفافاً من السلاح وثقالاً منه. أو ركباناً ومشاة. أو شباباً وشيوخاً. أو مهازيل وسماناً. أو صحاحاً ومراضاً. وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم: أعلي أن أنفر قال: نعم حتى نزل قوله: {ليس على الأعمى حرج }النور: 61 وعن ابن عباس: نسخت بقوله: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى }التوبة: 91 وعن صفوان بن عمرو: كنت والياً على حمص فلقيت شيخاً كبيراً قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو. فقلت: يا عم لقد أعذر اللّه إليك فرفع حاجبيه وقال: يا ابن أخي استنفرنا الله خفافاً وثقالاً إلا أنه من يحبه الله يبتله. وعن الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له: إنك عليل صاحب ضرر فقال: استنفرنا اللّه الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع {وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم {إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة. {لو كان عرضاً قريباً أو سفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون }. العرض: ما عرض لك من منافع الدنيا. يقال: الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان ما دعوا إليه غنماً قريباً سهل المنال {سفراً قاصداً {وسطاً مقارباً {الشُقَةُ {المسافة الشاقة. وقرأ عيسى بن عمر: {بعدت عليهم الشقة {بكسر العين والشين ومنه قوله: يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد إلا ما تواري الصفائح {بالله {متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم. والقول مراد في الوجهين أي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله {لو استطعنا لخرجنا معكم {أو سيحلفون بالله ويقولون: لو استطعنا وقوله: {لخرجنا {سد مسد جوابي القسم ولو جميعاً والإخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم. وقد كان من جملة المعجزات. ومعنى الاستطاعة: استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا. وقرئ: {لو استطعنا {بضم الواو

تشبيهاً لها بواو الجمع في قوله: {فتمنوا الموت }البقرة: 94. {يهلكون أنفسهم {إما أن يكون بدلاً من سيحلفون أو حالاً بمعنى مهلكين. والمعنى: أنهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف. ويحتمل أن يكون حالاً من قوله: {لخرجنا {أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة. وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم. ألا ترى أنه لو قيل: سيحلفون باللّه لو استطاعوا لخرجوا لكان سديداً يقال: حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على حكم الإخبار والتكلم على الحكاية. {عَفَا الله عَنك لِمَ أذنتَ لَهُم حَتَّى يَتَبَيَنَ لكَ الذين صدقوا وتعلم الكاذبين {. {عَفَا الله عَنك {كناية عن الجناية لأن العفو رادف لها. ومعناه: أخطأت وبئس ما فعلت. و {لِمَ أذنتَ لَهُم {بيان لما كنى عنه بالعفو. ومعناه: مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن {حَتَّى يَتَبَيَنَ لك {من صدق في عذره ممن كذب فيه. وقيل: شيئان فعلهما رسول اللّه ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين وأخذه من الأسارى فعاتبه الله تعالى. {لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين {. {لا يستئذنك {ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والأنصار يقولون: لا نستأذن النبي أبداً ولنجاهدن أبداً معه بأموالنا وأنفسنا. ومعنى {أن يجاهدوا {في أن يجاهدوا أو كراهة أن يجاهدوا {والله عليم بالمتقين {شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب. {إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله أنبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون {. {إنما يستأذنك {يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلاً {يترددون {عبارة عن التحير لأن التردد دين المتحير كما أن الثبات والاستقرار دين المستبصر. وقرئ: عدة بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدوة من قال: وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا من حذف تاء التأنيث وتعويض المضاف إليه منها. وقرئ: عِدة بكسر العين بغير إضافة وعدة بإضافة. فإن قلت: كيف موقع حرف الاستدراك قلت: لما كان قوله: {ولو أرادوا الخروج {معطياً معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو. قيل: {ولكن كره الله أنبعاثهم {كأنه قيل: ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول: ما أحسن إلي زيد ولكن أساء إلي {فثبطهم {فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث {وقيل اقعدوا {جعل إلقاء الله في قلوبهم كراهة الخروج أمراً بالقعود. وقيل: هو قول الشيطان بالوسوسة. وقيل: هو قولهم لأنفسهم. وقيل: هو إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود. فإن قلت: كيف جاز أن يوقع اللّه تعالى في نفوسهم كراهة الخروج إلى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن إلهام القبيح قلت: خروجهم كان مفسدة لقوله: {لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً {فكان إيقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسناً ومصلحة. فإن قلت: فلم خطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإذن لهم فيما هو مصلحة قلت: لأن إذن رسول الله صلي الله عليه وسلم لهم لم يكن للنظر في هذه المصلحة ولا علمها إلا بعد القفول بإعلام اللّه تعالى ولكن لأنهم استأذنوه في ذلك واعتذروا إليه فكان عليه أن يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم أتاه العتاب ويجوز أن يكون في ترك رسول الله بمر الإذن لهم مع تثبيط اللّه إياهم مصلحة أخرى فبإذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك أنهم إذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير إذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة. ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك أستارهم وكشف أسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر. فإن قلت: ما معنى قوله: {مع القاعدين {قلت: هو ذم لهم وتعجيز وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى: {رضوا بأن يكونوا مع الخوالف }التوبة: 87 93. {إلا خبالاً {ليس من الاستثناء المنقطع في شيء كما يقولون لأن الاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك: ما زادوكم خيراً إلا خبالاً والمستثنى منه في هذا

الكلام غير مذكور وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء فكان استثناء متصلاً لأن الخبال بعض أعم العام كأن قيل ما زادوكم شيئاً إلا خبالاً والخبال الفساد والشر {ولأوضعوا خلالكم {ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين. يقال: وضع البعير وضعاً إذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى: ولأوضع ركائبهم بينكم والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي. وقرأ ابن الزبير رضي الله عنه: {ولأرقصوا {من رقصت الناقة رقصاً إذا أسرعت وأرقصتها قال: والراقصات إلى منى فالغبغب وقرئ: ولأوفضوا فإن قلت: كيف خط في المصحف: ولا أوضعوا بزيادة ألف قلت: كانت الفتحة تكتب ألفاً قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قريباً من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفاً وفتحتها ألفاً أخرى ونحوه: أو لا أذبحنه. {يبغونكم الفتنة {يحاولون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم {وفيكم سماعون لهم {أي نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم. أو فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم {لقد ابتغوا الفتنة أي العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق أصحابك عنك كما فعل عبد الله بن أبي يوم أحد حين انصرف بمن معه. وعن ابن جريج رضي اللّه عنه: وقفوا لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلاً ليفتكوا به {من قبل {من قبل غزوة تبوك {وقلبوا لك الأمور {ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في إبطال أمرك. وقرئ وقلبوا بالتخفيف {حتى جاء الحق {وهو تأييدك ونصرك {ظهر أمر الله {وغلب دينه وعلا شرعه. {ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني إلا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين {. {ائذن لي {في القعود {ولا تفتني {ولا توقعني في الفتنة وهي الإثم بأن لا تأذن لي فإني إن تخلفت بغير إذنك أثمت. وقيل: ولا تلقني في الهلكة فإني إذا خرجت معك هلك مالي وعيالي. وقيل: قال الجد بن قيس: قد علمت الأنصار أني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الأصفر يعني نساء الروم ولكني أعينك بمال فاتركني. وقرئ: ولا تفتني من أفتنه {ألا في الفتنة سقطوا {أي إن الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف. وفي مصحف أبي رضي الله عنه: سقط لأن من موحد اللفظ جموع المعنى {لمحيطة بالكافرين {يعني أنها تحيط بهم يوم القيامة. أو هي محيطة بهم الآن لأن أسباب الإحاطة معهم فكأنهم في وسطها. {إن تصبك حسنة تسؤهم وإن تصبك مصيبة يقولون قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولون وهم فرحون {. {إن تصبك {في بعض الغزوات {حَسَنَة {ظفر وغنيمة {تسؤهم وإن تصبك مصيبة {نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى في يوم أحد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك و {يقولون قد أخذنا أمرنا {أي أمرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم {مِن قبل {من قبل ما وقع. وتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له إلى أهاليهم {وهم فرحون {مسرورون. وقيل: تولوا: أعرضوا عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم. {قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون {. قرأ ابن مسعود رضي الله عنه: قل هل يصيبنا. وقرأ طلحة رضي الله عنه: هل يصيبنا بتشديد الياء. ووجهه أن يكون يفعيل لا يفعل لأنه من بنات الواو كقولهم: الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب ألاّ ترى إلى قولهم: صوب رأيه إلا أن يكون من لغة من يقول: صاب السهم يصيب. ومن قوله: أسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله: {إلا ما كتب الله لنا {مفيدة فعنى الاختصاص كأنه قيل: لن يصيبنا إلا ما اختصنا الله به بإثباته وإيجابه من النصرة عليكم أو الشهادة. ألا ترى إلى قوله: {هو مولانا {أي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بأن الله إلى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم {وعلى الله فليتوكل المؤمنون {وحق المؤمنين أن لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم. {قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون {. {إلا إحدى الحسنين {إلا إحدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسن العواقب وهما النصرة والشهادة {ونحن نتربص بكم {إحدى السوأتين من العواقب إما {أن يصيبكم الله بعذاب من عنده {وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود {أو بعذاب {بأيدينا {وهو القتل على الكفر {فتربصوا {بنا ما ذكرنا من عواقبنا {إنا معكم

متربصون {ما هو عاقبتكم فلا بد أن يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه. {قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين {. {أنفقوا {يعني في سبيل الله ووجوه البر {طوعاً أو كرهاً {نصب على الحال أي طائعين أو مكرهين. فإن قلت: كيف أمرهم بالإنفاق ثم قال: {لن يتقبل منكم {قلت: هو أمر في معنى الخبر كقوله تبارك وتعالى: {قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً {مريم: 75 ومعناه: لن يتقبل منكم أنفقتم طوعاً أو كرهاً. ونحوه قوله تعالى: {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم {التوبة: 0 وقوله: أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة أي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت إلينا أم أحسنت. فإن قلت: متى يجوز نحو هذا قلت: إذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك: رحم الله زيداً وغفر له فإن قلت: لم فعل ذلك قلت: لنكتة فيه وهي أن كثيراً كأنه يقول لعزة: امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالإساءة. والإحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت أو محسنة وفي معناه قول القائل: أخُوكَ الذِي إن قُمتَ بِالسيفِ عَامِداً لتضرِبَهُ لَم يستفتك فِي الوُد وكذلك المعني: أنفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم أو لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافاً بين حال الاستغفار وتركه فإن قلت: ما الغرض في نفي التقبل أهو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه أم هو كونه غير مقبول عند الله تعالى ذاهباً هباء لا ثواب له قلت: يحتمل الأمرين جميعاً. وقوله: {طوعاً أو كرهاً {معناه منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقاً عليهم كالإكراه. أو طائعين من غير إكراه من رؤسائكم لأن رؤساء أهل النفاق كانوا يحملون على الإنفاق لما يرون من المصلحة فيه أو مكرهين من جهتهم. وروي: أنها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا مالي أعينك به فاتركني {إنكَم {تعليل لرد إنفاقهم. والمراد بالفسق: التمرد والعتو. {وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون {. {إنهم {فاعل منع. وهم وأن تقبل مفعولاه. وقرئ: {أن تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول. ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد. وقرأ السلمي: {أن يَقبل منهم نفقاتهم {على أن الفعل لله عز وجل {كسالى {بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في جمع سكران وغيران وكسلهم لأنهم لا يرجون بصلاتهم ثواباً ولا يخشون بتركها عقاباً فهي ثقيلة عليهم كقوله تعالى: {وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين {البقرة: 45 وقرأت في بعض الأخبار: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن أن يقول: كسلت. كأنه ذهب إلى هذه الآية فإن الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي أن يسنده المؤمن إلى نفسه. فإن قلت: الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله تعالى طائعين في قوله {طَوعاً {ثم وصفهم بأنهم لا ينفقون إلا وهم كارهون. قلت: المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غير إلزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من رؤسائهم وما طوعهم ذاك إلا عن كراهية واضطرار لا عن رغبة واختيار. {فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون {. الإعجاب بالشيء: أن يسر به سرور راض به متعجب من حسنه. والمعنى: فلا تستحسن ولا تفتتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله تعالى: {ولا تمدن عينيك {طه: 131 فإن الله تعالى إنما أعطاهم ما أعطاهم للعذاب بأن عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الإنفاق منه في أبواب الخير وهم كارهون له على رغم أنوفهم وأذاقهم أنواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية أولادهم. فإن قلت: إن صح تعليق التعذيب بإرادة الله تعالى فما بال زهوق أنفسهم {وهم كارهون {قلت: المراد الاستدراج بالنعم كقوله تعالى: {إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً {آل عمران: 178 كأنه قيل: ويريد أن يديم عليهم نعمته إلى أن يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة. {يحلفوا بالله إنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ أو مغارات أو {لمنكم {لمن جملة المسلمين {يفرقون {يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام تقية {ملجأ {مكاناً يلتجئون إليه متحصنين به من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة {أو مغارات {أو غيراناً. وقرئ بضم الميم من أغار الرجل وغار إذا دخل الغور. وقيل: هو تعدية غار الشيء وأغرته أنا

يعني: أمكنة يغيرون فيها أشخاصهم. ويجوز أن يكون من: أغار الثعلب إذا أسرع بمعنى مهارب ومفار {أو مدخلاً {أو نفقاً يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول. وقرئ مدخلاً من دخل ومدخلاً من أدخل: مكاناً يدخلون فيه أنفسهم. وقرأ أبي بن كعب رضي الله عنه: متدخلاً وقرئ: لو ألوا إليه لالتجؤا إليه {يجمحون {يسرعون إسراعاً لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذي إذا حمل لم يرده اللجام. وقرأ أنس رضي اللّه عنه: يجمزون. فسئل فقال: يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد. {ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون {. {يلمزك {يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك. قيل: هم المؤلفة قلوبهم. وقيل: هو ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال: اعدل يا رسول الله فقال صلوات الله عليه وسلامه: {ويلك إن لم أعدل فمن يعدل {وقيل: هو أبو الجواظ من المنافقين قال: ألا ترون إلى صاحبكم إنما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم أنه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {لا أبالك أما كان موسى راعياً أما كان داود راعياً {فلما ذهب قال عليه الصلاة والسلام {احذروا هذا وأصحابه فإنهم منافقون {. وقرئ: يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك. التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة في اللمز. ثم وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لأن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه. وإذا للمفاجأة: أي وإن لم يعطوا منها فاجؤا للسخط. {ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون {. جواب لو محذوف تقديره: لو أنهم رضوا لكان خيراً لهم. والمعنى: ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا: كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا اللّه غنيمة أخرى فيؤتينا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أكثر مما أتانا اليوم {إنا إلَى الله {في أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون. {إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم {. {إنما الصدقات للفقراء {قصر لجنس الصدقات على الأصناف المعدودة وأنها مختصة بها لا تتجاوزها إلى غيرها كأنه قيل: إنما هي لهم لا لغيرهم. ونحوه قولك: إنما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها وعليه مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه. وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضي اللّه عنهم أنهم قالوا: في أي صنف منها وضعتها أجزأك. وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه: لو نظرت إلى أهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان أحب إلي. وعند الشافعي رضي الله عنه لا بد من صرفها إلى الأصناف الثمانية وعن عكرمة رضي الله عنه أنها تفرق في الأصناف الثمانية. وعن الزهري أنه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الأصناف الثمانية {والعاملين عليها {السعاة الذين يقبضونها {والمؤلفة قلوبهم {أشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على أن يسلموا فيرضخ لهم شيئاً منها حين كان في المسلمين قلة. والرقاب: المكاتبون يعانون منها. وقيل: الأسارى. وقيل: تبتاع الرقاب فتعتق {والغارمين {الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب. وقيل: الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا {وفي سبيل الله {فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم {وابن السبيل {المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله {فريضة من الله {في معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم. وقرئ: فريضة بالرفع على: تلك فريضة. فإن قلت: لم عدل عن اللام إلى {في {في الأربعة الأخيرة قلت: للإيذان بأنهم أرسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأن {في {للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصباً وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة أو الرق أو الأسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والإنقاذ ولجمع الغازي الفقير أو المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الأهل والمال وتكرير {في {في

قوله: {وفي سبيل الله وابن السبيل {فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين. فإن قلت: فكيف وقعت هذه الآية في تضاعف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت: دل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسماً لأطماعهم وإشعاراً باستيجابهم الحرمان وأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها صلوات اللّه عليه وسلامه.

{ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين رحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم {. الأذن: الرجل الذي يصدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كأن جملته أذنٌ سامعة ونظيره قولهم للربيئة. عين. وإيذاؤهم له: هو قولهم فيه {هُوَ أُذُنٌ {. وأذن خير كقولك: رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل: نعم هو أذن ولكن نعم الأذن. ويجوز أن يريد: هو أذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمةٍ بالجر عطفاً عليه أي: هو أذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله. ثم فسر كونه أذن خير بأنه يصدق باللّه لما قام عنده من الأدلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار وهو رحمة لمن آمن منكم أي أظهر الإيمان أيها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما رأى اللّه من المصلحة في الإبقاء عليكم فهو أذن كما قلتم إلا أنه أذن خير لكم لا أذن سوء فسلم لهم قولهم فيه إلا أنه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة. وقيل: إن جماعة منهم ذموه صلوات اللّه عليه وسلامه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم: لا عليكم فإنما هو أذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فأذن ونحن نأتيه ونعتذر إليه فيسمع عذرنا أيضاً فيرضى فقيل: هو أذن خير لكم. وقرئ: أذن خير لكم على أن أذن خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك أي هو أذن هو خير لكم يعني إن كان كما تقولون فهو خير لكم لأنه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم. وقرأ نافع بتخفيف الذال. فإن قلت: لم عدي فعل الإيمان بالباء إلى اللّه تعالى وإلى المؤمنين باللام قلت: لأنه قصد التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام ألا ترى إلى قوله: {وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين {يوسف: 17 ما أنبأه عن الباء. ونحوه: {فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه {يونس: 83 {أنؤمن لك واتبعك الأرذلون {الشعراء 111 {آمنتم له قبل أن آذن لكم {طه: 71 فإن قلت: ما وجه قراءة ابن أبي عبلة: ورحمة بالنصب قلت: هي علة معللها محذوف تقديره: ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لأن قوله: {أذن خير لكم {يدلّ عليه. {يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين {. {لكم ليرضوكم {الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم: إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم اللّه ورسوله بالطاعة والوفاق. وإنما وحد الضمير لأنه لا تفاوت بين رضا اللّه ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فكانا في حكم مرضي واحد كقولك: إحسان زيد وإجماله نعشني وجبر مني. أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك. المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق {فإن له {على حذف الخبر أي: فحق أن له {نَارِ جَهَنَم {وقيل: معناه فله وأن: تكرير لأن في قوله: {إنه {تأكيداً ويجوز أن يكون {فأن له {معطوفاً على أنه على أن جواب {مَن {محذوف تقديره: ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله يهلك فأن له نار جهنم. وقرئ: {ألم تعلموا {بالتاء. {يحذر المنافقون أن أنزل عليهم سورة تنبؤهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون {. كانوا يستهزؤن بالإسلام وأهله وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم: واللّه لا أرانا إلا شر خلق الله لوددت أني قدمت فجلدت مائة جلدة وأن لا ينزل فينا شيء يفضحنا. والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين. وفي قلوبهم: للمنافقين. وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه. ويجوز أن

تكون الضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم. ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كأنها تقود لهم: في قلوبكم كيت وكيت يعني أنها تذيع أسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكأنها تخبرهم بها. وقيل: معنى يحذر: الأمر بالحذر أي ليحذر المنافقون. فإن قلت: الحذر واقع على إنزال السورة في قوله: {يحذر المنافقون أن أنزل عليهم سورة {فما معنى قوله: {مخرج ما تحذرون {قلت: معناه محصل {ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين {. بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا: انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك فقال: احبسوا علي الركب فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا فقالوا: يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولكن كنا في شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر: {أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون {لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود منهم حتى وبخوا بأخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته {لا تعتذروا {لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فإنها لا تنفعكم بعد ظهور سركم {قد كفرتم ظهر كفركم باستهزائكم {بعد إيمانكم {بعد إظهاركم الإيمان {إن نعف عن طائفة منكم {بإحداثهم التوبة وإخلاصهم الإيمان بعد النفاق {نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين {مصرين على النفاق غير تائبين منه. أو أن نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ولم يستهزئوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بأنهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين. وقرأ مجاهد: إن تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التأنيث والوجه التذكير: لأن المسند إليه الظرف كما تقول: سير بالدابة. ولا تقول: صيرت بالدابة ولكنه ذهب إلى المعنى كأنه قيل: إن ترحم طائفة فأنث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة: إن يعف عن طائفة بالتذكير. وتعذب طائفة بالتأنيث. وقرئ: إن يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل. {المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم {. {بعضهم من بعض {أريد به نفي أن يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم: {ويحلفون باللّه إنهم لمنكم {التوبة: 56 وتقرير قوله: {وما هم منكم {التوبة: 56 ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين {يأمرون بالمنكر {بالكفر والمعاصي {وينهون عن المعروف {عن الإيمان والطاعات {ويقبضون أيديهم {شحاً بالمبار والصدقات والإنفاق في سبيل اللّه {نسوا الله {أغفلوا ذكره {فنسيهم {فتركهم من رحمته وفضله {هم الفاسقون {هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجراً أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف اللّه به المنافقين حين بالغ في ذمهم وإذا كره رسول اللّه صلى الله عليه وسلم للمسلم أن يقول كسلت لأن المنافقين وصفوا بالكسل في قوله: {كسالى {النساء: 142 فما ظنك بالفسق {خالدين فيها {مقدرين الخلود {هي حسبهم {دلالة على عظم عذابها وإنه لا شيء أبلغ منه وأنه بحيث لا يزاد عليه نعوذ باللّه من سخطه وعذابه {ولعنهم الله {وأهانهم من التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم أهل الجنة وألحقهم بالملائكة المكرمين {ولهم عذاب مقيم {ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار. ويجوز أن يريد: ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفاً من المسلمين وما يحذرونه أبداً من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم. {كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقكم وخضتم كالذي خاضوا أولئك

حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون {. الكاف محلها رفع على: أنتم مثل الذين من قبلكم. أو نصب على: فعلتم ما فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا. ونحوه قول النمر: بإضمار لم أر وقوله: {كانوا أشد منكم قوة {تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلم بفعلهم. والخلاق: النصيب وهو ما خلق للإنسان أي قدر من خير كما قيل له قسمِ لأنه قسم ونصيب لأنه نصب أي أثبت. أو الخوض: الدخول في الباطل واللهو {كالذيِن خاضوا {كالفوج الذي خاضوا وكالخوض الذي خاضوه. فإن قلت: أي فائدة في قوله: {فاستمتعوا بخلاقهم {وقوله: {كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقكم {مغن عنه كما أغنى قوله: {كالذين خاضوا {عن أن يقال: وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا قلت: فائدته أن يذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الآخرة وأن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الرضى به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد أن تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول: أنت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله. و {وخضتم كالذي خاضوا {فمعطوف على ما قبله مستند إليه مستغن باستناده إليه عن تلك التقدمة {حبطت أعمالكم في الدنيا والآخرة {نقيض قوله: {وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين {العنكبوت: 27. {ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون {. {وأصحاب مدين {وأهل مدين وهم قوم شعيب {والمؤتفكات {مدائن قوم لوط. وقيل: قريات قوم لوط وهود وصالح. وائتفاكهن: انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر {فما كان الله ليظلمهم {فما صح منه أن يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وأن يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه. {والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله ذلك هو الفوز العظيم {. {بعضهم أولياء بعض {في مقابلة قوله في المنافقين: {بعضهم من بعض {. {سيرحمهم الله {السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك: سأنتقم منك يوماً تعني أنك لا تفوتني وإن تباطأ ذلك ونحوه {سيجعل لهم الرحمن وداً {مريم: 96 {ولسوف يعطيك ربك فترضى {الضحى: 5 {سوف يؤتيهم أجورهم {النساء: 152. {عَزيز {غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب {حكيم {واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق {ومساكن طيبة {عن الحسن: قصوراً من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد. و {عدن {علم بدليل قوله: {جنات عدن التي وعد الرحمن {مريم: 61 ويدل عليه ما روى أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: {عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة: النبيون والصديقون والشهداء. يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك {وقيل: هي مدينة في الجنة. وقيل: نهر جناته على حافاته {ورضوان من الله أكبر {وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة أكبر أصناف الثواب ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم وإنما تتهنأ له برضاه كما إذا علم بسخطته تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وإن عظمت. وسمعت بعض أولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول: لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي إلى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع إلى رضاه عني وأن أحشر في زمرة المهديين المرضيين عنده {ذلك {إشارةٍ إلى ما وعد الله أو إلى الرضوان: أي هو {الفوزُ العظيم {وحده دون ما يعده الناس فوزاً. وروي: أن الله عز وجل يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك قالوا: وأي شيء أفضل من ذلك {يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير {. {جاهد

الكفار {بالسيف {والمنافقين {بالحجة {وأغلظ عليهم {في الجهادين جميعاً ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها وعن ابن مسعود: إن لم يستطع بيده فبلسانه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه فإن لم يستطع فبقلبه. يريد الكراهة والبغضاء والتبرأ منه. وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على إقامة الحدود عليهم إذا تعاطوا أسبابها. {يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير {. أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد. فقال الجُلاَس: والله لئن كان ما يقول محمد حقاً لإخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا وأشرافنا فنحن شر من الحمير. فقال عامر بن قيس الأنصاري للجلاس: أجل والله إن محمداً لصادق وأنت شر بن الحمار. وبلغ ذلك رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال: اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزلت {يحلفون بالله ما قالوا {فقال الجلاس: يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة. والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته {وكفروا بعد إسلامهم {وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام {وهموا بما لم ينالوا {وهو الفتك برسول اللّه صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك: تواثق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل فأخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك إذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الإبل وبقعقعة السلاح فالتفت فإذا قوم متلثمون فقال: إليكم إليكم يا أعداء الله فهربوا. وقيل: هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس. وقيل: أرادوا أن يتوجوا عبد الله بن أبي وإن لم يرض رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم {ما نقموا {وما أنكروا وما عابوا {إلا أن أغناهم الله {وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر ألفاً فاستغنى {فإن يتوبوا {هي الآية التي تاب عندها الجلاس {في الدنيا والآخرة {بالقتل والنار. {ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون {. روى أن ثعلبة بن حاطب قال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً فقال صلى الله عليه وسلم: {يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه {فراجعه وقال: والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالاً لأعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنماً فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل وادياً وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل: كثر ماله حتى لا يسعه واد. قال: {يا ويح ثعلبة {فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال: ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية وقال: ارجعا حتى أرى رأي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكلماه: {يا ويح ثعلبة {مرتين فنزلت فجاءه ثعلبة بالصدقة فقال: {إن الله منعني أن أقبل منك {فجعل التراب على رأسه فقال: هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها إلى أبي بر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء إلى عمر رضي اللّه عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه. وقرئ: {لنصدقن ولنكونن {بالنون الخفيفة فيهما {مِنَ الصالحين {قال ابن عباس رضي الله عنه: يريد الحج {فأعقبهم {عن الحسن وقتادة رضي الله عنهما: أن الضمير للبخل. يعني: فأورثهم البخل {نفاقاً {متمكناً {في قلوبهم {لأنه كان سبباً فيه وداعياً إليه. والظاهر أن الضمير لله عز وجل. والمعنى: فخذلم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها إلى أن يموتوا بسبب إخلافهم ما وعدوا

الله من الصدق والصلاح وكونهم كاذبين. ومنه: جعل خلف الوعد ثلث النفاق. وقرئ: يكذبون بالتشديد وألم تعلموا بالتاء. عن علي رضي الله عنه. {ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب {. {سرهم ونجواهم {ما أسروه من النفاق والعزم على إخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها. {الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم {. {الذين يلمزون {محله النصب أو الرفع على الذم. ويجوز أن يكون في محل الجر بدلاً من الضمير في سرهم ونجواهم. وقرئ: يلمزون بالضم {المطوعين {المتطوعين المتبرعين. روي: ما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعين أوقية من ذهب. وقيل: بأربعة آلاف درهم وقال: كان لي ثمانية آلاف فأقرضت ربي أربعة وأمسكت أربعة لعيالي فقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك اللّه له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفاً وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الأنصاري رضي اللّه عنه بصاع من تمر فقال: بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعاً لعيالي وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا: ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلا رياء وإن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل ولكنه أحمت أن يذكر بنفسه ليعطي من الصدقات فنزلت {إلا جهدهم {إلا طاقتهم. قرئ بالفتح والضم {سخر الله منهم {كقوله: {الله يستهزئ بهم {البقرة: 15 في أنه دعاء. ألا ترى إلى قوله: {ولهم عذاب أليم {. {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين {. سأل عبد اللّه بن عبد اللّه بن أبي رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وكان رجلاً صالحاً أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {إن اللّه قد رخص لي فسأزيد على السبعين {فنزلت: {سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم {المنافقون: 6 وقد ذكرنا أن هذا الأمر في معنى الخبر كأنه قيل: لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وإن فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الأمر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن أبي طالب عليه السلام: لأصبحن العاص وابن العاصي سبعين ألفاً عاقدي النواصي فإن قلت: كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتِمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله: {ذلك بأنهم كفروا {الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال: قد رخص لي ربي فسأزيد على السبعين قلت: لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال إظهاراً لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه كقول إبراهيم عليه السلام {ومن عصاني فإنك غفور رحيم {إبراهيم: 36 وفي إظهار النبي صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة: لطف لأفته ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض. {فرح المخلفون بمقعدهم خلف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون {. {المخلفون {الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فأذن لهم وخلفهم في المدينة في غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان {بمقعدِهِم {بقعودهم عن الغزو {خلف رسول الله {خلفه. يقال: أقام خلاف الحي. بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة أبي حيوة: خلف رسول الله. وقيل: هو بمعنى المخالفة لأنهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على أنه مفعول له أو حال أي قعدوا لمخالفته أو مخالفين له {أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم {تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله تعالى وبما فعلوا من بذل أموالهم وأرواحهم في سبيل الله تعالى وإيثارهم ذلك على الدعة والخفض. وكره ذلك المنافقون. وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الإيمان وداعي الإيقان {قل نار جهنم أشد حراً {استجهال لهم لأن من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الأبد كان أجهل من

كل جاهل: ولبعضهم: مسرة أحقاب تلقيت بعدها مساءة يوم أريها شبه الصاب فكيف بأن تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة أحقاب {فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون {. معناه: فسيضحكون قليلاً ويبكون كثيراً {جزاء {إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره. يروى أن أهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم. {فإن رجعك الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقتلوا معي عدواً إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين {. وإنما قال {إلى طائفة منهم {لأن منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف أو اعتذر بعذر صحيح. وقيل: لم يكن المخلفون كلهم منافقين فأراد بالطائفة: المنافقين منهم {فاستأذنوك للخروج {يعني إلى غزوة بعد غزوة تبوك. {أول مرة {هي الخروج إلى غزوة تبوك وكان إسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله أنه لم يدعهم إليه إلا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين {مع الخالفين {قد مر تفسيره. وقرأ مالك بن دينار رحمه الله: مع الخلفين على قصر الخالفين. فإن قلت: {مرة {نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف إليها وهو دال! على واحدة من المرات قلت: أكثر اللغتين: هند أكبر النساء وهي أكبرهن. ثم إن قولك: هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه. ولكن هي أكبر امرأة وأول مرة وآخر مرة. وعن قتادة: ذكر لنا أنهم كانوا اثني عشر رجلاً قيل فيهم ما قيل. {ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بآيات الله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون {. روي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن أبي بعث إليه ليأتيه فلما دخل عليه قال: أهلكك حب اليهود. فقال: يا رسول الله بعثت إليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله أن يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه حباب إلى جنازته فسأله عن اسمه فقال: أنت عبد الله ابن عبد الله. الحباب: اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر: أتصلي على عدو الله فنزلت وقيل: أراد أن يصلي عليه فجذبه جبريل. فإن قلت: كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه في قميصه قلت: كان ذلك مكافأة له على صنيع سبق له. وذلك أن العباس رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخذ أسيراً ببدر لم يجدوا له قميصاً وكان رجلاً طوالاً فكساه عبد اللّه قميصه. وقال له المشركون يوم الحديبية: إنا لا نأذن لمحمد ولكنا نأذن لك فقال: لا إن لي في رسول الله أسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك وإجابة له إلى مسئلته إياه فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يرد سائلاً وكان يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام وإكراماً لابنه الرجل الصالح فقد روي: أنه قال له: أسألك أن تكفنه في بعض قمصانك وأن تقوم على قبره ولا يشمت به الأعداء وعلماً بأن تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الأكفان وليكون إلباسه إياه لطفاً لغيره فقد روي أنه قيل له: لم وجهت إليه بقميصك وهو كافر فقال: إن قميصي لن يغني عنه من الله شيئاً وإني أؤمل في الله أن يدخل في الإسلام كثير بهذا السبب فيروى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء إلى التراحم والتعاطف لأنهم إذا رأوه يترحم على من يظهر الإيمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم إلى أن يتعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتماً عليه. فإن قلت: فكيف جازت الصلاة عليه قلت: لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر إيمانهم لما في ذلك من المصلحة. وعن ابن عباس رضي الله عنه: ما أدري ما هذه الصلاة إلا أني أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع {مات {صفة لأحد. وإنما قيل: مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لأنه كائن موجود لا محالة {إنهم كفروا {تعليل للنهي وقد أعيد قوله: {ولا تعجبك {لأن تجدد النزول له شأن في تقرير ما نزل له وتأكيده وإرادة أن يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وأن يعتقد أن العمل به مهتم يفتقر إلى فضل عناية لا سيما إذا تراخى ما بين النزولين فأشبه

الشيء الذي أهم صاحبه فهو يرجع إليه في أثناء حديثه ويتخلص إليه وإنما أعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب أن يحذر منه.

{وإذا نزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك ألوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بأن يكونوا من الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم }. يجوز أن يراد السورة بتمامها وأن يراد بعضها في قوله: {إذا نزلت سورة {كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه. وقيل: هي براءة لأن فيها الأمر بالإيمان والجهاد {أن آمنوا {هي أن المفسرة {ألوا الطول {ذوو الفضل والسعة من طال عليه طولاً {مع القاعدين {مع الذين لهم علة وعذر في التخلف {فهم لا يفقهون {ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك {لكن الرسول {أي إن تخلف هؤلاء فقد نهد إلى الغزو من هو خير منهم وأخلص نية ومعتقداً كقوله: {فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً {الأنعام: 89 {فإن استكبروا فالذين عند ربك {فصلت: 38. {الخيرات {تتناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ. وقيل: الحور لقوله: {فيهن خيرات {الرحمن: 70. {وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم }. {المعذرون {من عذر في الأمر إذا قصر فيه وتوانى ولم يجد: وحقيقته أنه يوهم أن له عذراً فيما يفعل ولا عذر له: أو المعتذرون بإدغام التاء في الذال ونقل حركتها إلى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لإتباع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله: {يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم {وقرئ: المعذرون بالتخفيف: وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه. قيل: هم أسد وغطفان. قالوا: إن لنا عيالاً: وإن بنا جهداً فأذن لنا في التخلف. وقيل: هم رهط عامر بن الطفيل قالوا: إن غزونا معك أغارت أعراب طي على أهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم: {سيغنيني الله عنكم {. وعن مجاهد: نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى: وعن قتادة: اعتذروا بالكذب. وقرئ: المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لأن التاء لا تدغم في العين إدغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وأزكى وأصدق. وقيل: أريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس رضي اللّه عنه الذين لم يفرطوا في العذر {قعد الذين كذبوا الله ورسوله {هم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الإيمان. وقرأ أبي: كذابوا بالتشديد {سيصيب الذين كفروا منكم {من الأعراب {عَذَاب أليم {في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار. {ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون {. {الضعفاء {الهرمى والزمنى. والذين لا يجدون: الفقراء. وقيل: هم مزينة وجهينة وبنو عذرة. والنصح لله ورسوله: الإيمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه {على العاملين {على المعذورين الناصحين ومعنى: لا سبيل عليهم: لا جناح عليهم. ولا طريق للعاتب عليهم {فقلت لا أحد {حال من الكاف في {أتوك {وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله: {أو جاؤكم حصرت صدورهم {النساء: 90 أي إذا ما أتوك قائلاً لا أجد {تولوا {ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في أبدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها. وقيل: المستحملون أبو موسى الأشعري وأصحابه. وقيل: البكاؤون وهم ستة نفر من الأنصار {يفيض من الدمع {كقولك: تفيض دمعاً وهو أبلغ من يفيض دمعها لأن العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك: أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز {ألا يجدوا {لئلا يجدوا. ومحله نصب على أنه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزناً. {إنما السبيل على الذين يستأذنوك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله

على قلوبهم فهم لا يعلمون يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون {. فإن قلت: {رَضُوا {ما موقعه قلت: هو استئناف كأنه قيل: ما بالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل: رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف {وَطَبَعَ الله علىَ قُلُوبِهِم {يعني أن السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله تعالى إياهم. فإن قلت: فهل يجوز أن يكون قوله: {قلت لا أجد {استئنافاً مثله كأنه قيل: إذا ما أتوك لتحميهم تولوا فقيل: ما لهم تولوا باكين فقيل: قلت لا أجد ما أحملكم عليه. إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت: نعم ويحسن {لن نؤمن لكم {علة في عن الاعتذار لأن غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به فإذا علم أنه مكذب وجب عليه الإخلال وقوله: {قد نبأنا الله من أخباركم {علة لانتفاء تصديقهم لأن الله عز وجل إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم في معاذيرهم {وَسَيَرَى الله عَمَلَكُم {أتنيبون أم تثبتون على كفركم {ثم تردون {إليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك. {سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليه لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون {. {لتعرضوا عنهم {فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم {فأعرضوا عنهم {فأعطوهم طلبتهم {إنهم رجس {تعليل لترك معاتبتهم يعني أن المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم إنما يعاتب الأديب ذو البشرة. والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار وأما هؤلاء فأرجاس لا سبيل إلى تطهيرهم {مأواهم جهنم {يعني وكفتهم النار عتاباً وتوبيخاً فلا تتكلفوا عتابهم.
{يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين {. {لترضوا عنهم {أي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم {فإن ترضوا عنهم {فإن رضاكم وحدكم لا ينفعهم إذا كان الله ساخطاً عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها. وقيل: إنما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم أن رضا المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم. وقيل: هم جد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلاً منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة: {لا تجالسوهم ولا تكلموهم {. وقيل: جاء عبد الله بن أبي يحلف أن لا يتخلف عنه أبداً. {الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم {. {الأعراب {أهل البدو {أشد كفراً ونفاقاً {من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنّة {وأجدر ألا يعلموا {وأحق بجهل حدود الدين وما أنزل اللّه من الشرائع والأحكام. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: {إن الجفاء والقسوة في الفدادين {. {وَالله عَلِيم {يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر {حكيم {فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم ومخطئهم ومصيبهم من عقابه وثوابه. {ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول {مغرماً {غرامة وخسراناً.
والغرامة: ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لأنه لا ينفق إلا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله عز وجل وابتغاء المثوبة عنده {ويتربص بكم الدوائر {دوائر الزمان: دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه ليتخلص من إعطاء الصدقة {عليهم دائرة السوء {دعاء معترض دعى عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عز وجل: {وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم {المائدة: 64 وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة. والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك: رجل سوء في نقيض قولك: رجل صدق لأن من دارت عليه ذام لها {وَالله سَمِيع {لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة {عليم {بما يضمرون. وقيل: هم أعراب أسد وغطفان وتميم {قربات {مفعول ثان ليتخذ. والمعنى: أن ما ينفقه سبب لحصول القربات عند اللّه {وصلوات الرسول {لأن الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله: {اللهم صل على آل أبي أوفى {وقال تعالى: {وصل عليهم {التوبة: 103 فلما كان ما ينفق سبباً لذلك قيل: يتخذ ما ينفق قربات وصلوات {إلا أنها {شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق

لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه وكذلك {سيدخلهم {وما في السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا اللّه تعالى عن المتصدقين وأن الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم {. {والسابقون الأولون من المهاجرين {هم الذين صفوا إلى القبلتين. وقيل: الذين شهدوا بدراً. وعن الشعبي: من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين {و {من {الأنصار {أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن. وقرأ عمر رضي الله عنه: {والأنصارُ {بالرفع عطفاً على {السابقون {. وعن عمر أنه كان يرى أن قوله: {والذين اتبعوهم بأحسن {بغير واو صفة للأنصار حتى قال له زيد: إنه بالواو فقال: ائتوني بأبي فقال تصديق ذلك في أول الجمعة {وآخرين منهم {الجمعة: 3 وأوسط الحشر {والذين جاءوا من بعدهم {الحشر: 10 وآخر الأنفال {والذين آمنوا من بعد {الأنفال: 75. وروي: أنه سمع رجلاً يقرؤه بالواو فقال: من أقرأك قال: أبي فدعاه فقال: أقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنك لتبيع القرظ بالبقيع قال: صدقت وإن شئت قلت: شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم. ومن ثم قال عمر: لقد كنت أرانا رفعنا رفعة لا يبلغها أحد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره {رضي الله عنهم {ومعناه: رضي عنهم لأعمالهم {ورضوا عنه {لما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية وفي مصاحف أهل مكة: تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف: تحتها بغير من. {وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم وسنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب أليم {. {وممن حولكم {يعني حول بلدتكم وهي المدينة {المنافقون {وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها {ومن أهل المدينة {عطف على خبر المبتدأ الذي هو ممن حولكم ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت: ومن أهل المدينة قوم مردوا على النفاق على أن {مردوا {صفة موصوف محذوف كقوله: أنا ابن جلا وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلاماً مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره {مردوا على النفاق {تمهروا فيه من مرن فلان عمله ومرد إليه: إذا درب به وضرى حتى لأن عليه ومهر فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله: {لا تعلمهم {أي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك ورض تنوقهم في تحامي ما يشكك في أمرهم ثم قال: {نحن نعلمهم {أي لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم إبطاناً ويبرزون لك ظاهراً كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في إيمانهم وذلك أنهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى {سنعذبهم مرتين {قيل: هما القتل وعذاب القبر. وقيل: الفضيحة وعذاب القبر. وعن ابن عباس رضي الله عنه أنهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال: قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً يوم الجمعة فقال: {اخرج يا فلان فإنك منافق اخرج يا فلان فإنك منافق {فأخرج ناساً وفضحهم فهذا العذاب الأول والثاني عذاب القبر. وعن الحسن: أخذ الزكاة من أموالهم ونهك أبدانهم {إلي عَذَابٍ عَظِيمٍ {إلى عذاب النار. {وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم {. {اعترفوا بذنوبهم {أي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة: أبو لبابة مروان بن عبد المنذر وأوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام. وقيل: كانوا عشرة فسبعة منهم أوثقوا أنفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فأيقنوا بالهلاك فأوثقوا أنفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته صلى الله عليه وسلم كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال: وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم وعذرهم فقالوا: يا رسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال: ما أمرت أن آخذ من

أموالكم شيئاً فنزلت: خذ من أموالهم {عملاً صالحاً {خروجاً إلى الجهاد {وآخر سيئاً {تخلفاً عنه. عن الحسن وعن الكلبي: التوبة والإثم. فإن قلت: قد جعل كل واحد منهما مخلوطاً فما المخلوط به قلت: كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لأن المعنى خلط كل واحد منهما الآخر كقولك: خلطت الماء واللبن تريد: خلطت كل واحد منهما بصاحبه. وفيه ما ليس في قولك: خلطت الماء باللبن لأنك جعلت الماء مخلوطاً واللبن مخلوطاً به وإذا قلته بالواو وجعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطاً بهما كأنك قلت: خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز أن يكون من قولهم: بعت الشاة شاة ودرهماً بمعنى شاة بدرهم.
فإن قلت: كيف قيل: {أن يتوب عليهم {وما ذكرت توبتهم قلت: إذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم. {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم {. {تطهرهم {صفة لصدقة. وقرئ: تطهرهم من أطهره بمعنى طهره. وتطهرهم بالجزم جواباً للأمر. ولم يقرأ {وتزكيهم {إلا بإثبات الياء. والتاء في {تطهرهم {للخطاب أو لغيبة المؤنث. والتزكية: مبالغة في التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة في المال {وصل عليهم {واعطف عليم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها. وعن الشافعي رحمه اللّه: أحب أن يقول الوالي عند أخذ الصدقة: أجرك الله فيما أعطيت وجعله طهوراً وبارك لك فيما أبقيت. وقرئ: إن صلاتك على التوحيد {سَكَن لهم {يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم {والله سَمِيع {يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم {عليم {بما في ضمائرهم والغنم من الندم لما فرط منهم. {ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وإن الله هو التواب الرحيم {. قرئ: {ألم يعلموا {بالياء والتاء وفيه وجهان أحدهما: أن يراد المتوب عليهم يعني: ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم {أن الله هو يقبل التوبة {إذا صحت ويقبل الصدقات إذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتأكيد وأن اللّه تعالى من شأنه قبول توبة التائبين. وقيل: معنى التخصيص في هو: أن ذلك ليس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما الله سبحانه هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه. {قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون {. {وَقُلِ {لهؤلاء التائبين {اعملوا {فإن عملكم لا يخفى خيراً كان أو شراً على اللّه وعباده كما رأيتم وتبين لكم. والثاني: أن يراد غير التائبين ترغيباً لهم في التوبة فقد روي أنهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا: هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت. فإن قلت: فما معنى قوله: {وبأخذ الصدقات {قلت: هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود رضي الله عنه: إن الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل أن تقع في يد السائل والمعنى: أنه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله: {فسيرى الله {وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة. {وآخرون مجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم {. قرئ: مرجون ومرجؤن من أرجيته وأرجأته: إذا أخرته. ومنه المرجئة يعني: وآخرون من المتخلفين موقوف أمرهم {إما يعذبهم {إن بقوا على الإصرار ولم يتوبوا {وإما يتوب عليهم {إن تابوا وهم ثلاثة: كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع: أمر رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل أبو لبابه وأصحابه من شد أنفسهم على السواري وإظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحداً لا ينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله تعالى وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم اللّه {والله عليم حكيم {وفي قراءة عبد الله: غفور رحيم. وإما للعباد: أي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة. {والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون لا تقم فيهم أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين {. في مصاحف أهل المدينة والشام: الذين اتخذوا بغير واو لأنها قصة على حيالها. وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم. روي: أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء

بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا: نبني مسجداً ونرسل إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على إخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحد: لا أجد قوماً يقاتلوك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هارباً إلى الشام وأرسل إلى المنافقين. أن استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فإني ذاهب إلى قيصر وآت بجنود وخرج محمداً وأصحابه من المدينة فبنوا مسجداً بجنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب أن تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم: إني على جناح سفر وحال شغل. وإذا قدمنا إن شاء اللّه صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبو عامر بالشام بقنسرين {ضِرَاراً }مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء ومعازة {وكفروا }وتقوية للنفاق {وتفريقاً بين المؤمنين }لأنهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم {وإرصاداً }وإعداداً {ل }أجل {من حارب الله ورسوله }وهو الراهب: أعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقيل: كل مسجد بني مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار. وعن شقيق أنه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له: مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال: لا أحب أن أصلي فيه فإنه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار أو رياء أو سمعة فإن أصله ينتهي إلى المسجد الذي بني ضراراً. وعن عطاء: لما فتح الله تعالى الأمصار على يد عمر رضي الله عنه أمر المسلمين أن يبنوا المساجد وأن لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار أحدهما صاحبه فإن قلت: {والذين اتخذوا }ما محله من الإعراب قلت: محله النصب على الاختصاص. كقوله: {المقيمين الصلاة }النساء: 162 وقيل: هو مبتدأ خبره محذوف معناه: وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله: {والسارق والسارقة }المائدة: 38. فإن قلت: بم يتصل قوله: {من قبل }قلت: باتخذوا أي اتخذوا مسجداً من قبل أن ينافق هؤلاء بالتخلف {إن أَرَدتم }ما أردنا ببناء هذا المسجد {إلا }الخصلة {الحسنى }أو الإرادة الحسنة وهي الصلاة. وذكر اللّه والتوسعة على المصلين {لمسجد أسس على التقوَى }قيل: هو مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو أولى لأن الموازنة بين مسجدي قباء أوقع. وقيل: هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن أبي سعيد الخدري: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى فأخذ حصباء فضرب بها الأرض وقال: {هو مسجدكم هذا مسجد المدينة }. {من أول يوم }أول يوم من أيام لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال: أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها: فقال عمر: يا رسول اللّه إنهم لمؤمنون وأنا معهم. فقال صلى الله عليه وسلم: {أترضون بالقضاء }لما قالوا: نعم قال: {أتصبرون على البلاء }قالوا: نعم. قال: {أتشكرون في الرخاء }قالوا: نعم. قال صلى الله عليه وسلم: {مؤمنون ورب الكعبة }. فجلس ثم قال: يا معشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا: يا رسول اللّه نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء. فتلا النبي صلى الله عليه وسلم: {رجال يحبون أن يتطهروا }. وقرئ أن يطهروا بالإدغام. وقيل: هو عام في التطهر من النجاسات كلها. وقيل: كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء أثر البول. وعن الحسن: هو التطهر من الذنوب بالتوبة. وقيل: يحبون أن يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم. فإن قلت: ما معنى المحبتين قلت: محبتهم

للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص الحب للشيء المشتهى له على إيثاره. ومحبة الله تعالى إياهم: أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل المحب بمحبوبه. {أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين {. قرئ: أسس بنيانه وأسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول. وأسس بنيانه جمع أساس على الإضافة وأساس بنيانه بالفتح والكسر: جمع أس وأساس بنيانه على وأفعال جمع أس أيضاً وأس بنيانه. والمعنى: أفمن أسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه {خير أم من {أسسه على قاعدة هي أضعف القواعد وأرخاها وأقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل {شفا جرف هار {في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لأنه جعل مجازاً عما ينافي التقوى. فإن قلت: فما معنى قوله: {فانهار به في نار جهنم {قلت: لما جعل الجرف الهائر مجازاً عن الباطل قيل: فانهار به في نار جهنم على معنى: فطاح به الباطل في نار جهنم إلا أنه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنياناً على شفا جرف من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها. والشفا: الحرف والشفير. وجرف الوادي: جانبه الذي يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهياً. والهار: الهائر وهو المتصدع الذي أشفى على التهدم والسقوط. ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف. ونظيره: شاك وصات في شائك وصائت. وألفه ليست بألف فاعل إنما هي عينه. وأصله هور وشوك وصوت. ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره.
وقرئ: جرف بسكون الراء: فإن قلت: فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى بن عمر: على تقوىً من الله بالتنوين قلت: قد جعل الألف للإلحاق لا للتأنيث كتترى فيمن نؤن ألحقها بجعفر. وفي مصحف أبي: فانهارت به قواعده. وقيل: حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤي الدخان يخرج منه. وروي أن مجمع بن حارثة كان إمامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته أن يأذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال: لا ولا نعمة عين أليس بإمام مسجد الضرار فقال: يا أمير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم أني لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاماً قارئاً للقرآن وكانوا شيوخاً لا يقرؤون من القرآن شيئاً فعذره وصدقه وأمره بالصلاة بقومه.

{لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم {. {ريبة {شكاً في الدين ونفاقاً وكان القوم منافقين وإنما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل: {ضراراً كفراً {التوبة: 107 فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميماً على النفاق ومقتاً للإسلام فمعنى قوله: {لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم {لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره {إلا أن تقطع قلوبهم {قطعاً وتفرق أجزاء فحينئذٍ يسلون عنه. وأما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز أن يكون ذكر التقطيع تصويراً لحال زوال الريبة عنها. ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم أو في القبور أو في النار. وقرئ: يقطع بالياء. وتقطع بالتخفيف. وتَقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع. وتقطع قلوبهم على أن الخطاب للرسول أي إلا أن تقطع أنت قلوبهم بقتلهم. وقرأ الحسن: إلى أن وفي قراءة عبد الله: ولو قطعت قلوبهم. وعن طلحة: ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول أو كل مخاطب. وقيل: معناه إلا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندماً وأسفاً على تفريطهم. {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم {. مثل اللّه إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم في سبيله بالشروى. وروي: تاجرهم فأغلى لهم الثمن. وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعاً. وعن الحسن: أنفساً هو خلقها وأموالاً هو رزقها. وروي: أن الأنصار حين بايعوه على

العقبة قال عبد الله بن رواحة: اشترط لربك ولنفسك ما شئت. قال: اشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم. قال: فإذا فعلنا ذلك فما لنا قال: لكم الجنة. قالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل. ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم أعرابي وهو يقرؤها فقال: كلام من قال كلام الله. قال: بيع اللّه مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو فاستشهد {يقاتلون {فيه معنى الأمر كقوله: {تجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم {الصف: 11. وقرئ: فيقتلون ويقتلون على بناء الأول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس {وعداً {مصدر مؤكد. أخبر بأن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد أثبته {في التوراة والإنجيل {كما أثبته في القرآن ثم قال: {ومن أوفى بعهده من الله {لأن إخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه القبيح قط ولا ترى ترغيباً في الجهاد أحسن منه وأبلغ. {التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين {. {التائبون {رفع علي المدح. أي: هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين. ويدل عليه قراءة عبد الله وأبي رضي الله عنهما: التائبين بالياء إلى: والحافظين نصباً على المدح. ويجوز أن يكون جراً صفة للمؤمنين. وجوز الزجاج أن يكون مبتدأ خبره محذوف أي: التائبون العابدون من أهل الجنة أيضاً وإن لم يجاهدوا كقوله: {وكلا وعد الله الحسنى {النساء: 95 وقيل: هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون. ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر أي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال. وعن الحسن: هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق. و {العابدون {الذين عبدوا اللّه وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها. و {السائحون {الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم. وقيل: هم طلبة العلم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانه. {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم {. قيل: قال صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب: {أنت أعظم الناس علي حقاً وأحسنهم عندي يداً فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي {فأبى فقال: لا أزال أستغفر لك ما لم أنه عنه {فنزلت. وقيل: لما افتتح مكة سأل أي أبويه أحدث به عهداً فقيل: أمك آمنة فزار قبرها بالأبواء ثم قام مستعبراً فقال: إني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فنزلت. وهذا أصح لأن موت أبي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة. وقيل: استغفر لأبيه. وقيل: قال المسلمون ما يمنعنا أن نستغفر لآبائنا وذوي قرابتنا وقد استغفر إبراهيم لأبيه وهذا محمد يستغفر لعمه {ما كان للنبي {ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته {من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم {لأنهم ماتوا على الشرك. {وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم {. قرأ طلحة وما استغفر إبراهيم لأبيه وعنه: وما يستغفر إبراهيم على حكاية الحال الماضية {إلا عن موعدة وعدها إياه {أي وعدها إبراهيم أباه وهو قوله: {لأستغفرن لك {الممتحنة: 4 ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية: وعدها أباه. فإن قلت: كيف خفي على إبراهيم أن الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده قلت: يجوز أن يظن أنه ما دام يرجى منه الإيمان جاز الاستغفار له على أن امتناع جواز الاستغفار للكافر إنما علم بالوحي لأن العقل يجوز أن يغفر الله للكافر. ألا ترى إلى قوله عليه السلام لعمه: لأستغفرن لك ما لم أنه. وعن الحسن قيل لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم: إن فلاناً يستغفر لآبائه المشركين فقال: ونحن نستغفر لهم فنزلت. وعن علي رضي الله عنه: رأيت رجلاً يستغفر لأبويه وهما مشركان فقلت له فقال: أليس قد استغفر إبراهيم. فإن قلت: فما معنى قوله: {فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه {قلت: معناه: فلما تبين له من جهة الوحي أنه لن يؤمن وأنه يموت كافراً وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله: {من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم {التوبة: 113. {أواه {فعال من أوه كلأل من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه. ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على أبيه

الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله: لأرجمنك. {ما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير {. يعني ما أمر اللّه باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للإسلام ولا يسميهم ضلالاً ولا يخذلهم إلا إذا أقدموا عليه بعد بيان خطره عليهم وعلمهم أنه واجب الاتقاء والاجتناب. وأما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم. وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه. وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي أن يغفل عنها: وهي أن المهدي للإسلام إذا أقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الإضلال والمراد بما يتقون: ما يجب اتقاؤه للنهي فأما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف. {لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم {. {لقد تاب الله على النبي {كقوله: {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر{الفتح: 2 وقوله: {واستغفر لذنبك {وهو بعث للمؤمنين على التوبة وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والأنصار وإبانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وأن صفة التوابين الأوابين صفة الأنبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح. وقيل: معناه تاب اللّه عليه من إذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله: {عفا اللّه عنك {التوبة: 43 {في ساعة العسرة {في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم: غداة طفت علماء بكر بن وائل وكنا حسبنا كل بيضاء شحمة عشية قارعنا جذام وحميراً والعسرة: حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر: يعتقب العشرة على بعير واحد. وفي عسرة من الزاد: تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة أن اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء. وفي عسرة من الماء حتى نحروا الإبل واعتصروا فروثها. وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة {كاد تزيغ قلوب فريق منهم {عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة والخروج معه. وفي كاد ضمير الشأن وشبهه سيبويه بقولهم: ليس خلق الله مثله. وقرئ: يزيغ بالياء. وفي قراءة عبد الله: من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كأبي لبابة وأمثاله {ثم تاب عليهم {تكرير للتوكيد. ويجوز أن يكون الضمير للفريق: تاب عليهم لكيدودتهم. {وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم {. {الثلاثة {كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية. ومعنى {خلفوا {خلفوا عن الغزو وقيل عن أبي لبابة وأصحابه حين تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا أي خلفوا الغازين بالمدينة أو فسدوا من الخالفة وخلوف الفم. وقرأ جعفر الصادق رضي اللّه عنه: خالفوا. وقرأ الأعمش: {وعلى الثلاثة المخلفين {بما رحبت {برحبها أي: مع سعتها وهو مثل للحيرة في أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكاناً يقرون فيه قلقاً وجزعاً مما هم فيه {وضاقت عليهم أنفسهم {أي قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها حرجت من فرط الوحشة والغم {وَظَنُّوا {وعلموا {أن لا ملجأ من {سخط {الله إلا {إلى استغفاره {ثم تاب عليهم ليتوبوا {ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا وليتوبوا أيضاً فيما يستقبل إن فرطت منهم خطيئة علماً منهم أن الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة. روي أن ناساً من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به. عن الحسن: بلغني أنه كان لأحدهم حائط كان خيراً من مائة ألف درهم فقال: يا حائطاه ما خلفني إلا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فأنت في سبيل اللّه. ولم يكن لآخر إلا أهله فقال: يا أهلاه ما بطأني ولا خلفني إلا الضن بك لا جرم والله لأكابدن المفاوز حتى ألحق برسول اللّه صلى الله عليه وسلم فركب ولحق به. ولم يكن لآخر إلا نفسه لا أهل ولا مال فقال: يا نفس ما خلفني إلا حب

الحياة لك والله كابدن الشدائد حتى ألحق برسول الله فتأبط زاده ولحق به. قال الحسن: كذلك واللّه المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها. وعن أبي ذر الغفاري: أن بعيره أبطأ به فحمل متاعه على ظهره واتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده: كن أبا ذر فقال الناس: هو ذاك فقال: رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده {. وعن أبي خيثمة أنه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت إليه الرطب والماء البارد فنظر فقال: ظل ظليل ورطب يانع {وماء بارد وامرأة حسناء ورسول اللّه صلى الله عليه وسلم في الضح والريح.: ما هذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم طرفه إلى الطريق فإذا برأي يزهاه السراب فقال: {كن أبا خيثمة {فكانه. ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له. ومنهم من بقي لم يلحق به. منهم الثلاثة. قال كعب: لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال: {ليت شعري ما خلف كعباً {فقيل له: ما خلفه إلا حسن برديه والنظر في عطفيه. فقال معاذ: {بئس ما قلت والله يا رسول الله {ما أعلم إلا فضلاً وإسلاما ونهى عن كلامنا أيها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا أحد من قريب ولا بعيد فلما مضت أربعون ليلة أمرنا أن نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة إذا أنا بنداء من ذروة سلع: أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجداً وكنت كما وصفني ربي {ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم {وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمين فقام إلى طلحة وقال رسول الله صلى الله وسلم وهو يستنير استنارة القمر: {أبشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ثم تلا علينا الآية وعن أبي بكر الوراق أنه سئل عن التوبة النصوح فقال: أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه. {يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ولا تنفقوا نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وادياً إلا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون {. {مَعَ الصَّادِقِينَ {وقرئ: من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولاً وعملاً أو الذين صدقوا في إيمانهم ومعاهدتهم للّه ورسوله علىالطاعة من قوله: {رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه {الأحزاب: 23 وقيل: هم الثلاثة أي كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم. وعن ابن عباس رضي اللّه عنه: الخطاب لمن آمن من أهل الكتاب أي كونوا مع المهاجرين والأنصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم. وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا ينجزه. اقرءوا إن شئتم: وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة {ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه {أمروا بأن يصحبوه على البأساء والضراء وأن يكابدوا معه الأهوال برغبة ونشاط واغتباط وأن يلقوا أنفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علماً بأنها أعز نفس عند الله وأكرمها عليه. فإذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الأنفس أن تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها أصحابها ولا يقيموا لها وزناً وتكون أخص شيء عليهم وأهونه فضلاً عن أن يربئوا بأنفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لأمرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بأنفة وحمية {ذلك {إشارة إلى ما دل عليه قوله: ما كان لهم أن يتخلفوا من وجوب مشايعته كأنه قيل ذلك الوجوب {ب {سبب {أنهم لا يصيبهم {شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكاناً من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم. ولا يتصرفون في أرضهم تصرفاً يغيظهم ويضيق صدورهم {لا ينالون من عدو نيلاً {ولا يرزءونهم شيئاً بقتل أو أسر أو غنيمة أو هزيمة أو غير ذلك {إلا كتب لهم فيه عمل صالح {واستوجبوا الثواب ونيل

الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة. ويجوز أن يراد بالوطء الإيقاع والإبادة لا الوطء بالأقدام والحوافر كقوله عليه السلام: {آخر وطأة وطئها اللّه بِوَج {والموطئ. إما مصدر كالمورد وإما مكان فإن كان مكاناً فمعنى يغيظ الكفار: يغيظهم وطئه والنيل أيضاً يجوز أن يكون مصدراً مؤكداً وأن يكون بمنعى المنيل. ويقال: نال منه إذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسؤوهم وينكبهم ويلحق بهم ضرراً. وفيه دليل على أن من قصد خيراً كان سعيه فيه مشكوراً من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر. وبهذه الآية استشهد أصحاب أبي حنيفة أن المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك لنا الجيش في الغنيمة لأن وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم. ولقد أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وأمد أبو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجر بن أبي أمية وزياد بن أبي لبيد بعكرمة بن أبي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فأسهم لهم. وعند الشافعي: لا يشارك المدد الغانمين وقرأ عبيد ابن عمير: ظماء بالمدح يقال: ظمئ ظماءة وظماء {لا ينفقون نفقة صغيرة {ولو تمرة ولو علاقة سوط {ولا كبيرة {مثل ما أنفق عثمان رضي اللّه عنه في جيش العسرة {ولا يقطعون وادياً {أي أرضاً في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذاً للسيل وهو في الأصل فاعل من ودى إذا سال. ومنه الودي. وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الأرض. يقولون: لا تصل في وادي غيرك {إلا كتب لهم {ذلك من الإنفاق وقطع الوادي: ويجوز أن يرجع الضمير فيه إلى عمل صالح وقوله: {ليجزيهم {متعلق بكتب أي أثبت في صحائفهم لأجل الجزاء. {ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون {. اللام لتأكيد النفي. ومعناه أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن. وفيه أنه لو صح وأمكن ولم يؤد إلى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة {فلولا نفر {فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر {من كل فرقة منهم طائفة {أي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير {ليتفقهوا في الدين {ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في أخذها وتحصيلها {ولينذروا قومهم {وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه: إنذار قومهم وإرشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الأغراض الخسيسة ويؤمونها من المقاصد الركيكة ومن التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضاً وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق أحدهم إذا لمح ببصره مدرسة لآخر أو شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على أن يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما أبعد هؤلاء من قوله عز وجل: {لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً {القصص: 83 {لعلهم يحذرون {إرادة أن يحذروا الله فيعملوا عملاً صالحاً. ووجه آخر: وهو أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث بعثاً بعد غزوة تبوك وبعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعاً عن استماع الوحي والتفقه في الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الأكبر لأن الجدال بالحجّة أعظم أثراً من الجلاد بالسيف وقوله: {ليتفقهوا {الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطواف النافرة من بينهم {ولينذروا قومهم {ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين إذا رجعوا إليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه. {يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين {. {يلونكم {يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الأقرب فالأقرب أوجب. ونظيره {وأنذر عشيرتك الأقربين {الشعراء: 214 وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام. وقيل: هم قريظة والنضير وفدك وخيبر. وقيل: الروم لأنهم كانوا يسكنون الشأم والشأم أقرب إلى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم ما لم يضطر إليهم أهل ناحية أخرى. وعن ابن عمر رضي الله عنه أنه سئل عن قتال الديلم فقال: عليك بالروم. وقرئ: غلظة

بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه {واغلظ عليهم }التوبة: 73 {ولا تهنوا {آل عمران: 139 وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والأسر ومنه {ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله }النور: 2 {مَعَ المتقين {ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه. {وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون {. {فمنهم من يقول {فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض {أيكم زادته هذه {السورة {إيماناً {إنكاراً واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الإيمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به. وأيكم: مرفوع بالابتداء. وقرأ عبيد بن عمير: أيكم بالفتح على إضمار فعل يفسره {زَادتهُ {تقديره: أيكم زادت زادته هذه إيماناً {فزادتهم إيماناً {لأنها أزيد لليقين والثبات وأثلج للصدر. أو فزادتهم عملاً فإن زيادة العمل زيادة في الإيمان لأن الإيمان يقع على الاعتقاد والعمل {فزادتهم رجساً إلى رجسهم {كفراً مضموماً إلى كفرهم لأنهم كلما جددوا بتجديد اللّه الوحي كفراً ونفاقاً ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم. {أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون {. قرئ: أولا يرون بالياء والتاء {يفتنون {يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في أمرهم أو يبتلون في الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاينون أمره وما ينزل اللّه عليه من نصرته وتأييده. أو يفتنهم الشيطان فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون {نَظَرَ بعضهم إلى بعض {تغامزوا بالعيون إنكاراً للوحي وسخرية به قائلين {هل يراكم من أحد {من المسلمين لننصرف فإنا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم. أو ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون: هل يراكم من أحد. وقيل: معناه: إذا ما أنزلت سورة في عيب المنافقين {صرف الله قلوبهم {دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب أهل الإيمان من الانشراح {بأنهُم {بسبب أنهم {قوم لا يفقهون {لا يتدبرون حتى يفقهوا. {لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم {. {من أنفسكم {من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع لمجانسة والمناسبة من النتائج بقوله: {عزيز عليه ما عنتم {أي شديد عليه شاق لكونه بعضاً منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب {حريص عليكم {حتى لا يخرج أحد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به {بالمؤمنين {منكم ومن غيركم {رؤوف رحيم {. وقرئ: من أنفَسِكم أي من أشرفكم وأفضلكم. وقيل: هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما. وقيل: لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في. قوله: {رؤوف رحيم {. {فإن تَوَلوا {فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك فاستعن وفوض إليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصبوك عليهم. وقرئ: {العظيم {بالرفع. وعن ابن عباس رضي الله عنه: العرش لا يقدر أحد قدره. وعن أبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: {ما نزل علي القرآن إلا آية آية وحرفاً حرفاً ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فإنهما أنزلتا علي ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة {.

سورة يونس

مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم {ألر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر

مبين{. {ألر {تعديد للحروف على طريق التحدي. و {تلك آيات الكتاب {إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة. و {الحكيم {ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها. أو وصف بصفة محدثة. قال الأعشى: وغريبة تأتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها الهمزة لإنكار التعجب والتعجيب منه. و {إن أوحينا {اسم كان وعجباً: خبرها. وقرأ ابن مسعود: عجب فجعله اسماً وهو نكرة و {أنْ أوحينا {خبراً وهو معرفة كقوله: والأجود أن تكون كان تامة وأن أوحينا بدلاً من عجب. فإن قلت: فما معنى اللام في قوله: {أكان للناس عجباً {وما هو الفرق بينه وبين قولك: كان عند الناس عجباً قلت: معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علماً لهم يوجهون نحوه استهزائهم وإنكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلاً من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون: العجب أن الله لم يجد رسولاً يرسله إلى الناس إلا يتيم أبي طالب وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشر مثلهم. وقال اللّه تعالى: {قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا{ الإسراء: 95 وإرسال الفقير أو اليتيم ليس بعجب أيضاً لأن الله تعالى: إنما يختار من استحق الاختيار لمجمعه أسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة. والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الأسباب في شيء {وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى{ سبأ: 37 والبعث للجزاء على الخبر والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجباً إنما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء {أنْ أنذِرِ الناسَ {أن هي المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول: ويجوز أن تكون المخففة من الثقيلة وأصله: أنه أنذر الناس علي معنى: أن الشأن قولنا أنذر الناس. و {أن لهم {الباء معه محذوف {قَدَمَ صدقٍ عَندَ ربهم {أي سابقة وفضلاً ومنزلة رفيعة. فإن قلت: لم سميت السابقة قدماً قلت: لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدماً كما سميت النعمة يداً لأنها تعطى باليد. وباعاً لأن صاحبها يبوع بها فقيل: لفلان قدم في الخير. وإضافته إلى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة وقيل: مقام صدق {إن هذا {إن هذا الكتاب وما جاء به محمد {لسحر {ومن قرأ: لساحر فهذا إشارة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين في تسميته سحراً وفي قراءة أبي: {ما هذا إلا سحر {. {إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً إنه يبدأ الخلق ثم يعيده ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون {. {يدبر {يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في أدبار الأمور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخراً. و {الأمر {أمر الخلق كله وأمر مِلِكوت السموات والأرض والعرش. فإن قلت: ما موقع هذه الجملة قلت: قد دل بالجملة قبلها على عظمة شأنه وملكه بخلق السموات والأرض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالإستواء على العرش وأتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره وكذلك قوله: {مَا مِن شَفِيع إلا مِن بَعدِ إذنه {دليل على العزة والكبرياء كقوله: {يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن{ النبأ: 38 و {ذلكم {إشارة إلى المعلوم بتلك العظمة أي ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق منكم العبادة {فاعبدوه {وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان فضلاً عن جماد لا يضر ولا ينفع {أفلا تذكرون {فإن أدنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما أنتم عليه {إليه مرجعكم جميعاً {أي لا ترجعون فيم العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه {وعد الله {مصدر مؤكد لقوله: {حقاً {مصدر مؤكد لقوله: {وَعدَ الله {. {إنه يبدو الخلق ثم يعيده {استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه وهو أن الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم. وقرئ: أنه يبدؤ الخلق بمعنى لأنه. أو هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد اللّه: أي وعد الله وعداً بدأ الخلق ثم إعادته.

والمعنى: إعادة الخلق بعد بدئه. وقرئ: {وعد الله {على لفظ الفعل. ويبدئ من أبدأ. ويجوز أن يكون مرفوعاً بما نصب حقاً أي حق حقاً بدأ الخلق كقوله: وقرئ: حق أنه يبدؤ الخلق كقولك: حق أن زيداً منطلق {بالقسط {بالعدل وهو متعلق بيجزى. والمعنى: ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم. أو بقسطهم وبما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا صالحاً لأن الشرك ظلم. قال الله تعالى: {إن الشرك لظلم عظيم {لقمان: 13 والعصاة: ظلاّم أنفسهم وهذا أوجه لمقابلة قوله: {بما كانوا يكفرون {. {هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون {. الياء في {ضياء {منقلبة عن واو ضوء لكسرة ما قبلها. وقرئ: ضئاء بهمزتين بينهما ألف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل في عاق: عقا. والضياء أقوى من النور {وقدره {وقدر القمر. والمعنى وقدر مسيره {مَنَازِلَ {أو قدره ذا منازل كقوله تعالى: {والقمر قدرناه منازل {ياسين: 39. {وَٱلْحِسَاب {وحساب الأوقات من الشهور والأيام والليالي {ذلك {إشارة إلى المذكور أي ما خلقه إلا ملتبساً بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً. وقرئ: يفصل بالياء. {إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والأرض لآيات لقوم يتقون {. خض المتقين لأنهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر إلى النظر والتدبر. {إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون {. {لا يرجون لقاءنا {لا يتوقعونه أصلاً ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق. أو لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء أو لا يخافون سوء لقائنا الذي يجب أن يخاف {ورضوا بالحياة الدنيا {من الآخرة وآثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله تعالى: {أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة {التوبة: 38 {واطمأنوا بها {وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديداً وأملوا بعيداً. {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين {. {يهديهم ربهم بإيمانهم {يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدي إلى الثواب لذلك جعل {تجري من تحتهم الأنهار {بياناً له وتفسيراً لأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها ويجوز أن يريد: يهديهم في الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة كقوله تعالى: {يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبإيمانهم {الحديد: 12 ومنه الحديث: إن المؤمن إذا خرج من قبره صُور له عمله في صورة حسنة فيقول له: أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة وأما الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار فإن قلت: فلقد دلت هذه الآية على أن الإيمان الذي يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو إيمان مقيد وهو الإيمان المقرون بالعمل الصالح والإيمان الذي لم يقرن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور. قلت: الأمر كذلك. ألا ترى كيف أوقع الصلة مجموعاً فيها بين الإيمان والعمل كأنه قال: إن الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ثم قال: بإيمانهم أي بإيمانهم هذا المضموم إليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه {دعواهم {دعاؤهم لأن اللهم نداء لله ومعناه: اللهم إنا نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت: اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد. ويجوز أن يراد بالدعاء: العبادة {وأعتزلكم وما تدعون من دون الله {مريم: 48 على معنى: أن لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما عبادتهم إلا أن يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة إنما يلهمونه فينطقون به تلذذاً بلا كلفة كقوله تعالى: {وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية {الأنفال: 35. {وآخر دعواهم {وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح {أن {يقولوا: {الحمد لله رب العالمين {. ومعنى {وتحيتهم فيها سلام {أن بعضهم يحيي بعضاً بالسلام. وقيل: هي تحية الملائكة إياهم إضافة للمصدر إلى المفعول. وقيل: تحية اللّه لهم. وأن هي المخففة من الثقيلة وأصله: أنه الحمد للّه على أن الضمير للشأن أن هالك كل من يحفي وينتعل وقرئ: أنَّ الحمدَ لله بالتشديد ونصب الحمد. {ولو يجعل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون {. أصله

}ولو يجعل الله للناس الشر {تعجيله لهم الخير فوضع {استعجالهم بالخير {موضع تعجيله لهم الخير إشعاراً بسرعة إجابته لهم وإسعافه بطلبتهم حتى كأن استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد أهل مكة. وقولهم: فأمطر علينا حجارة من السماء يعني: ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه {لقضي إليهم أجلهم {لأميتوا وأهلكوا. وقرئ: لقضى إليهم أجلهم على البناء للفاعل وهو اللّه عز وجل وتنصره قراءة عبد الله: لقضينا إليهم أجلهم فإن قلت: فكيف اتصل به قوله: }فنذر الذين لا يرجون لقاءنا {وما معناه قلت: قوله: {ولو يجعل الله {متضمن معنى نفي التعجيل كأنه قيل: ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي إليهم أجلهم فنذرهم {في طغيانهم {أي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاماً للحجة عليهم. {إذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون {. {لجنبه {في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه أي دعانا مضطجعاً {أو قاعداً أو قائماً {. فإن قلت: فما فائدة ذكر هذه الأحوال قلت: معناه أن المضرور لا يزال داعياً لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها إن كان مضطجعاً عاجز النهض متخاذل النوء أو كان قاعداً لا يقدر على القيام أو كان قائماً لا يطيق المشي والمضطرب إلى أن يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها. ويجوز أن يراد أن من المضرورين من هو أشد حالاً وهو صاحب الفراش. ومنهم من هو أخص وهو القادر على القعود. ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لأن الإنسان للجنس {مر {أي مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد. أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به {كأن لم يدعنا {كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن قال: كأن ثدياه حقان {كَذَلِكَ {مثل ذلك التزيين {زين للمسرفين {زين الشيطان بوسوسته أو اللّه بخذلانه وتخليته {ما كانوا يعملون {من الإعراض عن الذكر واتباع الشهوات. {ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك {لما {ظرف لأهلكنا: والواو في {جاءتهم {للحال أي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات. وقوله: {وما كانوا ليؤمنوا {يجوز أن يكون عطفاً على ظلموا وأن يكون اعتراضاً واللام لتأكيد النفي يعني: وما كانوا يؤمنون حقاً تأكيداً لنفي إيمانهم وأن اللّه قد علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وأن الإيمان مستبعد منهم. والمعنى: أن السبب في إهلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثه الرسل {كذلك {مثل ذلك الجزاء يعني الإهلاك {نجزي {كل مجرم وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقرئ: يجزي بالياء {ثم جعلناكم {الخطاب للذين بعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم أي استخلفناكم في الأرض بعد القرون التي أهلكنا {لننظر {أتعملون خيراً أم شراً فنعاملكم على حسب عملكم. و {كيف {في محل النصب بتعملون لا بننظر لأن معنى الاستفهام فيه يحجب أن يتقدم عليه عامله. فإن قلت: كيف جاز النظر على اللّه تعالي وفيه معنى المقابلة قلت: هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجوداً شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه. {وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا أئت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم غاظهم ما في القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد للمشركين فقالوا: {أئت بقرآن {آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك {أو بدله {بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها. فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وأن يسقط ذكر الآلهة. وأما الإتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للإنسان {ما يكون لي {ما ينبغي لي وما يحل كقوله تعالى: }ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق{ المائدة: 116 {أن أبدله من أن تلقاء نفسي {من قبل نفسي. وقرئ: بفتح التاء: من غير أن يأمرني بذلك ربي {إن أتبع ما يوحى إلي {لا آتي ولا أذد شيئاً من نحو ذلك إلا متبعاً لوحي الله وأوامره إن نسخت آية تبعت النسخ وأن بذلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس إلي تبديل ولا نسخ

{إني أخاف إن عصيت ربي {بالتبديل والنسخ من عند نفسي {عذاب يوم عظيم {. فإن قلت: أما ظهر وتبين لهم العجز عن الإتيان بمثل القرآن حتى قالوا: {أئت بقرآن غير هذا {قلت: بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون: لو نشاء لقلنا مثل هذا. ويقولون: افترى على الله كذباً فينسبونه إلى الرسول ويزعمونه قادراً عليه وعلى مثله. مع علمهم بأن العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها إذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز. فإن قلت: لعلهم أرادوا: ائت بقران غير هذا أو بدله من جهة الوحي كما أتيت بالقرآن من جهته. وأراد بقوله: {ما يكن لي {ما يتسهل لي وما يمكنني أن أبدله. قلت: يرده قوله: {إني أخاف إن عصيت ربي {فإن قلت: فما كان غرضهم وهم أدهى الناس وأنكرهم في هذا الاقتراح قلت: الكيد والمكر. أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال. وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه الله فينجو منه أو لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحاً لافترائه على الله. {قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون {. {لو شاء الله ما تلوته عليكم {يعني أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإحداثه أمراً عجيباً خارجاً عن العادات وهو أن يخرج رجل أمي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشأ في بلد فيه علماء فيقرأ عليهم كتاباً فصيحاً يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحوناً بعلوم من علوم الأصول والفروع وأخبار مما كان وما يكون ناطقاً بالغيوب التي لا يعلمها إلا اللّه وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على أحواله ولا يخفى عليكم شيء من أسراره وما سمعتم منه حرفاً من ذلك ولا عرفه به أحد من أقرب الناس منه وألصقهم به {ولا أدراكم به {ولا أعلمكم به على لساني. وقرأ الحسن: ولا أدراتكم به على لغة من يقول: أعطاته وأرضاته في معنى أعطيته وأرضيته وتعضده قراءة ابن عباس: ولا أنذرتكم به. ورواه الفراء: أولا ادرأتكم به بالهمز. وفيه وجهان أحدهما: أن تقلب الألف همزة كما قيل: لبأت بالحج. ورثأت الميت وحلأت السويق وذلك لأن الألف والهمزة من واد واحد. ألا ترى أن الألف إذا مستها الحركة انقلبت همزة. والثاني: أن يكون من درأته إذا دفعته وأدرأته إذا جعلته دارئاً. والمعنى: ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني بالجدال وتكذبونني. وعن ابن كثير: ولأدراكم به بلام الابتداء لإثبات الادراء ومعناه: لو شاء الله ما تلوته أنا عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن علي من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها أهلاً دون سائر الناس {فقد لبثتم فيكم عمراً {وقرئ: عمرا بالسكون. يعني: فقد أقمت فيما بينكم يافعاً وكهلاً فلم تعرفوني متعاطياً شيئاً من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفاً بعلم وبيان فتتهموني باختراعه {أفلا تعقلون {فتعلموا أنه ليس إلا من اللّه لا من مثلي. وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم: ائت بقرآن غير هذا من إضافة الافتراء إليه. {فمن أظلم ممن أفترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون {. {ممن أفترى على الله كذباً {يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله في قولهم: إنه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفادياً مما أضافوه إليه من الافتراء. {ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون {. {ما لا يضرهم ولا ينفعهم {الأوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضرّ. وقيل: إن عبدوها لم تنفعهم وإن تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود أن يكون مثيباً على الطاعة معاقباً على المعصية. وكان أهل الطائف يعبدون اللات وأهل مكة العرى ومناة وهبل وإسافاً ونائلة {و {كانوا أيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند اللّه وعن النضر بن الحرث: إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى {أتنبئون الله بما لا يعلم {أتخبرونه بكونكم شفعاء عنده وهو إنباء بما ليس بالمعلوم لله وإذا لم يكن معلوماً له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئاً لأن الشيء ما يعلم {به {ويخبر عنه فكان خبراً ليس له مخبر عنه. فإن قلت: كيف أنبأوا الله بذلك قلت: هو تهكم بهم وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الأصنام وإعلام بأن الذي أنبؤا به باطل غير منطوٍ تحت الصحة فكأنهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه. وقرئ: أتنبئون بالتخفيف. وقوله: {في السموات ولا في الأرض {تأكيد لنفيه

لأن ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم {تشركون {قرئ بالتاء والياء وما موصولة أو مصدرية أي عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم. {وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب لله فانتظروا إني معكم من المنتظرين {. {وما كان الناس إلا أمة واحدة {حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم إلى أن قتل قابيل هابيل. وقيل: بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين دياراً {ولولا كلمة سبقت من ربك {وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة {لقضي بينهم {عاجلاً فيما اختلفوا فيه ولميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتأخير لحكمة أوجبت أن تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب. وقالوا: {ولولا أنزل عليه آية من ربهم {أرادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما أنزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على أحد من الأنبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكأنه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا: {لولا أنزل عليه آية واحدة من ربه {وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي {فقل إنما الغيب لله {أي هو المختص بعلم الغيب المستأثر به لا علم لي ولا لأحد به يعني أن الصارف عن إنزال الآيات المقترحة أمر مغيب لا يعلمه إلا هو {فانظروا {نزول ما اقترحتموه {وإذا أذقنا الناس رحمة منا من بعد ضراء مستهم إذا لهم مكر في آياتنا قل الله أسرع مكراً إن رسلنا يكتبون ما تمكرون {. سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ويكيدونه وإذا الأولى للشرط والآخرة جوابها وهي للمفاجأة والمكر: إخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق. ومعنى {مستهم {خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم. فإن قلت: ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله: {أسرع مكراً {قلت: بلى دلت على ذلك كلمة المفاجأة كأنه قال: وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجئوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قل أن يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم. والمعنى: أن الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل أن تدبروا كيف تعملون في إطفاء نور الإسلام {إن رسلنا يكتبون {إعلام بأن ما تظنونه خافياً مطوياً لا يخفى على الله وهو منتقم منكم. وقرئ: يمكرون بالتاء والياء. وقيل: مكرهم قولهم: سقينا بنوء كذا. وعن أبي هريرة: إن اللّه ليُصَبح القوم بالنعمة وُيمسهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون: مطرنا بنوء {هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إلينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون {. قرأ زيد بن ثابت: ينشركم ومثله قوله: {فانتشروا في الأرض {الجمعة: 10 {ثم إذا أنتم بشر تنتشرون {الروم: 20 فإن قلت: كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر إنما هو بالكون في الفلك قلت: لم يجعل الكون في الفلك غاية التسيير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كأنه قيل: يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن للهلاك والدعاء بالإنجاء. فإن قلت: ما جواب إذا قلت: جاءتها. فإن قلت: فدعوا قلت: بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به. فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة قلت: المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح. فإن قلت: ما وجه قراءة أم الدرداء: في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت: قيل هما زائدتان كما في الخارجي والأحمري. ويجوز أن يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري والضمير في جرين للفلك لأنه جمع فلك كالأسد في فعل أخي فعل. وفي قراءة أم الدرداء: للفلك أيضاً لأن الفلكي يدل عليه {جَاءتها {جاءت الريح الطيبة أي تلقتها. وقيل: الضمير للفلك {من كل مكان {من جميع أمكنة الموج {أحيط بهم {أي أهلكوا جعل

إحاطة العدو بالحي مثلاً في الهلاك {مخلصين له الدين {من غير إشراك به لأنهم لا يدعون حينئذ غيره معه {لئن أنجيتنا {على إرادة القول. أو لأن {دعوا {من جملة القول: {يبغون في الأرض {يفسدون فيها ويعبثون متراقين في ذلك ممعنين فيه من قولك: بغى الجرح إذا ترامى إلى الفساد. فإن قلت: فما معنى قوله: {بغير الحق {والبغي لا يكون بحق قلت: بلى وهو استيلاء المسلمين على أرض الكفرة وهدم دورهم وإحراق زروعهم وقطع أشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببني قريظة. قرئ: متاع الحياة الدنيا بالنصب: فإن قلت: ما الفرق بين القراءتين قلت: إذا رفعت كان المتاع خبراً للمبتدأ الذي هو {بغيكم {و {على أنفُسِكم {صلته كقوله: {فبغي عليهم {ومعناه: إنما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعني بغى بعضكم على بعض منفعة الحياة الدنيا لا بقاء لها وإذا نصبت {فعلى أنفسكم {خبر غير صلة معناه إنما بغيكم بال على أنفسكم و {متاع الحياة الدنيا {في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل: تتمتعون متاع الحياة الدنيا. ويجوز أن يكون الرفع على: هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام. وعن البني صلى الله {لا تمكر ولا تعن ماكراً ولا تبغ ولا تعن باغياً ولا تنكث ولا تعن ناكثاً {وكان يتلوها. وعنه عليه الصلاة والسلام: {أسرع الخير ثواباً صلة الرحم وأعجل الشر عقاباً البغي واليمين الفاجرة {. وروي: {ثنتان يعجلهما اللّه تعالى في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضي اللّه عنه: لو بغى جبل على جبل لدك الباغي. وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه: يَا صَاحِبَ البغيِ إن البغيَ مصرَعَة فَاربَع فَخَيرُ فِعَالِ المَرءِ أَعسَلُهُ فَلو بغَى جَبَلَ يوماً عَلَى جبَلِ لاندَكَّ منهُ أَعَالِيهِ وَأسفله وعن محمد بن كعب: ثلاث من كن فيه كن عليه: البغي والنكث والمكر. قال الله تعالى: {إنَمَا بغيكم على أنفسكم {. {إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون {. هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاماً بعد ما ألتف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه {فاختلط به {فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضاً {أخذت الأرض زخرفها وازينت {كلام فصيح: جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين. وأصل ازينت تزينت فأدغم. وبالأصل قرأ عبد الله. وقرئ: وأزينت أي أفعلت من غير إعلال الفعل كأغيلت أي صارت ذات زينة. وازيانت بوزن ابياضت {قادرون عليها {متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لعلتها {أتاها أمرنا {وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم {فجعلناها {فجعلنا زرعها {حصيداً {شبيهاً بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله {كأن لم تَغن {كأن لم يغن زرعها أي لم ينبت على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه وإلا لم يستقم المعنى. وقرأ الحسن: كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع. وعن مروان أنه قرأ على المنبر: كأن لم تتغن بالأمس من قول الأعشى: طويل الثواء طويل التغني والأمس مثل في الوقت القريب كأنه قيل: كإن لم تغن آنفاً. {والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم {. {دار السلام {الجنة أضافها إلى اسمه تعظيماً لها. وقيل السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه. وقيل: لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم {إلا قيلاً سلاماً سلاماً {الواقعة: 6 {ويَهدِي {ويوفق {من يشاء {وهم الذين علم أن اللطف يجدي عليهم لأن مشيئته تابعة لحكمته ومعناه: يدعو العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون. {الذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون {. {الحسنى {المثوبة الحسنى {وزيادة {وما يزيد على المثوبة وهي التفضل. ويدل عليه قوله تعالى: {ويزيدهم من فضله {النساء: 173 وعن علي رضي الله عنه: الزيادة: غرفة من لؤلؤة واحدة. وعن ابن عباس رضي الله عنه: الحسنى: الحسنة والزيادة: عشر أمثالها. وعن الحسن رضي الله عنه: عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وعن مجاهد رضي اللّه عنه: الزيادة مغفرة من الله ورضوان. وعن

يزيد بن شجرة: الزيادة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ما تريدون أن أمطركم فلا يريدون شيئاً إلا أمطرتهم. وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرفوع: {إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم منه {}ولا يرهق وجوههم {لا يغشاها {قَتر {غبرة فيها سواد {ولا ذلة {ولا أثر هوان وكسوف بال. والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار إذكاراً بما ينقذهم منه برحمته. ألا ترى إلى قوله تعالى {ترهقها قترة {عبس: 41 {وترهقهم ذلة {يونس: 27. {الذين كسبوا السيئات جزاء السيئة مثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون {. فإن قلت: ما وجه قوله: {الذين كسبوا السيئات جزاء السيئة مثلها {وكيف يتلاءم قلت: لا يخلو إما أن يكون {الذين كسبوا {معطوفاً. على قوله: {للذين أحسنوا {يونس: 26 كأنه قيل: وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وإما أن يقدر: وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى: جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الأول لأن في الأول عطفاً على عاملين وإن كان الأخفش يجيزه. وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثمة بإثبات الزيادة على المثوبة على فضله. وقرئ: يرهقهم ذلة بالياء {من الله من عاصم {أي لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه. ويجوز ما لهم من جهة اللهِ ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين {مُظلِماً {حال من الله. ومن قرأ: قطعاً بالسكون من قوله: {بقطع من الليل {هود: 81 جعله صفة له. وتعضده قراءة أبي بن كعب: كأنما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم. فإن قلت: إذا جعلت مظلماً حالاً من الليل فما العامل فيه قلت: لا يخلو إما أن يكون {أغشِيَت {من قبل إن {من الليل {صفة لقوله: {قِطَعاً {فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة وإما أن يكون معنى الفعل في {من الليل {. {يوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون {. {مكانكم {ألزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم. و {انتم {أكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله: ألزموا {وشركاؤكم {عطف عليه. وقرئ: وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في مكانكم من معنى الفعل {فزيلنا بينهم {ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم. والوصل التي كانت بينهم في الدنيا. أو فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف. وتبرء شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله تعالى: {ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا {غافر: 73 وقرئ: {فزايلنا بينهم {كقولك: صاغر خذه وصعره وكالمته وكلمته. {ما كنتم إيانا تعبدون {إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أنداداً فأطعتموهم. {فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين هناك تبلوا كل نفس ما أسلفت {إن كنا {هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وهم ملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل وقيل: الأصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعم {وهنالك {في ذلك مقام وفي ذلك الموقف أوفي ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان {تبلوا كل نفس {تختبر وتذوق {ما أسلفت {من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود كما يختبر الرجل الشيء ويتعرفه ليكتنه حاله. ومنه قوله تعالى: {يوم تبلى السرائر {الطارق: 9 وعن عاصم: نبلو كل نفس بالنون ونصب كل: أي نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها: إن كان حسناً فهي سعيدة وإن كان سيئاً فهي شقية. والمعنى: نفعل بها فعل الخابر كقوله تعالى: {ليبلوكم أيكم أحسن عملا {هود: 17 ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر. وقرئ: {تتلو {أي تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق النار. أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر {مولاهم الحق {ربهم الصادق ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة. أو : الذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم أحداً. وقرئ: الحق بالفتح على كيد قوله: {ردوا إلى اللّه {كقولك:

هذا عبد اللّه الحق لا الباطل. أو على المدح كقولك: الحمد للّه. أهل الحمد {وضل عنهم ما كانوا يفترون {وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء لله. أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة. {قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون {. {قل من يرزقكم من السماء والأرض {أي يرزقكم منهما جميعاً لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته {من يملك السمع والأبصار {من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة. أو من يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء بكلاءته وحفظه {ومن يدبر الأمر {ومن يلي تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص {أفلا تتقون {أفلا تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما أنتم بصدده من الضلال {فذلكم {إشارة إلى من هذه قدرته وأفعاله {ربكم الحق {الثابت ربوبيته ثباتاً لا ريب فيه لمن حقق النظر {فماذا بعد الحق إلا الضلال {يعني أن الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال {فأنى تصرفون {عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك وعن السعادة إلى الشقاء {كذلك {مثل ذلك الحق {حقت كلمة ربك {أي كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كان حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك {على الذين فسقوا {أي تمردوا في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه و {أنهم لا يؤمنون {بدل من الكلمة أي حق عليهم انتفاء الإيمان وعلم الله منهم ذلك. أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن إيمانهم غير كائن. أو أراد بالكلمة: العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى: لأنهم لا يؤمنون. {قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم يهدي إلى الحق قل الله يهدي إلى الحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون {. فإن قلت: كيف قيل لهم {هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده {وهم غير معترفين بالإعادة قلت: قد وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما إن دفعه دافع كان مكابراً رداً للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم في إنكارهم لها منكرون أمراً مسلماً معترفاً بصحته عند العقلاء وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: {قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده {فأمره بأن ينوب عنهم في الجواب يعني أنه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمه الحق فكلم عنهم. يقال: هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين: ويقال: هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال: شرى بمعنى اشترى. ومنه قوله: {أفمن لا يهدى {. وقرئ: لا يهدى بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال. والأصل: يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها. وقرئ: إلا أن يهدى من هداه وهدّاه للمبالغة. ومنه قولهم: تهدى. ومعناه أن الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي صبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم أنداداً لله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي إلى لحق مثل هداية الله. ثم قال: أفمن يهدي إلى الحق هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذي لا يهدي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله وقيل: معناه أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه {إلا أن يُهدَى {إلا أن ينقل أو لا يهتدي ولا يصح منه لاهتداء إلا أن ينقله اللّه من حاله إلى أن يجعله حيواناً مكلفاً فيهديه {فما لكم كيف تحكمون {بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداداً للّه. {وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً إن الله عليم بما تفعلون {. {وما يتبع أكثرهم {في قرارهم بالله {إلا ظناً {لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم {إنَ الظَن { في معرفة الله {لا يغني من الحق {وهو العلم {شيئاً {وقيل: وما يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام أنها آلهة وأنها شفعاء عند الله إلا الظن. والمراد بالأكثر: الجميع {إن الله عليم {وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء. وقرئ:

}تفعلون {بالتاء. }وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون أفتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا ما استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم بالمفسدين {. }وما كان هذا القرآن {افتراء }من دون الله ولكن {كان }تصديق الذي بين يديه {وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لأنه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله تعالى: }هو الحق مصدقاً لما بين يديه فاطر: 3. وقرئ: ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على: ولكن هو تصديق وتفصيل. ومعنى وما كان أن يفترى. وما صح وما استقام وكان محالاً أن يكون مثله في علو أمره وإعجازه مفتري }وتفصيل الكتاب {وتبيين ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله: }كتاب الله عليكم {النساء: 24. فإن قلت: بم اتصل قوله: }لا ريب فيه من رب العالمين {قلت: هو داخل في حيز الاستدراك. كأنه قال: ولكن كان تصديقاً وتفصيلاً منتفياً عنه الريب كائناً من رب العالمين. ويجوز أن يراد: ولكن كان تصديقاً من رب العالمين وتفصيلاً منه لا ريب في ذلك فيكون }مِن رب العالمين {متعلقاً بتصديق وتفصيل أو يكون }لا ريب {اعتراضاً ما تقول: زيد لا شك فيه كريم }أم يقولون أفتراه }بل أيقولون: اختلقه على أن الهمزة تقرير لإلزام الحجة عليهم. أو إنكار لقولهم واستبعاد. والمعنيان متقاربان }قل {إن كان الأمر كما تزعمون }فأتوا {أنتم على وجه الافتراء }بسورة مثله {فأنتم مثلي في العرين والفصاحة. ومعنى }بسورة مثله {أي شبيهة به في البلاغة وحسن النظم. وقرئ: بسورة مثله على الإضافة أي: بسورة كتاب مثله }وادعوا {من دون الله }من أستطعتم {من خلقه للاستعانة به على الإتيان بمثله: يعني: أن الله وحده هو القادر على أن يأتي بمثله لا يقدر على ذلك أحد غيره فلا تستعينوه وحده ثم استعينوا بكل من دونه }إِن كنُتم صَادِقينَ {أنه افتراء }بل كذبوا {بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجؤه في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشيء على التقليد من الحشوية إذا أحس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وإن كانت أضوأ من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة أنكرها في أول وهلة واشمأز منها قبل أن يحس إدراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة أو فساد لأنه لم يشعر قلبه إلا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب. فإن قلت: ما معنى التوقع في قوله: }ولما يأتيهم تأويله {قلت: معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليداً للآباء. وكذبوه بعد التدبر تمرداً وعناداً فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه لما كرر عليهم التحدي ورازوا قواهم في المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغياً وحسداً }كذلِكَ {أي مثل ذلك التكذيب }كَذَبَ الَذِينَ مِن قبلِهم {يعني قبل النظر في معجزات الأنبياء وقبل تدبرها من غير إنصاف من أنفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا. وقيل: هو في الذين كذبوا وهم شاكون. ويجوز أن يكون معنى }ولما يأتيهم تأويله {ولم يأتهم. بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعني أنه كتاب معجز من جهتين: من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز وقبل أن يخبروا أخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه }ومنهم من يؤمن به {يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند بالتكذيب. ومنهم من يشك فيه لا يصدق به أو يكون للاستقبال أي: }وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم وأنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون {. {}وإن كذبوك {وإن تموا على تكذيبك ويئست من إجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد أعذرت كقوله تعالى: }فإن عصوك فقل إني بريء {الشعراء: 216 وقيل: هي منسوخة بآية السيف. }ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر إليك فأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون {. }ومنهم من يستمعون إليك {معناه: ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون

وناس ينظرون إليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون. ثم قال: أتطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع في صماخه دوي الصوت فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعاً فقد تم الأمر. وأتحسب أنك تقدر على هداية العمي ولو انضم إلى العمى وهو فقد البصر فقد البصيرة لأن الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس ويتظنن. وأما العمى مع الحق فجهد البلاء يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا ويصدقوا كالصم والعمي الذين لا بصائر لهم ولا عقول. وقوله: {أفأنت...... أفأنت {دلالة على أنه لا يقدر على إسماعهم وهدايتهم إلا الله عز وجل بالقسر والإلجاء كما لا يقدر على رد الأصم والأعمى المسلوبي العقل حديدي

{إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون {. {إن الله لا يظلم الناس شيئاً {أي لا ينقصهم شيئاً مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وإنزال الكتب ولكنهم يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز أن يكون وعيداً للمكذبين يعني: أن ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب. ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سبباً فيه. {ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين {. {إلا ساعة من النهار {يستقربون وقت لبثهم في الدنيا. وقيل: في القبور لهول ما يرون {يتعارفون بينهم {يعرف بعضهم بعضاً كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلاً وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم. فإن قلت: {كأن لم يلبثوا {و {يتعارفون {كيف موقعهما قلت: أما الأولى فحال من هم أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث إلا ساعة. وأما الثانية فإما أن تتعلق بالظرف. وإما أن كون مبينة لقوله: {كأن لم يلبثوا إلا ساعة {لأن التعارف لا يبقى مع طول العهد وينقلب تناكراً {قد خَسِر {على إرادة القول أي يتعارفون بينهم قائلين ذلك أو هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم. والمعنى أنهم وضعوا في تجارتهم وبيعهم الإيمان بالكفر {وما كانوا مهتدين {للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل: ما أخسرهم! {وإما نريك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعكم ثم الله شهيد على ما تفعلون {. {فإلينا مرجعكم {جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كأنه قيل: وإما نرينك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه في الآخرة. فإن قلت: الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت: ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كأنه قال: ثم الله معاقب على ما يفعلون. وقرأ ابن أبي عبلة: ثم بالفتح أي هنالك. ويجوز أن يراد: أن الله مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم وألسنتهم وأيديهم وأرجلهم شاهدة عليهم. {ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهو لا يظلمون {. {ولكل أمة رسول {يبعث إليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق {فإذا جاء {هم {رسولهم {بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه {قضى بينهم {أي بين النبي ومكذبيه {بالقسط {بالعدل فأنجى الرسول وعذب المكذبون كقوله {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا {الإسراء: 15 أو لكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد {يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون {. {متى هذا الوعد {استعجال لما وعدوا من العذاب استبعاداً له {أملك لنفسي ضراً {من مرض أو فقر {ولا نفعاً {من صحة أو غنى {إلا مَا شَآءَ الله {استثناء منقطع: أي ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضرر وجلب العذاب {لكل أمة أجل {يعني أن عذابكم له أجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان {إذا جاء {ذلك الوقت أنجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا. وقرأ ابن سيرين: فإذا جاء آجالهم. {قل أرأيتم إن آتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون إثم إذا ما وقع أمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا ما كنتم تكسبون {. {بياتاً {نصب على الظرف بمعنى. وقت بيات فإن قلت: هلا قيل ليلاً أو

نهاراً قلت: لأنه أريد: إن أتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وأنتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت. والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله: {نهاراً {معناه في وقت أنتم فيه مشتغلون بطلب بالمعاش والكسب. ونحوه {بياتاً وهم نائمون {الأعراف: 98 {ضحى وهم يلعبون {الأعراف: 98 الضمير في {منه {للعذاب. والمعنى: أن العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فأي شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال. ويجوز أن يكون معناه التعجب كأنه قيل أي شيء هول شديد يستعجلون منه ويجب أن تكون من للبيان في هذا الوجه. وقيل: الضمير في {منه {للّه تعالى. فإن قلت: بم تعلق الاستفهام وأين جواب الشرط قلت تعلق بأرأيتم لأن المعنى: أخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو: تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه. فإن قلت: فهلا قيل: ماذا تستعجلون منه. قلت: أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام لأن من حق المجرم أن يخاف التعذيب على إجرامه ويهلك فزعاً من مجيئه وإن أبطأ فضلاً أن يستعجله. ويجوز أن يكون {ماذا يستعجل منه المجرمون {جواباً للشرط كقولك: إن أتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بأرأيتم وأن يكون {أثم إذا ما وقع أمنتم به {جواب الشرط و {ماذا يستعجل منه المجرمون {اعتراضاً. والمعنى: إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الإيمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله: {أفأمن أهل القرى {الأعراف: 97 {أو أمن أهل القرى {الأعراف: 98 {آلآن {على إرادة القول أي: قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب: آلآن آمنتم به {وقد كنتم به تستعجلون {يعني: وقد كنتم به تكذبون لأن استعجالهم كان على جهة التكذيب والإنكار. وقرئ: آلان بحذف الهمزة بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام {ثم قيل الذين ظلموا {عطف على قيل المضمر قبل آلآن. {يستنبؤنك أحق هو قل إي وربي إنه لحق وما أنتم بمعجزين {. {يستنبؤنك {ويستخبرونك فيقولون: {أحق هو {وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء. وقرأ الأعمش: آلحق هو وهو أدخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بأنه باطل. وذلك أن اللام للجنس فكأنه قيل: أهو الحق لا الباطل أو أهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود. و {إي {بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة. وسمعتهم يقولون في التصديق: إيوَ فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده {وما أنتم بمعجزين {بفائتين العذاب وهو لاحق بهم لا محالة. {ولو أن لكل نفس ظلمات ما في الأرض لأفتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا إن لله ما في السموات والأرض ألا أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون هو يحي ويميت وإليه ترجعون {. {ظلمات {صفة لنفس على: ولو أن لكل نفس ظالمة {ما في الأرض {أي ما في الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها وجميع منافعها على كثرتها {لأفتدت به {لجعلته فدية لها. يقال: فده فافتدى. ويقال: افتداه أيضاً بمعنى فداه {وأسروا الندامة لما رأوا العذاب {لأنهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الأمر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخاً ولا ما يفعله الجازع سوى إسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى جامداً مبهوتاً وقيل: أسر رؤساؤهم الندامة من سفالتهم الذين أضلوهم حياء منهم وخوفاً من توبيخهم وقيل أسروها أخلصوها إما لأن إخفاءها إخلاصها وإما من قولهم: سر الشيء خالصه. وفيه تهكم بهم وبأخطائهم وقت إخلاص الندامة. وقيل: أسروا الندامة: أظهروها من قولهم: أسر الشيء وأشره إذا أظهره. وليس هناك تجلد {وقضى بينهم {أي بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم. ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله وأنه المثيب المعاقب وما وعدوه من الثواب والعقاب فهو حق. وهو القادر على الإحياء والإماتة لا يقدر عليهما غيره وإلى حسابه وجزائه المرجع ليعلم أن الأمر كذلك فَيُخَاف ويرجى ولا يغتر به المغترون. {يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين {قد جاءكم موعظة {أي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد {و {هو {لما في {صدوركم من العقائد الفاسد

ودعاء إلى الحق {ورحمة {لمن أمن به منكم. وأصل الكلام: بفضل الله ورحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقرير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة والفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل: إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فإنه لا مفروح به أحق منهما. ويجوز أن يراد: بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا. ويجوز أن يراد: قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك: فبمجيئها فليفرحوا. وقرئ: فلتفرحوا بالتاء وهو الأصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي. وعنه: {لتأخذوا مصافكم {قالها في بعض الغزوات. وفي قراءة أبي: فافرحوا {هو {راجع إلى ذلك. وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء. وعن أبي بن كعب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا: {قل بفضل الله ورحمته {فقال بكتاب الله والإسلام وقيل فضله الإسلام ورحمته ما وعد عليه. {قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون {. {أرأيتم {أخبروني. و {ما أنزل الله {ما في موضع النصب بأنزل أو بأرأيتم في معنى: أخبرونيه {فجعلتم منه حراماً وحلالاً {أي أنزله الله رزقاً حلالاً كله فبعضتموه وقلتم: هذا حلال وهذا حرام كقولهم: {هذه أنعام وحرث حجر {{ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا و محرم على أزواجنا {{آلله أذن لكم {متعلق بأرأيتم. وقل: تكرير للتوكيد. والمعنى: أخبروني الله أذن لكم في التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه تتكذبون على الله في نسبة ذلك إليه. ويجوز أن تكون الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى: بل أتفترون على الله تقريراً على للافتراء. وكفى بهذه الآية زاجرة زجراً بليغاً عن التجوز فيما يسأل عنه من الأحكام. ولاعثة على وجوب الاحتياط فيه وإن لا يقول أحد في شيء جائز إلا بعد إيقان وإتقان ومن لم يوقن فليتق الله ولصمت وإلا فهو مفتر على الله {يوم القيامة {منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني: أي شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره. وقرأ عيسى بن عمر: وما ظن على لفظ الفعل. ومعناه: أي ظن ظنوا يوم القيامة. وجيء به على لفظ الماضي لأنه كائن فكأن قد كان {إن الله لذو فضل على الناس حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام {ولكن أكثرهم لا يشكرون {هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا إليه. {وما تكون في شأن وما تتلون منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين {{وما تكون في شأن {ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشأن: الأمر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه إذا قصدت قصده. والضمير في {منه {للشأن لأن تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شأنه أو للتنزيل كأنه قيل: وما تتلوا من التنزيل من قرآن لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو الله عز وجل وما {تعملون {أنتم جميعاً {من عمل {أي عمل كان {إلا كنا عليكم شهوداً {شاهدين رقباء نحصي عليكم {إذ يفيضون فيه {من أفاض في الأمر إذا اندفع فيه {وما يعزب {قرئ بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب {ولا أصغر من ذلك ولا أكبر {القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاماً برأسه وفي العطف على المحل {من مثقال ذرة {أو على لفظ {مثقال ذرة {النساء: 40 فتحاً في موضع الجر لامتناع الصرف إشكال لأن قولك: لا يعزب عنه شيء إلا في كتاب مشكل فإن قلت لم قدمت الأرض على السماء بخلاف قوله: وفي سورة سبأ [{عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض {]سبأ: 3 قلت: حق السماء أن تقدم على الأرض ولكنه لما ذكر شهادته على شئون أهل الأرض وأحوالهم وأعمالهم ووصل بذلك قوله: [{لا يعزب عنه {]سبأ: 3 لاءم ذلك أن قدم الأرض على السماء على أن العطف بالواو حكمه حكم التثنية. {ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل

لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم {. {أولياء الله {الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة. وقد فسر ذلك في قوله: {الذين آمنوا وكانوا يتقون {فهم توليهم إياه {لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة {فهو توليه إياهم. وعن سعيد بن جبير: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل: من أولياء الله فقال: {هم الذين يذكر الله برؤيتهم {يعني السمت والهيئة. وعن ابن عباس رضي الله عنه: الإخبات والسكينة. وقيل: هم المتحابون في اللّه. وعن عمر رضي اللّه عنه: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: {إن من عباد اللّه عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من اللّه {قالوا: يا رسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال: {هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فواللّه إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس {ثم قرأ الآية: {الذين آمنوا {نصب أو رفع على المدح أو على وصف الأولياء أو على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم: {هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له {وعنه عليه الصلاة والسلام: {ذهبت النبوة وبقيت المبشرات {. وقيل: هي محبة الناس له والذكر الحسن. وعن أبي ذر: قلت: لرسول الله صلى الله عليه وسلم: الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال: {تلك عاجل بشرى المؤمن {وعن عطاء: لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة. قال الله تعالى: {تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة {فصلت: 30 وأما البشرى في الآخرة فتلقي الملائكة إياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم وإعطاء الصحائف بأيمانهم وما يقرءون منها وغير ذلك من البشارات {لا تبديل لكلمات الله {لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده كقوله تعالى: {ما يبدلُ القول لدي {ق: 29 و {ذلك {إشارة {ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعاً وهو السميع العليم {. {ولا يحزنك {وقرئ: ولا يحزنك من أحزنه {قولهم {تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وإبطال أمرك وسائر ما يتكلمون به في شأنك {إن العزة لله {استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل: ما لي لا أحزن فقيل: إن العزة لله جميعاً أي إن الغلبة والقهر في ملكة اللّه جميعاً لا يملك أحد شيئاً منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم {كتب الله لأغلبن أنا ورسلي {المجادلة: 21 {إنا لننصر رسلنا {غافر: 51 وقرأ أبو حيوة أن العزة بالفتح بمعنى لأن العزة على صريح التعليل من جعله بدلاً من قولهم ثم أنكره فالمنكر هو تخريجه لا ما أنكر من القراءة به {هو السميع العليم {يسمع ما يقولون. ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه. وهو مكافئهم بذلك. {ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرسون {. {من في السموات ومن في الأرض {يعني العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان إنما خصهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه تعالى: ربهم ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولا أن يكون شريكاً له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكاً وليدل على أن من اتخذ غيره رباً من ملك أو نسي فضلاً عن صنم أو غير ذلك فهو مبطل تابع لما أذى إليه التقليد وترك النظر. معنى: وما يتبعون شركاء أي: وما يتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله في الربوبية محال {إن يتبعوا إلا ظنهم أنها شركاء {وإن هم إلا يخرسون {يحزرون ويقدرون أن تكون شركاء تقديراً باطلاً. ويجوز أن يكون {وَمَا يتبع {في معنى الاستفهام يعني: وأي شيء يتبعون. و {شركاء {على هذا نصب بيدعون وعلى الأول بتبع. وكان حقه. وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدهما لدلالة. ويجوز أن تكون ما موصولة معطوفة على من كأنه قيل: ولله ما يتبعه الذين دعون من دون الله شركاء أي: وله شركاؤهم. وقرأ علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه: دعون بالتاء ووجهه أن يحمل {وما يتبع {على الاستفهام أي: وأي شيء يتبع الذين تدعِونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعني: أنهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى: {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة {الإسراء: 57 ثم صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة فقال:

إن يتبع هؤلاء المشركون إلا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبييون من الحق. {هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً وإن في ذلك لآيات لقوم يسمعون {. ثم نبه على عظيم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها أن يوحدوه بالعبادة إنه جعل لهم الليل مظلماً ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيئاً يبصرون فيه مطالب أرزاقهم ومكاسبهم {لقوم يسمعون {سماع معتبر مدكر. {قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون {. {سبحانه {تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء {هو الغني {علة لنفيالولد لأن ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كنه الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفياً {له ما في السموات وما في الأرض {فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم ولداً {إن عندكم من سلطان بهذا {ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله: {إن عندكم {على أن يجعل القول مكاناً للسلطان كقولك: ما عندكم بأرضكم موز كأنه قيل: إن عندكم فيما تقولون سلطان {أتقولون على الله ما لا تعلمون {لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على أن كل قول لا برهان عليه لقائله فذاك جهل وليس بعلم. {قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون {. {يفترون على الله الكذب {بإضافة الولد إليه {متاع في الدنيا {أي افتراؤهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده. {واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلى ولا تنظرون فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين {. {كبر عليكم {عظم عليكم وشق وثقل. ومنها قوله تعالى: {وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين {البقرة: 45. ويقال: تعاظمه الأمر {مقامي {مكاني يعني نفسه كما تقول: فعلت كذا لمكان فلان: وفلان ثقيل الظل. ومنه: {ولمن خاف مقام ربه {الرحمن: 46 بمعنى خاف ربه. أو قيامي ومكثي بين أظهركم مدداً طوالاً ألف سنة إلا خمسين عاماً أو مقامي وتذكيري لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بيناً وكلامهم مسموعاً كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه أنه كان يعظ الحواريين قائماً وهم قعود {فأجمعوا أمرهم وشركاءهم {من أجمع الأمر وأزمعه إذا نواه وعزم عليه. قال: والواو بمعنى مع يعني: فأجمعوا أمركم مع شركائكم. وقرأ الحسن: وشركاؤكم بالرفع عطفاً على الضمير المتصل وجاز من غير تأكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول: اضرب زيداً وعمرو. وقرئ: فاجمعوا من الجمع. وشركاءكم نصب للعطف على المفعول أو لأن الواو بمعنى مع وفي قراءة أبي: فأجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم فإن قلت: كيف جاز إسناد الإجماع إلى الشركاء قلت: على وجه التهكم كقوله: {قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون {الأعراف: 195 فإن قلت: ما معنى الأمرين أمرهم الذي يجمعونه وأمرهم الذي لا يكون عليهم غمة قلت: أما الأمر الأول فالقصد إلى إهلاكه يعني: فأجمعوا ما تريدون من إهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي. وإنما قال ذلك إظهاراً لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته إياه وأنهم لن يجدوا إليه سبيلاً. وأما الثاني ففيه وجهان أحدهما: أن يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني: ثم أهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة: أي غماً وهماً والغم والغمة كالكرب والكربة. والثاني: أن يراد به ما أريد بالأمر الأول والغمة السترة من غمه إذا ستره. ومنها قوله عليه السلام: {ولا غمة في فرائض الله {أي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني: ولا يكن قصدكم إلى إهلاكي مستوراً عليكم ولكن مكشوفاً مشهوراً تجاهرونني به {ثم اقضوا إلي {ذلك الأمر الذي تريدون بي أي: أدوا إلي قطعه وتصحيحه كقوله تعالى: {وقضينا إليه ذلك الأمر {الحجر: 66 أو أدوا إلي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما

يقضي الرجل غريمه {ولا تنظرون {ولا تمهلوني. قرئ: ثم افضوا إلي بالفاء بمعنى: ثم انتهوا إلي بشركم. وقيل: هو من أفضى الرجل إذا خرج إلى الفضاء أي أصحروا به إليَّ وأبرزوه لي {فإن توليتم {فإن أعرضتم عن تذكيري ونصيحتي {فما سألتكم أجراً {فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهموني لأجله من طمع في أموالكم وطلب أجر على عظتكم {إن أجري إلا على الله {وهو الثواب الذي يثيبني به في الآخرة أي: ما نصحتكم إلا لوجه الله لا لغرض من أغراض الدنيا {وأمرت أن أكون من المسلمين {الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيئاً ولا يطلبون به دنيا يريد: أن ذلك مقتضى الإسلام والذي كل مسلم مأمور به. والمراد أن يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر أن توليهم لم يكن عن تفريط منه في سوق الأمر معهم على الطريق الذي يجب أن يساق عليه وإنما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير {فكذبوه {فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم في أولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان {وجعلناهم خلائف {يخلفون الهالكين بالغرق {كَيف كاَنَ عَاقبة المنذرين {تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عن {ثم بعثنا من بعدهم رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين {. {من بعده {من بعد نوح {رسلاً إلى قومهم {يعني هوداً وصالحاً وإبراهيم ولوطاً وشعيباً {فجاءوهم بالبينات {بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم {فما كانوا ليؤمنوا {فما كان إيمانهم إلا ممتنعاً كالمحال لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه {بما كذبوا به من قبل {يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق. فما وقع فصل بين حالتهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد {كذلك نطبع {مثل ذلك الطبع المحكم نطبع {على قلوب المعتدين {والطبع جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لأن الخذلان يتبعه. ألا ترى كيف أسند إليهم الاعتداء ووصفهم به. {ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا إن هذا لسحر مبين قال يا موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين {. {من بعدهم {من بعد الرسل {بآياتنا {بالآيات التسع {فاستكبروا {عن قبولها وهو أعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها {وكانوا قوماً مجرمين {كفاراً ذوي آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترءوا على ردها {فلما جاءهم الحق من عندنا {فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله لا من قبل موسى وهارون {قالوا {لحبهم الشهوات {إن هذا لسحر مبين {وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر الذي ليس إلا تمويهاً وباطلاً. فإن قلت: هم قطعوا بقولهم: {إن هذا لسحر مبين {على أنه سحر فكيف قيل لهم: أتقولون أسحر هذا قلت: فيه أوجه: أن يكون معنى قوله: {أتقولون للحق {أتعيبونه وتطعنون فيه. وكان عليكم أن تذعنوا له وتعظموه من قولهم: فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول إذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه ونحو القول: الذكر في قوله: {سمعنا فتى يذكرهم {الأنبياء: 60 ثم قال: {أسحر هذا {فأنكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وأن يحذف مفعول أتقولون وهو ما دل عليه قولهم: {إن هذا لسحر مبين {كأنه قيل: أتقولون ما تقولون يعني قولهم: إن هذا لسحر مبين ثم قيل: أسحر هذا وأن يكون جملة قوله: {أسحر هذا ولا يفلح الساحرون {حكاية لكلامهم كأنهم قالوا: أجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح {ولا يفلح الساحرون {كما قال موسى للسحرة: ما جئتم به السحر إن اللّه سيبطله {لتلفتنا {لتصرفنا. واللفت والفتل: أخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال {وجدنا عليه آباءنا {يعنون عبادة الأصنام {وتكون لكما الكبرياء {أي الملك لأن الملوك موصوفون بالكبر. ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولذلك وصف ابن الرقيات مصعباً في قوله: ملكه ملك رأفة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء ينفي ما عليه الملوك من ذلك. ويجوز أن يقصدوا ذمهما وأنهما إن ملكا أرض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطي لموسى عليه السلام: إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض {وما نحن لكما بمؤمنين {أي مصدقين لكما فيما جئتما به. وقرئ: يطبع ويكون لكما بالياء. {وقال فرعون أتوني بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة

قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون {. {ما جئتم به {ما موصولة واقعة مبتدأ. و {السحر {خبر أي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحراً من آيات الله. وقرئ: آلسحر على الاستفهام. فعلى هذه القراءة ما استفهامية أي: أي شيء جئتم به أهو السحر وقرأ عبد الله: ما جئتم به سحراً وقرأ أبي: ما أتيتم به سحر. والمعنى: لا ما أتيت به {إن الله سيبطله {سيمحقه أو يظهر بطلانه بإظهار المعجزة على الشعوذة {لا يصلح عمل المفسدين {لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار {فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم وإن فرعون لعال في الأرض وإنه لمن المسرفين {. {{فما آمن لموسى {في أول أمره {إلا ذرية من قومه {إلا طائفة من ذراري بني إسرائيل كأنه قيل: إلا أولاد من أولاد قومه. وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفاً من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف. وقيل: الضمير في قومه لفرعون والذرية: مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته. فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: {وملئهم {قلت: إلى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال: ربيعة ومضر. أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له. ويجوز أن يرجع إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بني إسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم. ويدل عليه قوله: {أن يفتنهم {يريد أن يعذبهم {وإن فرعون لعال في الأرض {لغالب فيها قاهر {وإنه لمن المسرفين {في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية. {وقال موسى لقومه إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين {. {إن كنتم آمنتم بالله {صدقتم به وبآياته {فعليه توكلوا {فإليه أسندوا أمركم في العصمة من فرعون. ثم شرط في التوكل الإسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله أي يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط. ونظيره في الكلام: إن ضربك زيد فاضربه وإن كانت بك قوة {فقالوا على الله توكلنا {إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين لا جرم أن الله سبحانه قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه والتفويض إليه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص {لا تجعلنا فتنة {موضع فتنة لهم أي: عذاب يعذبوننا ويفتنوننا عن ديننا. أو فتنة لهم يفتتنون بنا ويقولون: لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا. {وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين {. تبوأ المكان: اتخذه مباءة كقولك: توطنه إذا اتخذه وطناً. والمعنى اجعلا بمصر بيوتاً من بيوته مباءة لقومكما ومرجعاً يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه {واجعلوا بيوتكم {تلك {قبلة {أي مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا في أول أمرهم مأمورين بأن يصلوا في بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك في أول الإسلام بمكة. فإن قلت: كيف نوع الخطاب فثنى أولاً ثم جمع ثم وحد آخراً. قلت: خوطب موسى وهارون عليهما السلام أن يتبوآ لقومهما بيوتاً ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض إلى الأنبياء. ثم سيق الخطاب عاماً لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لأن ذلك واجب علي الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التي الغرض تعظيماً لها وللمبشر بها. {وقال موسى ربنا إنك أتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم {. الزينة: ما يتزين به من لباس أو حلي أو فرش أو أثاث أو غير ذلك. وعن ابن عباس رضي الله عنه: كانت لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت. فإن قلت: ما معنى قوله: {ربنا ليضلوا عن سبيلك {قلت: هو دعاء بلفظ الأمر كقوله: {ربنا اطمس {{وَاشدُد {وذلك أنه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضاً مكرراً وردد عليهم النصائح والمواعظ زماناً طويلاً وحذرهم عذاب الله وانتقامه وأنذرهم عاقبة ما كانوا عليه من

الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات إلا كفراً وعلى الإنذار إلا استكباراً وعن النصيحة إلا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة أنه لا يجيء منهم إلا الغي والضلال وأن إيمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة أو علم ذلك بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وأفرط مقته وكراهته لحالهم. فدعا اللّه عليهم بما علم أنه لا يكون غيره كما تقول: لعن اللّه إبليس وأخزى الله الكفرة مع علمك أنه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة وأنهم لا يستأهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كأنه قال: ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال. وليكونوا ضلالاً وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما علي منهم هم أحق بذلك وأحق كما يقوله الأب المشفق لولده الشاطر إذا ما لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحرداً عليه لا أن يريد خلاعته واتباعه هواه. ومعنى الشد على القلوب. الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الإيمان {فلا يؤمنوا {جواب للدعاء الذي هو اشدد أو دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل على أنهم جعلوا نعمة الله سبباً في الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا. وقوله: {فلا يؤمنون {عطف على ليضلوا. وقوله: {ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم {دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه. وقرأ الفضل الرقاشي: أئنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم. {قال لقد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون {. قرئ: دعواتكما. قيل: كان موسى يدعو وهارون يؤمن. ويجوز أن يكونا جميعاً يدعوان. والمعنى: إن دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن في وقته {فاستقيما {فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة في إلزام الحجة فقد لبث نوح عليه السلام في قومه ألف عام إلا قليلاً ولا تستعجلا. قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء أربعين سنة {ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون {أي لا تتبعا طريق الجهلة بعادة اللّه في تعليقه الأمور بالمصالح ولا تعجلا فإن العجلة ليست بمصلحة. وهذا كما قال لنوح عليه السلام {إني أعظك أن تكون من الجاهلين {هود: 6. وقرئ: ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيهاً بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع. {وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت إنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين {. قرأ الحسن: وجوزنا من أجاز المكان وجوزه وجاوزه وليس من جوز الذي في بيت الأعشى: وإذا تجوزنا حبال قبيلة لأنه لو كان منه لكان حقه أن يقال وجوزنا بني إسرائيل في البحر كما قال: كما جوز السكي في الباب فيتق {فأتبعهم {فلحقهم. يقال: تبعته حتى أتبعته. وقرأ الحسن: وعدوا. وقرئ: أنه بالفتح على حذف الياء التي هي صلة الإيمان وإنه بالكسر على الاستئناف بدلاً من آمنت. كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصاً على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته. وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرَّة الواحدة كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف.

{ألآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون {. {ألآن {أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك. قيل: قال ذلك حين ألجمه الغرق يعني حين أوشك أن يغرق. وقيل: قاله بعد أن غرق في نفسه. والذي يحكي أنه حين قال: {آمنت {أخذ جبريل من حال البحر فدسه في فيه فالغضب لله على الكافر في وقت قد علم أن إيمانه لا ينفعه. وأما ما يضم إليه من قولهم: خشية أن تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين للّه وملائكته: وفيه جهالتان إحداهما: أن الإيمان يصح بالقلب كإيمان الأخرس فحال البحر لا يمنعه. والأخرى: أن من كره إيمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لأن الرضا بالكفر كفر {من المفسدين {من الضالين المضلين عن الإيمان كقوله: {الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون {النحل: 98. وروي: أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا: ما قول الأمير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه: يقول أبو العباس الوليد بن مصعب: جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه أن يغرق في البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل

خطه فعرفه {ننجيك {بالتشديد والتخفيف: نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر. وقيل: نلقيك بنجوة من الأرض. وقرئ: ننحيك بالحاء: نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك أنه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب: رماه الماء إلى الساحل كأنه ثور {ببدنك {في موضع الحال أي: في الحال التي لا روح فيك وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملاً سوياً لم ينقص منه شيء ولم يتغير أو عرياناً لست إلا بدناً من غير لباس أو بدرعك. قال عمرو بن معد يكرب: أعاذل شكتي بدني وسيفي وكل مقلص سلس القياد وكانت له درع من ذهب يعرف بها. وقرأ أبو حنيفة رحمه الله: بأبدانك وهو على وجهين: إما أن يكون مثل قولهم: هوى بأجرامه يعني: ببدنك كله وافياً بأجزائه. أو يريد: بدروعك كأنه كان مظاهراً بينها {لمن خلفك آية {لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو إسرائيل وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأناً من أن يغرق. وروي أنهم قالوا: ما مات فرعون ولا يموت أبداً. وقيل: أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه اللّه على الساحل حتى عاينوه وكأن مطرحه كان على ممر من بني إسرائيل حتى قيل: لمن خلفك. وقيل: {لمن خلفك {لمن يأتي بعدك من القرون. ومعنى كونه آية: أن تظهر للناس عبوديته ومهانته وأن ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وأنه مع ما كان فيه من عظم الشأن وكبرياء الملك آل أمره إلى ما ترون لعصيانه ربه عز وجل فما الظن بغيره أو لتكون عبرة تعتبر بها الأمم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه إذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله. وقرئ: لمن خلقك بالقاف: أي لتكون لخالقك آية كسائر آياته. ويجوز أن يراد: ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس أمرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة إن مثله لا يغرق ولا يموت. آية من آيات اللّه التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا أن ذلك تعمد منه لإماطة الشبه في أمرك. {ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون {. {مبوأ صدق {منزلاً صالحاً مرضياً وهو مصر والشام {فما اختلفوا {في دينهم وما تشعبوا فيه شعباً إلا من من بعد ما قرأوا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا أن الاختلاف فيه تفرق عنه. وقيل: هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني إسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وأنه هو أم ليس به. بعد ما جاءهم العلم والبيان أنه هو لم يرتابوا فيه. كما قال اللّه تعالى: {الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم {البقرة: 146. {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين {. فإن قلت: كيف قال لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم: {فإن كنت شك مما أنزلنا إليك {مع قوله في الكفرة: {وإنهم لفي شك منه مريب {. قلت: فرق عظيم بين قوله: {إنهم لفي شك منه مريب {بإثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله: {فإن كنت في شك {بمعنى الفرض والتمثيل كأنه قيل: فإن وقع لك شك مثلاً وخيل لك الشيطان خيالاً منه تقديراً {فاسأل الذين يقرؤون الكتاب {والمعنى: أن الله عز وجل قدم ذكر بني إسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يأكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ويبالغ في ذلك فقال: فإن وقع لك شك فرضاً وتقديراً. وسبيل من خالجته شبهة في الدين أن يسارع إلى خلها وإماطتها إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته وإما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق. فسل علماء أهل الكتاب يعني: أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك وقتلها علماً بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلاً عن غيرك فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل الله إلى رسول اللّه لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال: {لقد جاءك الحق من ربك {أي ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة أن ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية {فلا تكونن من الممترين {ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله أي فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله. ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والإلهاب كقوله: {فلا تكونن ظهيراً للكافرين ولا

يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك {القصص: 87 ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله: {لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق {وعن ابن عباس رضي الله عنه: لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحداً منهم وقيل: خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب أمته. ومعناه: فإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم كقوله: {وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً {النساء: 74 وقيل: الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب: إذا عز أخوك فهن. وقيل: إن للنفي أي: فما كنت في شك فاسأل يعني: لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقيناً كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى. وقرئ: فاسأل الذين يقرؤون الكتب. {إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم {. {حقت عليهم كلمة ربك {ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفاراً فلا يكون غيره. وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك. {فلو كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين {. {فلو كانت {فهلا كانت {قرية {واحدة من القرى التي أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تأخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بمخنقه {فنفعها إيمانها {بأن يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار. وقرأ أبيّ وعبد الله: فهلا كانت {إلا قوم يونس {استثناء من القرى لأن المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى: ولكن قوم يونس لما آمنوا. ويجوز أن يكون متصلاً والجملة في معنى النفي كأنه قيل: ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء. وقرئ بالرفع على البدل هكذا روي عن الجرمي والكسائي. روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضباً فلما فقدوه خافوا نزول العذاب. فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة. وقيل: قال لهم يونس: إن أجلكم أربعون ليلة فقالوا: إن رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيماً أسود هائلاً يدخن دخاناً شديداً ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها على بعض وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة. وعن ابن مسعود: بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيرده وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا: قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم: قولوا: يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت فقالوها فكشف عنهم. وعن الفضيل بن عياض: قالوا: اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله. {ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين {. {ولو شاء ربك {مشيئة القسر والإلجاء {لآمن من في الأرض كلهم {على وجه الإحاطة والشمول {جميعاً على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه. ألا ترى إلى قوله: {أفأنت تكره الناس {يعني إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم إلى الإيمان هو لا أنت. وإيلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه وإنما الشأن في المكره من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان وذلك غير مستطاع {ما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون {. {وما كان لنفس {يعني من النفوس التي علم أنها تؤمن {إلا بإذن اللّه {أي بتسهيله وهو منح الألطاف {ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون {قابل بالإذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم إيمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله: {صم بكم عمي فهم لا يعقلون {وسمي الخذلان رجساً وهو العذاب لأنه سببه. وقرئ: الرجز بالزاي. وقرئ: ونجعل بالنون. {قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون {. {ماذا في السموات والأرض {من الآيات والعبر {وما تغني الآيات والنذر {والرسل المنذرون. أو الإنذارات {عن قوم لا يؤمنون {لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ: وما يغني بالياء وما

نافية أو استفهامية. {فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننج المؤمنين }. {أيام الذين خلوا من قبلهم {وقائع اللّه تعالى فيهم. كما يقال: أيام العرب لوقائعها {ثم ننجي رسلنا {معطوف على كلام محذوف يدلّ عليه قوله: {إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم {كأنه قيل: نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا على حكاية الأحوال الماضية {والذين آمنوا {ومن آمن معهم كذلك {ننج المؤمنين {مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين. و {حقاً علينا {اعتراض يعني: حق ذلك علينا حقاً. وقرئ: ننج بالتشديد. {قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين }. {يا أيها الناس {يا أهل مكة {إن كنتم في شك من ديني {وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الإنصاف لتعلموا أنه دين لا مدخل فيه للشك وهو أني لا أعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو إلهكم وخالقكم {ولكن أعبد اللّه الذي يتوفاكم {وإنما وصفه بالتوفي ليريهم أنه الحقيق بأن يخاف ويتقى فَيُعبَدُ دون ما لا يقدر على شيء {وأمرت أن أكون من المؤمنين {يعني أن الله أمرني بذلك بما ركب في من العقل وبما أوحي إلي في كتابه. وقيل: معناه إن كنتم في شك من ديني ومما أنا عليه أثبت عليه أن تركه وأوافقكم. فلا تحدثوا أنفسكم بالمحال ولا تشكوا في أمري واقطعوا عني أطماعكم واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولا أختار الضلالة على الهدى كقوله: {قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون {الكافرون 1 - 2 أمرت أن أكون أصله: بأن أكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع أن و {وإن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين }. فإن قلت: عطفُ قوله: {وأن أقم {على {أن أكون {فيه إشكال لأن أن لا تخلو من أن تكون التي للعبارة أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا يصح أن تكون للعبارة وإن كان الأمر مما يتضمن معنى القول لأن عطفها على الموصولة يأبى ذلك. والقول بكونها موصولة مثل الأولى لا يساعد عليه لفظ الأمر وهو {أقم {لأن الصلة حقها أن تكون جمله تحتمل الصدق والكذب. قلت: قد سوغ سيبويه أن توصل أن بالأمر والنهي وشبه ذلك بقولهم: أنت الذي تفعل على الخطاب لأن الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر. والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال {أقم وجهك {استقم إليه ولا تلتفت يميناً ولا شمالاً. و {حنيفاً {حال من الذين أو من الوجه. {ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين }. {فإن فعلت {معناه: فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكني عنه بالفعل إيجازاً {فإنك إذاً من الظالمين {إذاً جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلاً سأل عن تبعة عبادة الأوثان. وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك {إن الشرك لظلم عظيم {لقمان: 3. {وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم }. أتبع النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر أن الله عز وجل هو الضار النافع الذي إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذي لا شعور به. وكذلك إن أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من فضله وإحسانه فكيف بالأوثان فهو الحقيق إذاً بأن توجه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله: {إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته {الزمر: 38. فإن قلت: لم ذكر المس في أحدهما والإرادة في الثاني قلت: كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعاً: الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير وأنه لا راد لما يريده منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الإصابة في أحدهما والإرادة في الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الإصابة بالخير في قوله تعالى: {يصيب به من يشاء من عباده {والمراد بالمشيئة: مشيئة المصلحة. {قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن يضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل }. {قد جاءكم الحق {فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره إلا نفسه ومن آثر

الضلال فما ضر إلا نفسه واللام وعلى: دلا على معنى النفع والضر. وَكلَ إليهم الأمر بعد إبانة الحق وإزاحة العلل. وفيه حث علي إيثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك {وما أنا عليكم بوكيل {بحفيظ موكول ألي أمركم وحملكم على ما أريد إنما أنا بشير ونذير. {واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين }. {واصبر {على دعوتهم واحتمال أذاهم وإعراضهم {حتى يحكم الله {لك بالنصرة عليهم والغلبة. وروي أنها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار فقال: {إنكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني {يعني أني أمرت في هذه الآية بالصبر على ما سامتني الكفرة فصبرت فاصبروا أنتم على ما يسومكم الأمراء الجورة قال أنس: فلم نصبر. وروي أن أبا قتادة تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الأنصار ثم دخل عليه من بعد فقال له: ما لك لم تتلقنا قال: لم تكن عندنا دواب. قال: فأين النواضح قال: قطعناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر وقال صلى الله عليه وسلم: يا معشر الأنصار إنكم ستلقون بعدي أثرة. قال معاوية: فماذا قال قال: {فاصبروا حتى تلقوني {قال فاصبر. قال: ألا أبلغ معاوية بن حرب أمير الظالمين نثا كلامي بأنا صابرون فمنظروكم إلي يوم التغابن والخصام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من قرأ سورة يونس أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون.

سورة هود

عليه السلام وهي مائة وثلاث وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم {ألر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير }. {أحكمت آياته {نظمت نظماً رصيناً محكماً لا يقع في نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف. ويجوز أن يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف إذا صار حكيماً: أي جعلت حكيمة كقوله تعالى: {آيات الكتاب الحكيم }يونس: 1 وقيل: منعت من الفساد من قولهم: أحكمت أني حنيفة أحكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا وعن قتادة: أحكمت من الباطل {ثُمَ فصلَت {كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص. أو جعلت فصولاً سورة سورة وآية آية. أو فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة. أو فصل فيها ما يحتاج إليه العباد: أي بين ولخص. وقرئ: {أحكمت آياته ثم فصلت {أي أحكمتها أنا ثم فصلتها. وعن عكرمة والضحاك: ثم فصلت أي فرقت بين الحق والباطل. فإن قلت: ما معنى ثم قلت: ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول: هي محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل. وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل وكتاب: خبر مبتدأ محذوف وأحكمت: صفة له. وقوله: {لدن حكيم خبير {صفة ثانية. ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وأن يكون صلة لأحكمت وفصلت أي: من عنده إحكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لأن المعنى: أحكمها حكيم وفصلها: أي بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الأمور. {ألا تعبدوا إلا الله أنني لكم منه نذير وبشير وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله وإن تولوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير }. {ألا تعبدوا {مفعول له على معنى: لئلا تعبدوا. أو تكون أن مفسرة لأن في تفصيل الآيات معنى القوم كأنه قيل قال لا تعبدوا إلا اللّه أو أمركم أن لا تعبدوا إلا الله {وأن استغفروا {أي أمركم بالتوحيد والاستغفار. ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ منقطعاً عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم إغراء منه على اختصاص الله بالعبادة. ويدل عليه قوله: {أنني لكم منه نذير وبشير {كأنه قال: ترك عبادة غير الله إنني لكم منه نذير كقوله تعالى: {فضرب الرقاب {محمد: 4 والضمير في {منه {لله عز وجل أي: إنني لكم نذير وبشير من جهته كقوله: {رسول من الله {البينة: 2 أو هي صلة لنذير أي: أنذركم منه ومن عذابه إن كفرتم

وأبشركم بثوابه إن آمنتم. فإن قلت: ما معنى ثم في قوله: {ثم توبوا إليه {قلت: معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة. أو استغفروا والاستغفار توبة ثم أخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله: {ثم استقاموا {الأحقاف: 13. {يمتعكم {يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة {إلى أجل مسمى {إلى أن يتوفاكم كقوله: {فلنحيينه حياة طيبة {النحل: 7 {ويؤت كل ذي فضل فضله {ويعط في الآخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه. أو فضله في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات {وإن تولوا {وإن تتولوا {عذاب يوم كبير {هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل. وبين عذاب اليوم الكبير بأن مرجعهم إلى من هو قادر على كل شيء فكان قادراً على أشد ما أراد من عذابهم لا يعجزه. وقرئ: {وإن تولوا {من ولي. {ألا أنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور {. {يثنون صدورهم {يزورون عن الحق وينحرفون عنه لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه {ليستخفوا منه {يعني: ويريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم. ونظير إضمار يريدون لقود المعنى إلى إضماره الإضمار في قوله تعالى: {اضرب بعصاك البحر فانفلق {الشعراء: 63 معناه فضرب فانفلق. ومعنى {ألا حين يستغشون ثيابهم {ويزيدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضاً كراهة لاستماع كلام الله تعالى: كقول نوح عليه السلام: {جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم {نوح: 7 ثم قال: {يعلم ما يسرون وما يعلنون {يعني أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده. روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان يظهر لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر. وقيل: نزلت في المنافقين. وقرئ: تثنوني صدورهم واثنونى من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء. وعن ابن عباس لتثنوني. وقرئ تثنون وأصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ يريد: مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات. أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم. وقرئ: تثنئن من اثنأن أفعال منه ثم همز كما قيل: ابيأضت وادهأمت وقرئ: تثنوي بوزن ترعوي. {وما من دابة على الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين {. فإن قلت: كيف قال: {على الله رزقها {بلفظ الوجوب وإنما هو تفضل قلت: هو تفضل إلا أنه لما ضمن أن يتفضل به عليهم رجع التفضل واجباً كنذور العباد. والمستقر: مكانه من الأرض ومسكنه. والمتسودع حيث كان مودعاً قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة {كل {كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين. {وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين {. {وكان عرشه على الماء {أي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والأرض. وارتفاعه فوقها إلا الماء. وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والأرض. وقيل: وكان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الأجرام كانت أحوج إليه وإلى إمساكه {ليبلوكم {متعلق بخلق أي خلقهن لحكمة بالغة وهي أن يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه. ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال: ليبلوكم. يريد: ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لأحوالكم كيف تعملون. فإن قلت: كيف جاز تعليق فعل البلوى قلت: لما في الاختبار من معنى العلم لأنه طريق إليه فهو ملابس له كما تقول: انظر أيهم أحسن وجهاً واسمع أيهم أحسن صوتاً لأن النظر والاستماع من طرق العلم. فإن قلت كيف قيل: {أيكم أحسن عملاً {وأعمال المؤمنين هي التي تتفاوت إلى حسن وأحسن فأما أعمال المؤمنين

والكافرين فتفاوتها إلى حسن وقبيح قلت: الذين هم أحسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا إلى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفاً لهم وتنبيهاً على مكانهم منه وليكون ذلك لطفاً للسامعين وترغيباً في حيازة فضلهم. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: {ليبلوكم أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله {قرئ: {ولئن قلت أنكم مبعثون {بفتح الهمزة. ووجهه أن يكون من قولهم: ائت السوق عنك تشتري لنا لحماً وأنك تشتري بمعنى علك أي: ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى: توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بإنكاره لقالوا: {إن هذا إلا سحر مبين {باتين القول ببطلانه. ويجوز أن تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم: {إن هذا إلا سحر مبين {أن السحر أمر باطل وأن بطلانه كبطلان السحر تشبيهاً له به. أو أشاروا بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فإذا جعلوه سحراً فقد اندرج تحته إنكار ما فيه من البعث وغيره. وقرئ: إن هذا إلا ساحر يريدون الرسول والساحر: كاذب مبطل. {ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون {. {العذاب {عذاب الآخرة. وقيل عذاب يوم بدر. وعن ابن عباس: قتل جبريل المستهزئين {إلى أمة {إلى جماعة من الأوقات {ما يحبسه {ما يمنعه من النزول استعجالاً له على وجه التكذيب والاستهزاء. و {يوم يأتيهم {منصوب بخبر ليس ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك أنه إذا جاز تقديم معمول خبرها عليها كان ذلك دليلاً على جواز تقديم خبرها إذ المعمول تابع للعامل فلا يقع إلا حيث يقع العامل {وحاق بهم {وأحاط بهم {ما كانوا به يستهزئون {العذاب الذي كانوا به يستعجلون. وإنما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على جهة الاستهزاء. والمعنى: ويحيق بهم إلا أنه جاء على عادة اللّه في أخباره. {ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني إنه لفرح فخور إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير {. {الإنسان {للجنس {رحمة {نعمة من صحة وأمن وجدة {ثم نزعناها منه {ثم سلبنا تلك النعمة {إنه ليؤوس {شديد اليأس من أن تعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة. قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع {كفور {عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نَساء له {ذَهَبَ السيئات عني {أي المصائب التي ساءتني {إنه لفرح {أشر بطر {فخور {على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر {إلا الذين {آمنوا فإن عادتهم إن نالتهم رحمة أن يشكروا وإن زالت عنهم نعمة أن يصبروا. {فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل {. كانوا يقترحون عليه آيات تعنتاً لا استرشاداً لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم. ومن اقتراحاتهم {لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك {وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله: {فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك {أي لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به {وضائق به صدرك {بأن تتلوه عليهم {أن يَقُولُوا {مخافة أن يقولوا: {لولا أنزل عليه كنز {أي هلا أنزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم أنزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال: {إنَما أنتَ نذير {أي ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحي إليك وتبلغهم ما أمرت بتبليغه ولا عليك ردوا أو تهاونوا أو اقترحوا {والله على كل شيء وكيل {يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك إليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم.
فإن قلت: لم عدل عن ضيق إلى ضائق قلت: ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفسح الناس صدراً. ومثله قولك: زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فإذا أردت الحدوث قلت: بمنزلة أما اللئيم

فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها {أم يقولون أفتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا ما استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين {. {أم {منقطعة. والضمير في {أفتراه {لما يوحى إليك. تحداهم أولاً بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخابر في الخط لصاحبه: اكتب عشرة أسطر نحو ما أكتب فإذا تبين له العجز عن مثل خطه قال: قد اقتصرت منك على سطر واحد {مثله {بمعنى أمثاله ذهاباً إلى مماثلة كل واحدة منها له {مفتريات {صفة لعشر سور لما قالوا: افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند اللّه قاودهم على دعواهم وأرخى معهم العنان وقال: هبوا أني اختلقته من عند نفسي ولم يوح إلي وأن الأمر كما قلتم فأتوا أنتم أيضاً بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما أقدر عليه من الكلام. فإن قلت: كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت: معناه مثله في حسن البيان والنظم وإن كان مفترى. {فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون {. فإن قلت: ما وجه جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله: {لكم فاعلموا {بعد قوله: {قل {قلت: معناه فإن لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع آخر: {فإن لم يستجيبوا لك فاعلم {القصص: 50 ويجوز أن يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله: فإن شئت حرمت النساء سواكم وووجه آخر: وهو أن يكون الخطاب للمشركين والضمير في {لم يستجيبوا {لمن استطعتم يعني: فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وأن طاقتهم أقصر من أن تبلغه {فاعلموا أنما أنزل بعلم الله {أي أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه {و {اعلموا عند ذلك {وأن لا إله إلا {الله وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم {فهل أنتم مسلمون {مبايعون بالإسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد. ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه: فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقيناً وثبات قدم على أنه منزل من عند اللّه وعلى التوحيد. ومعنى {فهل أنتم مسلمون {فهل أنتم مخلصون {من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون {. {نوف إليهم {نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق. وقيل: هم أهل الرياء. يقال للقراء منهم: أردت أن يقال: فلان قارئ فقد قيل ذلك. ولمن وصل الرحم وتصدق: فعلت حتى يقال فقيل ولمن قاتل فقتل: قاتلت حتى يقال فلان جريء فقد قيل: وعن أنس بن مالك: هم اليهود والنصارى إن أعطوا سائلاً أو وصلوا رحماً عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن. وقيل: هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فأسهم لهم في الغنائم. وقرئ: يوف بالياء على أن الفعل لله عز وجل. وتوف إليهم أعمالهم بالتاء على البناء للمفعول. وفي قراءة الحسن: نوفي بالتخفيف وإثبات الياء لأن الشرط وقع ماضياً كقوله: يقول لا غائب مالي ولا حرم {وحبط ما صنعوا فيها {وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم يعني: لم يكن له ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفي إليهم ما أرادوا {وباطل ما كانوا يعملون {أي كان عملهم في نفسه باطلاً لأنه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له. وقرئ: وبطل على الفعل. وعن عاصم: وباطلاً بالنصب وفيه وجهان: أن تكون ما إبهامية وينتصب بيعملون ومعناه: وباطلاً أي باطل كانوا يعملون. وأن تكون بمعنى المصدر على: وبطل بطلاناً {أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهداً منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون {. {{أفمن كان على بينة {معناه: أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة أي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد أن بين الفريقين تفاوتاً بعيداً وتبايناً بيناً وأراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة {من ربه {أي على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام حق وهو دليل العقل {ويتلوه {ويتبع ذلك البرهان {شاهداً منه

{أي شاهد يشهد بصحته وهو القرآن {منه {من الله أو شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفاً {ومن قبله {ومن قبل القرآن {كتاب موسى {هو التوراة أي: ويتلو ذلك البرهان أيضاً من قبل القرآن كتاب موسى. وقرئ: كتاب موسى بالنصب ومعناه: كان على بينة من ربه وهو الدليل على أن القرآن حق {ويتلوه {: ويقرأ القرآن {شاهداً منه {شاهد ممن كان على بينة. كقوله: {وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله {الأحقاف: 10 {قل كفى باللّه شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب {الرعد: 43 {ومن قبله كتاب موسى {ويتلو من قبل القرآن والتوراة {إِمَاماً {كتاباً مؤتماً به في الدين قدوة فيه {رحمة {ونعمة عظيمة على المنزل إليهم {أولئك {يعني من كان على بينة {يؤمنون به {يؤمنون بالقرآن {ومن يكفر به من الأحزاب {يعني أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم {فالنار موعده فلا تك في مرية {وقرئ: مُرية بالضم وهما الشك {منه {من القرآن أو من الموعد.

{ومن أظلم ممن أفترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أولئك الذين خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون {. {يعرضون على ربهم {يحبسون في الموقف وتعرض أعمالهم ويشهد عليهم {الأشهاد {من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على اللّه بأنه اتخذ ولداً وشريكاً ويقال {ألا لعنة الله على الظالمين {فوا خزياه ووا فضيحتاه. والأشهاد: جمع شاهد أو شهيد كأصحاب أو أشراف {ويبغونها عوجاً {يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة. أو يبغون أهلها أنيعوجوا بالارتداد وهم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به {أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض {أي ما كانوا يعجزون اللّه في الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد {يضاعف لهم العذاب {وقرئ: يضعف {وما كانوا يستطيعون السمع {أراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كأنهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب إذا عثر عليه فيوعوع به على أهل العدل كأنه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان: هذا كلام لا أستطيع أن أسمعه وهذا مما يمجه سمعي. ويحتمل أن يريد بقوله: {وما كان لهم من دون الله من أولياء {أنهم جعلوا آلهتهم أولياء من دون اللّه وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من أولياء ثم بين نفي كونهم أولياء بقوله: {وما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون {فكيف يصلحون للولاية. وقوله: {يضاعف لهم العذاب {اعتراض بوعيد {خسروا أنفسهم {اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران أعظم منه وهو أنهم خسروا أنفسهم {وَضَل عَنهم {وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو {ما كانوا يفترون {من الآلهة وشفاعتها {لا جَرَمَ {فسر في مكان آخر {وهم الأخسرون {لا ترى أحداً أبين خسراناً منهم. {إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون {. {وأخبتوا إلى ربهم {واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الأرض المطمئنة. ومنه قولهم للشيء: الدنيء الخبيث. قال: وقيل: التاء فيه بدل من الثاء. {مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلاً أفلا تذكرون {. شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق. وفيه معنيان: أن يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وأن يشبهه بالذي جمع بين العمى والصمم أو الذي جمع بين البصر والسمع. على أن تكون الواو في {والأصم {وفي {السميع {لعطف الصفة على الصفة كقوله: الصابح فالغانم فالآيب {هل يستويان {يعني الفريقين {مثلاً {تشبيهاً. {ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم {. أي أرسلنا نوحاً بأني لكم نذير. ومعناه أرسلناه ملتبساً بهذا

الكلام وهو قوله: {إني لكم نذير مبين {بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في {كأن {والمعنى على الكسر وهو قولك: إن زيداً كالأسد. وقرئ بالكسر على إرادة القول {أن لا تعبدوا {بدل من {إني لكم نذير {أي أرسلناه بأن لا تعبدوا {إلا الله {أو تكون أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير وصف اليوم بأليم من الإسناد المجازي لوقوع الألم فيه. فإن قلت: فإذا وصف به العذاب قلت: مجازي مثله لأن الأليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك: نهارك صائم وجد جده. {قال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشر مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين {. {الملأ {الأشراف من قولهم: فلان مليء بكذا إذا كان مطيقاً له وقد ملؤا بالأمر لأنهم ملؤا بكفايات الأمور واضطلعوا بها وبتدبيرها. أو لأنهم يتمالؤن أي يتظاهرون ويتساندون أو لأنهم يملؤون القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لأنهم ملاء بالأحلام والآراء الصائبة {ما نراك إلا بشر مثلنا {تعريض بأنهم أحق منه بالنبوة وأن اللّه لو أراد أن يجعلها في أحد من البشر لجعلها فيهم فقالوا: هب أنك واحد من الملأ ومواز لهم في المنزلة فما جعلك أحق منهم ألا ترى إلى قولهم: وما نرى لكم علينا من فضل. أو أرادوا أنه كان ينبغي أن يكون ملكاً لا بشراً. والأراذل جمع الأرذل كقوله: {أكابر مجرميها {الأنعام: 123 {أحاسنكم أخلاقاً {وقرئ: {بادي الرأي {بالهمز وغير الهمز بمعنى: اتبعوك أول الرأي أو ظاهر الرأي وانتصابه على الظرف أصله: وقت حدوث أول رأيهم أو وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه. أرادوا: أن اتباعهم لك إنما هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وإنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالاً ما كانوا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم ولقد زل عنهم أن التقدم في الدنيا لا يقرب أحداً من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلاً أن يجعله سبباً في الاختيار للنبوة والتأهيل لها على أن الأنبياء عليهم السلام بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشأنها وشأن من أخلد إليها فما أبعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله {مِن فَضلِ {من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة {بل نظنكم كاذبين {فيما تدعونه. {قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون يا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا علم الغيب ولا أقول إني ملك ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم إني إذا لمن الظالمين {. {أرأيتم {أخبروني {إن كنت على بينة {على برهان {من ربي {وشاهد منه يشهد بصحة دعواي {وآتاني رحمة من عنده {بإيتاء البينة على أن البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز أن يريد بالبينة: المعجزة وبالرحمة: النبوة. فإن قلت: فقوله: {فعميت {ظاهر على الوجه الأول فما وجهه على الوجه الثاني وحقه أن يقال فعميتا قلت: الوجه أن يقدر فعميت بعد البينة وأن يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة: ومعنى عميت خفيت. وقرئ: فعميت بمعنى خفيت. وفي قراءة أبي فعماها عليكم فإن قلت: فما حقيقته قلت: حقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدي ولا يهدي غيرة فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد. فإن قلت: فما معنى قراءة أبي قلت: المعنى أنهم صمموا على الإعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله: {أنلزمكموها وأنتم لها كارهون {يعني أنكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وأنتم تكرهونها ولا تختارونها ولا إكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين متصلين جميعاً. ويجوز أن يكون الثاني منفصلاً كقولك: أنلزمكم إياها. ونحوه {فسيكفيكهم اللّه {البقرة: 137 ويجوز: فسيكفيك إياهم. وحكي عن أبي عمرو إسكان الميم. ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكوناً. والإسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لأن الحركة

الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا في ضرورة الشعر. والضمير في قوله: {لا أسألكم عليه} راجع إلى قوله لهم: {إني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله }هود: 25. وقرئ: {وما أنا بطارد الذين آمنوا {بالتنوين على الأصل. فإن قلت: ما معنى قوله: {إنهم ملاقو ربهم {قلت: معناه أنهم يلاقون اللّه فيعاقب من طردهم. أو يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من إيمان صحيح ثابت كما ظفر لي منهم وما أعرف غيره منهم. أو على خلاف ذلك مما تقرفونهم به من بناء إيمانهم على بادئ الرأي من غير نظر وتفكر. وما علي أن أشق عن قلوبهم وأتعرف سر ذلك منهم حتى أطردهم إن كان الأمر كما تزعمون. ونحوه {ولا تطرد الذين يدعون ربهم }الآية الأنعام: 52 أو هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون أنهم ملاقوه لا محالة {تجهلون {تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم أراذل: من قوله: ألا يجهلن أحد علينا أو تجهلون بلقاء ربكم. أو تجهلون أنهم خير منكم {من ينصرني مِنَ الله {من يمنعني من انتقامه {إن طردتهم {وكانوا يسألونه أن يطردهم ليؤمنوا به أنفة من أن يكونوا معهم على سواء {أعلم الغيب {معطوف على {عندي خزائن الله {أي لا أقول عندي خزائن اللّه ولا أقول: أنا أعلم الغيب. ومعناه: لا أقول لكم: عندي خزائن اللّه فأدعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم {وما نرى لكم علينا من فضل }هود: 27 ولا أدعي علم الغيب حتى تنسبوني إلى الكذب والافتراء أو حتى أطلع على ما في نفوس أتباعي وضمائر قلوبهم {ولا أقول إني ملك { حتى تقولوا لي ما أنت إلا بشر مثلنا ولا أحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم أن اللّه لن يؤتيهم خيراً في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولاً على هواكم {إني إذاً لمن الظالمين {إن قلت شيئاً من ذلك والازدراء: افتعال من زري عليه إذا عابه. وأزرى به: قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه. {قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين {. {جادلتنا فأكثرت جدالنا {معناه: أردت جدالنا وشرعت فيه فأكثرته كقولك: جاد فلان فأكثر وأطاب {فأتنا بما تعدنا {من العذاب المعجل. {قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون أم يقولون أفتراه قل إن أفتريته فعلي إجرامي وأنا بريء مما تجرمون {. {إنما يأتيكم به الله {أي ليس الإتيان بالعذاب إلي إنما هو إلى من كفرتم به وعصيتموه {إن شاء {يعني إن اقتضت حكمته أن يعجله لكم. وقرأ ابن عباس رضي اللّه عنه. فأكثرت جدلنا فإن قلت: ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت: قوله: {إِن كَانَ الله يُرِيدُ أَن يغويكم {جزاؤه ما دل عليه قوله: {لا ينفعكم نصحي {وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك: إن أحسنت إلي أحسنت إليك إن أمكنني. فإن قلت: فما معنى قوله: {إِن كَانَ الله يُرِيدُ أَن يغويكم {قلت: إذا عرف الله من الكافر الإصرار فخلاه وشأنه ولم يلجئه سمى ذلك إغواء وإضلالاً كما أنه إذا عرف منه أنه يتوب ويرعوي فلطف به: سمي إرشاداً وهداية. وقيل: {أن يغويكم {أن يهلككم من غوى الفصيل غوي إذا بشم فهلك ومعناه: أنكم إذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف ينفعكم نصحي {فعلي إجرامي {وإجرامي بلفظ المصدر والجمع. كقوله: والله يعلم إسرارهم وأسرارهم. ونحو: جرم وأجرام قفل وأقفال. وينصر الجمع أن فسره الأولون بآثامي والمعنى: إن صح وثبت أني افتريته فعلي عقوبة إجرامي أي افترائي. وكان حقي حينئذ أن تعرضوا عني وتتألبوا علي {وأنا بريء {يعني ولم يثبت ذلك وأنا بريء منه. ومعنى {مما تجرمون {من إجرامكم في إسناد الافتراء إلي فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم. {وأوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك بأعيننا ووحينا لا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون {. {لن يؤمن {إقناط من إيمانهم وأنه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع {إلا من قد آمن {إلا من قد وجد منه ما كان يتوقع من إيمانه وقد للتوقع وقد أصابت محزها {فلا تبتئس {فلا تحزن حزن ما يقسم الله فاقبل غير مبتئس منه واقعد كريماً ناعم البال والمعنى: فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم {بأعيننا {في موضع الحال بمعنى: اصنعها محفوظاً وحقيقته: ملتبساً بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه أن يزيغ

في صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه. ووحينا: وأنا نوحي إليك ونلهمك كيف تصنع. عن ابن عباس رضي الله عنه: لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر {لا تخاطبني في الذين ظلموا {ولا تدعني في شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك {إنهُم مُغرَمونَ {إنهم محكوم عليهم بالإغراق وقد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل إلى كفه كقوله: {يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود {هود: 76. {ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم {. {ويصنع الفلك {حكاية حال ماضية {سخروا منه {ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بهماء في أبعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له: يا نوح صرت نجاراً بعد ما كنت نبياً {فإنا نسخر منكم {يعني في المستقبل {كما تسخرون { منا الساعة أي: نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم إذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة. وقيل: إن تستجهلونا فيما نصنع فإنا نستجهلكم فيما أنتم عليه من الكفر والتعرض لسخط اللّه وعذابه فأنتم أولى بالاستجهال منا. أو إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم في استجهالكم لأنكم لا تستجهلون إلا عن جهل بحقيقة الأمر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق. وروي أن نوحاً عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعاً وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الأسفل: الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الأوسط: الدواب والأنعام وركب هو ومن معه في البطن الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضاً بين الرجال والنساء وعن الحسن: كان طولها ألفاً ومائتي ذراع وعرضها ستمائة. وقيل: إن الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب فأخذ كفاً من ذلك التراب فقال: أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم. قال: هذا كعب بن حام. قال: فضرب الكثيب بعصاه فقال: قم بإذن الله فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام: أهكذا هلكت قال لا مت وأنا شاب ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثمت شبت. قال: حدثنا عن سفينة نوح. قال: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات: طبقة للدواب والوحوش وطبقة للإنس وطبقة للطير. ثم قال: له عد بإذن الله كما كنت فعاد تراباً {مَن يأتيه {في محل النصب بتعلمون أي: فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به إياهم ويريد بالعذاب: عذاب الدنيا وهو الغرق {ويحل عليه {حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه {عَذَابٌ مقيم {وهو عذاب الآخرة. {حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم {. {حتى {هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء. فإن قلت: وقعت غاية لماذا قلت: لقوله ويصنع الفلك أي: وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد فإن قلت: فإذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت: هو حال من يصنع كأنه قال: يصنعها والحال أنه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه. فإن قلت: فما جواب كلما قلت: أنت بين أمرين: إما أن تجعل سخروا جواباً وقال استئنافاً على تقدير سؤال سائل أو تجعل سخروا بدلاً من مر أو صفة لملأ وقال جواباً. {وأهلك {عطف على اثنين وكذلك {وَمَن آمن {يعني: واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم. واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار وما سبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر لا لتقديره عليه وإرادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك: أراد ابنه وامرأته {إلا قليل {روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: {كانوا ثمانية: نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم {وعن محمد بن إسحاق: كانوا عشرة: خمسة رجال وخمس نسوة. وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلاً وامرأة وأولاد نوح: سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون: نصفهم رجال ونصفهم نساء. ويجوز أن يكون

كلاماً واحداً وكلامين فالكلام الواحد: أن يتصل {بسم الله {ب {اركبوا {حالا من الواو بمعنى: اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها إما لأن المجرى والمرسى للوقت وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج. ويجوز أن يراد مكاناً الإجراء والإرساء وانتصابهما بما في {بسم الله {من معنى الفعل أو بما فيه من إرادة القول. والكلامان: أن يكون {بسم الله مجراها ومرساها {جملة من مبتدأ وخبر مقتضبه أي بسم الله إجراؤها وإرساؤها. يروى أنه كان إذا أراد أن تجري قال: ثم اسم السلام عليكما ويراد: باللّه إجراؤها وإرساؤها أي بقدرته وأمره. وقرئ: {مجراها ومرساها {بفتح الميم من جرى ورسى إما مصدرين أو وقتين أو مكانين. وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله. فإن قلت: ما معنى قولك: جملة مقتضبة قلت: معناه أن نوحاً عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم اللّه أو بأمره وقدرته. ويحتمل أن تكون غير مقتضيه بأن تكون في موضع الحال كقوله: وجاؤنا بهم سكر علينا فلا تكون كلاماً برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الأول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كأنه قيل: اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله تعالى: {فادخلوها خالدين {الزمر: 73. 10 {إن ربي لغفور رحيم {لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته إياكم لما نجاكم. {وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين {. فإن قلت: بم اتصل قوله: {{وهي تجري بهم {قلت: بمحذوف دل عليه {اركبوا فيها بسم الله {هود: 41 كأنه قيل: فركبوا فيها يقولون: بسم اللّه {{وهي تجري بهم {أي تجري وهم فيها {في موج كالجبال {يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها. فإن قلت: الموج: ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والأرض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها في الموج قلت: كان ذلك قبل التطبيق وقبل أن يغمر الطوفان الجبال. ألا ترى إلى قول ابنه: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء. قيل: كان اسم ابنه: كنعان. وقيل: يام. وقرأ علي رضي الله عنه: ابنها والضمير لامرأته. وقرأ محمد بن علي وعروة بن الزبير: ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الألف وبه ينصر مذهب الحسن. قال قتادة: سألته فقال: والله ما كان ابنه فقلت: إن الله حكى عنه إن ابني من أهلي وأنت تقول: لم يكن ابنه وأهل الكتاب لا يختلفون في أنه كان ابنه فقال: ومن يأخذ دينه من أهل الكتاب واستدل بقوله: {من أهلي {هود: 45 ولم يقل: مني ولنسبته إلى أمه وجهان أحدهما: أن يكون ربيباً له كعمر بن أبي سلمة لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم وأن يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الأنبياء عليهم السلام. وقرأ السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي. أي: قال: يا ابناه. والمعزل: مفعل من عزله عنه إذا نحاه وأبعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه عن أبيه وعن مركب المؤمنين. وقيل: كان في معزل عن دين أبيه {يا بني {قرئ بكسر الياء اقتصاراً عليه من ياء الإضافة وبالفتح اقتصاراً عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة في قولك يا بنيا {أو سقطت الياء والألف لالتقاء الساكنين لأن الراء بعدهما ساكنة {إلا من رحم {إلا الراحم وهو الله تعالى أو لا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله أي إلا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفوراً رحيماً في قوله: {إن ربي لغفور رحيم {هود: 41 وذلك أنه لما جعل الجبل عاصماً من الماء قال له: لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم اللّه ونجاهم يعني السفينة. وقيل لا عاصم بمعنى: لاذا عصمة إلا من رحمه الله كقوله: {ماء دافق {الطارق: 6 و {عيشة راضية {الحاقة: 21 وقيل: {إلا من رحم {استثناء منقطع كأنه قيل: ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله: {ما لهم به من علم إلا اتباع الظن {النساء: 157 وقرئ إلا من رُحِم على البناء للمفعول.

{وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين {. نداء الأرض والسماء بما ينادي به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والإقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله: يا أرض ويا سماء ثم أمرهما بما يؤمر به أهل التمييز والعقل من قوله: ابلعي ماءك وأقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وأن السموات والأرض وهذه الأجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كأنها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم أمره كان المأمور به مفعولاً لا حبس ولا إبطاء. والبلع: عبارة عن النشف. والإقلاع: الإمساك. يقال: أقلع المطر وأقلعت الحمى {وغيض الماء {من غاضه إذا نقصه {وقضي الأمر {وأنجز ما وعد اللّه نوحاً من هلاك قومه {واستوت {واستقرت السفينة {على الجودي {وهو جبل بالموصل {وقيل بعداً {يقال بعد بعداً وبعداً إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وأن تلك الأمور العظام لا تكون إلا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وإن فاعلها فاعل واحد لا يشارك في أفعاله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره: يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي ولا أن يقضي ذلك الأمر الهائل غيره ولا أن تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه إلا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله: ابلعي وأقلعي وذلك وإن كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت إليه بإزاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور. وعن قتادة: استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهراً وهبط بهم يوم عاشوراء. وروي أنها مرت بالبيت فطافت به سبعاً وقد أعتقه الله من الغرق. وروي أن نوحاً صام يوم الهبوط وأمر من معه فصاموا شكراً لله تعالى. {ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين {. نداؤه ربه: دعاؤه له وهو قوله: {رب {مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية أهله. فإن قلت: فإذا كان النداء هو قوله: رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء قلت: أريد بالنداء إرادة النداء ولو أريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله: {إذ نادى ربه نداء خفياً قال رب {مريم: 3 بغير فاء {إن ابني من أهلي {أي بعض أهلي لأنه كان ابنه من صلبه أو كان ربيباً له فهو بعض أهله {وإن وعدك الحق {وأن كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في إنجازه والوفاء به وقد وعدتني أن تنجي أهلي فما بال ولدي {وأنت أحكم الحاكمين {أي أعلم الحكام وأعدلهم لأنه لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل. ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز أن يكون من الحكمة على أن يبني من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل {إنه عمل غير صالح {تعليل لانتفاء كونه من أهله. وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك في دينك ومعتقدك من الأباعد في المنصب وإن كان حبشياً وكنت قرشياً لصيقك وخصيصك. ومن لم يكن على دينك وإن كان أمس أقاربك رحماً فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملاً غير صالح مبالغة في ذمه كقولها: فإنما هي إقبال وإدبار وقيل: الضمير لنداء نوح أي: إن نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك فإن قلت: فهلا قيل: إنه عمل فاسد قلت: لما نفاه عن أهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقي معها لفظ المنفي وآذن بذلك أنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهلك وأقاربك. وإن هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوتك كقوله: {كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من اللّه شيئاً {التحريم: 10 وقرئ: عمل غير صالح أي عمل عملاً غير صالح. وقرئ: فلا تسئلن بكسر النون بغير ياء الإضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني

ملتمساً أو التماساً لا تعلم أصواب هو أم غير صواب حتى تقف على كنهه. وذكر المسألة دليل على أن النداء كان قبل أن يغرق حين خاف عليه. فإن قلت: لم سمي نداؤه سؤالاً ولا سؤال فيه قلت: قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وإن لم يصرح به لأنه إذا ذكر الموعد بنجاة أهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز. وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلاً وغباوة ووعظه أن لا يعود إليه وإلى أمثاله من أفعال الجاهلين. فإن قلت: قد وعده أن ينجي أهله وما كان عنده أن ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الأمر لأن العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيماً لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب إماطة الشبهة وطلبُ إماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلاً قلت: إن الله عز وعلا قدم له الوعد بإنجاء أهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه أن يعتقد أن في جملة أهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وأن كلهم ليسوا بناجين وأن لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في أنه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على أن اشتبه عليه ما يجب أن لا يشتبه. {أن أسألك {من أن أطلب منك في المستقبل ما لا علم لي بصحته تأدباً بأدبك واتعاظاً بموعظتك {وإلا تغفر لي {ما فرط مني من ذلك {وترحمني {بالتوبة علي {أكن من الخاسرين {أعمالاً. {قيل يا نوح أهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم {. وقرئ: يا نوح اهبط بضم الباء {بسلام منا {مسلماً محفوظاً من جهتنا أو مسلماً عليك مكرما {وبركات عليك {ومباركاً عليك والبركات الخيرات النامية. وقرئ: وبركة على التوحيد {وعلى أمم ممن معك {يحتمل أن تكون من للبيان. فيراد الأمم الذين كانوا معه في السفينة لأنهم كانوا جماعات. أو قيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم وأن تكون لإبتداء الغاية أي: على أمم ناشئة ممن معك وهي الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه. وقوله: {وأمم {رفع بالابتداء. و {سنمتعهم {صفة والخبر محذوف تقديره: وعمن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن قوله: {ممن معك {يدل عليه والمعنى: أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤون ممن معك وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة. وعن محمد بن كعب القرظي: دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر. وعن ابن زيد: هبطوا والله عنهم راض ثم أخرج منهم نسلاً منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل: المراد بالأمم الممتعة: قوم هود وصالح ولوط وشعيب. {تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين {. {تلك {إشارة إلى قصة نوح عليه السلام. ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها أخبار أي تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك {مِن قبل هَذَا {من قبل إيحائي إليك وإخبارك بها. أو من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي. أو من قبل هذا الوقت {فاصبر {على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه {إن العاقبة {في الفوز والنصر والغلبة {للمتقين {وقوله: {ولا قومك {معناه: إن قومك الذين أنت منهم على كثرتهم ووفور عددهم إذا لم يكن ذلك شأنهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا أهل بلده. {وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا {أخاهم {واحداً منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحاً و {هُوداً {عطف بيان. و {غَيرُه {بالرفع: صفة على محل الجار والمجرور. وقرئ: غيره بالجز صفة على اللفظ {إن أنتم إلا مفترون {تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء. ما من رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحصها ولا يمحضها إلا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع {أفلا تعقلون {إذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها أجراً إلا من الله. وهو ثواب الآخرة ولا شيء أنفى للتهمة من ذلك قيل {استغفروا ربكم {آمنوا به {ثم توبوا إليه {من عبادة غيره لأن التوبة لا تصلح إلا بعد الإيمان والمدرار: الكثير الدرور كالمغزار.

وإنما قصد استمالتهم إلى الإيمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لأن القوم كانوا أصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصاً عليها أشد الحرص فكانوا أحوج شيء إلى الماء. وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين في كل ناحية. وقيل: أراد القوة في المال وقيل: القوة على النكاح وقيل: حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم. وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال: إني رجل ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئاً لعل الله يرزقني ولداً فقال: عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال: هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال: ألم تسمع قول هود عليه السلام {ويزدكم قوة إلى قوتكم {وقول نوح عليه السلام: {ويمددكم بأموال وبنين} نوح: 12 {ولا تتولى {ولا تعرضوا عني وعما أدعوكم إليه وأرغبكم فيه {مجرمين {مصرين على إجرامكم وآثامكم. {قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين {. {ما جئتنا ببينة {كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم: لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر {عن قولك {حال من الضمير في تاركي آلهتنا كأنه قيل: وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك: {وَمَا نَحنُ لَكَ بمؤمِنِينَ {وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم إليه إقناطاً له من الإجابة. {إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون {. {اعتراك {مفعول نقول وإلا لغو. والمعنى: ما نقول إلا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء أي خبلك ومسك بجنون لسبك إياها وصدك عنها وعداوتك لها. مكافأة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين. وليس بعجب من أولئك أن يسموا التوبة والاستغفار خبلاً وجنوناً وهم عاد أعلام الكفر وأوتاد الشرك وإنما العجب من قوم من المتظاهرين بالإسلام سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنوناً والمنيب إلى ربه مخبلاً ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه في أيام جاهليته من الموادة وما ذاك إلا لعرق من الإلحاد أبى إلا أن ينبض وضب من الزندقة أراد أن يطلع رأسه وقد دلت أجوبتهم المتقدمة على أن القوم كانوا جفاة غلاظ الأكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون إلى النصح. ولا تلين شكيمتهم للرشد. وهذا الأخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة أنها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين أجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب. من أعظم الآيات أن يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشاً إلى إراقة دمه. يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وأنه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم. ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه. {ثم اقضوا إلي ولا تنظرون} يونس: 71 أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الأمور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل: اللّه شهيد على أني لا أفعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على أني لا أفعله. فإن قلت: هلا قيل: إني أشهد الله وأشهدكم قلت: لأن إشهاد اللّه على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه. اشهد علي أني لا أحبك تهكماً به واستهانة بحاله {مما تشركون به من دونه {من إشراككم آلهة من دونه أو مما تشركونه من آلهة من دونه أي أنتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء. ولم ينزل بذلك سلطاناً {فكيدوني جميعاً {أنتم وآلهتكم أعجل ما تفعلون من غير إنظار فإني لا أبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم علي وأنتم الأقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي إلا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف تنتقم مني إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلني وتذهب بعقلي. {إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صرط مستقيم فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم ولا تضرونه شيئاً إن ربي على كل شيء حفيظ {. ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما

يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم. من كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ بنواصيها تمثيل لذلك {إن ربي على صرط مستقيم {يريد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به {فإن تولوا {فإن تتولوا. فإن قلت: الإبلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت: معناه فإن تتولوا لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن ما أرسلت به إليكم قد بلغكم فأبيتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول {ويستخلف {كلام مستأنف يريد: ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم {ولا تضرونه {بتوليكم {شيئاً {من ضرر قط لأنه لا يجوز عليه المضار والمنافع وإنما تضرون أنفسكم. وفي قراءة عبد اللّه {ويستخلف {بالجزم وكذلك: ولا تضروه عطفاً على محل {فقد أبلغتكم {المعنى: إن يتولوا يعذرني ويستخلف قوماً غيركم ولا تضروا إلا أنفسكم {على كل شيء حفيظ {أي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم. أو من كان رقيباً على الأشياء كلها حافظاً لها وكانت مفتقرة إلى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم. {ولما جاء أمرنا نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ {. {والذين آمنوا معه {قيل: كانوا أربعة آلاف. فإن قلت: ما معنى تكرير التنجية قلت: ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم ثم قال: {ونجيناهم من عذاب غليظ {على معنى: وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك أن الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضّواً عضواً. وقيل أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد. وقوله: برحمةُ منا يريد: بسبب الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق له. {وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عاداً كفروا بربهم ألا بعداً لعاد قوم هود {. {وتلك عاد {إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال: سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال: {جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله {لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله {لا نفرق بين أحد من رسله {البقرة: 285 قيل لم يرسل إليهم إلا هود وحده {كل جبار عنيد {يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل. ومعنى اتباع أمرهم: طاعتهم. ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله. و {آلا {وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم. فإن قلت: {بعد الموت {دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم في هلاكهم قلت: معناه الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له: ألا ترى إلى قوله: إخوتي لا تبعدوا أبداً وبلى والله قد بعدوا {قوم هود {عطف بيان لعاد: فإن قلت: ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت: الفائدة فيه أن يوسموا بهذه الدعوة وسماً وتجعل فيهم أمراً محققاً لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولأن عاداً عادان: الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والأخرى إرم. {وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لك من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما تعبد آباؤنا وإننا في شك مما تدعونا إليه مريب قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وأتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله إن عصيته فما تزيدونني غير تخسير يا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا وخزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمود كفروا بربهم ألا بعداً لثمود {. {هو أنشأكم من الأرض {لم ينشئكم منها إلا هو ولم يستعمركم فيها غيره. وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب {واستعمركم فيها {وأمركم بالعمارة والعمارة متنوعة إلى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى إليه: إنهم عمروا

بلادي فعاش فيها عبادي. وعن معاوية بن أبي سفيان أنه أخذ في إحياء الأرض في آخر أمره فقيل له فقال: ما حملني عليه إلا قول القائل. ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا تكون له في الأرض آثار وقيل: استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى. وفيه وجهان أحدهما: أن يكون استعمر في معنى أعمر كقولك استهلكه في معنى أهلكه. ومعناه: أعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء أعماركم.
والثاني أن يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لأن الرجل إذا ورث داره من بعده فكأنما أعمره إياها لأنه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره {قَرِيبٍ {داني الرحمة سهل المطلب {مجيب {لمن دعاه وسأله {فينا {فيما بيننا {مرجواً {كانت تلوح فيك مخايل الخير وأمارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاوراً في الأمور ومسترشداً في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا كنك وعلمنا أن لا خير فيك. وعن ابن عباس: فاضلاً خيراً نقدمك على جميعنا. وقيل: كنا نرجو أن تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه {يعبد آباؤنا {حكاية حال ماضية {مريب {من أرابه إذا أوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة باليقين. أو من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازي. قيل: {إن كنُتُ على بينة من ربي {بحرف الشك وكان على يقين أنه على بينة لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال: قدروا أني على بينة من ربي وأني نبي على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربي في أوامره فمن يمنعني من عذاب الله {فما تزيدني {إذن حينئذ {غير تخسير {يعني تخسرون أعمالي وتبطلونها. أو فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير أن أخسركم أي أنسبكم إلى الخسران وأقول لكم إنكم خاسرون {آية {نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل. فإن قلت: فبم يتعلق {لكم {قلت بأية حالاً منها متقدمة لأنها لو تأخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال {عَذَاب قرِيب {عاجل لا يستأخر عن مسكم لها بسوء إلا يسيراً وذلك ثلاثة أيام ثم يقع عليكم {تمتعوا {استمتعوا بالعيش {في داركم {في بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيه أي يتصرف. يقال: ديار بكر لبلادهم. وتقول العرب الذين حوالي مكة: نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد. وقيل: في دار الدنيا. وقيل: عقروها يوم الأربعاء وهلكوا يوم السبت {غير مكذوب {غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به كقولك: يوم مشهود من قوله: أو على المجاز كأنه قيل للوعد: نفي بك فإذا وفى به فقد صدق ولم يكذب. أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق {وَمن خِزيِ يومِئِذ {قرئ مفتوح الميم لأنه مضاف إلى إذ وهو غير متمكن كقوله: على حين عاتبت المشيب على الصبا فإن قلت: علام عطف قلت: على نجينا لأن تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال {ونجيناهم من عذاب غليظ {هود: 58 على: وكانت التنجية من خزي يومئذ أي من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي أعظم من خزي من كان هلاكه بغضب اللّه وانتقامه. ويجوز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة. وقرئ: {ألا إن ثمود {ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب إلى الحي أو الأب الأكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة. {ولقد أرسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلاماً فما لبث أن جاء بعجل حنيد فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرنا بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب قالت يا ويلتي ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته {أرسلنا {يريد الملائكة. عن ابن عباس: جاءه جبريل عليه السلام وملكان معه. وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل. وقيل: كانوا تسعة. وعن السدي: أحد عشر {بالبشرى {هي البشارة بالولد وقيل: بهلاك قوم لوط والظاهر الولد {سلاماً {سلمنا عليك سلاماً {سلاماً {أمركم سلام. وقرئ: فقالوا سلماً قال سلم بمعنى السلام. وقيل: مسلم وسلام كحرم وحرام وأنشد: مررنا فقلنا إيه سلم فسلمت كما اكتل بالبرق الغمام اللوائح {فما لبث أن جاء {فما لبث في المجيء به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه. والعجل: ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة أهل السراة وكان مال إبراهيم عليه الصلاة والسلام البقر {حنيذ {مشوي

بالرضف في أخدود. وقيل {حَنِيذ {يقطر دسمه من حنذت الفرس إذا ألقيت عليها الجل حتى تقطر عرقاً ويدل عليه {بعجل سمين }الذاريات: 26. يقال: نكره وأنكره واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك: أنا أنكرك ولكن منكر ومستنكر وأنكرك. قال الأعشى: أنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا قيل: كان ينزل في طرف من الأرض فخاف أن يريدوا به مكروهاً. وقيل: كانت عابرتهم أنه إذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه وإلا خافوه والظاهر أنه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره اللّه عليه أو لتعذيب قومه ألا ترى إلى قولهم: {لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط {وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا {فأوجس {فأضمر. وإنما قالوا: {لا تَخَف {لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير في وجهه. أو عرفوه بتعريف الله. أو علموا أن علمه بأنهم ملائكة موجب للخوف لأنهم كانوا لا ينزلون إلا بعذاب {وامرأته قائمة {قيل: كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم. وقيل: كانت قائمة على رؤوسهم تخدمهم. وفي مصحف عبد الله: وامرأته قائمة وهو قاعد {فضحكت {سروراً بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث. أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب. وقيل: كانت تقول لإبراهيم: اضمم لوطاً ابن أخيك إليك فإني أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سروراً لما أتى الأمر على ما توهمت. وقيل ضحكت فحاضت. وقرأ محمد بن زياد الأعرابي فضحكت بفتح الحاء {يعقوب {رفع بالابتداء كأنه قيل: ومن وراء إسحاق يعقوب مولود أو موجود أي من بعده. وقيل الوراء: ولد الولد. وعن الشعبي أنه قيل له: أهذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده. وقرئ: يعقوب بالنصب كأنه قيل. ووهبنا لها إسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب على طريقة قوله: الألف في {يا ويلتا {مبدلة من ياء الإضافة وكذلك في يا لهفاً ويا عجباً وقرأ الحسن: يا ويلتي بالياء على الأصل. و {شيخاً {نصب بما دل عليه اسم الإشارة. وقرئ: شيخ على أنه خبر مبتدأ محذوف أي: هذا بعلي هو شيخ. أو بعلي: بدل من المبتدأ وشيخ: خبر أو يكونان معاً خبرين. قيل: بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولإبراهيم مائة وعشرون سنة {إن هذا لشيء غريب {أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي أجراها الله. وإنما أنكرت عليها الملائكة تعجبها ف {قالوا أتعجبين من أمر الله {لأنها كانت في بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي النساء الناشئات في غير بيوت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة صلوات اللّه عليهم في قولهم: {رحمة الله وبركاته عليكم {أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب. وأمر اللّه: قدرته وحكمته: وقوله: {رحمة الله وبركاته عليكم {كلام مستأنف علل به إنكار التعجب كأنه قيل: إياك والتعجب فإن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم. وقيل: الرحمة النبوة والبركات الأسباط من بني إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم {حميد {فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده {مجيد {كريم كثير الإحسان إليهم. وأهل البيت: نصب على النداء أو على {فلما ذهب عن إبراهيم الورع وجاءته البشرى تجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب {. {الورع {ما أوجس من الخيفة. حين نكر أضيافه. والمعنى: أنه لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملئ سروراً بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة فإن قلت: أين جواب لما قلت: هو محذوف كما حذف قوله: {فلما ذهبوا به وأجمعوا }يوسف: 15 وقوله: {يجادلنا {كلام مستأنف دال على الجواب. وتقديره: اجترأ على خطابنا أو فطن لمجادلتنا أو قال: كيت وكيت: ثم ابتدأ فقال: {يجادلنا في قوم لوط {وقيل في {يجادلنا {: هو جواب لما وإنما جيء به مضارعاً لحكاية الحال: وقيل إن لما ترد المضارع إلى معنى الماضي كما ترد إن الماضي إلى معنى الاستقبال وقيل: معناه أخذ يجادلنا وأقبل يجادلنا. والمعنى: يجادل رسلنا. ومجادلته إياهم أنهم قالوا: {إنا مهلكوا أهل هذه القرية }العنكبوت: 31 فقال: أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلاً من المؤمنين أتهلكونها قالوا: لا قال: فأربعون قالوا: لا قال: فثلاثون قالوا: لا حتى بلغ القصرة. قالوا: لا. قال: أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا: لا فعند ذلك قال: {إن فيها لوطاً {العنكبوت: 32 {قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله

{العنكبوت: 32 {في قوم لوط {في معناهم. وعن ابن عباس: قالوا له: إن كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب. وعن قتادة: ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير. وقيل: كان فيها أربعة آلاف ألف إنسان {إن إبراهيم لحليم {غير عجول على كل من أساء إليه {أواه {كثير التأوه من الذنوب {منيب {تائب راجع إلى اللّه بما يحب ويرضى. وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب. ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والإنابة كما حمله على الاستغفار لأبيه. {يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك وإنهم آتيهم عذاب غير مردود {. {يا إبراهيم {على إرادة القول: أي قالت له الملائكة {أعرض عن هذا {الجدال وإن كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه {إنه قد جاء أمر ربك {وهو قضاؤه وحكمه الذي لا يصدر إلا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك. {ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب {. كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لأنه حسب أنهم إنس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم. روي أن الله تعالى قال لهم: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما مشي معهم منطلقاً بهم إلى منزله قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا: وما أمرهم قال: أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملاً يقول ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلكِ أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها. يقال: يوم عصيب وعصوصب إذا كان شديداً من قولك: عصبه إذا شده.

{وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد {. {يهرعون {يسرعون كأنما يدفعون دفعاً {ومن قبل كانوا يعملون السيئات {ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء. وقيل معناه: وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك {هؤلاء بناتي {أراد أن يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وأراد: هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزاً كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن أبي لهب وأبي العاص بن وائل قبل الوحي وهماكافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد أن يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن أطهر لكم النصب وضعفه سيبويه وقال: احتبى ابن مروان في لحنه. وعن أبي عمرو بن الورء: من قرأ {هُنَ أَطهَرُ {بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك أن انتصابه على أن يجعل حالاً قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله: {هذا بعلي شيخاً {هود: 72 أو ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل: خذوا هؤلاء وبناتي: بدل ويعمل هذا المضمر في الحال وهن فصل وهذا لا يجوز لأن الفصل مختص بالوقوع بين جزأي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون {هؤلاء {فيه فصلا وذلك أن يكون هؤلاء مبتدأ و {بناتي هُن {جملة في موضع خبر المبتدأ كقولك: هذا أخي هو ويكون {أطهَرُ {حالاً {فاتقوا الله {بإيثارهن عليهم {ولا تخزوني {ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي أو ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء {في ضيفي {في حق ضيوفي فإنه إذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة {أليس منكم رجل رشيد {رجل واحد يهتدي إلى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء. وقرئ: ولا تخزون بطرح الياء. ويجوز أن يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم وإظهاراً لشدة امتعاضه مما أوردوا عليه طمعاً في أن يستحيوا منه ويرقوا له إذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الأمر واستقرار العلم عنده وعندهم أن لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم {{قالوا لقد علمت {مستشهدين بعلمه {ما لنا في بناتك من حق {لأنك لا ترى مناكحتنا وما هو إلا عرض سابري. وقيل: لما اتخذوا إتيان الذكران مذهباً وديناً لتواطؤهم عليه كان عندهم أنه هو الحق وأن نكاح الإناث من الباطل فلذلك قالوا: ما لنا في بناتك من حق قط لأن نكاح الإناث أمر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه. ويجوز أن يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة {لتعلم ما تريد {عنوا

إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة. {قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد {.
جواب لو محذوف كقوله تعالى: {ولو أن قرآناً سيرت به الجبال {الرعد: 31 يعني لو أن لي
بكم قوة لفعلت بكم وصنعت. يقال: ما لي به قوة وما لي به طاقة. ونحوه {لا قبل لهم بها
{النمل: 7 وما لي به يدان لأنه في معنى لا أضطلع به ولا أستقل به. والمعنى لو قويت
عليكم بنفسي أو أويت إلى قوي أستند إليه وأتمنع به فيحميني منكم. فشبه القوي العزيز
بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه: إن ركنك
لشديد. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: {رحم الله أخي لوطاً كان يأوي إلى ركن شديد
{وقرئ: {أو آوِي {بالنصب بإضمار أن كأنه قيل لو أن لي بكم قوة أو أويا كقولها: للبس
عباءة وتقر عيني وقرئ: إلى ركن بضمتين. وروي أنه أغلق بابه حين جاءوا وجعل يرادهم
ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار. {قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك
فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن
موعدكم الصبح أليس الصبح بقريب {. فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا:
يا لوط إن ركنك لشديد {إنَا رُسُلُ رَبك لنَ يصلوا إلَيك {فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح
الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فأذن له فقام في الصورة
التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا
فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال اللّه تعالى: {فطمسنا أعينهم
{القمر: 37 فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون: النجاء النجاء فإن في بيت
لوط قوماً سحرة {لنَ يصَلوا إِليك {جملة موضحة للتي قبلها لأنهم إذا كانوا رسل اللّه لم
يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره. قرئ: {فأسر {بالقطع والوصل. و {إلا أمرتك
{بالرفع والنصب. وروي أنه قال لهم: متى موعد هلاكهم قالوا: الصبح. فقال: أريد أسرع
من ذلك. فقالوا: {أليس الصبح بقريب {وقرئ: {الصبح {بضمتين. فإن قلت: ما وجه
قراءة من قرأ {إلا أمرتك {بالنصب قلت: استثناها من قوله: {فأسر بأهلك {والدليل
عليه قراءة عبد اللّه: فأسر بأهلك بقطع من الليل إلا امرأتك. ويجوز أن ينتصب عن لا
يلتفت على أصل الاستثناء وإن كان الفصيح هو البدل أعني قراءة من قرأ بالرفع فأبدلها
عن أحد. وفي إخراجها مع أهله روايتان: روي أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم
أحد إلا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت: يا قوماه فأدركها حجر فقتلها. وروي
أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها إليهم فلم يسر بها. واختلاف القراءتين لاختلاف
الروايتين. {فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود
مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد {. {جعلنا عاليها سافلها {جعل جبريل
جناحه في أسفلها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة
ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم {من سجيل {قيل هي كلمة معربة من
سنككل بدليل قوله: {حجارة {من طين وقيل: هي من أسجله إذا أرسله لأنها ترسل
على الظالمين. ويدل عليه قوله: {لنرسل عليهم حجارة {الذاريات: 33 وقيل: مما كتب الله
أن يعذب به من السجل وسجل لفلان {منضود {نضد في السماء نضداً معداً للعذاب.
وقيل يرسل بعضه في أثر بعض متتابعاً {مسومة {معلمة للعذاب وعن الحسن كانت
معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيماً لعلم بها أنها ليست من حجارة الأرض. وقيل:
مكتوب على كل واحد اسم من يرمي به {وما هي {من كل ظالم ببعيد. وفيه وعيد لأهل
مكة. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه سأل جبريل عليه السلام فقال: يعني
ظالمي أمتك ما من ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة.
وقيل الضمير للقرى أي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم {ببعيد
{بشيء بعيد. ويجوز أن يراد: وما هي بمكان بعيد إلا أنها إذا هوت في السماء وهي مكان
بعيد إلا أنها إذا هوت منها فهي أسرع شيء لحوقاً بالمرمى فكأنها بمكان قريب منه.
{وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال
والميزان إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط يا قوم أوفوا المكيال
والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقيت الله
خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ {. {إني أراكم بخير {يريد بثروة واسعة

تغنيكم من التطفيف. أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ما تفعلون. أو أراكم بخير فلا تزيلوا عنكم بما أنتم عليه كقول مؤمن آل فرعون: {يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس اللّه إن جاءنا {غافر: 29 {يوم محيط {مهلك من قومه: {وأحيط بثمره {الكهف: 42 وأصله من إحاطة العدو. فإن قلت: وصف العذاب بالإحاطة أبلغ أم وصف اليوم بها قلت: بل وصف اليوم بها لأن اليوم زمان يشتمل على الحوادث فإذا أحاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما إذا أحاط بنعيمه. فإن قلت: النهي عن النقصان أمر بالإيفاء فما فائدة قوله: أوفوا قلت: نهوا أولاً عن عين القبيح الذي كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لأن في التصريح بالقبيح نعياً على المنهي. وتعييراً له ثم ورد الأمر بالإيفاء الذي هو حسن في العقول مصرحاً بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيداً بالقسط: أي ليكن الإيفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان أمراً بما هو الواجب لأن ما جاوز العدل فضل وأمر مندوب إليه. وفيه توقيف على أن الموفى عليه أن ينوي بالوفاء بالقسط لأن الإيفاء وجه حسنه أنه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد. البخس: الهضم والنقص. ويقال للمكس: البخس. قال زهير: وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي: مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئاً كما تفعل السماسرة. أو كانوا يمكسون الناس. أو كانوا ينقصون من أثمان ما يشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك. والعثي في الأرض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل. ويجوز أن يجعل التطفيف والبخس عثياً منهم في الأرض {بقيت الله {ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم {خير لكم إن كنتم مؤمنين {بشرط أن تؤمنوا وإنما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد في الأرض وهم كفرة بشرط الإيمان. فإن قلت: بقية الله خير للكفرة لأنهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الإيمان قلت لظهور فائدتها مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وحفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها في غمرات الكفر. وفي ذلك استعظام للإيمان وتنبيه على جلالة شأنه. ويجوز أن يراد: إن كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به إياكم. ويجوز أن يراد. ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله: {والباقيات الصالحات خير عند ربك {الكهف: 46 وإضافة البقية إلى الله من حيث أنها رزقه الذي يجوز أن يضاف إليه. وأما الحرام فلا يضاف إلى اللّه ولا يسمى رزقاً وإذا أريد به الطاعة فكما تقول: طاعة الله. وقرئ: {تقية الله {بالتاء وهي تقراه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح {وما أنا عليكم بحفيظ {وما بعثت لأحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وإنما بعثت مبلغاً ومنبهاً على الخير وناصحاً وقد أعذرت حين أنذرت. {قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباءنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد {. كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه إذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم: {أصلاتك تأمرك {السخرية والهزء والصلاة وإن جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله: {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر {العنكبوت: 45 وأن يقال: إن الصلاة تأمر بالجميل والمعروف كما يقال: تدعو إليه وتبعث عليه إلا أنهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وأرادوا أن هذا الذي تأمر به من ترك عبادة الأوثان باطل لا وجه لصحته وأن مثله لا يدعوك إليه داعي عقل ولا يأمرك به آمر فطنة فلم يبق إلا أن يأمرك بلى آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم أنها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الأقوال والأفعال. ومعنى تأمرك {تأمرك أن {تأمرك بتكليف أن نترك {ما يعبد آباؤنا {لحذف المضاف الذي هو التكليف لأن الإنسان لا يؤمر بفعل غيره. وقرئ {أصلاتك {بالتوحيد. وقرأ ابن أبي عبلة {أو أن تفعل في أموالنا ما تشاء {بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يأمرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير. وقيل: كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيمها وأرادوا بقولهم: {إنك لأنت الحليم الرشيد {نسبته إلى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له: لو أبصرك حاتم لسجد لك. وقيل: معناه إنك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون

أن ما تأمر به لا يطابق حالك وما شهرت به. {قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب {. {ورزقني منه {أي من لدنه {رزقاً حسناً {وهو ما رزقه من النبوة والحكمة. وقيل {رزقاً حسناً {حلالاً طيباً من غير بخس ولا تطفيف. فإن قلت: أين جواب {أرأيتم {وما له لم يثبت كما أثبت في قصة نوح ولوط قلت: جوابه محذوف وإنما لم يثبت لأن إثباته في القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه. والمعنى: أخبروني إن كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبياً على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصي والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك يقال: خالفني فلان إلى كذا. إذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه إذا ولي عمه وأنت قاصده. ويلقاك الرجل صادر عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول: خالفني إلى الماء يريد أنه قد ذهب إليه وارداً وأنا ذاهب عنه صادراً. ومنه قوله تعالى: {وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه {يعني أن أسبقكم إلى شهواتكم التي نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم {إن أريد إلا الإصلاح {ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي وأمري بالمعروف ونهي عن المنكر {ما استطعت {ظرف أي: مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكناً منه لا آلو فيه جهداً. أو بدل من الإصلاح أي: المقدار الذي استطعته منه. ويجوز أن يكون على تقدير حذف المضاف على قولك: إلا الإصلاح إصلاح ما استطعت. أو مفعول له كقوله: ضعيف الكناية أعداءه أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه من فاسدكم {وما توفيقي إلا بالله {وما كوني موفقاً لإصابة الحق فيما آتي وأذر ووقوعه موافقاً لرضا اللّه إلا بمعونته وتأييداً والمعنى: أنه استوفق ربه في إمضاء الأمر على سننه وطلب منه التأييد والإظهار على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لأطماعهم فيه. {ويا قوم لا يجر منكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود {. جرم مثل كسب في تعديه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين تقول: جرم ذنباً وكسبه وجرمته ذنباً وكسبته إياه قال: جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا ومنه قوله تعالى: {لا يجر منكم شقاقي أن يصيبكم {أي لا يكسبنكم شقاقي إصابة العذاب. وقرأ ابن كثير بضم الياء من أجرمته ذنباً إذا جعلته جارماً له أي كاسباً وهو منقول من جرم المتعدي إلى مفعول واحد كما نقل: أكسبه المال من كسب المال. وكما لا فرق بين كسبته ما لا وأكسبته إياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنباً وأجرمته إياه. والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما. إلا أن المشهورة أفصح لفظاً كما إن كسبته ما لا أفصح من أكسبته. والمراد بالفصاحة: أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور وهم له أكثر استعمالاً. وقرأ أبو حيوة ورويت عن نافع: {مثل ما أصاب {بالفتح لإضافته إلى غير متمكن كقوله: لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت {وما قوم لوط منكم ببعيد {يعني أنهم أهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم أقرب الهالكين منكم. أو لا يبعدون منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك. فإن قلت: ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه أو معناه قلت: إما أن يراد. وما إهلاكهم ببعيد أو ما هم بشيء بعيد أو بزمان أو مكان بعيد. ويجوز أن يسوي في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما {رحيم ودود {عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الإحسان والإجمال. {قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهرياً إن ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كذاب وارتقبوا إني معكم رقيب ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً والذين آمنوا معه برحمة منا وأخذت الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود {. {ما نفقه {ما نفهم {كَثِيراً مما تَقُولُ {لأنهم كانوا لا يلقون إليه آذانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله: {وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه {الأنعام: 25. أو كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكأنهم لم يفقهوه. وقالوا ذلك على وجه الاستهانة به يقول

الرجل لصاحبه إذا لم يعبأ بحديثه: ما أدري ما تقول أو جعلوا كلامه هذياناً وتخليطاً لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفعهم كلامه وهو خطيب الأنبياء وقيل: كان ألثغ {فينا ضعيفاً {لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروهاً. وعن الحسن ضَعِيفاً مهيناً. وقيل: {ضعِيفَاً {أعمى. وحمير تسمى المكفوف: ضعيفاً كما يسمى ضريراً وليس بسديد لأن {فِينَا {يأباه. ألا ترى أنه لو قيل إنا لنراك فينا أعمى لم يكن كلاماً لأن الأعمى أعمى فيهم وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطاً. والرهط: من الثلاثة إلى العشرة. وقيل: إلى السبعة. وإنما قالوا: ولولاهم احتراماً لهم واعتداداً بهم لأنهم كانوا على ملتهم لا خوفاً من شوكتهم وعزتهم {لرجمناك {لقتلناك شر قتلة {وما أنت علينا بعزيز {أي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم. وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل إيلاء ضميره حرف النفي على أن الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كأنه قيل: وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك قال في جوابهم: {أرهطي أعز عليكم من الله {ولو قيل: وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب. فإن قلت: فالكلام واقع فيه وفي رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه فكيف صح قوله: {أرهطي أعز عليكم من الله {قلت: تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله. ألا ترى إلى قوله تعالى: {من يطع الرسول فقد أطاع اللّه {النساء: 80 {واتخذتموه وراءكم ظهرياً {ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهري: منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب. ونظيره قولهم في النسبة إلى أمس: أمسي {بما تعمَلوُنَ مُحِيط {قد أحاط بأعمالكم علماً فلا يخفى عليه شيء منها {على مكانتكم {لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان يقال: مكان ومكانة ومقام ومقامة. أو تكون مصدراً من مكن مكانة فهو مكين. والمعنى: اعملوا قارين على جهتكم التي أنتم عليها من الشرك والشنآن لي. أو اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها {إني عامل {على حسب ما يؤتيني اللّه من النصرة والتأييد ويمكنني {من يأتيه {يجوز أن تكون مَن استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل: سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه وأينا هو كاذب وأن تكون موصولة قد عمل فيها كأنه قيل: سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب. فإن قلت: أي فرق بين إدخال الفاء ونزعها في {فسوف تعلمون {قلت. إدخال الفاء: وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها: وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا: فماذا يكون إن عملنا نحن على مكانتنا وعملت أنت فقال: سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف وهو باب من أبواب علم البيان تتكاثر محاسنه {وارتَقِبوا {وانتظروا العاقبة وما أقول لكم {إني معكم رَقِيُب {أي منتظر. والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم. أو بمعنى المراقب كالعشير والنديم أو بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع. فإن قلت: قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم أتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس أن يقول: من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق. حتى ينصرف من يأتيه عذاب يخزيه إلى الجاحدين ومن هو صادق إلى النبي المبعوث إليهم قلت: القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذباً قال: {ومن هو كاذب {يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلاً لهم. فإن قلت: ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء قلت قد رقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله: {إن موعدهم الصبح {هود: 81 {ذلك وعد غير مكذوب {هود: 65 فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول: وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت. وأما الأخريان فلم تقعا بتلك المثابة. وإنما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة. الجاثم: اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا {كأن لم يغنَوا {كأن لم يقيموا في ديارهم أحياء متصرفين مترددين. البعد: بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد. ألا ترى إلى قوله: {كما بعدت {وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى

في البناءين واحد وهو نقيض القرب إلا أنهم أرادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا: وعد وأوعد وقراءة السلمي جاءت على الأصل اعتباراً لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال: ذهب فلان ومضى في معنى الموت. وقيل: معناه بعداً لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها.

{ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردوا النار وبئس والورد المورود وأتبعوا في هذه لعنة {بآياتنا وسلطان مبين {فيه وجهان: أن يراد أن هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وأن يراد بالسلطان المبين: العصا لأنها أبهرها {وما أمر فرعون برشيد {تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على أمره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه أدنى مسكة من العقل وذلك أنه ادعى الإلهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا يأتي إلا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الإلهية ذاتاً وأفعالاً فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته. والأمر الرشيد: الذي فيه رشد أي: وما في أمره رشد إنما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وإنما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم. وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في أمر موسى عليه السلام وعلموا أن معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس في أمره رشد قط {يقدم قومه {أي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه. ويجوز أن يريد بقوله: {وما أمر فرعون برشيد {وما أمره بصالح حميد العاقبة. ويكون قوله: {يقدم قومه {تفسيراً لذلك وإيضاحاً. أي: كيف يرشد أمر من هذه عاقبته. والرشد مستعمل في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط. ويقال: قدمه بمعنى تقدمه. ومنه: قادمة الرحل كما يقال: قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش. وأقدم بمعنى تقدم. ومنه مقدم العين. فإن قلت: هلا قيل: يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت: لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل: يقدمهم فيوردهم النار لا محالة. و {الوردُ {المورود. و {المورود {الذي وردوه شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة إلى الماء. وشبه أتباعه بالواردة ثم قيل: بئس الورد الذي يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش وتبريد الأكباد والنار ضده {اتبعوا في هذه {في هذه الدنيا {لعنة {أي يلعنون في الدنيا ويلعنون في الآخرة {بئس الرفد المرفود {رفدهم. أي: بئس العون المعان. وذلك أن اللعنة في الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة في الآخرة وقيل: بئس العطاء المعطى. {ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب {. {ذَلِكَ {مبتدأ {من أنباء القرى نقصه عليك {خبر بعد خبر أي: ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها الضمير للقرى أي: بعضها باق وبعضها عافي الأثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد. فإن قلت: ما محل هذه الجملة قلت: هي مستأنفة لا محل لها {وما ظلمناهم {بإهلاكنا إياهم {ولكن ظلموا أنفسهم {بارتكاب ما به أهلكوا {فما أغنت عنهم آلهتهم { فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله {يدعون {يعبدون وهي حكاية حال ماضية. و {لما {منصوب بما أغنت {أمر ربك {عذابه ونقمته {تتبيب {تخسير. يقال تب إذا خسر. وتببه غيره إذا أوقعه في الخسران. {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي مظلمة إن أخذه أليم شديد {. محل الكاف الرفع تقديره: ومثل ذلك الأخذ {أخذ ربك {والنصب فيمن قرأ: وكذلك أخذ ربك بلفظ الفعل. وقرئ: {إذ أخذ القرى {{وهي مظلمة {حال من القرى {أليم شديد {وجيع صعب على المأخوذ. وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل أهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره أو نفسه بذنب يقترفه. فعلى كل من أذنب أن يحذر أخذ ربه الأليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال. {إن في ذلك لأية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود {. {ذلِكَ {إشارة إلى ما قص الله من قصص الأمم الهالكة بذنوبهم {لأية لمن خاف {لعبرة له لأنه ينظر إلى ما أحل الله بالمجرمين في

الدنيا وما هو إلا أنموذج مما أعد لهم في الآخرة فإذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظ ولطفاً في زيادة التقوى والخشية من الله تعالى. ونحوه: {إن في ذلك لعبرة لمن يخشى }النازعات: 26 {ذلِكَ }إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه. و {الناس }رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله إذا قلت يجمع له الناس. فإن قلت لأي فائدة أوثر اسم المفعول على فعله قلت: لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه يوم لا بد من أن يكون ميعاداً مضروباً لجمع الناس له وأنه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو أثبت أيضاً لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكوا منه ونظيره قول المتهدد: إنك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس في الفعل وإن شئت فوازن بينه وبين قوله: {يوم يجمعكم ليوم الجمع }التغابن: 9 تعثر على صحة ما قلت لك. ومعنى يجمعون له: يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب {يوم مشهود }مشهود فيه فاتسع في الظرف بإجرائه مجرى المفعول به كقوله: ويوم شهدناه سليماً وعامراً أي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد. والمراد بالمشهود: الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم: لفلان مجلس مشهود وطعام محضور. قال: في محفل من نواصي الناس مشهود فإن قلت: فما منعك أن تجعل اليوم مشهوداً في نفسه دون أن تجعله مشهوداً فيه كما قال الله تعالى: {فمن شهد منكم الشهر فليصمه }البقرة: 185. قلت: الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الأيام فإن جعلته مشهوداً في نفسه فسائر الأيام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهوداً فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن أيام الأسبوع بكونه مشهوداً فيه دونها ولم يجز أن يكون مشهوداً في نفسه لأن سائر أيام الأسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله: {فمن شهد منكم الشهر فليصمه }البقرة: 185 الشهر منتصب ظرفاً لا مفعولاً به وكذلك الضمير في {فليصمه }والمعنى: فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني: فمن كان منكم مقيماً حاضراً لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولاً فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر: {وما نؤخره إلا لأجل معدود }. الأجل: يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون: انتهى الأجل وبلغ الأجل آخره ويقولون: حل الأجل {فإذا جاء أجلهم }الأعراف: 34 يراد آخر مدة التأجيل والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله: {وما نؤخره إلا لأجل معدود }إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف. وقرئ: {وما يؤخره }بالياء. {يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد }. قرئ: يوم يأت بغير ياء. ونحوه قولهم: لا أدر حكاه الخليل وسيبويه. وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل. فإن قلت: فاعل يأتي ما هو قلت: الله عز وجل كقوله: {هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله }البقرة: 210 {أو يأتي ربك }الأنعام: 158 {وجاء ربك }الفجر: 122 وتعضده قراءة: {وما يؤخره }بالياء. وقوله: {بإذنه }ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى: {أن تأتيهم الساعة }يوسف: 107. فإن قلت: بما انتصب الظرف قلت: إما أن ينتصب بلا تكلم. وإما بإضمار اذكر وإما بالانتهاء المحذوف في قوله: {إلا لأجل معدود }هود: 104 أي ينتهي الأجل يوم يأتي فإن قلت: فإذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتاً لإتيان اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت: المراد إتيان هوله وشدائده {لا تكلم }وهو نظير قوله: {لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن }عم: 38. فإن قلت: كيف يوفق بين هذا وبين قوله تعالى: {يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها }النحل: 111 وقوله تعالى: {هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون }المرسلات: 36 قلت: ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن أنفسهم وفي بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها: يختم على أفواههم وتتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم {فمنهم }الضمير لأهل الموقف ولم يذكروا لأن ذلك معلوم ولأن قوله: {لا تكلم نفس }يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله: {مجموع له الناس }هود: 103 والشقي الذي وجبت له النار {فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك لفعال لما يريد }. قراءة العاقة بفتح الشين. وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ:

سعدوا والزفير: إخراج النفس. والشهيق: رده. قال الشماخ: بعيد مدى التطريب أول صوته زفير ويتلوه شهيق محشرج {ما دامت السموات والأرض {فيه وجهان أحدهما: أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهي دائمة مخلوقة للأبد. والدليل على أن لها سموات وأرضاً قوله تعالى: {يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات {إبراهيم: 48 وقوله: {وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء {الزمر: 4 ولأنه لا بد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم: إما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء. والثاني أن يكون عبارة عن التأييد ونفي الانقطاع. كقول العرب: ما دام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك مر كلمات التأبيد. فإن قلت: فما معنى الاستثناء في قوله: {إلا ما شاء ربك {وقد ثبت خلوا أهل الجنة والنار في الأبد من غير استثناء قلت: هو استثناء من الخلود في عذاب النار. ومن الخلود في نعيم الجنة: وذلك أن أهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم. وكذلك أهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وأجل موقعاً منهم وهو رضوان الله كما قال: {وعد الله المؤمنين والمؤمنات جناتتجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر {التوبة: 72 ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه إلا هو. فهو المراد بالاستثناء. والدليل عليه قوله: {عطاء غير مجذوذ {هود: 108 ومعنى قوله في مقابلته: {إن ربك فعال لما يريد {أنه يفعل بأهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي أهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فإن القرآن يفسر بعضه بعضاً ولا يخدعنك عنه قول المجبرة. إن المراد بالاستثناء خروج أهل الكبائر من النار بالشفاعة فإن الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم. وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص: ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً وقد بلغني أن من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار. وهذا ونحوه والعياذ باللّه من الخذلان المبين زادنا الله هداية إلى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيهاً على أن نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه أنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق أبوابها وأقول: ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث. {وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص {. {غير مجذوذ {غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله: {لهم أجر غير ممنون {فصلت: 8 لما قص قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحل بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال: {فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء {أي: فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص في سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيداً لهم ثم قال: {ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم {يريد أن حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية. وما في مما وكما: يجوز أن تكون مصدرية وموصولة أي: من عبادتهم وكعبادتهم. أو مما يعبدون من الأوثان ومثل ما يعبدون منها {وإنا لموفوهم نصيبهم {أي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم. فإن قلت: كيف نصب {غير منقوص {حالاً عن النصيب الموفى قلت: يجوز أن يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل. ألا تراك تقول. وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملاً وناقصاً. {ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب {. {فاختلف فيه {آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن {ولولا كلمة {يعني كلمة الإنظار إلى يوم القيامة {لقضي بينهم {بين قوم موسى أو قومك. وهذه من جملة التسلية أيضاً. {وإن كلاً لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير {. {وإن كلاً {التنوين عوض من المضاف إليه يعني: وإن كلهم وإن جميع المختلفين فيه {ليوفينهم {جواب قسم محذوف. واللام في {لما

{موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى: وإن جميعهم والله ليوفينهم {ربك أعمالهم {من حسن وقبيح وإيمان وجحود. وقرئ: وإن كلا بالتخفيف على إعمال المخففة عمل الثقيلة اعتباراً لأصلها الذي هو التثقيل. وقرأ أبي: وإن كل لما ليوفينهم على أن إن نافية. ولما بمعنى إلا. وقراءة عبد الله مفسرة لها. وإن كل إلا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن أرقم وإن كلا لما ليوفينهم بالتنوين كقوله: {أكلاً لما {الفجر: 19 والمعنى: وإن كلاً ملمومين بمعنى مجموعين كأنه قيل: وإن كلاً جميعاً كقوله: {فسجد الملائكة كلهم أجمعون {الحجر: 30. {فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير {. {فاستقم كما أمرت {فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي أمرت بها على جادة الحق غير عادل عنها {ومن تاب معك {معطوف على المستتر في استقم. وإنما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه. والمعنى: فاستقم أنت وليستقم من تاب على الكفر وآمن معك {ولا تطغوا {ولا تخرجوا عن حدود الله {إنه بما تعملون بصير {عالم فهو مجازيكم به فالقوه. وعن ابن عباس: ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية كانت أشد ولا أشق عليه من هذه الآية. ولهذا قال: شيبتني هود والواقعة وأخواتهما. وروي أن أصحابه قالوا له: لقد أسرع فيك الشيب. فقال: شيبتني هود. وعن بعضهم: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت له: روي عنك أنك قلت: شيبتني هود. فقال: نعم. فقلت: ما الذي شيبك منها أقصص الأنبياء وهلاك الأمم قال: لا ولكن قوله: {فاستقم كما أمرت {. وعن جعفر الصادق رضي الله عنه {فاستقم كما أمرت {قال: افتقر إلى {ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون {. قرئ: ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء. وعن أبي عمرو: بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة إلا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم. ونحوه قراءة من قرأ {فتمسكم النار {بكسر التاء. وقرأ ابن أبي عبلة: ولا تُركِنوا على البناء للمفعول من أركنه إذا أماله والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم. وذكرهم بما فيه تعظيم لهم. وتأمل قوله: {لا تركنوا {فإن الركون هو الميل اليسير. وقوله: {إلى الذين ظلموا {أي إلى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل إلى الظالمين. وحكي أن الموفق صلى خلف الإمام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما أفاق قيل له فقال: هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم. وعن الحسن رحمه الله: جعل الله الدين بين لاءين: {ولا تطغوا {هود: 12 {ولا تركنوا {ولما خالط الزهري السلاطين كتب إليه أخ له في الدين: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك: أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم اللّه بما فهمك الله من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء قال اللّه سبحانه {لتبيننه للناس ولا تكتمونه {آل عمران: 187 واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخص ما احتملت: أنك أنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقاً ولم يترك باطلاً حين أدناك اتخذوك قطباً تدور عليك رحى باطلهم وجسراً يعبرون عليك إلى بلائهم وسلماً يصعدون فيك إلى ضلالهم يُدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما أكثر ما أخذوا منك في جنب ما أفسدوا عليك من دينك فما يؤمنك أن تكون ممن قال اللّه فيهم {فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً {مريم: 59 فإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء والسلام. وقال سفيان: في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون للملوك. وعن الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملاً. وعن محمد بن مسلمة: الذباب على العذرة أحسن من قارئ على باب هؤلاء. وقال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: {من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله في أرضه {ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال: لا فقيل له: يموت فقال: دعه يموت. {ما

لكم من دون الله من أولياء {حال من قوله: {فتمسكم {أي: فتمسكم النار وأنتم على هذه الحال. ومعناه: وما لكم من دون الله من أنصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم من غيره {ثم لا تنصرون {ثم لا ينصركم هو لأنه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الإبقاء عليكم. فإن قلت: فما معنى ثم قلت: معناها الاستبعاد لأن النصرة من اللّه مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له. {وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين {{طرفي النهار {غدوة وعشية {وزلفا من الليل {وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وازدلف إليه وصلاة الغدوة: الفجر وصلاة العشية: الظهر والعصر لأن ما بعد الزوال عشي. وصلاة الزلف: المغرب والعشاء. وانتصاب طرفي النهار على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك: أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه. ونحوه {وأطراف النهار {طه: 130 وقرئ: {وزُلُفا {بضمتين. وزلفا بسكون اللام. وزلفى: بوزن قربى. فالزلف: جمع زلفة كظلم في ظلمة. والزلف بالسكون: نحو بسرة وبسر. والزلف بضمتين نحو يسر في يسر. والزلفى بمعنى الزلفة كما أن القربى بمعنى القربة: وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل. وقيل: وزلفاً من الليل: وقرباً من الليل وحقها على هذا التفسير أن تعطف على الصلاة أي: أقم الصلاة طرفي النهار وأقم زلفاً من الليل على معني: وأقم صلاة تتقرب بها إلى الله عز وجل في بعض الليل {إن الحسنات يذهبن السيئات {فيه وجهان أحدهما: أن يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث: {إن الصلاة إلى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر {والثاني: إن الحسنات يذهبن السيئات بأن يكن لطفاً في تركها كقوله: {إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر {العنكبوت: 5 وقيل: نزلت في أبي اليسر عمرو بن غزية الأنصاري كان يبيع التمر فأتته امرأة فأعجبته فقال لها: إن في البيت أجود من هذا التمر. فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها فقالت له: اتق الله فتركها وندم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم: أنتظر أمر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال: نعم اذهب فإنها كفارة لما عملت: وروي أنه أتى أبا بكر فأخبره فقال: استر على نفسك وتب إلى الله فأتى عمر رضي الله عنه فقال له مثل ذلك ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر: أهذا له خاصة أم للناس عامة فقال: بل للناس عامة وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: {توضأ وضوءاً حسناً وصل ركعتين {{إن الحسنات يذهبن السيئات {{ذلِكَ {إشارة إلى قوله {واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين {. ثم كر إلى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كأنه قال: وعليك بما هو أهم مما ذكرت به وأحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه إلا به {فإن الله لا يضيع أجر المحسنين {جاء بما هو مشتمل على الاستقامة وإقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون إلى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات. {فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلاً ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين {. {فلولا كان من القرون {فهلا كان وقد حكوا عن الخليل: كل لولا في القرآن فمعناها هلا إلا التي في الصافات وما صحت هذه الحكاية ففي غير الصافات {لولا أن تداركة نعمة من ربه لنبذ بالعراء {القلم: 49 {ولولا رجال مؤمنون {الفتح: 25 {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم {الإسراء: 74 {أولوا بقية {أولو فضل وخير. وسمى الفضل والجودة بقية لأن الرجل يستبقي مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلاً في الجودة والفضل. ويقال: فلان من بقية القوم أي من خيارهم. وبه فسر بيت الحماسة: ومنه قولهم: في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا. ويجوز أن تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى أي: فهلا كان منهم ذوو بقاء على أنفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرئ: {أولو بقية {بوزن لقية من بقاه يبقيه إذا راقبه وانتظره ومنه: {بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم {والبقية المرة من مصدره. والمعنى: فلو كان منهم أولو مراقبة وخشية من انتقام الله كأنهم ينتظرون إيقاعه بهم لإشفاقهم {إلا

قليلاً {استثناء منقطع معناه: ولكن قليلاً ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي. و {من {في {ممن أنجينا {حقها أن تكون للبيان لا للتبعيض لأن النجاة إنما هي للناهين وحدهم بدليل قوله تعالى: {أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا {الأعراف: 165. فإن قلت: هل لوقوع هذا الاستثناء متصلاً وجه يحمل عليه قلت: إن جعلته متصلاً على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسداً لأنه يكون تخصيصاً لأولى البقية على النهي عن الفساد إلا للقليل من الناجين منهم كما تقول: هلا قرأ قومك القرآن إلا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وإن قلت: في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكأنه قيل: ما كان من القرون أولو بقية إلا قليلاً كان استثناء متصلاً ومعنى صحيحاً وكان انتصابه على أصل الاستثناء وإن كان الأفصح أن يرفع على البدل {واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه {أراد بالذين ظلموا: تاركي النهي عن المنكرات أي: لم يهتموا بما هو ركن عظيم من أركان الدين وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والتترف من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء. ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم. وقرأ أبو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني: واتبعوا جزاء ما أترفوا فيه. ويجوز أن يكون المعنى في القراءة المشهورة: أنهم اتبعوا جزاء إترافهم. وهذا معنى قوي لتقدم الإنجاء كأنه قيل: إلا قليلاً ممن أنجينا منهم وهلك السائر. فإن قلت: علام عطف قوله: {واتبع الذين ظلموا {قلت: إن كان معناه: واتبعوا الشهوات كان معطوفاً على مضمر لأن المعنى إلا قليلاً ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا. وإن كان معناه واتبعوا جزاء الإتراف فالواو للحال كأنه قيل: أنجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم. فإن قلت: فقوله {وكانوا مجرمين {قلت: على أترفوا أي: اتبعوا الإتراف وكونهم مجرمين لأن تابع الشهوات مغمور بالآثام. أو أريد بالإجرام إغفالهم للشكر. أو على اتبعوا أي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك. ويجوز أن يكون اعتراضاً وحكماً عليهم بأنهم قوم مجرمون. {وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون {. {كان {بمعنى صح واستقام. واللام لتأكيد النفي. و {بظلم {حال من الفاعل. والمعنى: واستحال في الحكمة أن يهلك اللّه القرى ظالماً لها {وأهلها {قوم {مصلحون {تنزيهاً لذاته عن الظلم وإيذاناً بأن إهلاك المصلحين من الظلم. وقيل: الظلم الشرك ومعناه أنه لا يهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون إلى شركهم فساداً آخر. {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين {. {ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة {يعني لاضطرهم إلى أن يكونوا أهل أمة واحدة أي ملة واحدة وهي ملة الإسلام كقوله: {إن هذه أمتكم أمة واحدة {الأنبياء: 92 وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وأنه لم يضطرهم إلى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذي هو أساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال: {ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك {إلا ناساً هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه {ولذلك خلقهم {ذلك إشارة إلى ما دل عليه الكلام الأول وتضمنه يعني: ولذلك من التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره {وتمت كلمة ربك {وهي قوله للملائكة {لأملأن جهنم من الجنة {وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك من هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون وانتظروا إنا منتظرون {. {وكلاً {التنوين فيه عوض عن المضاف إليه كأنه قيل. وكل نبأ {نقص عليك {و {من أنباء الرسل {بيان لكل. وإما نثبت به فؤادك بدل من كلاً. ويجوز أن يكون المعنى: وكل واقتصاص نقص عليك على معنى: وكل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك يعني: على الأساليب المختلفة و {ما نثيب به {مفعول نقص. ومعنى تثبيت فؤاده: زيادة يقينه وما فيه طمأنينة قلبه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب وأرسخ للعلم {وجاءك من هذه الحق {أي في هذه السورة. أو في هذه الأنباء المقتصة

فيها ما هو حق {وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون {من أهل مكة وغيرهم {اعملوا {على حالكم وجهتكم التي أنتم عليها {إنا عاملون وانتظروا {بنا الدوائر {إنا منتظرون {أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة بأشباهكم. {ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون {. {ولله غيب السموات والأرض {لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم {وإليه يرجع الأمر كله {فلا بد أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم {فاعبده وتوكل عليه { فإنه كافيك وكافلك {وما ربك بغافل عما تعملون {وقرئ: تعملون بالتاء: أي أنت وهم على تغليب المخاطب. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من قرأ سورة هود أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومَن كَذَبَ به وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء إن شاء الله تعالى ذلك {.

سورة يوسف

مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم {ألر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين {. {تلك {إشارة إلى آيات السورة. و {الكتاب المبين {السورة أي تلك الآيات التي أنزلت إليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وتبكيتهم. أو التي تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر. أو الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم. أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف. فقد روي أن علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين: سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف {أنزلناه {أنزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه {قرآناً عربياً {وسمى بعض القرآن قرآناً لأن القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه {لعلكم تعقلون {إرادة أن تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم {ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته {فصلت: 44. {القَصَصِ {على وجهين: يكون مصدراً بمعنى الاقتصاص تقول: قص الحديث يقصه قصصاً كقولك: شله يشله شللاً إذا طرده. ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب. ونحوه النبأ والخبر: في معنى المنبأ به والمخبر به. ويجوز أن يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد. وإن أريد المصدر فمعناه: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص {بما أوحينا إليك هذا القرآن {أي بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوباً نصب المصدر لإضافته إليه ويكون المقصوص محذوفاً لأن قوله: {بما أوحينا إليك هذا القرآن {مغن عنه. ويجوز أن ينتصب هذا القرآن بنقص كأنه قيل: نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص هذا القرآن بإيحائنا إليك. والمراد بأحسن الاقتصاص: أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب. ألا ترى أن هذا الحديث مقتص في كتب الأولين وفي كتب التواريخ وألا ترى اقتصاصه في كتاب منها مقارباً لاقتصاصه في القرآن. وإن أريد بالقصص المقصوص. فمعناه: نحن نقص عليك أحسن ما يقص من الأحاديث وإنما كان أحسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست في غيرها والظاهر أنه أحسن ما يقتص في بابه كما يقال في الرجل: هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه. فإن قلت: مم اشتقاق القصص قلت: من قص أثره إذا اتبعه لأن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئاً فشيئاً كما يقال: تلا القرآن إذا قرأه لأنه يتلو أي يتبع ما حفظ منه آية بعد آية {وإن كنت {إن مخففة من الثقيلة. واللام هي التي تفرق بينها وبين النافية. والضمير في {قبله {راجع إلى قوله: ما أوحينا والمعنى: وإن الشأن والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الغافلين عنه أي: من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه. {إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين {. {إذ قال يوسف {بدل من أحسن القصص

وهو من بدل الاشتمال لأن الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فإذا قص وقته فقد قص. أو بإضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لأنه لو كان عربياً لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف. فإن قلت: فما تقول فيمن قرأ: يوسِف بكسر السين أو يوسَف بفتحها هل يجوز على قراءته أن يقال هو عربي لأنه على وزن المضارع المبني للفاعل أو المفعول من آسف. وإنما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل قلت: لا لأن القراءة المشهورة قامت بالشهادة على أن الكلمة أعجمية فلا تكون عربية تارة وأعجمية أخرى ونحو يوسف: يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لأنه في لغتين منها بوزن المضارع من آنس وأونس. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: {إذا قيل: من الكريم فقولوا: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم {{يا أبت {قرئ بالحركات الثلاث. فإن قلت: ما هذه التاء قلت: تاء تأنيث وقعت عوضاً من ياء الإضافة والدليل على أنها تاء تأنيث قلبها هاء في الوقف. فإن قلت: كيف جاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر قلت: كما جاز نحو قولك: حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة. فإن قلت: فلم ساغ تعويض تاء التأنيث من ياء الإضافة قلت: لأن التأنيث والإضافة يتناسبان في أن كل واحد منهما زيادة مضمومة إلى الاسم في آخره. فإن قلت فما هذه الكسرة قلت: هي الكسرة التي كانت قبل الياء في قولك: يا أبي قد زحلقت إلى التاء لاقتضاء تاء التأنيث أن يكون ما قبلها مفتوحاً: فإن قلت: فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة قلت: امتنع ذلك فيها لأنها اسم والأسماء حقها التحريك لأصالتها في الإعراب وإنما جاز تسكين الياء وأصلها أن تحرك تخفيفاً لأنها حرف لين. وأما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها. فإن قلت: يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لأنها في حكم الياء إذا قلت: يا غلام فكما لا يجوز يا أبتي لا يجوز يا أبت. قلت الياء والكسرة قبلها شيئان والتاء عوض من أحد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه إلا إذا جمع بين التاء والياء لا غير. ألا ترى إلى قولهم يا أبتا مع كون الألف فيه بدلاً من التاء كيف جاز الجمع بينها وبين التاء ولم يعد ذلك جمعاً بين العوض والمعوض منه فالكسرة أبعد من ذلك. فإن قلت: فقد دلت الكسرة في يا غلام على الإضافة لأنها قرينة الياء ولصيقتها. فإن دلت على مثل ذلك في يا أبت فالتاء المعوضة لغو: وجودها كعدمها. قلت: بل حالها مع التاء كحالها مع الياء إذا قلت يا أبي. فإن قلت: فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها قلت: أما من فتح فقد حذف الألف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء في يا غلام ويجوز أن يقال: حركها بحركة الباء المعوض منها في قولك يا أبي. وأما من ضم فقد رأى اسماً في آخره تاء تأنيث فأجراه مجرى الأسماء المؤنثة بالتاء فقال: يا أبت كما تقول يا تبة من غير اعتبار لكونها عوضاً من لهاء الإضافة وقرئ: إني رأيت بتحريك الياء. وأحد عشر بسكون العين تخفيفاً لتوالي المتحركات فيما هو في حكم اسم واحد وكذا إلى تسعة عشر إلا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لأن ما ذكر معلوم أنه منام لأنّ الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف في حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس. فإن قلت: ما أسماء تلك الكواكب قلت: روى جابر أن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد أخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنزل جبريل عليه السلام فأخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي {إن أخبرتك هل تسلم {قال: نعم. قال: {جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذا الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له {فقال اليهودي: إي والله إنها لأسماؤها. وقيل: الشمس والقمر أبواه. وقيل: أبوه وخالته. والكواكب: إخوته وعن وهب أن يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أن إحدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدارة لماذا عصا صغير تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لأبيه فقال: إياك أن تذكر هذا لإخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على أبيه فقال له: لا تقصها

عليهم فيبغوا لك الغوائل. وقيل: كان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته إليه أربعون سنة. وقيل: ثمانون. فإن قلت لم أخر الشمس والقمر قلت: أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بياناً لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما أخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع أي: رأيت الكواكب مع الشمس والقمر. فإن قلت: ما معنى تكرار رأيت قلت: ليس بتكرار إنما هو كلام مستأنف على تقديم سؤال وقع جواباً له كأن يعقوب عليه السلام قال له عند قوله: {إني رأيت أحد عشر كوكباً} كيف رأيتها سائلاً عن حال رؤيتها فقال: {رأيتهم لي ساجدين} فإن قلت: فلم أجريت مجرى العقلاء في رأيتهم لي ساجدين قلت: لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود. أجرى عليها حكمهم كأنها عاقلة وهذا كثير شائع في كلامهم أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكماً من أحكامه إظهاراً لأثر الملابسة والمقاربة. {قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم }. عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على أن يوسف يبلغه الله مبلغاً من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الإخوة وبغيهم والرؤيا بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفي التأنيث كما قيل: القربة والقربى. وقرئ: روياك بقلب الهمزة واواً. وسمع الكسائي: رياك ورِياك بالإدغام وضم الراء وكسرها وهي ضعيفة لأن الواو في تقدير الهمزة فلا يقوى إدغامها كما لم يقو الإدغام في قولهم اتزر من الإزار واتجر من الأجر {فيكيدوا} منصوب بإضمار أن والمعنى: إن قصصتها عليهم كادوك: فإن قلت: هلا قيل: فيكيدوك كما قيل: فكيدوني قلت: ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ في التخويف وذلك نحو: فيحتالوا لك. ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر {عدو مبين} ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله {لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم} الأعراف: 16 فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن أن يحملهم على مثله {وكذلك} ومثل ذلك الأجتباء {يجتبيك ربك} يعني وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شأن كذلك يجتبيك ربك لأمور عظام. وقوله {ويعلمك} كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كأنه قيل: وهو يعلمك ويتم نعمته عليك. والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في الحوض: جمعته. والأحاديث: الرؤيا: لأن الرؤيا إما حديث نفس أو ملك أو شيطان. وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا وأصحهم عبارة لها. ويجوز أن يراد بتأويل الأحاديث معاني كتب الله وسنن الأنبياء وما غمض واشتبه على الناس من أغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها. وسميت أحاديث لأنه يحدث بها عن الله ورسله. فيقال: قال الله وقال الرسول كذا وكذا. ألا ترى إلى قوله تعالى: {فبأي حديث بعده يؤمنون} الأعراف: 85 {الله نزل أحسن الحديث} الزمر: 23 وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة. ومعنى إتمام النعمة عليهم أنه وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة بأن جعلهم أنبياء في الدنيا وملوكاً. وننقلهم عنها إلى الدرجات العلا في الجنة. وقيل: أتمها على إبراهيم بالخلة والإنجاء من النار ومن ذبح الولد. وعلى إسحاق بإنجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وبإخراج يعقوب والأسباط من صلبه. وقيل: علم يعقوب أن يوسف يكون نبياً وإخوته أنبياء استدلالاً بضوء الكواكب فلذلك قال {وعلى آل يعقوب} وقيل: لما بلغت الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا: ما رضي أن سجد له إخوته حتى سجد له أبواه. وقيل: كان يعقوب مؤثراً له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان وقيل: لما قص رؤياه على يعقوب قال: هذا أمر مشتت يجمع الله لك بعد دهر طويل. وآل يعقوب. أهله وهم نسله وغيرهم. وأصل آل: أهل بدليل تصغيره على أَهَيل إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر. يقال: آل النبي وآل الملك. ولا يقال: آل الحائك ولا آل الحجام ولكن أهلهما. وأراد بالأبوين: الجد وأبا الجد لأنهما في حكم الأب في

الأصالة. ومن ثم يقولون: ابن فلان وإن كان بينه وبين فلان عدة. و {إبراهيم وإسحاق {عطف بيان لأبويك {إنَ ربك عليم {يعلم من يحق له الاجتباء {حكيم {لا يتم نعمته إلا على من يستحقها. {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين {. {في يوسف وإخوته {أي في قصتهم وحديثهم {آيات {علامات ودلائل على قدرة اللّه وحكمته في كل شيء {للسائلين {لمن سأل عن قصتهم وعرفها. وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم بالصحة من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب. وقرئ: آية وفي بعض المصاحف: عبرة وقيل: إنما قص الله تعالى على النبي عليه الصلاة والسلام خبر يوسف وبغي إخوته عليه لما رأى من بغي قومه عليه ليتأسى به. وقيل أساميهم: يهوذا: وروبيل وشمعون ولاوي وربالون ويشجر ودينة ودان ونفتالي وجاد وآشر: السبعة الأولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والأربعة الآخرون من سريتين: زلفة وبلهة. فلما توفيت {إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين {. {قَالَ يُوسُفُ {اللام للابتداء. وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة. أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه {وأخوه {هو بنيامين. وإنما قالوا أخوه وهم جميعاً إخوته لأن أمهما كانت واحدة. وقيل {أحب {في الاثنين لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث إذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف وإذا أضيف جاز الأمران. والواو في {ونحن عصبة {واو الحال. يعني: أنه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفأة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما {إن أبانا لفي ضلالٍ مبين {أي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك. والعصبة والعصابة: العشرة فصاعداً. وقيل: إلى الأربعين سموا بذلك لأنهم جماعة تعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب. وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه: ونحن عصبة بالنصب. وقيل: معناه ونحن نجتمع عصبة. وعن ابن الأنباري هذا كما تقول العرب إنما العامري عمته أي يتعهد عمته. {اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين {. {اقتلوا يوسف {من جملة ما حكى بعد قوله: إذ قالوا: كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال {لا {اقتلوا يوسف {وقيل: الآمر بالقتل شمعون وقيل: دان والباقين كانوا راضين فجعلوا آمرين {أرضاً {أرضاً منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة {يخل لكم وجه أبيكم {يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم. والمراد: سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها وينازعهم إياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه. ويجوز أن يراد بالوجه الذات كما قال تعالى: {ويبقى وجه ربك {الرحمن: 127 وقيل {يخل لكم {يفرغ لكم من الشغل بيوسف {من بعده {من بعد يوسفٍ أي من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو يرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا {قوماً صالحين {تائبين إلى الله مما جنيتم عليه. أو يصلح ما بينكم وبين أبيكم بعذر تمهدونه. أو تصلح دنياكم وتنتظم أموركم بعده بخلو وجه أبيكم. و {تكونوا {إما مجزوم عطفاً على {يخل لكم {أو منصوب بإضمار أن والواو بمعنى مع كقوله: {وتكتموا الحق {البقرة: 42. {قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين {. {قائل منهم {هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأياً. وهو الذي قال: فلن أبرح الأرض. قال لهم: القتل عظيم {وألقوه في غيابت الجب {وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر وأظلم من وإن أنا يوماً غيبتني غيابتي فسيروا فسيري في العشيرة والأهل أراد غيابة حفرته التي يدفن فيها. وقرئ: غيابات على الجمع. وغيابات بالتشديد. وقرأ الجحدري غيبة والجب: البئر لم تطو لأن الأرض تجب جباً لا غير {يلتقطه {يأخذه بعض السيارة بعض الأقوام الذين يسيرون في الطريق. وقرئ: تلتقطه بالتاء على المعنى لأن بعض السيارة سيارة كقوله: كما شرقت صدر القناة من الدم ومنه: ذهبت بعض أصابعه {إن كنتم فاعلين {إن كنتم على أن تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الرأي. {قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون {. {ما لك لا تأمنا {قرئ بإظهار النونين

وبالإدغام بإشمام وبغير إشمام. وتيمنا بكسر التاء مع الإدغام. والمعنى: لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه وما وجد منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم. وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه {نرتع {نتسع في أكل الفواكه وغيرها. وأصل الرتعة: الخصب والسعة. وقرئ: نرتع من ارتعى يرتعي. وقرئ: يرتع ويلعب بالياء ويرتع من أرتع ماشيته. وقرأ العلاء بن سيابة: يرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على الابتداء. فإن قلت: كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب قلت: كان لعبهم الاستباق والانتضال. ليضروا أنفسهم بما يحتاج إليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله {إنا ذهبنا نستبق {يوسف: 107 وإنما سموه لعباً لأنه في صورته. {قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون {. {ليحزنني {اللام لام الابتداء كقوله: {إن ربك ليحكم بينهم {النحل: 124 ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سبي المضارعة. اعتذر إليهم بشيئين أحدهما: أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة. والثاني: خوفه عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم أو قل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم. وقيل: رأى في النوم أن الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي أمثالهم: البلاء موكل بالمنطق. وقرئ: الذئب بالهمزة على الأصل وبالتخفيف. وقيل: اشتقاقه من تذاءبت الريح إذا أتت من كل جهة. {قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذاً لخاسرون {. القسم محذوف تقديره: واللّه {لئن أكله الذئب {واللام موطئة للقسم. وقوله: {إنا إذاً لخاسرون {جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط والواو في {ونحن عصبة {واو الحال: حلفوا له لئن كان ما خافه من خطفة الذئب أخاهم من بينهم وحالهم أنهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الأمور وتكفى الخطوب إنهم إذاً لقوم خاسرون أي هالكون ضعفاً وخوراً وعجزاً. أو مستحقون أن يهلكوا لأنه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم. أو مستحقون لأن يدعي عليهم بالخسارة والدمار وأن يقال: خسرهم الله ودمرهم حين أكل الذئب بعضهم وهم حاضرون. وقيل: إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشنا إذاً وخسرناها فإن قلت: قد اعتذر إليهم بعذرين فلم أجابوا عن أحدهما دون الآخر قلت: هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الأمرين فأعاروه آذاناً صماً ولم يعبؤوا به. {فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرنا هذا وهم لا يشعرون {. {أن يجعلوه {مفعول {وأجمعوا {من قولك: أجمع الأمر وأزمعه {فأجمعوا أمركم {يونس: 71 وقرئ: في غيابات الجب: وقيل: هو بئر بيت المقدس. وقيل: بأرض الأردن وقيل: بين مصر ومدين. وقيل: على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب. وجواب لما محذوف. ومعناه: فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روي: أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وأخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه إلا بالإهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه. فجعل يصيح: يا أبتاه لو تعلم ما يصنع بابنك أولاد الإماء فقال يهوذا: أما أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه فلما أرادوا إلقاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال: يا إخوتاه ردوا علي قميصي أتوارى به وإنما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على أبيهم فقالوا له: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها ألقوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن أنها رحمة أدركتهم فأجابهم فأرادوا أن يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام. ويروى أن إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وجرد عن ثيابه أتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فأخرجه وألبسه إياه {وأوحينا إليه {قيل أوحي إليه في الصغر كما أوحي إلى يحيى وعيسى: وقيل كان إذ ذاك مدركاً. وعن الحسن: كان له سبع عشرة سنة {لتنبئنهم بأمرهم هذا {وإنما أوحي إليه ليؤنس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول إليه أمره. ومعناه: لتتخلصن مما أنت فيه ولتحدثن إخوتك بما فعلوا بك {وهم لا يشعرون { أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن أوهامهم ولطول العهد المبدل للهيئات والأشكال

وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال: إنه ليخبرني هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وأنكم انطلقتم به وألقيتموه في غيابة الجب وقلتم لأبيكم: أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس. ويجوز أن يتعلق {وهم لا يشعرون {بقوله {وأوحينا {على أنا آنسناه بالوحي وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون أنه مرهق مستوحش لا أنيس له وقرئ {لننبئنهم {بالنون على أنه وعيد لهم. وقوله: {وهم لا يشعرون {متعلق بأوحينا لا غير. {وجاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين {. وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال: لقيته عشياً وعشياناً وأصيلاً وأصيلاناً ورواه ابن جني: عشي لضم العين والقصر. وقالوا عشوا من البكاء وروي أن امرأة حاكمت إلى شريح فبكت فقال له الشعبي: يا أبا أمية أما تراها تبكي فقال: قد جاء إخوة يوسف يبكون وهم ظلمة: ولا ينبغي لأحد أن يقضي إلا بما أمر أن يقضي به من السنة المرضية وروي أنه لما سمع صوتهم فزع وقال: ما لكم يا بني هل أصابكم في غنمكم شيء قالوا: لا. قال: فما لكم وأين يوسف {قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق {أي نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل: والارتماء والترامي وغير ذلك. والمعنى: نتسابق في العدو أو في الرمي. وجاء في التفسير: ننتضل {بمؤمن لنا {بمصدق لنا {ولو كنا صادقين {ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا. {وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون {. {بدم كذب {ذي كذب. أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب: هو الكذب بعينه والزور بذاته. ونحوه. فهن به جود وأنتم به بخل وقرئ: كذباً نصباً على الحال بمعنى جاءوا به كاذبين ويجوز أن يكون مفعولاً له. وقرأت عائشة رضي الله عنها: كدب بالدال غير المعجمة أي كدر. وقيل: طري وقال ابن جني: أصله من الكدب وهو الفوف: البياض الذي يخرج على أظفار الأحداث. كأنه دم قد أثر في قميصه. روي أنهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم أن يمزقوه. وروي أن يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى صوته وقال: أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال: تالله ما رأيت كاليوم ذئباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يمزق عليه قميصه. وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات: كان دليلاً ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيراً ودليلاً على براءة يوسف حين قد من دبر. فإن قلت: {على قميصه {ما محله قلت: محله النصب على الظرف كأنه قيل: وجاءوا فوق قميصه بدم كما تقول: جاء على جماله بأحمال. فإن قلت: هل يجوز أن تكون حالاً متقدمة قلت: لا لأن حال المجرور لا تتقدم عليه {سولت {سهلت من السول وهو الاسترخاء أي: سهلت {لكم أنفسكم أمراً {عظيماً ارتكبتموه من يوسف وهونته في أعينكم: استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص. أو أوحي إليه بأنهم قصدوه {فصبر جميل {خبر أو مبتدأ لكونه موصوفاً أي فأمري صبر جميل أو فصبر جميل أمثل وفي قراءة أبي: فصبراً جميلاً والصبر الجميل جاء في الحديث المرفوع: {أنه الذي لا شكوى فيه {ومعناه الذي لا شكوى فيه إلى الخلق ألا ترى إلى قوله: {إنما أشكوا بثي وحزني إلى اللّه {يوسف: 86 وقيل: لا أعايشكم على كابة الوجه بل أكون لكم كما كنت وقيل: سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له: ما هذا فقال: طول الزمان وكثرة الأحزان. فأوحى الله تعالى إليه: يا يعقوب أتشكوني قال: يا رب. خطيئة فاغفرها لي {والله المستعان {أي أستعينه {على {احتمال {مَا تَصِفُونَ {من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه. {وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون {. {{وجاءت سيارة {رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من إلقاء يوسف في الجب فأخطئوا الطريق فنزلوا قريباً منه وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران لم يكن إلا للرعاة. وقيل: كان ماؤها ملحاً. فعذب حين ألقي فيه يوسف {فأرسلوا {رجلاً يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء. والوارد: الذي يرد الماء ليستقي للقوم {يا

بشرى {نادى البشرى كأنه يقول: تعالى فهذا من آونتك وقرئ: يا بشراي على إضافتها إلى نفسه. وفي قراءة الحسن وغيره: يا بشري بالياء مكان الألف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الإضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت أهل السروات يقولون في دعائهم: يا سيدي ومولي. وعن نافع: يا بشراي بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده إلا أن يقصد الوقف. وقيل: لما أدلى دلوه أي أرسلها في الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون فقال: يا بشراي {هذا غلام {وقيل: ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به {وأسروه {الضمير للوارد وأصحابه: أخفوه من الرفقة. وقيل: أخفوا أمره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم: دفعه إلينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر. وعن ابن عباس: أن الضمير لإخوة يوسف وأنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد أبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه وبضاعة نصب على الحال أي: أخفوه متاعاً للتجارة. والبضاعة: ما بضع من المال للتجارة أي قطع {وَالله عليم بما يعملون {لم يخف عليه أسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم. أو: والله عليم بما يعمل إخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع.

{وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين {. {وَشَرُوه {وباعوه {بثمن بخس {مبخوس ناقص عن القيمة نقصاناً ظاهراً أو زيف ناقص العيار {دراهم {لا دنانير {معدودة {قليلة تعد عداً ولا توزن لأنهم كانوا لا يزنون إلا ما بلغ الأوقية وهي الأربعون ويعدون ما دونها. وقيل للقليلة معدودة لأن الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها. وعن ابن عباس: كانت عشرين درهماً. وعن السدي اثنين وعشرين {وكانوا فيه من الزاهدين {ممن يرغب عما في يده فيبيعه بما طف من الثمن لأنهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالي بم باعه ولأنه يخاف أن يعرضم له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من أول مساوم بأوكس الثمن. ويجوز أن يكون معنى {وشروه {واشتروه يعني الرفقة من إخوته {وكانوا فيه من الزاهدين {لأنهم اعتقدوا أنه آن فخافوا أن يخطروا بما لهم فيه. ويروى أن إخوته اتبعوهم يقولون لهم: استوثقوا منه لا يأبق. وقوله: {فِيهِ {ليس من صلة الزاهدين {لأن الصلة لا تتقدم على الموصول. إلا تراك لا تقول: وكانوا زيداً من الضاربين وإنما هو بيان كأنه قيل: في أي شيء زهدوا فقال: زهدوا فيه. {وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون {. {الذي اشتراه {قيل هو قطفير أو أطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات في حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام في منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ربان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة. وقيل: كان الملك في أيامه فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله: {ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات {غافر: 34 وقيل: فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف. وقيل: اشتراه العزيز بعشرين ديناراً وزوجي نعل وثوبين أبيضين. وقيل: أدخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكاً وورقاً وحريراً فابتاعه قطفير بذلك المبلغ {أكرمي مثواه {اجعلي منزله ومقامه عندنا كريماً أي حسناً مرضياً بدليل قوله {إنه ربي أحسن مثواي {يوسف: 23 والمراد تفقديه بالإحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا. ويقال للرجل: كيف أبو مثواك وأم مثواك لمن ينزل به من رجل أو امرأة يراد: هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعى حق نزولك به. واللام في {لامرأته {متعلقة بقال لا باشتراه {عسى أن ينفعنا {لعله إذا تدرب وراض الأمور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وأمانته. أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيماً لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك. وقيل: أفرس الناس ثلاثة: العزيز حين تفرس في يوسف فقال لامرأته {أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا {والمرأة التي أتت موسى وقالت لأبيها {يا أبت استأجره {القصص: 26

وأبو بكر حين استخلف عمر رضي الله عنهما. وروي أنه سأله عن نفسه فأخبره بنسبه فعرفه {وكذلك {الإشارة إلى ما تقدم من إنجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره: ومثل ذلك الإنجاء والعطف {مَكَنا {له أي: كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له في أرض مصر وجعلناه ملكاً يتصرف فيها بأمره ونهيه {ولنعلمه من تأويل الأحاديث {كان ذلك الإنجاء والتمكين لأن غرضنا ليس إلا ما تحمد عاقبته من علم وعمل {والله غالب على أمره {على أمر نفسه: لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضي. أو على أمر يوسف يدبره لا يكله إلى غيره قد أراد إخوته به ما أرادوا ولم يكن إلا ما أراد الله ودبره {ولكن أكثر الناس لا يعلمون {أن الأمر كله بيد الله. {ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين {. قيل في الأشد: ثماني عشرة وعشرون وثلاث وثلاثون وأربعون. وقيل: أقصاه ثنتان وستون {حكماً {حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه. وقيل: حكماً بين الناس وفقهاً {كذلِكَ نَجْزي اَلمحُسِنِينَ {تنبيه على أنه كان محسناً في عمله متقياً في عنفوان أمره وأن اللّه آتاه الحكم والعلم جزاء على إحسانه. وعن الحسن: من أحسن عبادة ربه في شبيبته آتاه الله الحكمة في اكتهاله. {وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون {. المراودة: مفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب كأن المعني: خادعته عن نفسه أي: فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التحمل لمواقعته إياها {وغلقت الأبواب {قيل: كانت سبعة. وقرئ: هَيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤها كبناء أين وعيط. وهيت كجير وهيت كحيث. وهئت بمعنى تهيأت يقال: هاء يهيء كجاء يجيء: إذا تهيأ. وهيئت لك واللام من صلة الفعل وأما في الأصوات فللبيان كأنه قيل: لك أقول هذا كما تقول: هلم لك {معاذ الله {أعوذ باللّه معاذاً {إنه {إن الشأن والحديث {ربي {سيدي ومالكي يريد قطفير {أحسن مثواي {حين قال لك أكرمي مثواه فما جزاؤه أن أخلفه في أهله سوء الخلافة وأخونه فيهم {إنه لا يفلح الظالمون {الذين يجازون الحسن بالسيء. وقيل: أراد الزناة لأنهم ظالمون أنفسهم. وقيل: أراد الله تعالى لأنه مسبب الأسباب. {ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين {. هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه قال: هممت ولم أفعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله ومنه قولك: لا أفعل ذلك ولا كيداً ولا هماً. أي ولا أكاد أن أفعله كيداً ولا أهم بفعله هماً حكاه سيبويه ومنه: الهمام وهو الذي إذا هم بأمر أمضاه ولم ينكل عنه. وقوله: {ولقد همت به {معناه. ولقد همت بمخالطته {وَهمَ بِهَا {وهم بمخالطتها {لولا أن رأى برهان ربه {جوابه محذوف تقديره: لولا أن رأى برهان ربه لخالطها فحذف لأن قوله: {وهم بِهَا {يدل عليه كقولك: هممت بقتله لولا أني خفت الله معناه لولا أني خفت اللّه لقتلته. فإن قلت: كيف جاز على نبي الله أن يكون منه هم بالمعصية وقصد إليها قلت المراد أن نفسه مالت إلى المخالطة ونازعت إليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلاً يشبه الهم به والقصد إليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم. وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هماً لشدته لما كان صاحبه ممدوحاً عند الله بالامتناع لأن استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته. ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بأنه من عباده المخلصين. ويجوز أن يريد بقوله: {وهم بها {وشارف أن يهم بها كما يقول الرجل: قتلته لو لم أخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته. كأنه شرع فيه فإن قلت: قوله {وهم بها {داخل تحت حكم القسم في قوله: {ولقد همت به {أم هو خارج منه قلت: الأمران جائزان. ومن حق القارئ إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاماً برأسه أن يقف على قوله: {ولقد همت به {ويبتدئ قوله: {وهم بها لولا أن رأى برهان ربه {وفيه أيضاً إشعار بالفرق بين الهمين. فإن قلت: لم جعلت جواب لولا محذوفاً يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدماً فإن قلت: لأن لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل أنه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض. وأما

حذف بعضها إذا دل الدليل عليه فجائز فإن قلت: فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله: {ولقد همت به وهم بها {لأن الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني. فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون إلا من اثنين معاً فكأنه قيل: ولقد هما بالمخالطة لولا أن منع مانع أحدهما قلت: نعم ما قلت ولكن اللّه سبحانه وتعالى قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال {ولقد همت به وهم بها} فكان إغفاله إلغاء له فوجب أن يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على أن المراد بالمخالطتين توصلها إلى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله إلى ما هو حظه من قضاء شهوته منها {لولا أن رأى برهان ربه {فترك التوصل إلى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بأن تعلق بهم بها وحده وقد فسر هم يوسف بأنه حل الهميان وجلس منها مجلس المجامع وبأنه حل تكة سراويله وقعد شعبها الأربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان لأنه سمع صوتاً: إياك وإياها فلم يكترث له فسمعه ثانياً فلم يعمل به فسمع ثالثاً: أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على أنملته. وقيل: ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من أنامله. وقيل: كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولداً إلا يوسف فإنه ولد له أحد عشر ولداً من أجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل: صيح به: يا يوسف لا تكن كالطائر: كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له. وقيل: بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها {إن عليكم لحافظين كراماً كاتبين {الانفطار: 11 فلم ينصرف ثم رأى فيها {ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا {الإسراء: 32 فلم ينته ثم رأى فيها {واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله {البقرة: 281 فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل عليه السلام: أدرك عبدي قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول: يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في ديوان الأنبياء وقيل: رأى تمثال العزيز. وقيل: قامت المرأة إلى صنم كان هناك فسترته وقالت: أستحي منه أن يرانا. فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا أستحي من السميع البصير العليم بذوات الصدور. وهذا ونحوه. مما يورده أهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت اللّه تعالى وأنبيائه وأهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وُجِدَت من يوسف عليه السلام أدنى زلة لنُعيت عليه وذُكِرَت توبته واستغفاره كما نُعِيَت على آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى أيوب وعلى ذي النون وذُكِرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد أثنى عليه وسمي مخلصاً فعلم بالقطع أنه ثبت في ذلك المقام الدحض وأنه جاهد نفسه مجاهدة أولي القوة والعزم ناظراً في دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما أنزل من كتب الأولين ثم في القرآن الذي هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر إلا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق في الآخرين كما جعله لجده الخليل إبراهيم عليه السلام وليقتدي به الصالحون إلى آخر الدهر في العفة وطيب الإزار والتثبت في مواقف العثار فأخزى الله أولئك في إيرادهم ما يؤدي إلى أن يكون إنزال الله السورة التي هي أحسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من أنبياء الله في القعود بين شعب الزانية وفي حل تكته للوقوع عليها وفي أن ينهاه ربه بثلاث كزات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذي سقط ريشه حين سفد غير أنثاه وهو جاثم في مربضه لا يتحلحل ولا ينتهي ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وبإجباره ولو أن أوقح الزناة وأشطرهم وأحدهم حدقة وأصلحهم وجهاً لقي بأدنى ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك. فيا له من مذهب ما أفحشه ومن ضلال ما أبينه {كذلك {الكاف منصوب المحل أي مثل ذلك التثبيت ثبتناه. أو مرفوعه أي الأمر مثل ذلك {لنصرف عنه السوء {من خيانة السيد {والفحشاء {من الزنا {إنه من عبادنا المخلصين {الذين أخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين أخلصهم الله لطاعته بأن عصمهم. ويجوز أن يريد بالسوء. مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك. وقوله: {مِن عِبَادِنَا {معناه بعض عبادنا أي: هو مخلص من جملة المخلصين. أو هو ناشئ منهم لأنه من ذرية إبراهيم الذين قال فيهم {إنا أخلصناهم بخالصة {ص: 46.

{واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من أراد

بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قدّ من دبر قال إنه من كيدهن إن كيدهن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين {. {واستبقا الباب {وتسابقا إلى الباب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله {واختار موسى قومه {الأعراف 155 على تضمين أو استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج. فإن قلت: كيف وجد الباب وقد جمعه في قوله {وغلقت الأبواب {يوسف: 23 قلت: أراد الباب البراني الذي هو المخرج من الدار والمخلص من العار فقد روى كعب أنه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الأبواب {وقدت قميصه من دبر {اجتذبته من خلفه فانقد أي انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه {وألفيا سيدها {وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها: سيدي. وقيل: إنما لم يقل سيدهما لأن ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيداً له على الحقيقة. قيل: ألفياه مقبلاً يريد أن يدخل. وقيل جالساً مع ابن عم للمرأة. لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاظة على يوسف إذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها: وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعاً في أن يؤاتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما أيست من مؤاتاته طوعاً. ألا ترى إلى قولها: {ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن {يوسف: 2 وما نافية أي: ليس جزاؤه إلا السجن. ويجوز أن تكون استفهامية بمعنى: أي شيء جزاؤه إلا السجن كما تقول: مَن في الدار إلا زيد. فإن قلت: كيف لم تصرح في قولها بذكر يوسف وإنه أراد بها سوءاً قلت: قصدت العموم وأن كل من أراد بأهلك سوءاً فحقه أن يسجن أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما قصدته من تخويف يوسف. وقيل: العذاب الأليم الضرب بالسياط. ولما أغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال: {هي راودتني عن نفسي {ولولا ذلك لكتم عليها {وشهد شاهد من أهلها {قيل كان ابن عم لها إنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وأنفى للتهمة عنه وقيل: هو الذي كان جالساً مع زوجها لدى الباب. وقيل كان حكيماً يرجع إليه الملك ويستشيره ويجوز أن يكون بعض أهلها كان في الدار فبصر بها من حيث لا تشعر فأغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق. وقيل: كان ابن خال لها صبياً في المهد. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: {تكلم أربعة وهم صغار: ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى فإن قلت: لم سمي قوله شهادة وما هو بلفظ الشهادة قلت: لما أدى مؤدى الشهادة في أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة: فإن قلت: الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة قلت: لأنها قول من القول أو على إرادة القول كأنه قيل: وشهد شاهد فقال إن كان قميصه. فإن قلت: إن دل قد قميصه من دبر على أنها كاذبة وأنها هي التي تبعته واجتبذت ثوبه إليها فقدته فمن أين دل قده من قبل على أنها صادقة وأنه كان تابعها قلت: من وجهين أحدهما: أنه إذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع. والثاني: أن يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه. وقرئ: من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات. والمعنى: من قبلالقميص ومن دبره. وأما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر. وعن ابن أبي إسحاق أنه قرأ: من قبل ومن دبر بالفتح كأنه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتأنيث. وقرئا بسكون العين. فإن قلت: كيف جاز الجمع بين إن الذي هو للاستقبال وبين كان قلت: لأن المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قد ونحوه كقولك: إن أحسنت إلي فقد أحسنت إليك من قبل لمن يمتن عليك بإحسانه تريد: إن تمتن علي أمتن عليك {فلما رأى {يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها {قال إنه {إن قولك {ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً {أو إن الأمر وهم طمعها في يوسف {من كيدهن {الخطاب لها ولأمتها. وإنما استعظم كيد النساء لأنه وإن كان في الرجال إلا أن النساء ألطف كيداً وأنفذ حيلة. ولهن في ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال. ومنه قوله تعالى: {ومن شر النفاثات في العقد {الفلق: 4 والقصريات

من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء: أنا أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن اللّه تعالى يقول: {إن كيد الشيطان كان ضعيفاً{النساء: 76 وقال للنساء: {إن كدَكن عَظِيم {. {يوُسُفُ {حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله {أَعْرِضْ عَن هذَا {الأمر واكتمه ولا تحدث به {واستغفري {أنت {لذنبك إنك كنت من الخاطئين {من جملة القوم المتعمدين للذنب. يقال: خطئ إذا أذنب متعمداً وإنما قال: {من الخاطئين {بلفظ التذكير تغليباً للذكور على الإناث وما كان العزيز إلا {وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعدت لهن متكئاً وأتت كل واحدة منهن سكيناً وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ما هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاعتصم ولئن لم يفعل ما أمروه ليسجنن وليكوناً من الصاغرين {.

{وقال نسوة {وقال جماعة من النساء وكن خمساً: امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب. والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي كتأنيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التأنيث. وفيه لغتان: كسر النون وضمها {في المدينة {في مصر {امرأة العزيز {يردن قطفير والعزيز: الملك بلسان العرب {فتاها {غلامها. يقال: فتاي وفتاتي أي غلامي وجاريتي {شغفها {خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب. قال النابغة: وقد حال هم دون ذلك والج مكان الشغاف تبتغيه الأصابع وقرئ: شعفها بالعين من شعف البعير إذا هنأه فأحرقه بالقطران قال: كما شعف المهنوءة الرجل الطالي و {حباً {نصب على التمييز {في ضلال مبين {في خطأ وبُعدِ عن طريق الصواب {بمكرهن {باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن: امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني ومقتها وسمي الاغتياب مكراً لأنه في خفية وحالِ غيبة كما يخفي الماكر مكره. وقيل: كانت استكتمتهن سرها فأفشينه عليها {أرسلت إليهن {دعتهن. قيل: دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات {وأعدت لهن متكئاً {ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهي قعودهن متكئات والسكاكين في أيديهن: أن يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لأن المتكئ إذا بهت لشيء وقعت يده على يده ولا يبعد أن تقصد الجمع بين المكر به وبهن فتضع الخناجر في أيديهن ليقطعن أيديهن فتبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها إذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر وتوهمه أنهن يثبن عليه. وقيل: متكأ: مجلس طعام لأنهم كانوا يتكؤن للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك. {نهى أن يأكل الرجل متكئاً وأتتهن السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن. وقيل: {متكئاً {طعاماً من قولك اتكأنا عند فلان: طعمنا على سبيل الكناية لأن من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها. قال جميل: فظللنا بنعمة واتكأنا وشربنا الحلال من قلله وعن مجاهد {متكئاً {طعاماً يحز حزا كأن المعنى يعتمد بالسكين لأن القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين. وقرئ: متكا بغير همز. وعن الحسن: متكاء بالمد كأنه مفتعال وذلك لإشباع فتحة الكاف كقوله بمُنتزاح بمعنى بمنتزح. ونحوه ينباع بمعنى ينبع. وقرئ: متكأ وهو الأترج وأنشد: فأهدت متكة لبني أبيها تخب بها العثمثمة الوقاح وكانت أهدت أترجة على ناقة وكأنها الأترجة التي ذكرها أبو داود في سننه أنها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل. وقيل: الزماورد وعن وهب: أترجا وموزاً وبطيخاً. وقيل: أعتدت لهن ما يقطع من متك الشيء بمعنى بتكه إذا قطعه. وقرأ الأعرج: {متكئاً {مفعلاً من تكئ يتكأ إذا اتكأ {أكبرنه {أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق. قيل: كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: {مررت بيوسف الليلة التي عرج بي إلى السماء فقلت لجبريل: من هذا فقال: يوسف فقيل: يا رسول الله كيف رأيته قال {كالقمر ليلة البدر {. وقيل: كان يوسف إذا سار في أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها. وقيل: ما كان أحد يستطيع وصف يوسف. وقيل: كان يشبه آدم يوم خلقه ربه. وقيل: ورث الجمال

من جدته سارة. وقيل: أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال: أكبرت المرأة إذا حاضت وحقيقته: دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر إلى حد الكبر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله: خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فإن لحت حاضت في الخدور العواتق {قطعن أيديهن {جرحنها كما تقول: كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد: جرحتها {حاشا {كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء. تقول: أساء القوم حاشا زيد. قال: حاشا أبي ثوبان إن به ضناً عن الملحاة والشتم وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا اللّه براءة اللّه وتنزيه اللّه وهي قراءة ابن مسعود على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة. ومن قرأ: حاشا لله فنحو قولك: سقيا لك كأنه قال: براءة ثم قال: لله لبيان من يبرأ وينزه. والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر: قراءة أبي السمال: حاشا لله بالتنوين. وقراءة أبي عمرو حاش للّه بحذف الألف الآخرة. وقراءة الأعمش حشا لله بحذف الألف الأولى. وقرئ: حاش لله بسكون الشين على أن الفتحة تبعت الألف في الإسقاط وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده. وقرئ: حاشا الإله. فإن قلت: فلم جاز في حاشا للّه أن لا ينون بعد إجرائه مجرى: براءة للّه قلت: مراعاة لأصله الذي هو الحرفية. ألا ترى إلى قولهم: جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على أصله وعلى في قوله غدت من عليه منقلب الألف إلى الياء مع الضمير والمعنى: تنزيه الله تعالى من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله. وأما قوله: {حاشا لله ما علمنا عليه من سوء {يوسف: 51 فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله {ما هذا بشر {نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لأن اللّه عز وجل ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها إلا لأن الحقيقة كذلك كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من الشياطين ولا أجمع للخير من الملائكة إلا ما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الإنسان على الملك وما هو إلا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم في كل باب وإعمال ما عمل ليس هي اللغة القدامى الحجازية وبها ورد القرآن. ومنها قوله تعالى: {ما هن أمهاتهم {المجادلة: ومن قرأ على سليقته من بني تميم قرأ: بشر بالرفع. وهي في قراءة ابن مسعود. وقرئ: ما هذا بشرى أي ما هو بعبد مملوك لئيم {إن هذا إلا ملك كريم {تقول هذا بشرى. أي حاصل بشرى بمعنى: هذا مشرى. وتقول: هذا لك بشري أم بكري والقراءة هي الأولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك {قالت فذلكن {ولم يقل فهذا وهو حاضر رفعاً لمنزلته في الحسن واستحقاق أن يحب ويفتتن به وربئاً بحاله واستبعاداً لمحله ويجوز أن يكون إشارة إلى المعنى بقولهن: عشقت عبدها الكنعاني. تقول: هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه. تعني: أنكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتني في الافتتان به. الاستعصام: بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها. ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب. وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شيء أنور منه على أنه بريء مما أضاف إليه أهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان. فإن قلت: الضمير في {آمره {راجع إلى الموصول أم إلى يوسف قلت: بل إلى الموصول. والمعنى: ما آمر به فحذف الجار كما في قولك: أمرتك الخير ويجوز أن تجعل ما مصدرية فيرجع إلى يوسف ومعناه: ولئن لم يفعل أمري إياه أي موجب أمري ومقتضاه. قرئ: وليكونا بالتشديد والتخفيف. والتخفيف أولى لأن النون كتبت في المصحف ألفاً على حكم الوقف وذلك لا يكون إلا في الخفيفة.

{قال رب السجن أحب إلى مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من وقرئ: السجنَ بالفتح على المصدر. وقال {يدعونني {على إسناد الدعوة إليهن جميعاً لأنهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له: إياك وإلقاء نفسك في السجن والصغار فالتجأ إلى ربه عند ذلك وقال: رب نزولُ السجن أحب إلي من ركوب المعصية.

فإن قلت: نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه إليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة أحب إليه من اللذة قلت: كانت أحب إليه وآثر عنده نظراً في حسن الصبر على احتمالهالوجه الله وفي قبح المعصية وفي عاقبة كل واحدة منهما لا نظراً في مشتهى النفس ومكروهها {وإلا تصرف عني كيدهن {فزع منه إلى ألطاف الله وعصمته كعادة الأنبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا أن يطلب منه الإجبار على التعفف والإلجاء إليه {أصب إليهن {أمل إليهن. والصبوة: الميل إلى الهوى. ومنها: الصبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ: أصب إليهن من الصبابة {من الجاهلين {من الذين لا يعملون بما يعلمون. لأن من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء. أو من السفهاء لأن الحكيم لا يفعل القبيح. وإنما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لأن قوله {إلا تصرف عني {فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف {السميع {لدعوات الملتجئين إليه {العليم {بأحوالهم وما يصلحهم. {ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين {. {بدا لهم {فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو: ليسجننه والمعنى: بدالهم بداء أي: ظهر لهم رأي ليسجننه والضمير في {لهم {للعزيز وأهله {من بعد ما رأوا الآيات {وهي الشواهد على براءته وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه في الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجميلاً ذلولاً زمامه في يدها حتى أنساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها في سجنه وإلحاق الصغار به كما أوعدته به وذلك لما أيست من طاعته لها أو لطمعها في أن يذلله السجن ويسخره لها. وفي قراءة الحسن: {لتسجننه {بالتاء على الخطاب: خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه أو العزيز وحده على وجه التعظيم {حتى حين {إلى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زماناً حتى تبصر ما يكون منه. وفي قراءة ابن مسعود عتى حين وهي لغة هذيل وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقرأ: {عتى حين {فقال: من أقرأك قال: ابن مس! عود فكتب إليه: إن الله أنزل هذا القرآن فجعله عربياً وأنزله بلغة قريش فأقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام. {ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين {. {مَعَ {يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول: خرجت مع الأمير تريد مصاحباً له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له {فتيَانِ {عبدان للملك: خبازه وشرابيه: رقي إليه أنهما يسمانه فأمر بهما إلى السجن فأدخلا ساعة أدخل يوسف عليه السلام {إني أراني {يعني في المنام وهي حكاية حال ماضية {أعصر خمراً {يعني عنباً تسمية للعنب بما يؤول إليه. وقيل: الخمر بلغة عمان: اسم للعنب. وفي قراءة ابن مسعود أعصر عنباً {مِنَ المحسنين {من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أي: يجيدونها رأياه يقص عليه بعض أهل السجن رؤياه فيؤولها له فقالا له ذلك. أو من العلماء لأنهما سمعاه يذكر للناس ما علما به أنه عالم. أو من المحسنين إلى أهل السجن. فأحسن إلينا بأن تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا إن كانت لك يد في تأويل الرؤيا. روي أنه كان إذا مرض رجل منهم قام عليه وإذا أضاق وسع له لماذا احتاج جمع له. وعن قتادة: كان في السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول: أبشروا اصبروا تؤجروا إن لهذا لأجراً فقالوا: بارك الله عليك ما أحسن وجهك وما أحسن خلقك لقد بورك لنا في جوارك فمن أنت يا فتى قال: أنا يوسف ابن صفي اللّه يعقوب ابن ذبيح الله إسحاق ابن خليل الله إبراهيم فقال له عامل السجن: لو استطعت خليت سبيلك ولكني أحسن جوارك فكن في أي بيوت السجن شئت. وروي أن الفتيين قالا له إنا لنحبك من حين رأيناك فقال: أنشدكما بالله أن لا تحباني فواللّه ما أحبني أحد قط إلا دخل علي من حبه بلاء لقد أحبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء ثم أحبني أبي فدخل علي من حبه بلاء ثم أحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء فلا تحباني بارك الله فيكما وعن الشعبي أنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابي إني أراني في بستان فإذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها في كأس الملك وسقيته. وقال الخباز: إني أراني وفوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة وإذا سباع الطير تنهش منها. فإن قلت: إلام يرجع الضمير في قوله: {نبئنا بتأويله {قلت: إلى ما قصا عليه. والضمير يجري

مجرى اسم الإشارة في نحوه كأنه قيل: نبئنا بتأويل ذلك. {قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون }. لما استعبراه ووصفاه بالإحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الإخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام في السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول: اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كما أخبرهما وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح إليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم أن يسلكها مع الجهال والفسقة إذا استفتاه واحد منهم أن يقدم الهداية والإرشاد والموعظة والنصيحة أولاً ويدعوه إلى ما هو أولى به وأوجب عليه مما استفتى فيه ثم يفتيه بعد ذلك وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه أن يقتبس منه وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية {بتأويله {ببيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه تفسير المشكل والإعراب عن معناه {ذلكما {إشارة لهما إلى التأويل أي ذلك التأويل والإخبار بالمغيبات {مما علمني ربي {وأوحى به إلي ولم أقله عن تكهن وتنجم {إني تركت {يجوز أن يكون كلاماً مبتدأ وأن يكون تعليلاً لما قبله. أي علمني ذلك وأوحي إلي لأني رفضت ملة أولئك واتبعت ملة الأنبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية وأراد بأولئك الذين لا يؤمنون: أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على أنهم خصوصاً كافرون بالآخرة وأن غيرهم كانوا قوماً مؤمنين بها وهم الذين على ملة إبراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيهاً على ما هم عليه من الظلم والكبائر التي لا يرتكبها إلا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز أن يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم حين أودعوه السجن بعد ما رأوا الآيات الشاهدة على براءته وأن ذلك ما لا يقدم عليه إلا من هو شديد الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبي يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع إليه واتباع قوله: {ما كان لنا {ما صح لنا معشر الأنبياء {أن نشرك بالله {أي شيء كان من ملك أو جني أو إنسي فضلاً عن أن نشرك به صنماً لا يسمع ولا يبصر ثم قال {ذلك {التوحيد {مِن فضل الله علينا وعلى الناس {أي على الرسل وعلى المرسل إليهم لأنهم نبهوهم عليه وأرشدوهم إليه {ولكن أكثر الناس {المبعوث إليهم {لا يشَكُرونَ {فضل الله فيشركون ولا يتنبهون وقيل: إن ذلك من فضل الله علينا لأنه نصب لنا الأدلة التي ننظر فيها ونستدل بها. وقد نصب مثل تلك الأدلة لسائر الناس من غير تفاوت ولكن أكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعاً لأهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين. {يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الواحد القهار ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون {. {يا صاحبي السجن {يريد يا صاحبي في السجن فأضافهما إلى السجن كما تقول: يا سارق الليلة فكما أن الليلة مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وإنما المصحوب غيره وهو يوسف عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك: يا صاحبي الصدق فتضيفهما إلى الصدق ولا تريد أنهما صحبا الصدق ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لأنهما صحباك. ويجوز أن يريد: يا ساكني السجن كقوله: {أصحاب النار وأصحاب الجنة {الحشر: 20 {أرباب متفرقون {يريد التفرق في العدد والتكاثر. يقول أأن تكون لكما أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا {خير {لكما {أم {أن يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية بل هو {القهار {الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام {ما تعبدون {خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر {إلا أسماء {يعني أنكم سميتم ما لا يستحق الإلهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء فارغة لا مسميات تحتها. ومعنى {سميتموها {سميتم بها. يقال: سميته بزيد وسميته زيداً {ما أنزل الله بها {أي بتسميتها {من سلطان {من حجة {إنِ الحُكمُ {في أمر العبادة والدين {إلا لله {ثم بين ما حكم به فقال {أَمَرَ ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم {الثابت الذي

دلت عليه البراهين. {يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان {. {أما أحدكما {يريد الشرابي {فيسقي ربه {سيده. وقرأ عكرمة فيسقي ربه أي يسقي ما يروي به على البناء للمفعول. روي أنه قال للأول: ما رأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليه وقال للثاني: ما رأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل {قضي الأمر {قطع وتم ما {تستفتيان {فيه من أمركما وشأنكما. فإن قلت: ما استفتيا في أمر واحد بل في أمرين مختلفين فما وجه التوحيد قلت: المراد بالأمر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من أجله وظناً أن ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه في الأمر الذي نزل بهما أعاقبته نجاة أم هلاك فقال لهما: قُضي الأمر الذي فيه تستفتيان أي: ما يجز إليه من العاقبة وهي هلاك أحدهما ونجاة الآخر. وقيل: جحدا وقالا: ما رأينا شيئاً على ما روي أنهما تحالما له فأخبرهما أن ذلك كائن صدقتما أو كذبتما. {وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين {. {ظن أنه ناج {الظان هو يوسف إن كان تأويله بطريق الاجتهاد وإن كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي ويكون الظن بمعنى اليقين {اذكرني عند ربك {صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني وينتاشني من هذه الورطة {فأنساه الشيطان {فأنسي الشرابي {ذكر ربه {أن يذكره لربه. وقيل فأنسي يوسف ذكر اللّه حين وكل أمره إلى غيره {بضع سنين {البضع ما بين الثلاث إلى التسع وأكثر الأقاويل على أنه لبث فيه سبع سنين. فإن قلت: كيف يقدر الشيطان على الإنسان قلت: يوسوس إلى العبد بما يشغله عن الشيء من أسباب النسيان حتى يذهب عنه ويزل عن قلبه ذكره وأما الإنساء ابتداء فلا يقدر عليه إلا اللّه عز وجل {ما ننسخ من آية أو ننسها} البقرة: 106. فإن قلت: ما وجه إضافة الذكر إلى ربه إذا أريد به الملك وما هي بإضافة المصدر إلى الفاعل ولا إلى المفعول قلت: قد لأبسه في قولك: فأنساه الشيطان ذكر ربه أو عند ربه فجازت إضافته إليه لأن الإضافة تكون بأدنى ملابسة. أو على تقدير: فأنساه الشيطان ذكر أخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الإخبار. فإن قلت: لم أنكر على يوسف الاستغاثة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى: {وتعاونوا على البر والتقوى} المائدة: 2 وقال حكاية عن عيسى عليه السلام {من أنصاري إلى الله} آل عمران: 52 وفي الحديث: {اللّه في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه المسلم {. {من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كربات الآخرة {وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه {. وهل ذلك إلا مثل التداوي بالأدوية والتقوى بالأشربة والأطعمة. وإن كان ذلك لأن الملك كان كافراً فلا خلاف في جواز أن يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار قلت: كما اصطفى اللّه تعالى الأنبياء على خليقته فقد اصطفى لهم أحسن الأمور وأفضلها وأولاها والأحسن والأولى بالنبي أن لا يكل أمره إذا ابتلي ببلاء إلا إلى ربه ولا يعتضد إلا به خصوصاً إذا كان المعتضد به كافراً لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا. وعن الحسن أنه كان يبكي إذا قرأها ويقول: نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس. {وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلن سبع عجاف سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون {. لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته: رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس. وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان. ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعاً أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها {سِمَانِ {جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام. فإن قلت: هل من فرق بين إيقاع {سِمَان {صفة للمميز وهو {بقرات {دون المميز وهو {سَبعَ {وأن يقال: سبع بقرات سماناً قلت: إذا أوقعتها صفة لبقرات. فقد قصدت إلى أن تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن. ولو وصفت بها السبع

لقصدت إلى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن. فإن قلت: هلا قيل: سبع عجاف على الإضافة قلت التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده. فإن قلت: فقد يقولون: ثلاثة فرسان وخمسة أصحاب. قلت: الفارس والصاحب والراكب ونحوها: صفات جرت مجرى الأسماء فأخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها. ألا تراك لا تقول: عندي ثلاثة ضخام وأربعة غلاظ. فإن قلت: ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا إشكال فيه. ألا ترى أنه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بأن المراد البقرات قلت: ترك الأصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس بأصل وقد وقع الاستغناء بقولك {سبع عجاف {عما تقترحه من التمييز بالوصف. والعجف: الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعاً لعجفاء وأفعل وفعلاء لا يجمعان على فعال: حمله على سمان لأنه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض. فإن قلت: هل في الآية دليل على أن السنبلات اليابسات كانت كالخضر قلت: الكلام مبني على انصبابه إلى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ويكون قوله: {وأخر يابسات {بمعنى وسبعاً أخر. فإن قلت: هل يجوز أن يعطف قوله {وأخر يابسات {على {سنبلات خضر {فيكون مجرور المحل قلت: يؤدي إلى تدافع وهو أن عطفها على {سنبلات خضر {يقتضي أن تدخل في حكمها فتكون معها مميزاً للسبع المذكورة ولفظ الأخر يقتضي أن تكون غير السبع بيانه: أنك تقول: عندي سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لأنك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على أن بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت: عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد {يا أيها الملأ {كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء. واللام في قوله {للرؤيا {إما أن تكون للبيان كقوله {وكانوا فيه من الزاهدين {يوسف: 20 وإما أن تدخل لأن العامل إذا تقدم عليه معموله لم يكن في قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل إذا قلت: هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل في القوة. ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان كما تقول: كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلا به متمكنا منه. و {تعبرون {خبر آخر أو حال وأن يضمن {تعبرون {معنى فعل يتعدى باللام كأنه قيل: إن كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا. وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول: عبرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره. ونحوه: أولت الرؤيا إذا ذكرت مالها وهو مرجعها. وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر. وقد عثرت على بيت أنشده المبرد في رأيت رؤيا ثم عبرتها وكنت للأحلام عبارا {قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين {. {أضغاث أحلام {تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان. وأصل الأضغاث: ما جمع من أخلاط النبات وحزم الواحد: ضغث فاستعيرت لذلك والإضافة بمعنى من أي أضغاث من أحلام والمعنى: هي أضغاث أحلام. فإن قلت: ما هو إلا حلم واحد فلم قالوا: أضغاث أحلام فجمعوا قلت: هو كما تقول: فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لا يركب إلا فرساً واحداً وما له إلا عمامة فردة تزيداً في الوصف فهؤلاء أيضاً تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان فجعلوه أضغاث أحلام. ويجوز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها {وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين {إما أن يريدوا بالأحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا: ليس لها عندنا تأويل فإن التأويل إنما هو للمنامات الصحيحة الصالحة وإما أن يعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا في تأويل الأحلام بنحارير. {وقال الذي نجا منها وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون {. قرئ: وادكر بالدال وهو الفصيح. وعن الحسن: واذكر بالذال المعجمة. والأصل تذكر أي تذكر الذي نجا من الفتيين من القتل يوسف وما شاهد منه {بعد أمة {بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك في رؤياه وأعضل على الملأ تأويلها تذكر الناجي يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه إليه أن يذكره عند الملك. وقرأ الأشهب العقيلي بعد إمة بكسر الهمزة والإمة النعمة. قال عدي: ثم بعد الفلاح والملك الإم ة وارتهم هناك القبور أي بعد ما أنعم عليه بالنجاة. وقرئ: بعد أمه بعد نسيان. يقال: أمه يأمه أمها إذا نسي. ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ {أنا أنبئكم

بتأويله {أنا أخبركم به عمن عنده علمه. وفي قراءة الحسن: أنا آتيكم بتأويله {فأرسلون {فابعثوني إليه لأسأله ومروني باستعباره وعن ابن عباس: لم يكن السجن في المدينة. {يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون {. المعنى فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال {يوسف أيها الصديق {أيها البليغ في الصدق وإنما قال له ذلك لأنه ذاق أحواله وتعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول ولذلك كلمه كلام محترز فقال {لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون {لأنه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولا من علمهم فربما لم يعلموا أو معنى {لعلهم يعلمون {لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك. {قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون {. {تَزرَعُونَ {خبر في معنى الأمر كقوله: {تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون {الصف: 11 وإنما يخرج الأمر في صورة الخبر للمبالغة في إيجاب إيجاد المأمور به فيجعل كأنه يوجد فهو يخبر عنه. والدليل على كونه في معنى الأمر قوله: {فَذَرُوُه فِي سُنبُلِهِ {. {دأباً {بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا: دأب في العمل وهو حال من المأمورين أي دائبين: إما على تدأبون دأباً وإما على إيقاع المصدر حالاً بمعنى: ذوي دأب {فذروه في سنبله {لئلا يتسوس. و {يأكلن {من الإسناد المجازي: جعل أكل أهلهن مسنداً إليهن {تحصنون {تحرزون وتخبؤن {يُغَاثُ الناس {من الغوث أو من الغيث. يقال: غيثت البلاد إذا مطرت. ومنه قول الأعرابية: غثنا ماشئنا. {يعصرون {بالياء والتاء: يعصرون العنب والزيتون والسمسم. وقيل: يحلبون الضروع. وقرئ: يعصرون على البناء للمفعول من عصره إذا أنجاه وهو مطابق للإغاثة ويجوز أن يكون المبني للفاعل بمعنى ينجون كأنه قيل: فيه يغاث الناس وفيه يغيثون أنفسهم أي يغيثهم اللّه ويغيث بعضهم بعضاً وقيل يعصِرونَ يمطرون من أعصرت السحابة. وفيه وجهان: إما أن يضمن أعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته. وإما أن يقال: الأصل أعصرت عليهم فحذف الجار وأوصل الفعل. تأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجيء مباركاً خصيباً كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي. وعن قتادة: زاده الله علم سنة. فإن قلت: معلوم أن السنين المجدبة إذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب وإلا لم توصف بالانتهاء فلم قلت إن علم ذلك من جهة الوحي قلت: ذلك معلوم علماً مطلقاً لا مفصلاً. وقوله {وفيه يغاث الناس وفيه يعصرون {تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم إلا بالوحي. {وقال الملك أتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فسله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشا لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين {. إنما تأنى وتثبت في إجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلماً إلى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد في السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم وجرم كبير حق به أن يسجن ويعذب ويستكف شره. وفيه دليل على أن الاجتهاد في نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه الصلاة والسلام: {من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم {ومنه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارين به في معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم: {لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره واللّه يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني. ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال: ارجع إلى ربك. ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر إن كان حليماً ذا أناة. وإنما قال: سل الملك عن حال النسوة ولم يقل سله أن يفتش عن شأنهن لأن السؤال مما يهيج الإنسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فأراد أن يورد عليه السؤال ليجد في التفتيش عن حقيقة

القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بياناً مكشوفاً يتميز فيه الحق من الباطل.
وقرئ: {النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن أدبه: أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن {إن ربي {إن الله تعالى: {بكيدهن عليم {أراد أنه كيد عظيم لا يعلمه إلا الله لبعد غوره. أو استشهد بعلم الله على أنهن كذنه وأنه بريء مما قرف به أو أراد الوعيد لهن أي: هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه {ما خطبكن {ما شأنكن {إذ راودتن يوُسُفَ {هل وجدتن منه ميلاً إليكن {وقلن حاشا لله {تعجباً من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها {قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق {أي ثبت واستقر وقرئ: حصحِص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير إذا ألقى ثفناته للإناخة. قال: فحصحص في صم الصفا ثفناته نواء بسلمى نوءة ثم صمما ولا مزيد على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن بأنه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لأنهن خصومه. وإذا اعترف الخصم بأن صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لأحد مقال. وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا من أن ندق في فروة من ثبتت نزاهته. {ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وإن الله لا يهدي كيد الخائنين {. {ذلك ليعلم {من كلام يوسف أي ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز {أني لم أخنه {. بظهر الغيب في حرمته.
ومحل {بالغيب {الحال من الفاعل أو المفعول على معني: وأنا غائب عنه خفي عن عينه أو وهو غائب عني خفي عن عيني. ويجوز أن يكون ظرفاً أي بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الأبواب السبعة المغلقة {و {ليعلم {أن اللّه لا يهدي كيد الخائنين {لا ينفذه ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها أمانة زوجها وبه في خيانته أمانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز أن يكون تأكيداً لأمانته وأنه لو كان خائناً لما هدى الله كيده ولا سدده. {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم {. ثم أراد أن يتواضع للّه ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكياً وبحالها في الأمانة معجباً ومفتخراً كما قال رسول اللّه صلى الله عليه وسلم. {أنا سيد ولد آدم ولا فخر {وليبين أن ما فيه من الأمانة ليس به وحده وإنما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال {وما أبرئ نفسي {من الزلل وأشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها. ولا يخلو إما أن يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذي هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم. وإما أن يريد به عموم الأحوال {إن النفس لأمارة بالسوء {أراد الجنسي أي إن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات {إلا ما رحم ربي {إلا البعض الذي رحمه ربي بالعصمة كالملائكة. ويجوز أن يكون {ما رحم {في معنى الزمن أي: إلا وقت رحمة ربي يعني أنها أمارة بالسوء في كل وقت وأوان إلا وقت العصمة. ويجوز أن يكون استثناء منقطعاً أي: ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الإساءة كقوله: {ولا هم ينقذون إلا رحمة {ياسين: 43 وقيل معناه: ذلك ليعلم أني لم أخنه لأن المعصية خيانة. وقيل: هو من كلام امرأة العزيز أي ذلك الذي قلت ليعلم يوسف أني لم أخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما أبريء نفسي مع ذلك من الخيانة فإني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها إن كل نفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي: إلا نفساً رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف {إن ربي غفور رحيم {استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت. فإن قلت: كيف صح أن يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك قلت: كفى بالمعنى دليلاً قائداً إلى أن يجعل من كلامه ونحوه قوله: {قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم بسحره {الشعراء: 35 ثم قال: {فماذا تأمرون {الشعراء: 35 وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم. وعن ابن جريج: هذا من تقديم القرآن وتأخيره ذهب إلى أن {ذلك ليعلم {يوسف: 52 متصل بقوله: {فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن {يوسف: 0 ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا أن يوسف حين قال: {أني لم أخنه بالغيب {يوسف: 52 قال له جبريل: ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز: ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتهالكهم على بهت الله ورسله. {وقال الملك

أتوني به أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين {. يقال استخلصه واستخصه إذا جعله خالصاً لنفسه وخاصاً به {فلما كلمه {وشاهد منه ما لم يحتسب {قَال {أيها الصديق {إنك اليوم لدينا مكين {ذو مكانة ومنزلة {أَمِين {مؤتمن على كل شيء. روي أن الرسول جاءه فقال: أجب الملك فخرج من السجن ودعا لأهله: اللهم أعطف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار فهم أعلم الناس بالأخبار في الواقعات. وكتب على باب السجن: هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثياباً جدداً فلما دخل على الملك قال: اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال: ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لساناً فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال: أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك. فقال: رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك لا يخرم منها حرفاً وقال له: من حقك أن تجمع الطعام في الأهراء فيأتيك الخلق من النواحي يمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد قبلك.

{قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم {. {اجعلني على خزائن الأرض {ولني خزائن أرضك {إني حفيظ عليم {أمين أحفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصفاً لنفسه بالأمانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله تعالى وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لأجله تبعث الأنبياء إلى العباد ولعلمه أن أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: {رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخر ذلك سنة {فإن قلت. كيف جاز أن يتولى عملاً من يد كافر ويكون تبعاً له وتحت أمره وطاعته قلت: روى مجاهد أنه كان قد أسلم: وعن قتادة. هو دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عملاً من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه. وإذا علم النبي أو العالم أنه لا سبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق. فله أن يستظهر به. وقيل: كان الملك يصدر عن رأيه. ولا يعترض عليه في كل ما {وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين {. {كذَلِكَ {ومثل ذلك التمكين الظاهر {مَكّنا لِيُوسُفَ {في أرض مصر. روي أنها كانت أربعين فرسخاً في أربعين {يتبوأ منها حيث يشاء {قرئ بالنون والياء أي: كل مكان أراد أن يتخذه منزلاً ومتبواً له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخوله تحت ملكته وسلطانه. روي: أن الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه. ووضع له سريراً من ذهب مكللا بالدر والياقوت. روي أنه قال له: أما السرير فأشد به ملكك. وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي. فقال: قد وضعته إجلالاً لا وإقراراً بفضلك. فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك إليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعده فزوجه الملك امرأته زليخا فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيراً مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين: إفراثيم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبه الرجال والنساء وأسلم عليديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الأولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعاً فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكاً أجل ولا أعظم منه فقال الملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الرأي رأيك: قال: فإني أشهد اللّه وأشهدك أني أعتقت أهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم أملاكهم وكان لا يبيع من أحد من الممتارين أكثر من حمل بعير تقسيطاً بين الناس. وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام نحو ما أصاب أرض مصر فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين {برحمتنا {بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم {من نشاء {من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك {ولا نضيع أجر المحسنين {أن نأجرهم في الدنيا. {ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون {. {ولأجر الآخرة خير {لهم. قال سفيان

بن عيينة: المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق وتلا هذه الآية. {وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون {. لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته إياهم في سن الحداثة ولاعتقادهم أنه قد هلك ولذهابه عن أوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشأنه ولبعد حاله التي بلغها من الملك والسلطان عن حاله التي فارقوه عليها طريحاً في البئر مشرياً بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم أنه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم ولأن الملك مما يبدل الزي ويلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ما ينكر له المعروف. وقيل: رأوه على زي فرعون عليه ثياب الحرير جالساً على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم أنه هو. وقيل: ما رأوه إلا من بعيد بينهم وبينه مسافة وحجاب وما وقفوا إلا حيث يقف طلاب الحوائج وإنما عرفهم لأنه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريباً من زيهم إذ ذاك ولأن همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم فكان يتأمل ويتفطن. وعن الحسن: ما عرفهم حتى تعرفوا له. {ولما جهزهم بجهازهم قال أتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون {. {ولما جهزهم بجهازهم {أي أصلحهم بعدتهم وهي عدة السفر من الزاد وما يحتاج إليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاءوا من الميرة. وقرئ: بجهازهم بكسر الجيم {قال أتوني بأخ لكم من أبيكم {لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسألة. روي أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم: أخبروني من أنتم وما شأنكم فإني أنكركم قالوا: نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيون تنظرون عورة بلادي قالوا: معاذ الله نحن إخوة بنو أب واحد وهو شيخ صديق نبي من الأنبياء اسمه يعقوب. قال: كم أنتم قالوا: كنا اثني عشر فهلك منا واحد. قال: فكمَ أنتم ههنا قالوا: عشرة. قال: فأين الأخ الحادي عشر قالوا: هو عند أبيه يتسلى به من الهالك. قال: فمن يشهد لكم أنكم لستم بعيون وأن الذي تقولون حق قالوا: إنا ببلاد لا يعرفنا فيها أحد فيشهد لنا. قال: فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم وهو يحمل رسالة من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا بينهم فأصابت القرعة شمعون وكان أحسنهم رأياً في يوسف فخلفوه عنده وكان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم {لا تقربون {فيه وجهان أحدهما: أن يكون داخلاً في حكم الجزاء مجزوماً عطفاً على محل قوله: {فلا كيل لكم {كأنه قيل: فإن لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا وأن يكون بمعنى النهي. {قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون {. {سنراود عنه أباه {سنخادعه عنه وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده {وإنا لفاعلون {وإنا لقادرون على ذلك لا نتعانى به أو وإنا لفاعلون ذلك لا محالة لا نفرط فيه ولا نتوانى. {وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتكم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون {. {لفتيانه {وقرئ: لفتيانه وهما جمع فتى كإخوة وإخوان في أخ وفعلة للقلة. وفعلان للكثرة أي لغلمانه الكيالين {لعلهم يعرفونها {لعلهم يعرفون حق ردها وحق. التكرم بإعطاء البدلين {إذا انقلبوا إلى أهلهم {وفرغوا ظروفهم {لعلهم يرجعون {لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا وكانت بضاعتهم النعال والأدم. وقيل تخوف أن لا يكون عند أبيه من المتاع ما يرجعون به. وقيل: لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمناً وقيل: علم أن ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون إمساكها فيرجعون لأجلها. وقيل: معنى {لعلهم يرجعون {لعلهم يردونها. {فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون {. {منع منا الكيل {يريدون قول يوسف فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل {نكتل {نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه. وقرئ يكتل بمعنى يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا. أو يكن سبباً للاكتيال فإن امتناعه بسببه. {قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين {. {هل آمنكم عليه {يريد أنكم قلتم في يوسف {وإنا له لحافظون {يوسف: 12 - 63 كما تقولونه في أخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك. ثم قال {فالله خير حافظاً {فتوكل على اللّه فيه ودفعه إليهم. و {حافظاً {تمييز كقولك: هو خيرهم رجلا ولله دره فارساً. ويجوز أن يكون حالاً وقرئ: حفظاً وقرأ الأعمش: فالله خير

حافظ. وقرأ أبو هريرة: خير الحافظين {وهو أرحم الراحمين {فأرجو أن ينعم علي بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين. {ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا وردت وقرئ: ردت إلينا بالكسر على أن كسرة الدال المدغمة نقلت إلى الراء كما قيل وبيع وحكى قطرب ضرب زيد على نقل الكسرة الراء فيمن سكنها إلى الضاد {ما نبغي {للنفي أي: ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من إحسان الملك وإكرامه وكانوا قالوا له: إنا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلاً من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته. أو ما نبتغي شيئاً وراء ما فعل بنا من الإحسان. أو على الاستفهام بمعنى أي شيء نطلب وراء هذا وفي قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء على مخاطبة يعقوب معناه: أي شيء تطلب وراء هذا من الإحسان أو من الشاهد على صدقنا وقيل: معناه ما نريد منك بضاعة أخرى. وقوله {هذه بضاعتنا وردت إلينا {جملة مستأنفة موضحة لقوله: {ما نبغي {والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى: إن بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها {وَنَمِيرُ أهلَنَا {في رجوعنا إلى الملك {ونحفظ أخانا {فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائداً على أوساق أباعرنا فأي شيء نبغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها أحوالنا ونوسع ذات أيدينا: وإنما قالوا: {ونزدد كيل بعير {لما ذكرنا أنه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط فإن قلت: هذا إذا فسرت البغي بالطلب فأما إذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الأولى وهي قوله: {هذه بضاعتنا ردت إلينا {بياناً لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فما تصنع بالجمل البواقي قلت: أعطفها على قوله: {ما نبغي {على معنى: لا نبغي فيما نقول {نمير أهلنا {ونفعل كيت وكيت. ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ كقولك: وينبغي أن نمير أهلنا كما تقول: سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه. ويجب أن أسعى وينبغي لي أن لا أقصر. ويجوز أن يراد: ما نبغي وما ننطق إلا بالصواب فيما نشير به عليكِ من تجهيزنا مع أخينا ثم قالوا: هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير أهلنا ونفعل ونصنع. بياتاً لأنهم لا يبغون في رأيهم وأنهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح {ذلك كيل يسير {أي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون: ما يكال لهم. فأرادوا أن يزدادوا إليه ما يكال لأخيهم. أو يكون ذلك إشارة إلى كيل بعير أي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا إليه الملك ولا يضايقنا فيه أو سهل عليه متيسر لا يتعاظمه. ويجوز أن يكون من كلام يعقوب وأن حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله {ذلك ليعلم {يوسف: 52. {قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل {. {لن أرسله معكم {مناف لحالي وقد رأيت منكم ما رأيت إرساله معكم {حتى تؤتون موثقاً من الله {حتى تعطوني ما أتوثق به من عند الله أراد أن يحلفوا له بالله: وإنما جعل الحلف باللّه موثقاً منه لأن الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد. وقد أذن الله في ذلك فهو إذن منه {لتأتنني به {جواب اليمين لأن المعنى: حتى تحلفوا لتأتنني به {إلا أن يحاط بكم {إلا أن تغلبوا فلم تطيقوا الإتيان به. أو إلا أن تهلكوا. فإن قلت: أخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه إشكال قلت: {أن يحاط بكم {مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله {لتأتنني به {في تأويل النفي. معناه: لا تمتنعون من الإتيان به إلا للإحاطة بكم أي: لا تمتنعون منه لعلة من العلل إلا لعلة واحدة: وهي أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام في المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي. ونظيره من الإثبات المتأول بمعنى النفي قولهم: أقسمت باللّه لما فعلت وإلا فعلت تريد: ما أطلب منك إلا الفعل {على ما نقول {من طلب الموثق وإعطائه {وكيل {رقيب مطلع. {وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم مما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون {. وإنما نهاهم أن يدخلوا من باب واحد لأنهم كانوا ذوي بهاء وشارة حسنة اشتهرهم أهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الأبصار إليهم من بين الرفود وأن يشار إليهم بالأصابع. ويقال: هؤلاء أضياف الملك انظروا

إليهم ما أحسنهم من فتيان وما أحقهم بالإكرام لأمر ما أكرمهم الملك بهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة أمرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوؤهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس. فإن قلت: هل للإصابة بالعين تصح عليه قلت: يجوز أن يحدث الله عز وجل عند النظر إلى الشيء والإعجاب به نقصاناً فيه وخللاً من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحاناً لعباده ليتميز المحققون من أهل الحشو فيقول المحقق: هذا فعل الله ويقول الحشوي: هو أثر العين كما قال تعالى: {وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا} المدثر: 31 الآية. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: {أنه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول: أعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة {}ما أغنى عنكم من الله من شيء {يعني إن أراد الله بكم سوءاً لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة {إن الحكم إلا لله {ثم قال: {لما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم {أي متفرقين {ما كان يغني عنهم {رأي يعقوب ودخولهم متفرقين شيئاً قط حيث أصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع في رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم {إلا حاجة {استثناء منقطع. على معنى: ولكن حاجة {في نفس يعقوب قضاها {وهي شفقته عليهم وإظهارها بما قاله لهم ووصاهم به {وإنه لذو علم {يعني قوله: {وما أغني عنكم {وعلمه بأن القدر لا يغني عنه الحذر. {ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون {. {آوى إليه أخاه {ضم إليه بنيامين. وروي أنهم قالوا له: هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم: أحسنتم وأصبتم وستجدون ذلك عندي فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال: لو كان أخي يوسف حياً لأجلسني معه فقال يوسف: بقي أخوكم وحيداً فأجلسه معه على مائدته وبجعل يواكله قال: أنتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتاً وهذا لا ثاني له فيكون معي فبات يوسف يضمه إليه ويشم رائحته حتى أصبح وسأله عن ولده فقال: لي عشرة بنين اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي هلك فقال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال: من يجد أخاً مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام إليه وعانقه وقال له {إني أنا أخوكَ {يوسف {فلا تبتئس {فلا تحزن {بما كانوا يعملون {بنا فيما مضى فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك. وعن ابن عباس: تعرف إليه وعن وهب: إنما قال له: أنا أخوك بدل أخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والأذى فقد أمنتهم. وروي أنه قال له: أنا لا أفارقك. قال: قد علمت اغتمام والدي بي فإذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك إلا أن أنسبك إلى ما لا يجمل. قال: لا أبالي فافعل ما بدا لك. قال: فإني أدس صاعي في رحلك ثم أنادي عليك بأنك قد سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم. قال: افعل. {فلما جهزوا بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم {. {السقاية {مشربة يسقى بها وهي الصواع. قيل: كان يسقي بها الملك ثم جعلت صاعاً يكال به. وقيل: كانت الدواب تسقي بها وبكال بها. وقيل: كانت إناء مستطيلاً يشبه المكوك وقيل: هي المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه تشرب به الأعاجم. وقيل: كانت من فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب. وقيل: كانت مرصعة بالجواهر {ثم أذن مؤذن {ثم نادى مناد. يقال: آذنه أعلمه. وأذن: أكثر الإعلام. ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه. روي: أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك. والعير: الإبل التي عليها الأحمال لأنها تعير: أي تذهب وتجيء. وقيل: هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كأنها جمع عير وأصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد أصحاب العير كقوله: يا خيل الله اركبي. وقرأ ابن مسعود: وجعل السقاية على حذف جواب لما كأنه قيل: فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية في رحل أخيه أمهلهم حتى انطلقوا ثم أذن مؤذن. وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي: تفقدون من أفقدته إذا وجدته فقيداً. وقرئ: صواع وصاع وصوع وصُوع بفتح الصاد وضمها والعين

معجمة وغير معجمة {وأنا به زعيم {يقوله المؤذن يريد: وأنا بحمل البعير كفيل أُؤديه من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جعلاً لمن حصله. {قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين {. {تالله {قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم وإنما قالوا {لقد علمتم {فاستشهدوا بعلمهم. لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك ولأنهم دخلوا وأفواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعاً أو طعاماً لأحد من أهل السوق. ولأنهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم {وما كنا سارقين {وما كنا قط نوصف بالسرقة وهي منافية لحالنا. {قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي {فما جزاؤه {الضمير للصواع أي فما جزاء سرقته {إن كنتم كاذبين {في جحودكم وادعائكم البراءة منه {قالوا جزاؤه من وجد في رحله {أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله وكان حكم السارق في آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا في جزائه. وقولهم {فهو جزاؤه {تقرير للحكم أي: فأخذ السارق نفسه وهو جزاؤه لا غير كقولك: حق زيد أن يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه أي: فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز أن يكون {جزاؤه {مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على إقامة الظاهر فيها مقام المضمر. والأصل: جزاؤه من وجد في رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك: من أخو زيد فيقول لك أخوه من يقعد إلى جنبه فهو هو يرجع الضمير الأول إلى من والثاني إلى الأخ ثم تقول فهو أخوه مقيماً للمظهر مقام المضمر. ويحتمل أن يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف أي: المسؤل عنه جزاؤه ثم أفتوا بقولهم: من وجد في رحله فهو جزاؤه كما يقول: من يستفتى في جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول: {ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم {المائدة: 95. {فبدأ بأوعيتهم قبل دعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم {. {فبدأ بأوعيتهم {قيل: قال لهم من وكل بهم: لا بد من تفتيش أوعيتكم فانصرف بهم إلى يوسف فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال: ما أظن هذا أخذ شيئاً فقالوا: واللّه لا نتركه حتى تنظر في لرحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا فاستخرجوه منه وقرأ الحسن: وُعاء أخيه بضم الواو وهي لغة. وقرأ سعيد ابن جبير: إعاء أخيه بقلب الواو همزة. فإن قلت: لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه قلت: قالوا رجع بالتأنيث على السقاية أو أنث الصواع لأنه يذكر ويؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعاً فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعاً {كذلك كدنا {مثل ذلك الكيد العظيم كدنا {ليوسف {يعني علمناه إياه وأوحينا به إليه {ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك {تفسير للكيد وبيان له لأنه كان في دين ملك مصر وما كان يحكم به في السارق أن يغرم مثلي ما أخذ لا أن يلزم ويستعبد {إلا أن يشاء الله {أي ما كان يأخذه إلا بمشيئة الله وإذنه فيه {نرفع درجات من نشاء {في العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه. وقرئ: يرفع بالياء. ودرجات بالتنوين {وفوق كل ذي علم عليم {فوقه أرفع درجة منه في علمه أو {و {فوق العلماء كلهم عليم هم دونه في العلم وهو اللّه عز وعلا. فإن قلت: ما أذن الله فيه يجب أن يكون حسناً فمن أي وجه حسن هذا الكيد وما هو إلا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله {إنكم لسارقون {يوسف: 70 {فما جزاؤه إن كنتم كاذبين {يوسف: 74 قلت: هو في صورة البهتان وليس ببهتان في الحقيقة لأن قوله: {إنكم لسارقون {يوسف: 70 تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف. وقيل: كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله: {إن كنتم كاذبين {يوسف: 74 فرض لانتفاء براءتهم. وفرض التكذيب لا يكون تكذيباً على أنه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح بالتسريق. لكان له وجه لأنهم كانوا كاذبين في قولهم: {وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب {يوسف: 17 هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها إلى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لأيوب عليه السلام: {وخذ بيدك ضغثاً {ص: 44 ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول إبراهيم عليه السلام: هي أختي لتسلم من يد الكافر. وما الشرائع كلها إلا مصالح وطرق إلى التخلص من الوقوع في المفاسد وقد علم اللّه تعالى في هذه

الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلماً وذريعة إليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا. {قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون {. {أخ له {أرادوا يوسف. روي أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس إخوته رؤوسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له: ما الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال: بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم بأخي فأهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم. واختلف فيما أضافوا إلى يوسف من السرقة فقيل: كان أخذ في صباه صنماً لجده أبي أمه فكسره وألقاه بين الجيف في الطريق. وقيل: دخل كنيسة فأخذ تمثالاً صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه. وقيل: كان في المنزل عناق أو دجاجة فأعطاها السائل. وقيل كانت لإبراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحاق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شمت أراد يعقوب أن ينتزعه منها فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت: فقدت منطقة إسحاق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت: إنه لي سلم أفعل به ما شئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت {فأسرها {إضمار على شريطة التفسير تفسيره {أنتم شر مكاناً {وإنما أنث لأن قوله: {أنتم شر مكاناً {جملة أو كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كأنه قيل: فأسر الجملة أو الكلمة التي هي قوله: {أنتم شر مكاناً {والمعنى: قال في نفسه: أنتم شر مكاناً لأن قوله: {قَالَ أنتم شر مكاناً {بدل من أسرها. وفي قراءة ابن مسعود: فأسره على التذكير يريد القول أو الكلام. ومعنى {أنتم شر مكاناً {أنتم شر منزلة في السرق لأنكم سارقون بالصحة لسرقتكم أخاكم من أبيكم {والله أعلم بما تصفون {يعلم أنه لم يصح لي ولا لأخي سرقة وليس الأمر كما تصفون. {قالوا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين {. استعطفوه بإذكارهم إياه حق أبيهم يعقوب وأنه شيخ كبير السن أو كبير القدر وأن بنيامين أحب إليه منهم وكانوا قد أخبروه بأن ولداً له قد هلك وهو عليه ثكلان وأنه مستأنس بأخيه {فخذ أحدنا مكانه {فخذه بدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد {إنا نراك من المحسنين {إلينا فأتمم إحسانك. أو من عادتك الإحسان فاجرِ على عادتك ولا تغيرها: {قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون {. {معاذ الله {هو كلام موجه ظاهره: أنه وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلماً في مذهبكم فلم تطلبون ما عرفتم أنه ظلم وباطنه: إن الله أمرني وأوحى إلي بأخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة أو لمصالح جمة علمها في ذلك فلو أخذت غير من أمرني بأخذه كنت ظالماً. وعاملاً على خلاف الوحي. ومعنى {معاذ الله أن نأخذ {نعوذ باللّه معاذاً من أن نأخذ فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من. {فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين {. {استيأسوا {يئسوا. وزيادة السين والتاء في المبالغة نحو ما مر في استعصم. والنجي على معنيين: يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى: المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى {وقربناه نجيا {مريم: 52 وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه. ومنه قيل: قوم نجى كما قيل {وإذ هم نجوى {الإسراء: 47 تنزيلاً للمصدر منزلة الأوصاف. ويجوز أن يقال: هم نجى كما قيل: هم صديق لأنه بزنة المصادر وجمع أنجية. قال: إني إذا ما القوم كانوا أنجيه ومعنى {خلصوا {اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم {نجياً {ذوي نجوى أو فوجاً نجياً أي مناجياً لمناجاة بعضهم بعضاً. وأحسن منه أنهم تمحضوا تناجياً لاستجماعهم لذلك وإفاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم في أنفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم في تدبير أمرهم على أي صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم في شأن أخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا إلى التشاور {كبيرهم {في السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون: وقيل كبيرهم في العقل والرأي وهو يهوذا {ما فرطتم في يوسف {فيه

وجوه: أن تكون ما صلة أي: ومن قبل هذا قصرتم في شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم. وأن تكون مصدرية على أن محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو {من قبله {ومعناه: ووقع من قبل تفريطكم في يوسف. أو النصب عطفاً على مفعول {ألم تعلموا {وهو {أن أباكم {كأنه قيل: ألم تعلموا أخذ أبيكم عليكم موثقاً وتفريطكم من قبل في يوسف وأن تكون موصولة بمعنى: من قبل هذا ما فرطتموه أي قدمتموه في حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع النصب على الوجهين {فلن أبرح الأرض {فلن أفارق أرض مصر {حتى يأذن لي أبي {في الانصراف إليه {أو يحكم الله لي {بالخروج منها أو بالانتصاف ممن أخذ أخي أو بخلاصه من يده بسبب من الأسباب {وهو خير الحاكمين {لأنه لا يحكم أبداً إلا بالعدل والحق. {ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين {. وقرئ: سرق أي نسب إلى السرقة {وما شهدنا {عليه بالسرقة {إلا بما علمنا {من سرقته وتيقناه لأن الصواع استخرج من وعائه ولا شيء أبين من هذا {وما كنا للغيب حافظين {وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق. أو ما علمنا أنك تصاب به كما أصبت بيوسف. ومن قرأ: سرق فمعناه: وما شهدنا إلا بقدر ما علمنا من التسريق وما كنا للغيب: للأمر الخفي حافظين أسرق بالصحة أم دس الصاع في رحله ولم يشعر. {وسل أهل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها إنا لصادقون قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم {. {القرية التي كنا فيها {هي مصر أي أرسل إلى أهلها فسلهم عن كنه القصة {والعير التي أقبلنا فيها {وأصحاب العير وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب. وقيل من أهل صنعاء معناه: فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له ما قال لهم أخوهم ف {قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً {أردتموه وإلا فما أدرى ذلك الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم {بهم جميعاً {بيوسف وأخيه وروبيل أو غيره {إنه هو العليم {بحالي في الحزن والأسف {الحكيم {الذي لم يبتلني بذلك إلا لحكمة ومصلحة. {وتولى عنهم وقال يا أسفي على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم {. {وتولى عنهم {وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به {يا أسفي {أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه والألف بدل من ياء الإضافة والتجانس بين لفظتي الأسف ويوسف مما يقع مطبوعاً غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه {اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم {التوبة: 38 {وهم ينهون عنه وينأون عنه {الأنعام: 26 {يحسبون أنهم يحسنون {الكهف: 104 {من سبأ بنبأ {النمل: 2 وعن النبي صلى الله عليه وسلم: {لم تعط أمة من الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون عند المصيبة إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم. ألا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع. وإنما قال يا أسفي {. فإن قلت: كيف تأسف على يوسف دون أخيه ودون الثالث والرزء الأحدث أشد على النفس وأظهر أثراً قلت: هو دليل على تمادي أسفه على يوسف وأنه لم يقع فائت عنده موقعه وأن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضاً عنده طرياً. ولم تنسني أوفى المصيبات بعده ولأن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق به {وابيضت عيناه {إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر. قيل: قد عمي بصره. وقيل: كان يدرك إدراكاً ضعيفاً. قرئ: من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن. قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاماً وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب. وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه سأل جبريل عليه السلام: {ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال: وجد سبعين ثكلى. قال: {فما كان له من الأجر {قال: أجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط {. فإن قلت: كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ قلت الإنسان مجبول على أن لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وأن يضبط نفسه حتى لا يخرج إلى ما لا يحسن ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده إبراهيم وقال: {القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون {وإنما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور

والوجوه وتمزيق الثياب. وعن النبي صلى الله عليه وسلم. أنه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل: يا رسول الله تبكي وقد نهيتنا عن البكاء فقال: {ما نهيتكم عن البكاء وإنما نهيتكم عن صوتين أحمقين: صوت عند الفرح وصوت عند الترح {وعن الحسن أنه بكى على ولد أو غيره فقيل له قي ذلك فقال: ما رأيت الله جعل الحزن عاراً على يعقوب {فهو كظيم {فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله {وهو مكظوم {القلم: 48 من كظم السقاء إذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء: مخرج النفس. يقال: أخذ بأكظامه. {تفتؤا {أراد: لاتفتؤ فحذف حرف النفي لأنه لا يلتبس بالإثبات لأنه لو كان إثباتاً لم يكن بد من اللام والنون. ونحوه: فقلت يمين الله أبرح قاعداً ومعنى لا تفتؤ: لا تزال. وعن مجاهد: لا تفتر من حبه كأنه جعل الفتوء والفتور أخوين يقال: ما فتئ يفعل. قال أوس: فما فتئت خيل تثوب وتدعي ويلحق منها لاحق وتقطع {حرضاً {مشفياً على الهلاك مرضاً وأحرضه المرض ويستوي فيه الواحد والجمع المذكر والمؤنث لأنه مصدر. والصفة: حَرِض بكسر الراء ونحوهما: دنف ودنف جاءت القراءة بهما جميعاً. وقرأ الحسن: حُرُضاً بضمتين ونحوه في الصفات: رجل جنب وغرب.

{قال إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون {. البث: أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أي ينشره. ومنه: باثه أمره وأبثه إياه. ومعنى {إنما اشكوا {إني لا أشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى ربي داعياً له وملتجئاً إليه فخلوني وشكايتي. وهذا معنى توليه عنهم أي فتولى عنهم إلى الله والشكاية إليه. وقيل: دخل على يعقوب جاز له فقال: يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وبلغت من السن ما بلغ أبوك فقال: هشمني وأفناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فأوحى الله إليه: يا يعقوب أتشكوني إلي خلقي قال: يا رب خطيئة أخطأتها فاغفر لي فغفر له فكان بعد ذلك إذا سئل قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله. وروي أنه أوحي إلى يعقوب: إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وإن أحب خلقي إلي الأنبياء ثم المساكين فاصنع طعاماً وادع عليه المساكين. وقيل: اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت {واعلم من الله ما لا تعلمون {أي أعلم من صنعه ورحمته وحسن ظني به أنه يأتيني بالفرج من حيث لا أحتسب. وروي أنه رأى ملك الموت في منامه فسأله: هل قبضت روح يوسف فقال: لا والله هو حي فاطلبه. وقرأ الحسن: وحزني بفتحتين وحزني بضمتين: قتادة. {يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون {. {فتحسسوا من يوسف وأخيه {فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما. وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الإحساس وهو المعرفة {فلما أحس عيسى منهم الكفر {آل عمران: 2 ومن الجس وهو الطلب. ومنه قالوا لمشاعر الإنسان: الحواس والجواس {من روح الله {من {فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين {. {الضر {الهزال من الشدة والجوع {مزجاة {مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها من أزجيته إذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل: كانت من متاع الأعراب صوفاً وسمناً. وقيل: الصنوبر وحبة الخضراء وقيل: سويق المقل والأقط. وقيل: دراهم زيوفاً لا تؤخذ إلا بوضيعة {فأف لنا الكيل {الذي هو حقنا {وتصدق علينا {وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أو زدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لأن الصدقات محظورة على الأنبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا. وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع {وتصدق علينا {أراد أنها كانت حلالاً لهم. والظاهر أنهم تمسكنوا له وطلبوا إليه أن يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك أن عرفهم نفسه.
وقوله: {إن الله يجزي المتصدقين {شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي تبتغي بها المثوبة من الله ومنه قول: الحسن لمن سمعه يقول: اللهم تصدق علي: إن الله تعالى لا يتصدق إنما يتصدق الذي يبتغي الثواب قل: اللهم أعطني أو تفضل علي أو

ارحمني. {قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون }. {{قال هل علمتم {أتاهم من جهة الدين وكان حليماً موفقاً فكلمهم مستفهماً عن وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب فقال: هل علمتم قبح {ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون }لا تعلمون قبحه فلذلك أقدمتم عليه يعني: هل علمتم قبحه فتبتم إلى الله منه لأن علم القبح يدعو إلى الاستقباح والاستقباح يجر إلى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحاً لهم في الدين لا معاتبة وتثريباً إيثاراً لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذي يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ المحنق ويدرك ثأره الموتور فلله أخلاق الأنبياء ما أوطأها وأسجحها ولله حصاً عقولهم ما أرزنها وأرجحها. وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لأنهم كانوا علماء ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه إلا جاهل سماهم جاهلين.
وقيل: معناه إذ أنتم صبيان في حد السفه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة.
روي أنهم لما قالوا: مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا إليه: ارفضت عيناه ثم قال هذا القول.
وقيل: أدوا إليه كتاب يعقوب: من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله إلى عزيز مصر. أما بعد فإنا أهل بيت موكل بنا البلاء: أما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه برداً وسلاماً وأما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله. وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي إلي فذهب به إخوته إلى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخاً بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن كان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا: إنه سرق وأنك حبسته ذلك وإنا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقاً فإن رددته علي وإلا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام. فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي أنه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب: اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا. فإن قلت: ما فعلهم بأخيه قلت: تعريضهم إياه للغم والثكل بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع أن يكلم أحداً منهم إلا كلام الذليل للعزيز وإيذاؤهم له بأنواع الأذى. {قالوا أئنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا إنا كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين }. قرئ: أئنك على الاستفهام. وأنك على الإيجاب وفي قراءة أبي: أئنك أو أنت يوسف على معنى أئنك يوسف أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات فإن قلت: كيف عرفوه قلت: رأوا في روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ما شعروا به أنه هو مع علمهم بأن ما خاطبهم به لا يصدر مثله إلا عن حنيف مسلم من سنخ إبراهيم لا عن بعض أعزاء مصر. وقيل: تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم. وقيل: ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا إلى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء. فإن قلت: قد سألوه عن نفسه فلم أجابهم عنها وعن أخيه على أن أخاه كان معلوماً لهم. قلت: لأنه كان في ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه {من يتق {من يخف اللّه وعقابه {ويصبر {عن المعاصي وعلى الطاعات {فإن الله لا يضيع {أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين {لقد آثرك الله علينا {أي فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين. وإن شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لا جرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك {لا تثريب عليكم {لا تأنيب عليكم ولا عتب. وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش. ومعناه: إزالة الثرب كما أن التجليد والتقريع إزالة الجلد والقرع لأنه إذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذي ليس بعده فضرب مثلاً للتقريع الذي يمزق الأعراض ويذهب بماء الوجوه. فإن قلت بم تعلق اليوم قلت: بالتثريب أو بالمقدر في {عليكم {من معنى الاستقرار. أو بيغفر. والمعنى: لا أثر بكم اليوم وهو اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال {يغفر الله لكم {فدعا لهم مغفرة ما فرط منهم. يقال: غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعاً ومنه قول المشمت يهديكم اللّه ويصلح بالكم و {اليوم يغفر

الله لكم {بشارة بعاجل غفران اللّه لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم.
وروي: أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال
لقريش: ما ترونني فاعلاً بكم قالوا: نظن خيراً أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال:
أقول ما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم. وروي: أن أبا سفيان لما جاء ليسلم قال
له العباس: إذا أتيت الرسول فاتل عليه {لا تثريب عليكم {ففعل فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم: {غفر اللّه لك ولمن علمك {. ويروى. أن إخوته لما عرفوه أرسلوا إليه:
إنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشية ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف:
إن أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنهم نظرون إلي بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ
عبداً بيع بعشرين درهماً ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت في العيون حيث علم
الناس أنكم إخوتي. وأني من حفدة إبراهيم {اذهبوا بقميصي هذا {قيل هو القميص
المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل عليه السلام أن يرسله
إليه فإن فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا مقيم إلا سقيم إلا عوفي {يأت بصيراً {يصر
بصيراً كقولك: جاء البناء محكماً بمعنى صار. ويشهد له {فارتد بصيراً {يوسف: 96 أو يأت
إلي وهو بصير. وينصره قوله {وأتوني بأهلكم أجمعين {أي يأتني أبي ويأتني آله جميعاً
وقيل: يهوذا هو الحامل قال: أنا أحزنته بحمل القميص ملطوخاً بالدم إليه فأفرحه كما
أحزنته وقيل: حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخاً.
{ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله إنك لفي
ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً قال ألم أقل لكم إني
أعلم من الله ما لا تعلمون {. {فصلت العير {خرجت من عريش مصر يقال: فصل من
البلد فصولاً إذا انفصل منه وجاوز حيطانه. وقرأ ابن عباس: فلما انفصل العير {قَالَ
{لولد ولده ومن حوله من قومه: {إني لأجد ريح يوسف {أوجده الله ريح القميص حين
أقبل من مسيرة ثمان. والتفنيد: النسبة إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل من هرم.
يقال: شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لأنها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في
كبرها. والمعنى: لولا تفنيدكم إياي لصدقتموني {لفي ضلالك القديم {لفي ذهابك عن
الصواب قدماً في إفراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم أنه قد
مات {ألقاه {طرح البشير القميص على وجه يعقوب. أو ألقاه يعقوب {فارتد بصيراً
{فرجع بصيراً. يقال: رده فارتد وارتده إذا ارتجعه {ألم أقل لكم {يعني قوله {إني لأجد
ريح يوسف {أو قوله: {ولا تيأسوا من روح الله {يوسف: 87 وقوله: {إني أعلم {كلام مبتدأ
لم يقع عليه القول ولك أن توقعه عليه وتريد قوله: {إنما أشكو بثي وحزني إلى اللّه وأعلم
من الله ما لا تعلمون {يوسف: 86 وروي: أنه سأل البشير كيف يوسف فقال: هو ملك
مصر: فقال: ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال: على دين الإسلام. قال: الآن تمت
النعمة. {قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي إنه هو الغفور
الرحيم {. {سوف استغفر لكم {قيل: أخر الاستغفار إلى وقت السحر. وقيل: إلى ليلة
الجمعة ليتعمد به وقت الإجابة. وقيل: ليتعرف حالهم. في صدق التوبة وإخلاصها. وقيل
أراد الدوام على الاستغفار لهم. فقد روي أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف
وعشرين سنة. وقيل: قام إلى الصلاة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال: اللهم
اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما أتوا إلى أخيهم فأوحى
إليه: إن اللّه قد غفر لك ولهم أجمعين. وروي أنهم قالوا له وقد علتهم الكآبة: ما يغني عنا
عفوكما إن لم يعف عنا ربنا فإن لم يوح إليك بالعفو فلا قرت لنا عين أبداً فاستقبل
الشيخ القبلة قائماً يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين عشرين
سنة. حتى بلغ جهدهم وظنوا أنها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال: إن الله قد أجاب
دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وقد اختلف في استنبائهم. {فلما
دخلوا على يوسف أوى إليه أبويه وقال أدخلوا مصر إن شاء الله آمنين ورفع أبويه على
العرش وخروا له سجداً وقال يا أبتي هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد
أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين
أخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم {. {فلما دخلوا على يوسف {قيل

وجه يوسف إلى أبيه جهازاً ومائتي راحلة ليتجهز إليه بمن معه. وخرج يوسف والملك في أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر إلى الخيل والناس فقال: يا يهوذا أهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب عليه السلام: السلام عليك يا مذهب الأحزان. وقيل: إن يوسف قال له لما التقيا: يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا فقال: بلى ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل: إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلاً سوى الذرية والهرمي وكانت الذرية ألف ألف ومائتي ألف {آوى إليه أبويه {ضمهما إليه اعتنقهما. قال ابن أبي إسحاق: كانت أمه تحيى وقيل: هما أبوه وخالته. ماتت أمه فتزوجها وجعلها أحد الأبوين لأن الرابة تدعى أماً لقيامها مقام الأم أو لأن الخالة أم كما أن العم أب. ومنه قوله: {وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق {البقرة: 133 فإن قلت: ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر قلت: كأنه حين استقبلهم نزل لهم في مضرب أو بيت ثم فدخلوا عليه وضم إليه أبويه ثم قال لهم {ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين {ولما دخل مصر وجلس في مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه كرم أبويه فرفعهما على السرير {وخروا له {يعني الإخوة الأحد عشر والأبوين {سجداً {ويجوز أن يكون قد خرج في قبة من قباب الملوك التي تحمل على البغال فأمر أن يرفع إليه أبواه فدخلا عليه القبة. فآواهما إليه بالضم والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك: ادخلوا مصر. فإن قلت: بم تعلقت المشيئة قلت: بالدخول مكيفاً بالأمن لأن القصد إلى اتصافهم بالأمن في دخولهم فكأنه قيل لهم: اسلموا وأمنوا في دخولكم إن شاء الله. ونظيره قولك للغازي: ارجع سالماً غانماً إن شاء اللّه فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقاً ولكن مقيداً بالسلامة والغنيمة مكيفاً بهما. والتقدير: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال. ومن بدع التفاسير أن قوله {إن شاءَ الله {من باب التقديم والتأخير وأن موضعها ما بعد قوله {سوف استغفر لكم ربي {يوسف: 98 في كلام يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره. فإن قلت: كيف جاز لهم أن يسجدوا لغير الله قلت: كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد. ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من أفعال شهرت في التعظيم والتوقير. وقيل: ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجداً يأباه. وقيل: معناه وخروا لأجل يوسف سجداً لله شكراً. وهذا أيضاً فيه نبوة. يقال: أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه قال: أسيئي بنا أو أحسني لا ملمومة {من البدو {من البادية لأنهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع {نزع {أفسد بيننا وأغرى وأصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري. يقال: نزغه ونسغه إذا نخسه {لطيف لما يشاء {لطيف التدبير لأجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب. وروي أن يوسف أخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فأدخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما أدخله خزانة القراطيس قال: يا بني ما أعقك: عندك هذه القراطيس وما كتبت إلي على ثمان مراحل قال: أمرني جبريل. قال أو ما تسأله قال: أنت أبسط إليه مني فسله. قال جبريل عليه السلام: الله تعالى أمرني بذلك لقولك {وأخاف أن يأكله الذئب {يوسف: 13 قال: فهلا خفتني وروي أن يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم مات. وأوصى أن يدفنه بالشام إلى جنب أبيه إسحاق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثاً وعشرين سنة فلما تم أمره وعلم أنه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه إليه فتمنى الموت وقيل: ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيباً طاهراً فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه: كل يحب أن يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي أن عملوا له صندوقاً من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعاً واحداً وولد له: إفراثيم وميشاً وولد لإفراثيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا

دين يوسف وآبائه. إلى أن بعث الله موسى عليه السلام. {رب قد آتيني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليّ في من في {من الملك {و {من تأويل الأحاديث {للتبعيض لأنه لم معط إلا بعض ملك الدنيا أو بعض ملك مصر وبعض التأويل {أنت وليّ {أنت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وبوصل الملك الفاني بالملك الباقي {توفني مسلماً {طلب للوفاة على حال الإسلام ولأن يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده {ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون {آل عمران: 102 ويجوز أن يكون تمنياً للموت على ما قيل {وألحقني بالصالحين {من آبائي أو على العموم. وعن عمر بن عبد العزيز: أن ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسألة للموت فقال له: صنع الله على يديك خيراً كثيراً: أحييت سنناً وأمت بدعاً وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال: أفلا أكون كالعبد الصالح لما أقر اللّه عينه وجمع له أمره قال: توفني مسلماً وألحقني بالصالحين. فإن قلت: علام انتصب فاطر السموات قلت على أنه وصف لقوله {رب {كقولك: أخا زيد حسن الوجه. أو على النداء. {ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون {. {ذلِكَ {إشارة إلى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء. وقوله: {من أنباء الغيب نوحيه إليك {خبر إن. ويجوز أن يكون اسماً موصولاً بمعنى الذي و {من أنباء الغيب {صلته و {نوحيه {الخبر. والمعنى: أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحي لأنك لم تحضر بني يعقوب حين أجمعوا أمرهم وهو لقاؤهم أخاهم في البئر كقوله: {وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب {يوسف: 15 وهذا تهكم بقريش وبمن كذبه لأنه لم يخف على أحد من المكذبين أنه لم يكن من حملة هذا الحديث وأشباهه ولا لقي فيها أحداً ولا سمع منه. ولم يكن من علم قومه. فماذا أخبر به وقص هذا القصص العجيب الذي أعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في أنه ليس منه وأنه من جهة الوحي فإذا أنكروه تهكم بهم. وقيل لهم: قد علمتم يا مكابرة أنه لم يكن شاهداً لمن مضى من القرون الخالية: ونحوه: {وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر {القصص: 44 {وهم يمكرون {بيوسف ويبغون له الغوائل. {ما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين {. {ما أكثر الناس {يريد العموم كقوله: {ولكن أكثر الناس لا يؤمنون {هود: 17 وعن ابن عباس رضي الله عنه. أراد أهل مكة أي وما هم بمؤمنين {ولو حرصت {وتهالكت على إيمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم {وما تسألهم {على ما تحدثهم به وتذكرهم أن ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطى حملة الأحاديث والأخبار {إن هو إلا ذكر {عظة من الله {للعالمين {عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله. {وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون {. {من آية {من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده {يمرون عليها {ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها. وقرئ: والأرضُ بالرفع على الابتداء ويمرون عليها: خبره وقرأ السدي والأرضَ بالنصب على: ويطؤن الأرض يمرون عليها. وفي مصحف عبد الله: والأرض يمشون عليها برفع الأرض والمراد ما يرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر. {وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون {. {وما يؤمن أكثرهم {في إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن: هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هم الذين يشبهون الله بخلقه. {أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون {. {غاشية {نقمة تغشاهم. وقيل: ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل: الصواعق. {قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين {. {هذه سبيلي {هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي. والسبيل والطريق: يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله: {ادعوا إلى اللّه على بصيرة {أي أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء. و {أنا {تأكيد للمستتر في {ادعوا {. {وَمَنِ اتبَعَنِي {عطف عليه. يريد: أدعو إليها أنا ويدعو إليها من اتبعني ويجوز أن يكون {أنا {مبتدأ و {على بصيرة {خبراً مقدماً و {وَمَنِ اتبَعَنِي {عطفاً على {أنا {إخباراً مبتدأ بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز أن يكون {على بصيرة {حالاً من

}ادعوا {عاملة الرفع في {أنا ومن اتبعني {}سبحان الله {وأنزهه من الشركاء. {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون {. }إلا رجالاً }لا ملائكة لأنهم كانوا يقولون }لو شاء ربنا لأنزل ملائكة {فصلت: 14 وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد ليست فيهم امرأة. وقيل: في سجاح المتنبئة. ولم تزل أنبياء الله ذكرانا وقرئ: نوحي إليهم بالنون. {من أهل القرى {لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة {ولدار الآخرة {ولدار الساعة أو الحال الآخرة {خير للذين اتقوا }للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه. وقرئ. {أفلا تعقلون {بالتاء والياء. {حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين {. {حتى {متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كأنه قيل: {وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً {فتراخى نصرهم حتى إذا استيأسوا عن النصر {وظنوا أنهم قد كذبوا {أي كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون أو رجاؤهم لقولهم: رجاء صادق ورجاء كاذب. والمعنى أن مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتأميله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا أن لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجأة من غير احتساب. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: وظنوا حين ضعفوا وغلبوا أنهم قد أخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال: كانوا بشراً وتلا قوله: }وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله {البقرة: 14 فإن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن: ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية. وأما الظن الذي هو ترجح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم وأنه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل: وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا أي: أخلفوا. أو: وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أي: كذبتهم الرسل في أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه. وقرئ: كذبوا بالتشديد على وظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم. وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على: وظن الرسل أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة إما على تأويل ابن عباس وأما على أن قومهم إذا لم يروا لموعدهم أثراً قالوا لهم: إنكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم. أو وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا. ولو قرئ بهذا مشدداً لكان معناه وظن الرسل أن قومهم كذبوهم في موعدهم. وقرئ: فننجي بالتخفيف والتشديد من أنجاه ونجاه. وفنجى على لفظ الماضي المبني للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا والمراد ب {من نشاء {المؤمنون لأنهم الذين يستأهلون أن يشاء نجاتهم. وقد بين ذلك بقوله {ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين {. {لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون {. الضمير في {قصصهم {للرسل وينصره قراءة من قرأ: في قصصهم بكسر القاف. وقيل: هو راجع إلى يوسف وإخوته. فإن قلت: فالإم يرجع الضمير في {ما كان حديثاً يفترى {فيمن قرأ بالكسر قلت: إلى القرآن أي: ما كان القرآن حديثاً يفترى {ولكن {كان }تصديق الذي بين يديه {أي قبله من الكتب السماوية {وتفصيل كل شيء {يحتاج إليه في الدين لأنه القانون الذي يستند إليه السنة والإجماع والقياس بعد أدلة العقل. وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان. وقرئ: ذلك بالرفع على }ولكن هو تصديق الذي بين يديه {عن رسول {علموا أرقاءكم سورة يوسف فإنه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً {.

سورة الرعد

قيل مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم {المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناي لا يؤمنون }. {تلك {إشارة إلى آيات السورة. والمراد بالكتاب السورة أي: تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال: {والذي أنزل إليك {من القرآن كله هو {الحَق {الذي لا مزيد عليه لا هذه السور وحدها وفي أسلوب هذا الكلام قول الأنمارية: هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها تريد الكملة. {الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهار ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في {الله {مبتدأ و {الذي {خبره بدليل قوله: {وهو الذي مد الأرض {ويجوز أن يكون صفة. وقوله: {يدبر الأمر يفصل الآيات {خبر بعد خبر. وينصره ما تقدمه من ذكر الآيات {رفع السموات بغير عمد ترونها {كلام مستأنف استشهاد برؤيتهم لها كذلك. وقيل: هي صفة لعمد. ويعضده قراءة أبي ترونه. وقرئ: عمد بضمتين {يدبر الأمر {يدبر أمر ملكوته وربوبيته {ويفصل {آياته في كتبه المنزلة {لعلكم توقنون {بالجزاء وبأن هذا المدبر والمفصل لا بد لكم من الرجوع إليه. وقرأ الحسن: ندبر بالنون {جعل فيها زوجين اثنين {خلق فيها من جميع أنواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت. وقيل: أراد بالزوجين: الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك من الأصناف المختلفة {يغشى الليل النهار {يلبسه مكانه فيصير أسود مظلماً بعد ما كان أبيض منيراً. وقرئ: يغشى بالتشديد. {وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون {. {قطع متجاورات {بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة: طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر إلى أخرى على عكسها مع انتظامها جميعاً في جنس الأرضية. وذلك دليل على قادر مريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه. وكذلك الزروع والكروم والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الأجناس والأنواع وهي تسقى بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الأشكال والألوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها. وفي بعض المصاحف: قطعاً متجاورات على: وجعل وقرئ: وجناتٍ بالنصب للعطف على زوجين. أو بالجر على كل الثمرات. وقرئ وزرع ونخيلٍ بالجز عطفاً على أعناب أو جنات والصنوان: جمع صنو وهي النخلة لها رأسان وأصلهما واحد. وقرئ بالضم. والكسر: لغة أهل الحجاز والضم: لغة بني تميم وقيس {تسقى {بالتاء والياء {ونفضل {بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعاً {في الأكل {بضم الكاف وسكونها. {وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون {. {وإن تعجب {يا محمد من قولهم في إنكار البعث فقولهم عجيب حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر على إنشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الإعادة أهون شيء عليه وأيسره فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب {أإذا كنا {إلى آخر قولهم: يجوز أن يكون في محل الرفع بدلاً من قولهم وأن يكون منصوباً بالقول وإذا نصب بما دل عليه قوله: {أإنا لفي خلق جديد {{أولئك الذين كفروا بربهم {أولئك الكاملون المتمادون في كفرهم {وأولئك الأغلال في لهم عن الرشد أغلال وأقياد أو هو من جملة الوعيد. {يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب {. {بالسيئة قبل الحسنة {بالنقمة قبل العافية والإحسان إليهم بالإمهال. وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره {وقد خلت من قبلهم المثلات {أي عقوبات أمثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزءوا والمثلة: العقوبة بوزن السمرة. والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة {وجزاء سيئة سيئة مثلها {الشورى: 40 ويقال: أمثلت الرجل من صاحبه وأقصصته منه. والمثال: القصاص. وقرئ: المُثُلات بضمتين

لإتباع الفاء العين. والمَثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال: السمرة. والمُثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المُثُلات بضمتين. والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات {لذو مغفرة للناس على ظلمهم {أي مع ظلمهم أنفسهم بالذنوب. ومحله الحال بمعنى ظالمين لأنفسهم وفيه أوجه. أن يريد السيئات المكفرة لمجتنب الكبائر. أو الكبائر بشرط التوبة. أو يريد بالمغفرة الستر والإمهال. وروي أنها لما نزلت قال النبي عليه الصلاة والسلام: ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد {. {لولا أنزل عليه آية من ربه }لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عناداً فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما أنت رجل أرسلت منذراً ومخوفاً لهم من سوء العاقبة. وناصحاً كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأية آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوة بها لا تفاوت بيني والذي عنده كل شيء بمقدار يعطي كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها {ولكل قوم هاد {من الأنبياء يهديهم إلي الدين ويدعوهم إلى اللّه بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الأنبياء شرعاً واحداً في آيات مخصوصة. ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى أنهم يجحدون كون ما أنزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك إنما أنت منذر فما عليك إلا أن تنذر لا أن تثبت الإيمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالإلجاء وهو الله تعالى. ولقد دل بما أرد من ذكر آيات علمه وتقديره الأشياء على قضاء حكمته أن إعطاءه كل منذر آيات خلاف آيات غيره: أمر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في إجابتهم إلى مقترحهم خيراً ومصلحة لأجابهم إليه. وأما على الوجه الثاني فقد دل به على أن من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم بأي طريق يهديهم ولا سبيل إلى ذلك لغيره. {الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال {. {الله يعلم {يحتمل أن يكون كلاماً مستأنفاً وأن يكون المعنى: هو الله تفسيراً لهاد على الوجه الأخير ثم ابتدئ فقيل: {يعلم ما تحمل كل أنثى {وما في {ما تحمل {{وَمَا تَغِيضُ {{وَمَا تَزدَاد {إما موصولة وإما مصدرية. فإن كانت موصولة فالمعنى: يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو. من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الأرحام: أي تنقصه. يقال: غاض الماء وغضته أنا. ومنه قوله تعالى: {وغيض الماء {هود: 44 وما تزداده: أي تأخذه زائداً تقول: أخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى: {وازدادوا تسعاً }الكهف: 25 ويقال: زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فإنها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة ويروى أن شريكاً كان رابع أربعة في بطن أمه. ومنه جسد الولد فانه يكون تاماً ومخدجاً ومنه مدة ولادته فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عند أبي حنيفة وإلى أربع عند الشافعي وإلى خمس عند مالك وقيل: إن الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن أمه أربع سنين ولذلك سمي هرماً. ومنه الدم فإنه يقل ويكثر. وإن كانت مصدرية فالمعنى أنه يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن أوقاته وأحواله. ويجوز أن يراد غيوض ما في الأرحام وزيادته فأسند الفعل إلى الأرحام وهو لما فيها على أن الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن: الغيضوضة أن تضع لثمانية أشهر أو أقل من ذلك والازدياد أن تزيد على تسعة أشهر. وعنه الغيض الذي يكون سقطاً لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام {بمقدار {بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله {إنا كل شيء خلقناه بقدر }القمر: 49 {الكبير {العظيم الشأن الذي كل شيء دونه {المتعال {المستعلي على كل شيء بقدرته أو الذي كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها. {سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد بقوم سوءاً فلا مراد له وما لهم من دونه من وال {. {وسارب {ذاهب في سربه بالفتح أي في طريقه ووجهه. يقال: سرب في

الأرض سروباً. والمعنى: سواء عنده من استخفى: أي طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته ومن يضطرب في الطرقات ظاهراً بالنهار يبصره كل أحد. فإن قلت: كان حق العبارة أن يقال: ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب وإلا فقد تناول واحداً هو مستخف وسارب قلت: فيه وجهان: أحدهما أن قوله {وسارب {عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني أنه عطف على مستخف إلا أن من في معنى الاثنين كقوله: نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كأنه قيل: سواء منكم اثنان: مستخف بالليل وسارب بالنهار. والضمير في {له {مردود على {من {كأنه قيل: لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب {معقبات {جماعات من الملائكة تعتقب في حفظه وكلاءته والأصل: معتقبات فأدغمت التاء في القاف كقوله {وجاء المعذورون {التوبة: 90 بمعنى المعتذرون. ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به. أو هو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه كما يقال: قفاه لأن بعضهم يعقب بعضاً أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه {يحفظونه من أمر الله {صفتان جميعاً وليس {من أمر الله {بصلة للحفظ كأنه قيل: له معقبات من أمر الله. أو يحفظونه من أجل أمر اللّه أي من أجل أن اللّه أمرهم بحفظه. والدليل عليه قراءة علي رضي الله عنه وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة: يحفظونه بأمر اللّه. يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب كقوله: {قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن {الأنبياء: 42 وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله أي من قضاياه ونوازله أو على التهكم به وقرئ: له معاقيب جمع معقب أو معقبة. والياء عوض من حذف إحدي القافين في التكسير {أن الله لا يغير ما بقوم {من العافية والنعمة {حتى يغيروا ما بأنفسهم {من الحال الجميلة بكثرة المعاصي {مِن وَالٍ {ممن يلي أمرهم ويدفع عنهم. {هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال {. {خوفاً وطمعاً {لا يصح أن يكونا مفعولاً لهما لأنهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل إلا على تقدير حذف المضاف أي: إرادة خوف وطمع. أو على معنى إخافة وإطماعاً ويجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق كأنه في نفسه خوف وطمع. أو على: ذا خوف وذا طمع. أو من المخاطبين أي: خائفين وطامعين. ومعنى الخوف والطمع: أن وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع في الغيث. قال أبو الطيب: فَتَى كالسحَابِ الجُونِ تُخشَى وَترتَجَى يُرجَى الحَيَاء مِنهَا وَيُخشَى الصوَاعِقُ وقيل: يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له في جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به {السحاب {اسم الجنس والواحدة سحابة. و {الثقال {جمع ثقيلة لأنك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول: امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء {ويسبح الرعد بحمده {ويسبح سامع الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له. أي يضجون بسبحان الله والحمد لله. وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: {سبحان من يسبح الرعد بحمده {وعن علي رضي الله عنه: سبحان من سبحت له. وإذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك {وعن ابن عباس. أن اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد ما هو فقال: {ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب {وعن الحسن: خلق من خلق الله ليس بملك. ومن بدع المتصوفة. الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات أفئدتهم والمطر بكاؤهم {والملائكة من خيفته {ويسبح الملائكة من هيبته وإجلاله ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال {وهم {يعني الذين كفرا وكذبوا رسول الله وأنكروا آياته {يجادلون في الله {حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقوله {من يحيى العظام وهي رميم {ياسين: 78 ويردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والأنداد ويجعلونه بعض الأجسام المتوالدة بقولهم {الملائكة بنات الله {فهذا جدالهم بالباطل كقوله {وجادلوا بالباطل

ليدحضوا به الحق {غافر: 15 وقيل: الواو للحال. أي: فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم. وذلك: أن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى اللّه عامراً بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتلته أخبرنا عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد {المحال {المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة. ومنه: تمحل لكذا إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان. ومنه الحديث: {ولا تجعله علينا ما حلاً مصدقاً {وقال الأعشى: فرع نبع يهش في غصن المج د غزير الندى شديد المحال والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون. وقرأ الأعرج بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول محالاً إذا احتال. ومنه: أحول من ذئب أي أشد حيلة. ويجوز أن يكون المعنى: شديد الفقار ويكون مثلاً في القوة والقدرة كما جاء: فساعد الله أشد وموساه أحد لأن الحيوان إذا اشتد محاله كان منعوتاً بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره. ألا ترى إلى قولهم: فقرته الفواقر وذلك أن الفقار عمود الظهر وقوامه. {له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال {. {دعوة الحق {فيه وجهان أحدهما: أن تضاف الدعوة إلى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة إليه في قولك: كلمة الحق للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق مختصة به وأنها بمعزل من الباطل. والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤاله إن كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقاً بأن يوجه إليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه. والثاني: أن تضاف إلى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى: دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب. وعن الحسن: الحق هو الله وكل دعاء إليه دعوة الحق. فإن قلت: ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله قلت أما على قصة أربد فظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر. وقد دعا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله: {اللهم اخسفهما بما شئت فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق. وأما على الأول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم وإجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن دعا عليهم فيهم {والذين يدعون {والآلهة الذين يدعوهم الكفار {من {دون الله {لا يستجيبون لهم بشيء {من طلباتهم {إلا كباسط كفيه {إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه أي كاستجابة الماء من بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم. وقيل: شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشراً أصابعه فلم تلق كفاه منه شيئاً ولم يبلغ طلبته من شربه. وقرئ: تدعون بالتاء. كباسط كفيه بالتنوين {إلا في ضلال {إلا في ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم.

{ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدو والأوصال {. {ولله يسجد {أي ينقادون لإحداث ما أراده فيهم من أفعاله شاؤا أو أبوا. لا يقدرون أن يمتنعوا عليه وتنقاد له {ظلالهم {أيضاً حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال. وقرئ: بالغدو والإيصال من آصلوا: إذا دخلوا في الأصيل. {قل من رب السموات والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً قل عل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار {. {قل الله {حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لأنه إذا قال لهم: من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله. كقوله: {قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله {المؤمنون: 86 وهذا كما يقول المناظر لصاحبه: أهذا قولك فإذا قال: هذا قولي قال: هذا قولك فيحكي إقراره تقريراً له عليه واستيثاقاً منه ثم يقول له: فيلزمك

على هذا القول كيت وكيت. ويجوز أن يكون تلقيناً أي: إن كعوا عن الجواب فلقنهم فإنهم يتلقنونه ولا يقدرون أن ينكروه {أفاتخذتم من دونه أولياء {أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب أن يكون سبب التوحيد من علمكم وإقراركم سبب الإشراك {لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً {لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا عنها ضرراً فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم! {أم جعلوا {بل اجعلوا. ومعنى الهمزة الإنكار و {خلقوا {صفة لشركاء يعني أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله {فتشابه {عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا: قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد إذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاه عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلاً أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق {قل الله خالق كل شيء {لا خالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة {وهو الواحد {المتوحد بالربوبية {القهار {لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور. {أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال {. هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الأعمى والبصير والظلمات والنور مثلاً لهما فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم أنواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الأواني والآلات المختلفة ولو لم يكن إلا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفي به وأن ذلك ماكث في الأرض باق بقاء ظاهراً يثبت الماء في منافعه. وتبقى آثاره في العيون والبئار والجبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة. وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمي به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه إذا أذيب. فإن قلت: لم نكرت الأودية قلت: لأن المطر لا يأتي إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض. فإن قلت: فما معنى قوله: {بقدرها {قلت: بمقدارها الذي عرف الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار. ألا ترى إلى قوله: {وأما ما ينفع الناس {لأنه ضرب المطر مثلاً للحق فوجب أن يكون مطراً خالصاً للنفع خالياً من المضرة ولا يكون كبعض الأمطار والسيول الجواحف. فإن قلت: فما فائدة قوله: {ابتغاء حلية أو متاع {قلت: الفائدة في كالفائدة في قوله: {بقدرها {لأنه جمع الماء والفلز في النفع في قوله: {وأما ما ينفع الناس {لأن المعنى: وأما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع مما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع. وقوله: {ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع {عبارة جامعة لأنواع الفلز مع إظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيري الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجر {أوقد لي يا هامان على الطين {القصص: 38 و من لابتداء الغاية. أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء. أو للتبعيض بمعنى وبعضه زبداً رابياً منفخاً مرتفعاً على وجه السيل {جفاء {يجفؤه السيل أي يرمي به. وجفأت القدر بزبدها وأجفأ السيل وأجفل. وفي قراءة رؤبة ابن العجاج: جفالا وعن أبي حاتم: لا يقر بقراءة رؤبة لأنه كان يأكل الفأر. وقرئ: يوقدون بالياء: أي يوقد {للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد {. {للذين استجابوا {اللام متعلقة بيضرب أي كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا أي: هما مثلا الفريقين. و {الحسنى {صفة لمصدر استجابوا أي: استجابوا الاستجابة الحسنى. وقوله {لو أن لهم {كلام مبتدأ في ذكر ما أعد لغير المستجيبين. وقيل: قد تم الكلام عند قوله: {كذلك يضرب اللّه الأمثال {الرعد: 17 وما بعده كلام مستأنف. والحسنى: مبتدأ خبره {للذين استجابوا {والمعنى: لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة {والذين لم يستجيبوا {مبتدأ خبره {لو {مع ما في حيزه و {سوء الحساب {المناقشة فيه. وعن النخعي: أن يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء. {أفمن

يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر ألوا الألباب {. دخلت همزة الإنكار على الفاء في قوله {أفمن يعلمَ {لإنكار أن تقع شبهة بعد ما ضرب من المثل في أن حال من علم {أنما أنزل إليك من ربك الحق {فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر فيستجيب: كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز {إنما يتذكر ألوا الألباب {أي الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا. {الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار {. {الذين يوفون بعهد الله {مبتدأ. و {أولئك لهم عقبى الدار {خبره كقوله: والذين ينقضون عهد الله أولئك لهم اللعنة. ويجوز أن يكون صفة لأولي الألباب والأول أوجه. وعهد الله: ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته {وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى {الأعراف: 72 {ولا ينقضون الميثاق {ولا ينقضون كل ما وثقوه على أنفسهم وقبلوه: من الإيمان باللّه وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد خصيص {ما أمر الله به أن يوصل {من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول اللّه وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان {إنما المؤمنون إخوة {الحجرات: 10 بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين أنفسهم وبينهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم. ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء في السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة. وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال: من أين أنتم قالوا: من أهل خراسان. قال: اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين {ويخشون ربهم {أي يخشون وعيده كله {ويخافون {خصوصاً {سوء الحساب {فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا {صبروا {مطلق فيما يصبر عليه من المصائب في النفوس والأموال ومشاق التكليف {ابتغاء وجه {اللّه لا ليقال: ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الأعداء كقوله: وتجلدي للشامتين أريهم ولا لأنه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله: ما أن جزعت ولا هلع ت ولا يرد بكاي زندا وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن أن ينوي منها ما به كان حسناً عند اللّه وإلا لم يستحق به ثواباً وكان فعلاً كلا فعل {مما رزقناهم {من الحلال لأن الحرام لا يكون رزقاً ولا يسند إلى اللّه {سراً وعلانية {يتناول النوافل لأنها في السر أفضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفياً للتهمة {ويدرؤون بالحسنة السيئة {ويدفعونها عن ابن عباس: يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم. وعن الحسن: إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا. وعن ابن كيسان: إذا أذنبوا تابوا. وقيل: إذا رأوا منكراً أمروا بتغييره {عقبى الدار {عاقبة الدنيا وهي الجنة لأنها التي أراد الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها و {جنات عدن {بدل من عقبى الدار. وقرئ فنعم بفتح النون. والأصل: نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين إليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل وقرئ: يدخلونها على البناء للمفعول. وقرأ ابن أبي عبلة صلُح بضم اللام والفتح أفصح أعلم أن الأنساب لا تنفع إذا تجردت من الأعمال الصالحة. وآباؤهم جمع أبوي كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم {سلام عليكم {في موضع الحال لأن المعنى: قائلين سلام عليكم أو مسلمين فإن قلت: بم تعلق قوله {بم صبرتم {قلت: بمحذوف تقديره: هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم أو بدل ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى: لئن تعبتم في الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله: بما قد أرى فيها أوانس بدنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم: أنه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول {السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى {والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار {. {من بعد ميثاقه

{من بعد ما أوثقوه به من الاعتراف والقبول {سوء الدار {يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه في مقابلة عقبى الدار ويجوز أن يراد بالدار جهنم وبسوئها عذابها. {الله يبسط الرزق لمن شاء ويقدر وفرحوا بالحياة الدنيا وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع {. {الله يبسط الرزق {أي الله وحده هو يبسط الرزق ويقدره دون غيره وهو الذي بسط رزق أهل مكة ووسعه عليهم {وفرحوا {بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لافرح سرور بفضل اللّه وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفي عليهم أن نعيم الدنيا في جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نزراً يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات أو شربة سويق أو نحو ذلك. {ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب {. فإن قلت: كيف طابق قولهم {لولا أنزل عليه آية من ربه {قوله: {قل إن الله يضل من يشاء { قلت: هو كلام يجري مجرى التعجب من قولهم وذلك أن الآيات الباهرة المتكاثرة التي أوتيها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فإذا جحدوها ولم يعتدوا بها وجعلوه كأن آية لم تنزل عليه قط كان موضعاً للتعجب والاستنكار فكأنه قيل لهم: ما أعظم عنادكم وما أشد تصميمكم على كفركم: إن اللّه يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة في الكفر فلا سبيل إلى اهتدائهم وإن أنزلت كل آية {ويهدي إليه من {كان على خلاف صفتكم {أَنَابَ {أقبل إلى الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير و {الذين آمنوا {بدل من {مَن أَنَابَ {{وتطمئن قلوبهم بذكر الله {بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله: {ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله {الزمر: 23 أو تطمئن بذكر دلائله الدالة على وحدانيته أو تطمئن بالقرآن لأنه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها {الذين آمنوا {مبتدأ و {طوبى لهم {خبره. ويجوز أن يكون بدلاً من القلوب على تقدير حذف المضاف أي: تطمئن القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك أصبت خيراً وطيباً ومحلها النصب أو الرفع كقولك: طيباً لك وطيب لك وسلاماً لك وسلام لك والقراءة في قوله وحسن مآب بالرفع والنصب تدلك على محليها. واللام في لهم للبيان مثلها في سقيا لك والواو في طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الأعرابي: طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل: بيض ومعيشة. {كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب {. {كذلك أرسلناك {مثل ذلك الإرسال أرسلناك يعني: أرسلناك إرسالاً له شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله فقال: {في أمة قد خلت من قبلها أمم {أي أرسلناك في أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهي آخر الأمم وأنت خاتم الأنبياء {لتتلوا عليهم الذي أوحينا إليك {لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي أوحينا إليك {وهم يكفرون {وحال هؤلاء أنهم يكفرون {بالرحمن {بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في إرسال مثلك إليهم وإنزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم {قل هو ربي {الواحد المتعالي عن الشركاء {عليه توكلت {في نصرتي عليكم {وإليه متاب {فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم. {ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعاً أفلم ييئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا {ولو أن قرآناً {جوابه محذوف كما تقول لغلامك: لو أني قمت إليك وتترك الجواب والمعنى: ولو أن قراناً {سيرت به الجبال {عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها {أو قطعت به الأرض {حتى تتصدع وتتزايل قطعاً {أو كلم به الموتى {فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية في التذكير ونهاية في الإنذار والتخويف كما قال: {لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله {الحشر: 21 هذا يعضد ما فسرت به قوله: {لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك {الرعد: 30 من إرادة تعظيم ما أوحى إلى رسول اللّه صلى الله عليه وسلم من القرآن. وقيل: معناه ولو أن قراناً وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم

الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله: {ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة }الأنعام: 111 الآية. وقيل: إن أبا جهل بن هشام قال لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم: سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود عليه السلام إن كنت نبياً كما تزعم فلست بأهون على الله من داود. وسخر لنا به الريح لنركبها ونتجر إلى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان عليه السلام. أو ابعث لنا به رجلين أو ثلاثة ممن مات من آبائنا: منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الأرض على هذا: قطعها بالسير مجاوزتها. وعن الفراء: هو متعلق بما قبله. والمعنى: وهم يكفرون بالرحمن {ولو أن قرآناً سيرت به الجبال }وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد. وقيل {قطعت به الأرض {شققت فجعلت أنهاراً وعيوناً {بل لله الأمر جميعاً {على معنيين أحدهما: بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها إلا أن علمه بأن إظهارها مفسدة يصرفه. والثاني: بل للّه أن يلجئهم إلى الإيمان وهو قادر على الالجاء لولا أنه بنى أمر التكليف على الاختيار. ويعضده قوله: {أفلم ييئس الذين آمنوا أن لو يشاء الله {يعني مشيئة الإلجاء والقسر {لَهَدَى اَلنَاسَ جمَيعاً {ومعنى {أفلم ييئس {أفلم يعلم. قيل: هي لغة قوم من النخع. وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشيء عالم بأنه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك. قال سحيم بن وثيل الرياحي: أقول لهم بالشعب إذ ييسرونني ألم تيأسوا أني ابن فارس زهدم ويدل عليه أن علياً وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا: أفلم يتبين وهو تفسير أفلم ييئس وقيل: إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي الإمام. وكان متقلباً في أيدي أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصاً عن القانون الذي إليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء وهذه والله فرية ما فيها مرية. ويجوز أن يتعلق {لو أن يشاء {بآمنوا على أو لم يقنط عن إيمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بأن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً ولهداهم {تصيبهم بما صنعوا {من كفرهم وسوء أعمالهم {قَارِعَة {داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم {أو تحل {القارعة {قريباً {منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير إليهم شرارها ويتعدى إليهم شرورها {حتى يأتي وعد الله {وهو موتهم أو القيامة. وقيل: ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لأن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم. أو تحل أنت يا محمد قريباً من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد اللّه وهو فتح مكة وكان اللّه قد وعده ذلك.

{ولقد استهزأ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب {. الإملاء الإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان في خفض وأمن كالبهيمة يملي لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به. وتسلية له. {أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبؤنه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق {. {أفمن هو قائم {احتجاج عليهم في إشراكهم بالله يعني أما الله الذي هو قائم رقيب {على كل نفس {صالحة أو طالحة {بِمَا كسبت {يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك. ويجوز أن يقدر ما يقع خبراً للمبتدأ ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله: أفمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه {وجعلوا {له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده {شركاء قل سموهم {أي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم ثم قال: {أم تنبؤنه {على أم المنقطعة كقولك للرجل: قل لي من زيد أم هو أقل من أن يعرف ومعناه: بل اتنبؤونه بشركاء لا يعلمهم في الأرض وهو العالم بما في السموات والأرض فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشيء يتعلق به

العلم والمراد نفي أن يكون له شركاء. ونحوه: {قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض {يونس: 18 {أم بظاهر القول {بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة {ذلك قولهم أفواههم {التوبة: 30 {ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها {يوسف: 40 وهذا لاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق: أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه فتبارك اللّه أحسن الخالقين. وقرئ: أتنبئونه بالتخفيف {مَكرُهُم {كيدهم للإسلام بشركهم {وصدوا {قرئ بالحركات الثلاث. وقرأ ابن أبي إسحاق: وصد بالتنوين {من يضلل الله {ومن يخذله لعلمه أنه لا يهتدي {فما له من هاد {فما له من أحد يقدر على هدايته {لهم عذاب في الحياة الدنيا {وهو ما ينالهم من القتل والأسر وسائر المحن ولا يلحقهم إلا عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذاباً {وَمَا لَهُم مِنَ الله من واق {وما لهم من حافظ من عذابه. أو ما لهم من جهته واق من رحمته. {مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار {. {مثل الجنة {صفتها التي هي في غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب سيبويه أي فيما قصصناه عليكم مثل الجنة. وقال غيره: الخبر {تجري من تحتها الأنهار {كما تقول: صفة زيد أسمر وقال الزجاج: معناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الأنهار على حذف الموصوف تمثيلاً لما غاب عنا بما نشاهد. وقرأ علي رضي الله عنه أمثال الجنة على الجمع أي صفاتها {أكلها دائم {كقوله {لا مقطوعة ولا ممنوعة {الواقعة: 33 {وظلها {دائم لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس. {والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن {والذين آتيناهم الكتاب {يريد من أسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب وأصحابهما ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلاً: أربعون بنجران واثنان وثلاثون بأرض الحبشة وثمانية من أهل اليمن هؤلاء {يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب {يعني ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب أسقفي نجران وأضياعهما {من ينكر بعضه {لأنهم كانوا لا ينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعاني مما هو ثابت في كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الإسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع. فإن قلت: كيف اتصل قوله: {قل إنما أمرت أن أعبد الله {بما قبله قلت: هو جواب للمنكرين معناه: قل إنما أمرت فيما أنزل إلي بأن أعبد اللّه ولا أشرك به. فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً {آل عمران: 64 وقرأ نافع في رواية أبي خليد: ولا أشرك بالرفع على الاستئناف كأنه قال: وأنا لا أشرك به ويجوز أن يكون في موضع الحال على معنى: أمرت أن أعبد الله غير مشرك به {إليه أدعوا {خصوصاً لا أدعو إلى غيره {وإليه {لا إلى غيره مرجعي وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم. {وكذلك أنزلناه حكماً عربياً ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق {. {وكذلك أنزلناه {ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأموراً فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء {حكماً عربياً {حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال. كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمور يوافقهم عليها منها أن يصلي إلى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له: لئن تابعتهم على دين ما هو إلا أهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك اللّه فلا ينصرك ناصر وأهلكك فلا يقيك من واق وهذا من باب الإلهالب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات في الدين والتصلب فيه وأن لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة وإلا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان. {ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحوا الله ما يشاء ويثبت عنده أم الكتاب {. كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون: ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فقيل: كان الرسل قبله بشراً مثله ذوي أزواج

وذرية. وما كان لهم أن يأتوا بآيات برأيهم ولا يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الأحوال والأوقات فلكل وقت حكم يكتب على العباد أي: يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم {يمحوا الله ما يشاء {ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت بدله ما يرى المصلحة في إثباته أو يتركه غير منسوخ وقيل: يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لأنهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل {ويثبت {غيره. وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت إيمانهم وطاعتهم. وقيل: يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضاً من الأناسي وسائر الحيوان والنبات والأشجار وصفاتها وأحوالها والكلام في نحو هذا واسع المجال {وعنده أم الكتاب {أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه. وقرئ: ويثبت. {وإن ما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب {. {وإن ما نرينك {وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وما وعدناهم من إنزال العذاب عليهم. أو توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم. {أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب {. {أولم يروا أنا نأتي الأرض {أرض الكفر {ننقصها من أطرافها {بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه {أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها {الأنبياء: 44 {أفهم الغالبون {الأنبياء: 44 {سنريهم آياتنا في الآفاق {فصلت: 53 والمعنى: عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فإن ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر. وقرئ ننقصها بالتشديد {لا معقب لحكمه {لا راد لحكمه. والمعقب: الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته: الذي يعقبه أي يقفيه بالرد والإبطال. ومنه قيل لصاحب الحق: معقب لأنه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب. قال لبيد: طلب المعقب حقه المظلوم والمعنى: أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس {وهو سريع الحساب {فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا. فإن قلت: ما محل قوله لا معقب لحكمه قلت: هو جملة محلها النصب على الحال كأنه قيل: واللّه يحكم نافذاً حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسراً. {وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعاً يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار {. {وقد مكر الذين من قبلهم {وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال {فلله المكر جميعاً {ثم فسر ذلك بقوله: {يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار {لأن من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون. وهم في غفلة مما يراد بهم. وقرئ: الكافر والكافرون. والذين كفروا. والكفر: أي أهله. والمراد بالكافر الجنس: وقرأ جناح بن حبيش وسَيُعلم الكافر من أعلمه أي سيخبر: {ويقول الذين كفروا لست مرسلاً قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب {. {كفى بالله شهيداً {لما أظهر من الأدلة على رسالتي {ومن عنده علم الكتاب {والذي عنده علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر. وقيل: ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا. لأنهم يشهدون بنعته في كتبهم: وقيل: هو الله عز وعلا والكتاب: اللوح المحفوظ وعن الحسن: لا والله ما يعني إلا الله. والمعنى: كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح إلا هو شهيداً بيني وبينكم. وتعضده قراءة من قرأ: {ومن عنده علم الكتاب {على من الجارة أي ومن لدنه علم الكتاب لأن علم من علمه من فضله ولطفه. وقرئ: ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ: وبمن عنده علم الكتاب. فإن قلت: بم ارتفع علم الكتاب قلت: في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلاً لأن الظرف إذا وقع صلة أوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول: بالذي استقر في الدار أخوه. وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: {من قرأ سورة الرعد أعطي

من الأجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون إلى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله {.

سورة إبراهيم

مكية وآياتها 52

بسم الله الرحمن الرحيم {ألر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون {كتاب {هو كتاب يعني السورة. وقرئ: ليخرج الناس. والظلمات والنور: استعارتان للضلال والهدى {بإذنِ الله {بتسهيله وتيسيره مستعار من الإذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق {إلى صراط العزيز الحميد {بدل من قوله إلى النور بتكرير العامل كقوله: {للذين استضعفوا لمن آمن منهم {الأعراف: 75 ويجوز أن يكون على وجه الاستئناف كأنه قيل: إلى أي نور فقيل: إلى صراط العزيز الحميد. وقوله: {الله {عطف بيان للعزيز الحميد لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا. وقرئ بالرفع على: هو الله. الويل: نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك إلا أنه لا يشتق منه فعل إنما يقال: ويلاً له فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لإفادة معنى الثبات فيقال: ويل له كقوله: سلام عليك. ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعد الكافرين بالويل. فإن قلت: ما وجه اتصال قوله: {من عذاب شديد {بالويل قلت: لأن المعنى أنهم يولولون من عذاب شديد ويضجون منه ويقولون: يا ويلاه كقوله: {دعوا هنالك ثبوراً {الفرقان: 13 {الذين يستحبون {مبتدأ خبره: أولئك في ضلال بعيد ويجوز أن يكون مجروراً صفة للكافرين ومنصوباً على الذم. أو مرفوعاً على أعني الذين يستحبون أو هم الذين يستحبون والاستحباب: الإيثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لأن المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من نفسه أن يكون أحب إليه وأفضل عندها من الآخر. وقرأ الحسن ويصِدون بضم الياء وكسر الصاد. يقال: صده عن كذا وأصده قال: أناس اصدوا الناس بالسيف عنهم والهمزة فيه داخلة على صد صدوداً لتنقله من غير التعدي إلى التعدي. وأما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كأوقفه لأن الفصحاء استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة {ويبغونها عوجاً {ويطلبون لسبيل الله زيغاً واعوجاجاً وأن يدلوا الناس على أنها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والأصل: ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل {في ضلال بعيد {أي ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل. فإن قلت: فما معنى وصف الضلال بالبعد. قلت: هو من الإسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به فعله كما تقول: جد جده ويجوز أن يراد: في ضلال ذي بعد. أو فيه بعد: لأن الضال قد يضل عن الطريق مكاناً قريباً وبعيداً. {وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم {. {إلا بلسان قومه لسين لهم {أي ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا: لم نفهم ما خوطبنا به كما قال: {ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته {فصلت: 44 فإن قلت: لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعاً {قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً {الأعراف: 158 بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وإن لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم تكن للعرب حجة أيضاً. قلت: لا يخلو إنا أن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها فلا حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي أن ينزل بلسان واحد فكان أولى الألسنة لسان قوم الرسول لأنهم أقرب إليه فإذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال وتشاهدها من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم مع ما في ذلك من اتفاق أهل البلاد المتباعدة

والأقطار المتنازحة والأمم المختلفة والأجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في إتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية إلى جزيل الثواب ولأنه أبعد من التحريف والتبديل وأسلم من التنازع والاختلاف ولأنه لو نزل بألسنة الثقلين كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلاً بصفة الإعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها كما كلم أمته التي هو منها يتلوه عليهم معجزاً لكان ذلك أمراً قريباً من الإلجاء ومعنى {بِلِسَانِ قومِهِ {بلغة قومه. وقرئ: بلسن قومه. واللسن واللسان: كالريش والرياش بمعنى اللغة. وقرئ: بلُسن قومه بضم اللام والسين مضمومة أو ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد وعمد على التخفيف. وقيل: الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه عن الضحاك. وأن الكتب كلها نزلت بالعربية ثم أداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لأن قوله ليبين لهم ضمير القوم وهم العرب فيؤذي إلى أن الله أنزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد {فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء {كقوله {فمنكم كافر ومنكم مؤمن {التغابن: 2 لأن اللّه لا يضل إلا من يعلم أنه لن يؤمن. ولا يهدي إلا من يعلم أنه يؤمن. والمراد بالإضلال التخلية ومنع الألطاف وبالهداية: التوفيق واللطف فكان ذلك كناية عن الكفر والإيمان {وهو العزيز {فلا يغلب على مشيئته {الحكيم {فلا يخذل إلا أهل الخذلان ولا يلطف إلا بأهل اللطف. {ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج وقومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور {. {أن أخرج {بمعنى أي أخرج لأن الإرسال فيه معنى القول كأنه قيل: أرسلناه وقلنا له أخرج. ويجوز أن تكون الناصبة للفعل وإنما صلح أن توصل بفعل الأمر لأن الغرض وصلها بما تكون معه في تأويل المصدر وهو الفعل والأمر وغيره سواء في الفعلية. والدليل على جواز أن تكون الناصبة للفعل: قولهم أوعز إليه بأن أفعل فأدخلوا عليها حرف الجر. وكذلك التقدير بأن أخرج قومك {وذكرهم بأيام الله {وأنذرهم بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم: قوم نوح وعاد وثمود. ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما: نعماؤه وبلاؤه. فأما نعماؤه فإنه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى. فلق لهم البحر. وأنا بلاؤه فإهلاك القرون {لكل صبار شكور {يصبر على بلاء اللّه لشكر نعماءه فإذا سمع بما أنزل الله من البلاء على الأمم أو أفاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل: أراد لكل مؤمن لأن الشكر والصبر من سجاياهم تنبيهاً عليهم. {وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم {. {إذ أنجاكم {ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أي إنعامه عليكم ذلك الوقت. فإن قلت: هل يجوز أن ينتصب بعليكم قلت: لا يخلو من أن يكون صلة للنعمة بمعنى الإنعام أو غير صلة إذا أردت بالنعمة العطية فإذا كان صلة لم يعمل فيه وإذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين أنك إذا قلت: نعمة الله عليكم فإن جعلته صلة لم يكن كلاماً حتى تقول فائضة أو نحوها وإلا كان كلاماً ويجوز أن يكون إذ بدلا من نعمة اللّه أي: اذكروا وقت إنجائكم وهو من بدل الاشتمال. فإن قلت: في سورة البقرة {يذبحون {وفي الأعراف {يقتلون {وههنا {ويذبحون {مع الواو فما الفرق قلت: الفرق أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر. فإن قلت: كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم قلت: تمكينهم وإمهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله. ووجه آخر وهو أن ذلك إشارة إلى الإنجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعاً قال تعالى {ونبلوكم بالشر والخير فتنة {الأنبياء: 35 وقال زهير: فأبلاهما خير البلاء الذي يبلوا {وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد {. {وإذ تأذن ربكم {من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله: {نعمة الله عليكم {البقرة: 231 كأنه قيل: وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم. ومعنى تأذن ربكم:

أذن ربكم. ونظير تأذن وأذن: توعد وأوعد تفضل وأفضل. ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل: وإذ أذن ربكم إيذاناً بليغاً تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه. والمعنى: وإذ تأذن ربكم فقال: {لئن شكرتم {أو أجرى {تأذن {مجرى قال: لأنه ضرب من القول. وفي قراءة ابن مسعود: وإذ قال ربكم لئن شكرتم أي لئن شكرتم يا بني إسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح {لأزيدنكم {نعمة إلى نعمة ولأضاعفن لكم ما آتيتكم {ولئن كفرتم {وغمطتم ما أنعمت به عليكم {إن عذابي لشديد {لمن كفر نعمتي. {وقال موسى إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد {. {وقال موسى {إن كفرتم أنتم يا بني إسرائيل والناس كلهم فإنما ضررتم أنفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وأنتم إليه محاويج والله غني عن شكركم {الحميد {مستوجب للحمد بكثرة أنعمه وأياديه وإن لم يحمده الحامدون. {ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب {. {والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله {جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضاً: أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح. و {لا يعلمهم إلا الله {اعتراض. والمعنى: أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله. وعن ابن عباس رضي الله عنه: بين عدنان وإسماعيل ثلاثون أباً لا يعرفون وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: كذب النسابون. يعني أنهم يدعون علم الأنساب وقد نفى اللّه علمها عن العباد {فردوا أيديهم في أفواههم {فعضوها غيظاً وضجراً مما جاءت به الرسل كقوله: {عضوا عليكم الأنامل من الغيظ {آل عمران: 119 أو ضحكاً واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه. أو وأشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم {إنا كفرنا بما أرسلتم به {أي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره إقناطاً لهم من التصديق. ألا ترى إلى قوله: {فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به {وهذا قول قوي. أو وضعوها على أفواههم يقولون للأنبياء: أطبقوا أفواهكم واسكتوا. أو ردوها في أفواه الأنبياء يشيرون لهم إلى السكوت. أو وضعوها على أفواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون. وقيل: الأيدي جمع يد وهي النعمة بمعنى الأيادي أي: ردوا نعم الأنبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما أوحي إليهم من الشرائع والآيات في أفواههم لأنهم إذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها في أفواههم ورجعوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل {مما تدعوننا إليه {من الإيمان بالله. وقرئ: تدعونا بإدغام النون {مريب {موقع في الريبة أو ذي ريبة من أرابه وأراب الرجل {قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين {. {أفي الله شك {أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس في الشك إنما هو في المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وشهادتها عليه {يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم {أي يدعوكم إلى الإيمان ليغفر لكم أو يدعوكم لأجل المغفرة كقوله: دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال: دعوت لما نابني مسوراً فلبى فلبى يدي مسور فإن قلت: ما معنى التبعيض في قوله: من ذنوبكم قلت: ما علمته جاء هكذا إلا في خطاب الكافرين كقوله: {واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم {نوح: 3 - 4 {يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم {الأحقاف: 31 وقال في خطاب المؤمنين: {هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم {الصف: 10 إلى أن قال {يغفر لكم ذنوبكم {الصف: 12 وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد وقيل: أراد أن يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها {ويؤخركم إلى أجل مسمى {إلى وقت قد سماه الله وبين مقداره يبلغكموه إن آمنتم وإلا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت {إن أنتم {ما أنتم {إلا بشر مثلنا {لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله إلى البشر رسلاً لجعلهم من جنس أفضل منهم وهم الملائكة {بسلطان مبين {بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها

تعنتاً ولجاجاً. {قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيك بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا إلا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون {. {إن نحن إلا بشر مثلكم {تسليم لقولهم وأنهم بشر مثلهم لعنون أنهم مثلهم في البشرية وحدها فأما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعاً منهم واقتصروا على قولهم {ولكن الله يمن على من يشاء من عباده {بالنبوة لأنه قد علم أنه لا يختصهم بتلك الكرامة إلا وهم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على أبناء جنسهم {إِلا بإذن الله {أرادوا أن الإتيان بالآية التي اقترحتموها ليس إلينا ولا في استطاعتنا وما هو إلا أمر يتعلق بمشيئة اللّه {وعلى الله فليتوكل المؤمنون {أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصداً أولياً وأمروها به كأنهم قالوا: ومن حقنا أن نتوكل على اللّه في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجري علينا منكم. ألا ترى إلى قوله: {وما لنا أن لا نتوكل على الله {ومعناه: وأي عذر لنا في أن لا نتوكل عليه {وقد هدانا {وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين فإن قلت: كيف كرر الأمر بالتوكل قلت: الأول لاستحداث التوكل وقوله: {فليتوكل المتوكلون {معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدم. {وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد {. {لَنَخُرِجَنكم {{أو لتعودن {ليكونن أحد الأمرين لا محالة إما إخراجكم وإما عودكم حالفين على ذلك. فإن قلت: كأنهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها. قلت: معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت أراه عاد لا يكلمني ما عاد لفلان مال. أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب الجماعة على الواحد {لنهلكن الظالمين {حكاية تقتضي إضمار القول أو إجراء الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه. وقرأ أبو حيوة: ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتباراً لأوحى وأن لفظه لفظ الغيبة ونحوه قولك: أقسم زيد ليخرجن ولأخرجن. والمراد بالأرض. أرض الظالمين وديارهم ونحوه {وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها {الأعراف: 127 {وأورثكم أرضهم وديارهم {الأحزاب: 27. وعن النبي صلى الله عليه وسلم: {من آذى جاره ورثه اللّه داره {. ولقد عاينت هذا في مدة قريبة: كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي أنا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوماً إلى أبناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويأمرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكراً للّه {ذلك {إشارة إلى ما قضى به الله من إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين ديارهم أي ذلك الأمر حق {لمن خاف مقامي {موقفي وهو موقف الحساب لأنه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة أو على إقحام المقام. وقيل: خاف قيامي عليه وحفظي لأعماله. والمعنى إن ذلك حق للمتقين كقوله: {والعاقبة للمتقين {الأعراف: 28. {واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ومن ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ {. {واستفتحوا {واستنصروا الله على أعدائهم {إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح {الأنفال: 19 أو استحكموا الله وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى: {ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق {الأعراف: 89 وهو معطوف على {أوحي إليهم وقرئ: واستفتحوا بلفظ الأمر. وعطفه على {لتهلكن {أي: أوحى إليهم ربهم قال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا {وخاب كل جبار عنيد {معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم. وقيل: واستفتح الكفار على الرسل ظناً منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه {من ورائه {من بين يديه. قال: عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف فإن قلت:

علام عطف {يسقى {قلت: على محذوف تقديره: من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كأنه أشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله: {ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت {. فإن قلت: ما وجه قوله تعالى {من ماء صديد {قلت: صديد عطف بيان لماء قال: {يسقى من ماء {فأبهمه إبهاماً ثم بينه بقوله {صديد {وهو ما يسيل من جلود أهل النار {يتجرعه {يتكلف جرعه {ولا يكاد يسيغه {دخل كاد للمبالغة. يعني: ولا يقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة كقوله: {لم يكد يراها {النور: 40 أي لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها {ويأتيه الموت من كل مكان {كأن أسباب الموت وأصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات تفظيعاً لما يصيبه من الآلام. وقيل: {من كل مكان {من جسده حتى من إبهام رجله. وقيل: من أصل كل شعرة {ومن وراءه {ومن بين يديه {عذاب غليظ {أي في كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً أشد مما قبله وأغلظ.
وعن الفضيل: هو قطع الأنفاس وحبسها في الأجساد. ويحتمل أن يكون أهل مكة قد استفتحوا أي استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي أرسلت عليهم بدعوة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وأنه خيب رجاء كل جبار عنيد وأنه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد أهل النار. واستفتحوا على هذا التفسير: كلام مستأنف منقطع عن حديث الرسل وأممهم. {مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد {.
هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره: وفيما يقص عليك {مثل الذين كفروا بربهم {والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة وقوله: {أعمالهم كرماد {جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول: كيف مثلهم فقيل: أعمالهم كرماد. ويجوز أن يكون المعنى: مثل أعمال الذين كفروا بربهم. أو هذه الجملة خبراً للمبتدأ أي صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وما له مبذول أو يكون أعمالهم بدلاً من {مثل الذين كفروا {على تقدير: مثل أعمالهم وكرماد: الخبر وقرئ: الرياح {في يوم عاصف {جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح أو الرياح كقولك: يوم ماطر وليلة ساكرة. وإنما السكور لريحها وقرئ: في يوم عاصف بالإضافة وأعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسارى وعقر الإبل للاضياف وإغاثة الملهوفين والإجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثوراً لبنائها على غير أساس من معرفة الله والإيمان به وكونها لوجهه: برماد طيرته الريح العاصف {لا يقدرون {يوم القيامة {مما كسبوا {من أعمالهم {على شيء {أي لا يرون له أثراً من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء {ذلك هو الضلال البعيد {إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب {بِٱلْحَقِ {بالحكمة والغرض الصحيح والأمر العظيم ولم يخلقها عبثاً ولا شهوة. {ألم ترى أن الله خلق السموات والأرض بالحق إن يشأ ذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز {. وقرئ: خالق السموات والأرض {إن يشأ ذهبكم {أي هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقاً آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم إعلاماً منه باقتداره على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم يقدر على الشيء وجنس ضده {وما ذلك على الله بعزيز {بمتعذر بل هو هين عليه يسير لأنه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فإذا خلص له الداعي إلى شيء وانتفى الصارف تكون من غير توقف: كتحريك أصبعك إذا دعاك إليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآيات بيان لإبعادهم في الضلال وعظيم خطئهم في الكفر باللّه لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بأن يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه في دار الجزاء. {وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص {. {وبرزوا لله {ويبرزون يوم القيامة. وإنما جيء به بلفظ الماضي لأن ما أخبر به عز وعلا لصدقه كأنه قد كان ووجد ونحوه: {ونادى أصحاب الجنة {الأعراف: 44 {ونادى أصحاب النار {الأعراف: 50 ونظائر له. ومعنى بروزهم للّه واللّه تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على اللّه فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند أنفسهم وعلموا أن الله لا

يخفى عليه خافية. أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه. فإن قلت: لم كتب {الضعفاء {بواو قبل الهمزة قلت: كتب على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو. ونظيره {علمؤا بني إسرائيل {الشعراء: 197 والضعفاء: الأتباع والعوام. والذين استكبروا: ساداتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء وأتباعهم {تبعاً {تابعين: جمع تابع على تبع كقولهم: خادم وخدم وغائب وغيب أو ذوي تبع. والتبع: الأتباع يقال: تبعه تبعاً. فإن قلت: أي فرق بين من في {من عذاب الله {وبينه في {من شيء {قلت: الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل: هل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب اللّه. ويجوز أن تكون للتبعيض معاً بمعنى هل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله أي: بعض بعض عذاب اللّه فإن قلت: فما معنى قوله: {لو هدانا الله لهديناكم {قلت: الذي قال لهم الضعفاء كان توبيخاً لهم وعتاباً على استتباعهم واستغوائهم. وقولهم: {فهل أنتم مغنون عنا {من باب التبكيت لأنهم قد علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم فأجابوهم معتذرين عما كان منهم إليهم: بأن الله لو هداهم إلى الإيمان لهدوهم ولم يضلوهم إما موركين الذنب في ضلالهم وإضلالهم على اللّه كما حكى اللّه عنهم وقالوا {لو شاء اللّه ما أشركنا ولا آباؤنا {الأنعام: 48 {لو شاء اللّه ما عبدنا من دونه من شيء {النحل: 35 يقولون ذلك في الآخرة كما كانوا يقولونه في الدنيا. ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين {يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء {المجادلة: 18. وإما أن يكون المعنى: لو كنا من أهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم إلى الإيمان. وقيل: معناه لو هدانا اللّه طريق النجاة من العذاب لهديناكم أي: لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة {سواء علينا أجزعنا أم صبرنا {مستويان علينا الجزع والصبر. والهمزة وأم للتسوية. ونحوه: {فاصبروا أو لا تصبروا سواءٌ عليكم {الطور: 16 وروي أنهم يقولون: تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون: تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون: سواء علينا. فإن قلت: كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله اتصاله من حيث أن عتابهم لهم كان جزعاً مما هم فيه فقالوا: سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون: ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والأمر من ذلك أطم. أو لما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لأغنينا عنكم وأنجيناكم أتبعوه الإقناط من النجاة فقالوا: {ما لنا من محيص {أي منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعاً كأنه قيل: قالوا جميعاً سواء علينا كقوله: {ذلك ليعلم أني لم أخنه {يوسف: 52 والمحيص يكون مصدراً كالمغيب والمشيب. ومكاناً كالمبيت والمصيف. ويقال: حاص عنه وجاض بمعنى واحد. {وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني فكرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم {. {لما قضي الأمر {لما قطع الأمر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار. وروي أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيباً في الأشقياء من الجن والإنس فيقول ذلك {إن الله وعدكم وعد الحق {وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم {ووعدتكم {خلاف ذلك {فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان {من تسلط وقهر فأقسركم على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها {إلا أن دعوتكم {دعائي إياكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك: ما تحيتهم إلا الضرب. {فلا تلوموني ولوموا أنفسكم {حيث اغتررتم بي وأطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم وهذا دليل على أن الإنسان هو الذي يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من اللّه إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين. ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقال: فلا تلوموني ولا أنفسكم فإن الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه. فإن قلت: قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به. قلت: لو كان هذا القول منه باطلاً لبين الله بطلانه وأظهر إنكاره على أنه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام: ألا ترى إلى قوله: {إن الله وعدكم وعد

الحق ووعدتكم فأخلفتكم {كيف أتى فيه بالحق والصدق وفي قوله: {وما كان لي عليكم من سلطان {وهو مثل قول الله تعالى: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين {الحجر: 42 {ما أنا بمصرخكم وما انتم بمصرخي {لا ينجي بعضنا بعضاً من عذاب الله ولا يغيثه. والإصراخ: الإغاثة. وقرئ: بمصرخي بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهد لها ببيت مجهول: قال لها هل لك ياتا فيّ قالت له ما أنت بالمرضي وكأنه قدر ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء فإن قلت: جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الأصل. قلت: هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات. ما في {بما أشركتموني {مصدرية و {مِن قبل {متعلقة بأشركتموني يعني: كفرت اليوم بإشراككم إياي من قبل هذا اليوم أي في الدنيا كقوله تعالى: {ويوم القيامة يكفرون بشركم {فاطر: 14 ومعنى كفره بإشراكهم إياه: تبرؤه منه واستنكاره له كقوله تعالى: {إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون اللّه كفرنا بكم {الممتحنة: 4 وقيل: {من قبل {يتعلق بكفرت. وما موصولة أي: كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي أشركتمونيه وهو الله عز وجل تقول: شركت زيداً فإذا نقلت بالهمزة قلت: أشركنيه فلان أي: جعلني له شريكاً. ونحو ما هذه ما في قولهم: سبحان ما سخركن لنا. ومعنى إشراكهم الشيطان بالله: طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وغيرها وهذا آخر قول إبليس وقوله: {إن الظالمين {قول الله عز وجل ويحتمل أن يكون من جملة قول إبليس وإنما حكى الله عز وعلا ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفاً للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول إليه وأن يتصوروا في أنفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجهم. وقرئ: فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله تعالى: {حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم {يونس: 22. {وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بإذن ربهم وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد: وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى: وأدخل أنا وهذا دليل على أنه من قول الله لا من قول إبليس {بإذن ربهم {متعلق بأدخل أي: أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره. فإن قلت: فبم يتعلق في القراءة الأخرى وقولك: وأدخلهم أنا بإذن ربهم كلام غير ملتئم قلت: الوجه في هذه القراءة أن يتعلق قوله: {بإذن ربهم {بما بعده أي {تحيتهم فيها سلام {بإذن ربهم يعني: أن الملائكة يحيونهم لإذن ربهم. {ألم ترى كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون {. قرئ: ألم تر ساكنة الراء كما قرئ: من يتق وفيه ضعف {ضرب الله مثلاً {اعتمد مثلاً ووضعه. و {كلمة طيبة {نصب بمضمر أي: جعل كلمة طيبة {كشجرة طيبة {وهو تفسير لقوله: {ضرب الله مثلاً {كقولك: شرف الأمير زيداً: كساه حلة وحمله على فرس. ويجوز أن ينتصب {مثل الذين {و {كلمة {بضرب أي: ضرب كلمة طيبة مثلاً بمعنى جعلها مثلاً ثم قال: {كشجرة طيبة {على أنها خبر مبتدأ محذوف بمعنى هي كشجرة طيبة {وأصلها ثَابِت {يعني في الأرض ضارب بعروقه فيها {وفروعها {وأعلاها ورأسها {في السماء {ويجوز أن يريد: وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس. وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت أصلها فإن قلت: أي فرق بين القراءتين قلت: قراءة الجماعة أقوى معنى لأن في قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة وإذا قلت: مررت برجل أبوه قائم فهو أقوى معنى من قولك: مررت برجل قائم أبوه لأن المخبر عنه إنما هو الأب لا رجل. والكلمة الطيبة: كلمة التوحيد. وقيل: كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة. وعن ابن عباس: شهادة أن لا إله إلا الله. وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم: {إن الله ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبروني ما هي {فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبياً فوقع في قلبي أنها النخلة فهبت رسول اللّه صلى الله عليه

وسلم أن أقولها وأنا أصغر القوم. وروي: فمنعني مكان عمر واستحييت فقال لي عمر: يا بني لو كنت قلتها لكانت أحب إلي من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا إنها النخلة. وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما: شجرة في الجنة وقوله: {في السماء }معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل: طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه {تؤتي أكلها كل حين }تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لإثمارها {بإذن ربها }بتيسير خالقها وتكوينه {لعلهم يتذكرون }لأن في ضرب الأمثال زيادة إفهام وتذكير وتصوير للمعاني. {كشجرة خبيثة }كمثل شجرة خبيثة أي: صفتها كصفتها. وقرئ: ومثل كلمة بالنصب عطفاً على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة: كلمة الشرك. وقيل: كل كلمة قبيحة. وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك. وقوله: {اجتثت من فوق الأرض }في مقابلة قوله: {أصلها ثابت }إبراهيم: 24 ومعنى {اجتثت }استؤصلت وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها {مَا لَهَا مِن قَرَا }أي استقرار. يقال: قر الشيء قراراً كقولك: ثبت ثباتاً شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى إنما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم: الباطل لجلج. وعن قتادة أنه قيل لبعض العلماء: ما تقول في كلمة خبيثة فقال: ما أعلم لها في الأرض مستقراً ولا في السماء مصعداً إلا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة. {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء }. {بالقول الثابت }الذي ثبت بالحجة والبرهان في قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت إليه نفسه وتثبيتهم به في الدنيا: أنهم إذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بأمشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما. وتثبيتهم في الآخرة. أنهم إذا سئلوا عند تواقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر. وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر. وعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم: ذكر قبض روح المؤمن فقال {ثم يعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له: من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول: ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فذلك قوله: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت }{ويضل الله الظالمين }الذين لم يتمسكوا بحجة في دينهم وإنما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا: {إنا وجدنا آباءنا على أمة }الزخرف: 22 - 23 وإضلالهم في الدنيا أنهم لا يثبتون في مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شيء وهم في الآخرة أضل وأذل {ويفعل الله ما يشاء }أي ما توجبه الحكمة لأن مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن إضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم.

{ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار }. {بدلوا نعمة الله }أي شكر نعمة الله {كفراً }لأن شكرها الذي وجب عليهم وضعوا مكانه كفراً فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلاً ونحوه: {وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون }الواقعة: 2 أي شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه. ووجه آخر: وهو أنهم بدلوا نفس النعمة كفراً على أنهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبي النعمة موصوفين بالكفر حاصلاً لهم الكفر بدل النعمة. وهم أهل مكة: أسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة اللّه بدل ما لزمهم من الشكر العظيم. أو أصابهم الله بالنعمة في الرخاء والسعة لإيلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة كذلك حين أسروا وقتلوا يوم بدر وقد ذهبت عنهم النعمة وبقي الكفر طوقاً في أعناقهم وعن عمر رضي الله: هم الأفجران من قريش: بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر. وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين. وقيل: هم متنصرة العرب: جبلة بن الأيهم وأصحابه {واحلوا

قومهم {ممن تابعهم على الكفر {دار البوار {دار الهلاك. وعطف {جهنم {على دار البوار عطف بيان قرئ: ليضلوا بفتح الياء وضمها. فإن قلت: الضلال والإضلال لم يكن غرضهم في اتخاذ الأنداد فما معنى اللام قلت: لما كان الضلال والإضلال نتيجة اتخاذ الأنداد كما كان الإكرام في قولك: جئتك لتكرمني نتيجة المجيء دخلته اللام وإن لم يكن غرضاً على طريق التشبيه والتقريب {تمتعوا {إيذان بأنهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد أمرهم آمر مطاع لا يسعهم أن يخالفوه ولا يملكون لأنفسهم أمراً دونه وهو أمر الشهوة. والمعنى: إن دمتم على ما أنتم عليه من الامتثال لأمر الشهوة {فإن مصيركم إلى النار {ويجوز أن يراد الخذلان والتخلية ونحو {قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار {الزمر: 8. {قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يؤتى يوم لا بيع فيه ولا خلال {.
المقول محذوف لأن جواب {قل {يدل عليه وتقديره {قل لعبادي الذين آمنوا {أقيموا الصلاة وأنفقوا {يقيموا الصلاة وينفقون {وجوزوا أن يكون يقيموا وينفقوا بمعنى: ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا: وإنما جاز حذف اللام لأن الأمر الذي هو {قُل {عوض منه ولو قيل: يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز فإن قلت: علام انتصب {سراً وعلانية {قلت: على الحال أي: ذوي سر وعلانية بمعنى: مسرين ومعلنين. أو على الظرف أي وقتي سر وعلانية أو على المصدر أي: إنفاق سر وإنفاق علانية {و {المعنى: إخفاء المتطوع به من الصدقات والإعلان بالواجب. والخلال: المخالة. فإن قلت: كيف طابق الأمر بالإنفاق وصف اليوم بأنه {لا بيع فيه ولا خلال {قلت: من قبل أن الناس يخرجون أموالهم في عقود المعاوضات فيعطون بدلاً ليأخذوا مثله وفي المكارمات ومهاداة الأصدقاء ليستجروا بهداياهم أمثالها أو خيراً منها. وأما الإنفاق لوجه اللّه خالصاً كقوله: {وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى {الليل: 20 فلا يفعله إلا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله في يوم لا بيع فيه ولا خلال أي: لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون به أموالهم من المعاوضات والمكارمات وإنما ينتفع فيه بالإنفاق لوجه اللّه وقرئ: {لا بيع فيه ولا خلالُ {بالرفع. {الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار {. {الله {مبتدأ و {الذي خلق {خبره و {من الثمرات {بيان للرزق أي: أخرج به رزقاً هو ثمرات. ويجوز أن يكون {مِنَ الثمرات {مفعول أخرج و {رزقاً {حالاً من المفعول أو نصباً على المصدر من أخرج لأنه في معنى رزق {بأمره {بقوله كمن {دائبين {يدأبان في سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات وإصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات {وسخر لكم الليل والنهار { يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم {وآتاكم من كل ما سألتموه {من للتبعيض أي آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظراً في مصالحكم. وقرئ: من كل بالتنوين وما سألتموه نفي ومحله النصب على الحال أي: آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز أن تكون ما موصولة على: وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه ولم تصلح أحوالكم ومعايشكم إلا به فكأنكم سألتموه أو طلبتموه بلسان الحال {لا تحصوها {لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال. وأما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلا الله {لظلوم {يظلم النعمة بإغفال شكرها {كفار {شديد الكفران لها. وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع. والإنسان للجنس فيتناول الإخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه. {وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً واجنبني وابني أن نعبد الأصنام رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم {. {هذا البلد {يعني البلد الحرام زاده الله أمناً وكفاه كل باغ وظالم وأجاب فيه دعوة خليله إبراهيم عليه السلام {آمناً {ذا أمن.
فإن قلت: أي فرق بين قوله: {اجعل هذا بلداً آمناً {البقرة: 26 وبين قوله: {اجعل هذا البلد آمناً {قلت: قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن كأنه قال: هو

بلد مخوف فاجعله آمناً {واجنبني {وقرئ: وأجنبني وفيه ثلاث لغات: جنبه الشر وجنبه وأجنبه فأهل الحجاز يقولون: جنبني شره بالتشديد وأهل نجد جنبني وأجنبني والمعنى: ثبتنا وأدمنا على اجتناب عبادتها {وبني {أراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة: كيف عبدت العرب الأصنام فقال: ما عبد أحد من ولد إسماعيل صنماً واحتج بقوله: {واجنبني وبني {أن نعبد الأصنام {إنما كانت أنصاب حجارة لكل قوم قالوا: البيت حجر فحيثما نصبنا حجراً فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب أن يقال: طاف بالبيت ولا يقال: دار بالبيت {إنهن أضللن كثيراً من الناس {فأعوذ بك أن تعصمني وبني من ذلك وإنما جعلن مضلات لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم كماتقول: فتنتهم الدنيا وغرتهم أي افتتنوا بها واغتروا بسببها {فمن تبعني {على ملتي وكان حنيفاً مسلماً مثلي {فإنه مني {أي هو بعضي لفرط اختصاصه بي وملابسته لي وكذلك قوله: {من غشنا فليس منا {أي ليس بعض المؤمنين على أن الغش ليس من أفعالهم وأوصافهم {ومن عصاني فإنك غفور رحيم {تغفر له ما سلف منه من عصياني إذا بدا له فيه واستحدث الطاعة لي. وقيل: معناه ومن عصاني فيما دون الشرك. {ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل {من ذريتي {بعض أولادي وهم إسماعيل ومن ولد منه {بِوَادٍ {هو وادي مكة {غير ذي زرع {لا يكون فيه شيء من زرع قط كقوله: {قرآناً عربياً غير ذي عوج {الزمر: 28 بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه إلا الاستقامة لا غير. وقيل للبيت المحرم لأن الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرماً لمكانه أو لأنه لم يزل ممنعاً عزيزاً يهابه كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه أن يجتنب أو لأنه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكه أو لأنه حرم على الطوفان أي منع منه كما سُمي عتيقاً لأنه أعتق منه فلم يستول عليه {ليقيموا الصلاة {اللام متعلقة بأسكنت أي: ما أسكنتهم هذا الوادي الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق إلا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم وبعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التي شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين إليك بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك {أفئدة من الناس {أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ما روي عن مجاهد: لو قال أفئدة الناس لرحمتكم عليه فارس والروم وقيل: لو لم يقل {من {لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز أن يكون من للابتداء كقولك: القلب مني سقيم تريد قلبي فكأنه قيل: أفئدة ناس وإنما نكرت المضاف إليه في هذا التمثيل لتنكير أفئدة لأنها في الآية نكرة ليتناول بعض الأشدة. وقرئ: آفدة بوزن عاقدة. وفيه وجهان أحدهما: أن يكون من القلب كقولك: آدر في أدؤر. والثاني: أن يكون اسم فاعلة من أفدت الرحلة إذا عجلت أي جماعة أو جماعات يرتحلون إليهم ويعجلون نحوهم. وقرئ: أفدة وفيه وجهان: أن تطرح الهمزة للتخفيف وإن كان الوجه أن تخفف بإخراجها بين بين. وأن يكون من أفد {تهوِى إليهم {تسرع إليهم وتطير نحوهم شوقاً ونزاعاً من قوله: يهوي مخارمها هوي الأجدال وقرئ: تهوى إليهم على البناء للمفعول من هوى إليه وأهواه غيره. وتهوى إليهم من هوى يهوي إذا أحب ضمن معنى تنزع فعدى تعديته {وارزقهم من الثمرات {مع سكناهم وادياً ما فيه شيء منها بأن تجلب إليهم من البلاد {لعلهم يشكرون {النعمة في أن يرزقوا أنواع الثمرات حاضرة في وادٍ يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لا جرم أن الله عز وجل أجاب دعوته فجعله حرماً آمناً تجبى إليه. ثمرات كل شيء رزقاً من لدنه ثم فضله في وجود أصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد وأكثرها ثماراً وفي أي بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الأعجوبة التي يريكها اللّه بواد غير ذي زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الأزمان من الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وأدام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة إبراهيم عليه السلام ورزقنا {ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء {. النداء المكرر دليل التضرع واللجأ إلى الله تعالى {إنك تعلم ما نخفي

وما نعلن {تعلم السر كما تعلم العلن علماً لا تفاوت فيه لأن غيباً من الغيوب لا يحتجب عنك. والمعنى: أنك أعلم بأحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا منا وأنت أرحم بنا وأنصح لنا منا بأنفسنا ولها فلا حاجة إلى الدعاء والطلب وإنما ندعوك إظهاراً للعبودية لك وتخشعاً لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقاراً إلى ما عندك واستعجالاً لنيل أياديك وولهاً إلى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدي سيده رغبة في إصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة. وعن بعضهم: أنه رفع حاجته إلى كريم فأبطأ عليه النجح فأراد أن يذكره فقال: مثلك لا يذكر استقصاراً ولا توهماً للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لا تدعه حاجته أن لا يتكلم فيها. وقيل: ما تخفي من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء. وقيل: ما نخفي من كآبة الافتراق وما نعلن: يريد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع: إلى من تكلنا قال: إلى الله أكلكم. قالت: اللّه أمرك بهذا قال: نعم. قالت: إذن لا نخشى تركتنا إلى كاف {وما يخفى على الله من شيء {من كلام اللّه عز وجل تصديقاً لإبراهيم عليه السلام كقوله: {وكذلك يفعلون {النمل: 134 أو من كلام إبراهيم يعني: وما يخفى على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان. ومن للاستغراق كأنه قيل: وما يخفى عليه شيء ما. {عَلَى {في قوله: {عَلَى الكِبَرِ {بمعنى مع كقوله: إني على ما ترين من كبرى أعلم من حيث تؤكل الكتف وهو في موضع الحال معناه: وهب لي وأنا كبير وفي حال الكبر. روي أن إسماعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحاق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روي أنه ولد له إسماعيل لأربع وستين. وإسحاق لتسعين. وعن سعيد بن جبير: لم يولد لإبراهيم إلا بعد مائة وسبع عشرة سنة وإنما ذكر حال الكبر لأن المنة بهبة الولد فيها أعظم من حيث أنها حال وقوع اليأس من الولادة. والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم وأحلاها في نفس الظافر ولأن الولادة في تلك السن العالية كانت آية لإبراهيم {إن ربي لسميع الدعاء {كان قد دعا ربه وسأله الولد فقال: رب هب لي من الصالحين فشكر للّه ما أكرمه به من إجابته فإن قلت: الله تعالى يسمع كل دعاء أجابه أو لم يجبه. قلت: هو من قولك: سمع الملك كلام فلان إذا اعتد به وقبله ومنه: سمع اللّه لمن حمده وفي الحديث. {ما أذن الله لشيء كإذنه لنبي يتغنى بالقرآن {فإن قلت: ما هذه الإضافة إضافة السميع إلى الدعاء قلت: إضافة الصفة إلى مفعولها وأصله لسميع الدعاء. وقد ذكر سيبويه فعيلاً في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك: هذا ضروب زيداً وضراب أخاه ومنحار إبله وحذر أموراً ورحيم أباه ويجوز أن يكون من إضافة فعيل إلى فاعله ويجعل دعاء الله سميعاً على الإسناد المجازي. والمراد سماع الله. {رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب {. {ومن ذريتي {وبعض ذريتي عطفاً على المنصوب في اجعلني وإنما بعض لأنه علم بإعلام الله أنه يكون في ذريته كفار وذلك قوله: {لا ينال عهدي الظالمين {البقرة: 124. {وتقبل دعائي {أي عبادتي {وأعتزلكم وما تدعون من دون اللّه {مريم: 48 في قراءة أبي ولأبوي. وقرأ سعيد بن جبير: ولو الدي على الإفراد يعني أباه وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما: ولولدي يعني إسماعيل وإسحاق. وقرئ: لولدي بضم الواو. والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم. وقيل: جمع ولد كأسد في أسد. وفي بعض المصاحف: ولذريتي. فإن قلت: كيف جاز له أن يستغفر لأبويه وكانا كافرين قلت: هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه إلا بالتوقيف. وقيل: أراد بوالديه آدم وحواء وقيل: بشرط الإسلام. ويأباه قوله {إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك { الممتحنة: 4 لأنه لو شرط الإسلام لكان استغفاراً صحيحاً لا مقال فيه فكيف يستثني الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بإبراهيم {يوم يقوم الحساب {أي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم: قامت الحرب على ساقها. ونحوه قولهم: ترجلت الشمس: إذا أشرقت وثبت ضوؤها كأنها قامت على رجل. ويجوز أن يسند إلى الحساب قيام أهله إسناداً مجازياً أو يكون مثل {واسأل القرية {يوسف: 82 وعن مجاهد: قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد أحد من ولده صنماً بعد دعوته وجعل البلد آمناً ورزق أهله من الثمرات. وجعله إماماً وجعل في ذريته من يقيم الصلاة وأراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

كانت الطائف من أرض فلسطين فلما قال إبراهيم {ربنا إني أسكنت }الآية إبراهيم: 37 رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقاً للحرم. {ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء {. فإن قلت: يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعلم الناس به غافلاً حتى قيل {{ولا تحسبن الله غافلاً {قلت: إن كان خطاباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان. أحدهما التثبيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلاً كقوله: {ولا تكونن من المشركين }الأنعام: 14 {ولا تدع مع الله إلها آخر }الشعراء: 213 كما جاء في الأمر {يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله {النساء: 136 والثاني: أن المراد بالنهي عن حسبانه غافلاً الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله: {والله بما تعملون عليم }البقرة: 283 يريد الوعيد. ويجوز أن يراد: ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وإن كان خطاباً لغيره ممن يجوز أن يحسبه غافلاً لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة: تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال: إنما قاله من علمه وقرئ: يؤخرهم بالنون والياء {تشخص فيه الأبصار {أي أبصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى {مهطعين {مسرعين إلى الداعي. وقيل: الإهطاع أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف {مقنعي رؤوسهم {رافعيها {لا يرتد إليهم طرفهم {لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم أي: لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان. أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم. الهواء: الخلاء الذي لم تشغله الأجرام فوصف به فقيل: قلب فلان هواء إذا كان جباناً لا قوة في قلبه ولا جرأة. ويقال للأحمق أيضاً: قلبه هواء. قال زهير: لأن النعام مثل في الجبن والحمق. وقال حسان: فأنت مجوف نخب هواء وعن ابن جريج {وأفئدتهم هواء {صفر من الخير خاوية منه وقال أبو عبيدة: جوف لا عقول لهم. {وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام {. {يوم يأتيهم العذاب {مفعول ثان لأنذر وهو يوم القيامة. ومعنى {أخرنا إلى أجل قريب {ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك. أو أريد باليوم: يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وأنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب كقوله: {لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق }المنافقون: 10 {أولم تكونوا أقسمتم {على إرادة القول وفيه وجهان: أن يقولوا ذلك بطراً وأشراً ولما استولى عليهم من عادة الجهل والسفه وأن يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديداً وأملوا بعيداً و {ما لكم {جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله {أقسمتم {ولو حكى لفظ المقسمين لقيل: ما لنا {من زوال {والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل: لا تنتقلون إلى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله: {وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت }النحل: 38 يقال: سكن الدار وسكن فيها. ومنه قوله تعالى: {وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم {لأن السكنى من السكون الذي هو اللبث والأصل تعديه بفي كقولك: قر في الدار وغنى فيها وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل: سكن الدار كما قيل: تبوأها وأوطنها. ويجوز أن يكون: سكنوا من السكون أي: قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الأولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا {وتبين لكم {بالإخبار والمشاهدة {كيف {أهلكناهم وانتقمنا منهم. وقرئ: ونبين لكم بالنون {وضربنا لكم الأمثال {أي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وير في الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم {وقد مكروا مكرهم {أي مكرهم العظيم الذي استفرغوا

فيه جهدهم {وعند الله مكرهم {لا يخلو إما أن يكون مضافاً إلى الفاعل كالأول على معنى: ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو يكون مضافاً إلى المفعول على معنى: {وعند الله مكرهم {الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون {وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال {وإن عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلاً لتفاقمه وشدته أي: وإن كان مكرهم مسوى لإزالة الجبال معداً لذلك وقد جعلت إن نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى: {وما كان الله ليضيع إيمانكم {البقرة: 143 والمعنى: ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتاً وتمكناً. وتنصره قراءة ابن مسعود: وما كان مكرهم. وقرئ: {لتزول {بلام الابتداء على: {وإن كان مكرهم {من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقل من أماكنها. وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما: وإن كاد مكرهم {مخلف وعد رسله {يعني قوله: {إنا لننصر رسلنا {غافر: 51 {كتب الله لأغلبن أنا ورسلي {المجادلة: 21 فإن قلت: هلاَ قيل: مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الأول قلت: قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلاً كقوله: {إن الله لا يخلف الميعاد {آل عمران: 9 ثم قال: أرسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحداً وليس من شأنه إخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ: مخلف وعدَه رسلهِ بجر الرسل ونصب الوعد. وهذه في الضعف كمن قرأ {قتل أولادهم شركائهم {الأنعام: 137. {العزيز {غالب لا يماكر {ذو انتقام {لأوليائه من أعدائه. {يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماء وبروزا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب {. {يوم تبدل الأرض {انتصابه على البدل من يوم يأتيهم. أو على الظرف للانتقام. والمعنى: يوم تبدل هذه الأرض التي تعرفونها أرضاً أخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات. والتبديل: التغيير وقد يكون في الذوات كقولك: بدلت الدراهم دنانير ومنه {بدلناهم جلوداً غيرها {النساء: 56 و {بدلناهم بجنتيهم جنتين {سبأ: 16 وفي الأوصاف كقولك: بذلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها وسويتها خاتماً فنقلتها من شكل إلى شكل ومنه قوله تعالى: {فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات {الفرقان: 70 واختلف في تبديل الأرض والسموات فقيل: تبدل أوصافها فتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها. وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا أمت وعن ابن عباس: هي تلك الأرض وإنما تغير وأنشد: وما الناس بالناس الذين عهدتهم ولا الدار بالدار التي كنت تعلم وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبواباً. وقيل: يخلق بدلها أرض وسموات أخر. وعن ابن مسعود وأنس: يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة. وعن علي رضي الله عنه: تبدل أرضاً من فضة وسموات من ذهب. وعن الضحاك: أرضاً من فضة بيضاء كالصحائف. وقرئ: يوم نبدل الأرض بالنون. فإن قلت: كيف قال {الواحد القهار {قلت: هو كقوله {لمن الملك اليوم لله الواحد القهار {غافر: 16 لأن الملك إذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لأحد إلى غيره ولا مستجار كان الأمر في غاية الصعوبة والشدة {مقرنين {قرن بعضهم مع بعض. أو مع الشياطين. أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغللين. وقوله: {في الأصفاد {إما أن يتعلق بمقرنين أي: يقرنون في الأصفاد. وإما أن لا يتعلق به فيكون المعنى: مقرنين مصفدين. والأصفاد: القيود وقيل الأغلال وأنشد لسلامة بن جندل: وزيد الخيل قد لاقى صفاداً يعض بساعد وبعظم ساق القطران: فيه ثلاثة لغات: قطران وقطران وقطران: بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فتهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته والجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه أن يسرع في اشتغال النار وقد يستسرج به وهو أسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الأربع: لذع القطران. وحرقته وإسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح. على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو وعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكأنه ما عندنا منه إلا الأسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع

نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ: من قطران والقطر: النحاس أو الصفر المذاب. والآني: المتناهي حره {تغشى وجوههم النار {كقوله تعالى: {أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب {الزمر: 24 {يوم يسحبون في النار على وجوههم {القمر: 48 لأن الوجه أعز موضع في ظاهر البدن وأشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال: {تطلع على الأفئدة {الهمزة: 7 وقرئ: وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى: أي يفعل بالمجرمين ما يفعل {ليجزي الله كل نفس {مجرمة {ما كسبت {أو كل نفس من مجرمة ومطيعة لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المطيعين لطاعتهم. {هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب {. {هذا بلاغ للناس {كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله {ولا تحسبن {إلى قوله: {سريع الحساب. {ولينذروا {معطوف على محذوف أي لينصحوا ولينذروا {به {بهذا البلاغ. وقرئ: ولينذروا بفتح الياء من نذر به إذا علمه واستعد له {وليعلموا أنما هو إله واحد {لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم {من قرأ سورة إبراهيم أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الأصنام وعدد من لم يعبد .{

سورة الحجر

مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم {الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين {. {تلك {إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات. والكتاب والقرآن المبين: السورة. وتنكير القرآن للتفخيم. والمعنى: تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتاباً وأي قرآن مبين كأنه قيل: الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان. {ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون {. قرئ: ربما وربتما بالتشديد. وربما وربَما بالضم والفتح مع التخفيف. فإن قلت: لم دخلت على المضارع وقد أبوا دخولها إلا على الماضي قلت: لأن المترقب في إخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكأنه قيل: ربما ود. فإن قلت: متى تكون ودادتهم قلت: عند الموت أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين. وقيل: إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا أيضاً باب من الودادة. فإن قلت: فما معنى التقليل قلت: هو وارد على مذهب العرب في قولهم: لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الإنسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا: ولو كان الندم مشكوكاً فيه أو كان قليلاً لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما من الكثير وكذلك المعنى في الآية: لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة فبالحري أن يسارعوا إليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة {لو كانوا مسلمين {حكاية ودادتهم وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك: حلف بالله ليفعلن. ولو قيل: حلف باللّه لأفعلن ولو كنا مسلمين لكان حسناً سديداً وقيل: تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فإن حانت منهم إفاقة في بعض الأوقات من سكرتهم تمنوا فلذلك قلل {ذرهم {يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم {يأكلوا ويتمتعوا {بدنياهم وتنفيذ شهواتهم ويشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الأعمار واستقامة الأحوال وأن لا يلقوا في العاقبة إلا خيراً {فسوف تعلمون {سوء صنيعهم. والغرض الإيذان بأنهم من أهل الخذلان وأنهم لا يجيء منهم إلا ما هم فيه وأنه لا زاجر لهم ولا واعظ إلا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل إلى اتعاظهم قبل ذلك فأمر رسوله بأن يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وأن يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم إلا ندماً في العاقبة. وفيه إلزام للحجة ومبالغة في الإنذار وإعذار فيه. وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤذي إليه طول الأمل. وهذه هجيرى أكثر الناس ليس من أخلاق المؤمنين وعن بعضهم: التمرغ في الدنيا من أخلاق

الهالكين. {وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة أجلها {. {ولها كتاب {جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى: {وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرين {الشعراء: 208 وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال: جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب. كتاب {معلوم {مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كتب في اللوح وبين ألا ترى إلى قوله {ما تسبق من أمة أجلها {في موضع كتابها وأنث الأمة أولاً ثم ذكرها آخراً حملاً على اللفظ والمعنى وقال: {وما يستأخرون {بحذف عنه لأنه معلوم. {وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون {. قرأ الأعمش: يا أيها الذي ألقي عليه الذكر وكأن هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون {إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون {الشعراء: 27 وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون. والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع. وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها {فبشرهم بعذاب أليم {آل عمران: 21 {إنك لأنت الحليم الرشيد {هود: 87 وقد يوجد كثيراً في كلام العجم والمعنى: إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله نزل عليك الذكر. {لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين {. {لو {ركبت مع لا وما لمعنيين: معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض وأما هل فلم تركب إلا مع لا وحدها للتحضيض: قال ابن مقبل: لوما الحياء ولوما الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عوري والمعنى: هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك ويعضدونك على إنذارك كقوله تعالى {لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً {الفرقان: 7 أو: هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقاً كما كانت تأتي الأمم المكذبة برسلها {ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين {. قرئ: تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل و {ننزل الملائكة {: بالنون ونصب الملائكة {إلا بالحق {إلا تنزلاً ملتبساً بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في أن تأتيكم عياناً تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لأنكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى {وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق {الحجر: 85 وقيل: الحق الوحي أو العذاب. وإذا جواب وجزاء لأنه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره: ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم. {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون {. {إنا نحن نزلنا الذكر {رد لإنكارهم واستهزائهم في قولهم: {يا أيها الذي نزل عليه الذكر {الحجر: ولذلك قال: إنا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والبتات وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وبين يديه ومن حلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظاً من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها. وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغياً فكان التحريف ولم يكل القرآن إلى غير حفظه. فإن قلت: فحين كان قوله {إنا نحن نزلنا الذكر {رداً لإنكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله {وإنا له لحافظون {قلت: قد جعل ذلك دليلاً على أنه منزل من عنده آية لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه. وقيل: الضمير في له لرسول الله في كقوله تعالى {والله يعصمك {المائدة: 67. {ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون {. {في شيع الأولين {في فرقهم وطوائفهم. والشيعة: الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة. ومعنى أرسلناه فيهم: نبأناه فيهم وجعلناه رسولاً فيما بينهم {وما يأتيهم {حكاية حال ماضية لأن ما لا تدخل على مضارع إلا وهو في معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال. {كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأولين {. يقال: سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها ونظمته. وقرئ: نسلكه والضمير للذكر أي: مثل ذلك السلك ونحوه: نسلك الذكر في {قلوب المجرمين {على معنى أنه يلقيه في قلوبهم مكذباً مستهزئا به غير مقبول كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك إليها فقلت: كذلك أنزلها باللئام تعني مثل هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية. ومحل قوله {لا يؤمنون به {النصب على الحال أي غير مؤمن به أو هو بيان لقوله: {كذلك نسلكه {. {سنة الأولين {طريقتهم التي سنها الله في إهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم.

}ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون {. قرئ: يعرجون بالضم والكسر. و }سكرت {حيرت أو حبست من الإبصار من السكر أو السكر. وقرئ: سُكِرَت بالتخفيف أي حبست كما يحبس النهر من الجري. وقرئ: سَكِرَت من السكر أي حارت كما يحار السكران. والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد:. أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا: هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك. وقيل: الضمير للملائكة أي: لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عياناً لقالوا ذلك. وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون. وقال: إنما ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيراً للأبصار.

}ولقد جعلنا في السماء بروجها وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها نم كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين {. }مَنِ استرقَ {في محل النصب على الاستثناء. وعن ابن عباس: أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها }شهاب مبين {ظاهر للمبصرين }موزون {وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان أو له وزن وقدر في أبواب النعمة والمنفعة وقيل: ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها }معايش {بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فإن تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة أو إخراج الياء بين بين. وقد قرئ: معائش بالهمزة على التشبيه }ومن لستم له برازقين {عطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل: وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أو: وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين. وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون أنهم يرزقونهم ويخطئون فإن اللّه هو الرزاق يرزقهم وإياهم ويدخل فيه الأنعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق إلى ظنهم أنهم هم الرزاقون. ولا يجوز أن يكون مجروراً عطفاً على الضمير المجرور في }لكم {لأنه لا يعطف على الضمير المجرور.
}وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم {. ذكر الخزائن تمثيل.
والمعنى: وما من شيء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به وما نعطيه إلا بمقدار معلوم نعلم أنه مصلحة له فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره على كل مقدور. }وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين {. }لواقح {فيه قولان أحدهما: أن الريح لاقح إذا جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير: ريح عقيم. والثاني: أن اللواقح بمعنى الملاقح كما قال: ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة. وقرئ: وأرسلنا الريح على تأويل الجنس }فأسقيناكموه {فجعلناه لكم سقيا }وما أنتم له بخازنين {نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله: }وإن من شيء إلا عندنا خزائنه {كأنه قال: نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه في السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه بقادرين: دلالة على عظيم قدرته وإظهاراً لعجزهم. }وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم {. }ونحن الوارثون {أي الباقون بعد هلاك الخلق كله. وقيل للباقي وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعد فنائه.
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في دعائه: }واجعله الوارث منا {}ولقد علمنا {من استقدم ولادة وموتاً ومن تأخر من الأولين والآخرين. أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد. أو من تقدم في الإسلام وسبق إلى الطاعة ومن تأخر. وقيل: المستقدمين في صفوف الجماعة والمتسأخرين. وروي: أن امرأة حسناء كانت في المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر إليها وبعض يستأخر ليبصرها فنزلت }هو يحشرهم {أي هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع إفراط كثرتهم وتباعد أطراف عددهم }إنه حكيم عليم {باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد أحاط علماً بكل شيء. }ولقد خلقنا

الإنسان من صلصل من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم {.
الصلصال: الطين اليابس الذي يصلصل وهو غير مطبوخ وإذا طبخ فهو فخار. قالوا: إذا توهمت في صوته مدا فهو صليل وإن توهمت فيه ترجيعاً فهو صلصلة. وقيل: هو تضعيف صل إذا أنتن. والحمأ: الطين الأسود المتغير. والمسنون: المصور من سنة الوجه وقيل: المصبوب المفرغ أي: أفرغ صورة إنسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة في أمثلتها. وقيل: المنتن من سننت الحجر على الحجر إذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين ولا يكون إلا منتناً {من حمأ {صفة لصلصال أي: خلقه من صلصال كائن من حمأ وحق {مسنون {بمعنى مصور أن يكون صفة لصلصال كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال إنسان أجوف فيبس حتى إذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك إلى جوهر آخر {والجان {للجن كآدم للناس. وقيل: هو إبليس. وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد: والجأن بالهمزة {من نار السموم {من نار الحر الشديد النافذ في المسام. قيل: هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التي خلق الله منها الجان. {وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشر من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط على مستقيم إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم {. {وإذ قال ربك {واذكر وقت قوله {سويته {عدلت خلقته وكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها. ومعنى {ونفخت فيه من روحي {وأحييته وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وإنما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه. واستثنى إبليس من الملائكة لأنه كان بينهم مأموراً معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك: رأيتهم إلا هنداً. و {أبى {استئناف على تقدير قول قائل يقول: هلا سجد فقيل: أبى ذلك واستكبر عنه. وقيل: معناه ولكن إبليس أبى. حرف الجر مع أن محذوف. وتقديره {ما لك {في {ألا تكون مع الساجدين {بمعنى أي غرض لك في إبائك السجود. وأي داع لك إليه. اللام في {لأسجد {لتأكيد النفي. ومعناه: لا يصح مني وينافي حالي. ويستحيل أن أسجد لبشر {رجيم {شيطان من الذين يرجمون بالشهب أو مطرود من رحمة الله لأن من يطرد يرجم بالحجارة. ومعناه: ملعون لأن اللعن هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها. والضمير في {منها {راجع إلى الجنة أو السماء أو إلى جملة الملائكة. وضرب يوم الدين حداً للعنة إما لأنه أبعد غاية يضربها الناس في كلامهم كقوله {ما دامت السموات والأرض {هود: 107 في التأبيد. وإما أن يراد أنك مذموم مدعو عليك باللعن في السموات والأرض إلى يوم الدين من غير أن تعذب فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما يُنسى اللعن معه. و {يوم الدين {و {يوم يبعثون {و {يوم الوقت المعلوم {الحجر: 38 في معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكاً بالكلام طريقة البلاغة. وقيل: إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذي فيه يبعثون لئلا يموت لأنه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب إلى ذلك وأنظر إلى آخر أيام التكليف {بما أغويتني {الباء للقسم. وما مصدرية وجواب القسم {لأزينن {المعنى: أقسم بإغوائك إياي لأزينن لهم. ومعنى إغوائه إياه: تسبيبه لغيه بأن أمره بالسجود لآدم عليه السلام فأفضى ذلك إلى غيه. وما الأمر بالسجود إلا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لأمر اللّه ولكن إبليس اختار الإباء والاستكبار فهلك والله تعالى بريء من غيه ومن إرادته والرضا به ونحو قوله {بما أغويتني لأزينن لهم {قوله: {فبعزتك لأغوينهم أجمعين {ص: 82 في أنه إقسام إلا أن أحدهما إقسام بصفته والثاني إقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما. ويجوز أن لا يكون قسماً ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى: بسبب تسبيبك لإغوائي أقسم لأفعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لإغوائهم بأن أزين لهم المعاصي وأوسوس إليهم ما يكون سبب هلاكهم {في الأرض {في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى {أخلد إلى الأرض واتبع هواه {الأعراف:

176 أو أراد أني أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو في السماء فأنا على التزيين لأولاده في الأرض أقدر. أو أراد: لأجعلنّ مكان التزيين عندهم الأرض ولأوقعن تزييني فيها أي: لأزيننها في أعينهم ولأحدثنهم بأن الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا إليها دونها. ونحوه: استثنى المخلصين لأنه علم أن كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه. أي {هذا {طريق حق {علي {أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادي إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته: وقرئ: علي وهو من علو الشرف والفضل {لموعدهم {الضمير للغاوين. وقيل: أبواب النار أطباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنه: إن جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الأصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين. وقرئ: جزء بالتخفيف والتثقيل. وقرأ الزهري: جز بالتشديد كأنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي كقولك: خبء في خبء ثم وقف عليه بالتشديد كقولهم: الرجل ثم أجرى الوصل مجرى الوقف. {إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها في سلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم فيها بمخرجين {. المتقي على الإطلاق: من يتقي ما يجب اتقاؤه مما نهى عنه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها الصلوات وغيرها {ادخلوها {على إرادة القول. وقرأ الحسن: أدخلوها {بسلام {سالمين أو مسلماً عليكم: تسلم عليكم الملائكة. الغل: الحقد الكامن في القلب من انغل في جوفه وتغلغل أي: إن كان لأحدهم في الدنيا غل على آخر. نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم. وعن علي رضي الله عنه: أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم. وعن الحرث الأعور: كنت جالساً عنده إذ جاء ابن طلحة فقال له علي: مرحباً بك يا ابن أخي. أما والله إني لأرجو أن أكون أنا وأبوك ممن قال اللّه تعالى {وَنَزَعنَا مَا في صُدُورِهِم مِن غِل {فقال له قائل: كلا الله أعدل من أن يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال: فلمن هذه الآية لا أم لك وقيل:

معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التواد والتحاب. و {إخواناً {نصب على الحال. و {على سرر متقابلين {كذلك. وعن مجاهد. تدور بهم الأسرة حيثما داروا فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين.

{نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم {.

لما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه {نبئ عبادي {تقريراً لما ذكر وتمكيناً له في النفوس. وعن ابن عباس رضي الله عنه: غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب. وعطف {ونبئهم {على نبئ عبادي ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الأليم.

{ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم قال أبشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكونن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون {.

{سلاماً {أي نسلم عليك سلاماً أو سلمت سلاماً {وَجِلُونَ {خائفون وكان خوفه لامتناعهم من الأكل. وقيل: لأنهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت. وقرأ الحسن: لا توجل بضم التاء من أوجله يوجله إذا أخافه. وقرئ: لا تأجل. ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله. وقرئ: نبشرك بفتح النون والتخفيف {إنا نبشرك {استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل: أرادوا أنك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل. يعني {أبشرتموني {مع مس الكبر بأن يولد لي. أي: أن الولادة أمر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر {فبم تبشرون {هي ما الاستفهامية

دخلها معنى التعجب كأنه قال: فبأي أعجوبة تبشرونني أو أراد أنكم تبشرونني بما هو غير مقصور في العادة فبأي شيء تبشرون يعني لا تبشرونني في الحقيقة بشيء لأن البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء.

ويجوز أن لا يكون صلة لبشر ويكون سؤالاً عن الوجه والطريقة يعني: بأي طريقة تبشرونني بالولد والبشارة به لا طريقة لها في العادة. وقوله {بشرناك بالحق {يحتمل أن تكون الباء فيه صلة أي: بشرناك باليقين الذي لا لبس فيه أو بشرناك بطريقة هي حق وهي قول اللّه ووعده وأنه قادر على أن يوجد ولداً من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر. وقرئ: تبشرونَ بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والأصل تبشرونن وتبشرون بإدغام نون الجمع في نون العماد. وقرئ: من القنطين من قنط يقنط وقرئ: ومن يقنط بالحركات الثلاث في النون أراد: ومن يقنط من رحمة ربه إلا المخطئون طريق الصواب أو إلا الكافرون كقوله: {لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون {يوسف: 87 يعني: لم أستنكر ذلك قنوطاً من رحمته ولكن استبعاداً له في العادة التي أجراها الله.

{قال فما خطبكن أيها المرسلون قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين إلا آل لوط إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته إنها لمن الغاوين {.

فإن قلت قوله تعالى: {إلا آل لوط {استثناء متصل أو منقطع قلت لا يخلو من أن يكون استثناء من قوم فيكون منقطعاً لأن القوم موصوفون بالإجرام فاختلف لذلك الجنسان وأن يكون استثناء من الضمير في مجرمين فيكون متصلاً كأنه قيل: إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم كما قال {فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين {الذاريات: 36. فإن قلت: فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين قلت: نعم وذلك أن آل لوط مخرجون في المنقطع من حكم الإرسال وعلى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلاً.

ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال الحجر أو السهم إلى المرمي. في أنه في معنى التعذيب والإهلاك كأنه قيل: إنا أهلكنا قوماً مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم. وأما في المتصل فهم داخلون في حكم الإرسال وعلى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعاً ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الإرسال مخلصاً بمعنى الإهلاك والتعذيب كما في الوجه الأول. فإن قلت: فقوله {إنا لمنجوهم {بم يتعلق على الوجهين قلت: إذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن في الاتصال بآل لوط لأن المعنى. لكن آل لوط منجون وإذا اتصل كان كلاماً مستأنفاً كأن إبراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا: إنا لمنجوهم. فإن قلت: فقوله: {إلا امرأته {مم استثني وهل هو استثناء من استثناء قلت: استثنى من الضمير المجرور في قوله {لمنجوهم { وليس من الاستثناء من الاستثناء في شيء لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه وأن يقال: أهلكناهم إلا آل لوط إلا امرأته كما اتحد الحكم في قول المطلق: أنت طالق ثلاثاً إلا اثنتين إلا واحدة. وفي قول المقر: لفلان علي عشرة دراهم إلا ثلاثة إلا درهماً.

فأما في الآية فقد اختلف الحكمان لأن {إلا آل لوط {متعلق بأرسلنا أو بمجرمين و {إلا امرأته { قد تعلق بمنجوهم فأنى يكون استثناء من استثناء. وقرئ: لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل. فإن قلت: لم جاز تعليق فعل التقدير في قوله {قدرنا إنها لمن الغابرين {والتعليق من خصائص أفعال القلوب قلت: لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم. فإن قلت: فلم أسند الملائكة فعل التقدير وهو للّه وحده إلى أنفسهم ولم يقولوا: قدر الله قلت: لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذي

ليس لأحد غيرهم كما يقول خاصة الملك: دبرنا كذا وأمرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لا هم وإنما يظهرون بذلك اختصاصهم وأنهم لا يتميزون عنه. وقرئ: قدرنا بالتخفيف.

{فلما جاء آل لوط المرسلون قال إنكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون

وآتيناك بالحق وإنا لصادقون فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد

وامضوا حيث تؤمرون وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين }.

{منكرون {أي تنكركم نفسي وتنفر منكم فأخاف أن تطرقوني بشر بدليل قوله: {بل جئناك بما كانوا فيه يمترون {أي ما جئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك {بالحق {باليقين من عذابهم {وإنا لصادقون {في الإخبار بنزوله بهم. وقرئ: فأسر بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى. وروى صاحب الإقليد: فسر من السير والقطع في آخر الليل. قال: وقيل الباب وانظري في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل: هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل. فإن قلت: ما معنى أمره باتباع أدبارهم ونهيهم عن الالتفات قلت قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه وأهله إجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجراً فلم يكن له بد من الاجتهاد في شكر الله وإدامة ذكره وتفريغ باله لذلك فأمر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون مطلعاً عليهم وعلى أحوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاماً منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة المحذورة ولئلا يتخلف منهم أحد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدماً غير ملتفتين إلى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي إليه أخادعه كما قال: # تلفت نحو حيي حتى وجدتني وجعت من الإصغاء ليتاً وأخدعا أو جعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لأن من يلتفت لا بد له في ذلك من أدنى وقفة {حيث تأمرون {قيل: هو مصر وعدي {وامضوا {إلى {حيث {تعديته إلى الظرف المبهم لأن {حيث {مبهم في الأمكنة وكذلك الضمير في {تأمرون {وعدي {وقضينا { بإلى لأنه ضمن معنى: أوحينا كأنه قيل: وأوحينا إليه مقضياً مبتوتاً. وفسر {ذلك الأمر {بقوله {إن دابر هؤلاء مقطوع {وفي إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر وتعظيم له. وقرأ الأعمش: إن بالكسر على الاستئناف كأن قائلاً قال: أخبرنا عن ذلك الأمر فقال: إن دابر هؤلاء. وفي قراءة ابن مسعود: وقلنا إن دابر هؤلاء. ودابرهم: آخرهم يعني: يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد.

{وجاء أهل المدينة يستبشرون قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا

أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون

فأخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل إن في

ذلك لآيات للمتوسمين وإنها لسبيل مقيم إن في ذلك لآية للمؤمنين }.

{أهل المدينة {أهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة {فلا تفضحون {بفضيحة ضيفي لأن من أسيء إلى ضيفه أو جاره فقد أسيء إليه كما أن من أكرم من يتصل به فقد أكرم {ولا تخزون {ولا تذلونِ بإذلال ضيفي من الخزي وهو

الهوان. أو ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء {عَنِ العالمين {عن أن تجير منهم أحداً أو تدفع عنهم أو تمنع بيننا وبينهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان يقوم صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجر بينهم وبين المتعرض له فأوعدوه وقالوا: لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين. وقيل: عن ضيافة الناس وإنزالهم وكانوا نهوه أن يضيف أحداً قط {هؤلاء بناتي {إشارة إلى النساء لأن كل أمة أولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكأنه قال لهم: هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني فلا تتعرضوا لهم {إن كنتم فاعلين {شك في قبولهم لقوله كأنه قال: إن فعلتم ما أقول لكم وما أظنكم تفعلون. وقيل: إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ما حرم {لعمرك {على إرادة القول أي قالت الملائكة للوط عليه السلام: لعمرك {إنهم لفي سكرتهم {أي غوايتهم التي أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات {يعمهون {يتحيرون فكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك وقيل: الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أقسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط كرامة له والعمر والعمر واحد إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح لإيثار الأخف فيه وذلك لأن الحلف كثير الدور على ألسنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره: لعمرك مما أقسم به كما حذفوا الفعل. في قولك: بالّله. وقرئ: في سكرهم وفي سكراتهم {الصيحة {صيحة جبريل عليه السلام {مُشرِقِينَ {داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس {من سجيل {قيل: من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى: {حجارة من طين مسومة عند ربك {الذاريات: 33 - 34 أي معلمة بكتاب {للمتوسمين {للمتفرسين المتأملين. وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء. يقال: توسمت في فلان كذا أي عرفت وسمه فيه. والضمير في {عاليها سافلها {لقرئ قوم لوط {وإنها {وإن هذه القرى يعني آثارها {لسبيل مقيم {ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله: {وإنكم لتمرون عليهم مصبحين {الصافات: 137.

{وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين {.

{أصحاب الأيكة {قوم شعيب {وإنهما {يعني قرى قوم لوط والأيكة. وقيل: الضمير للأيكة ومدين لأن شعيباً كان مبعوثاً إليهما فلما ذكر الأيكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما {لبإمام مبين {لبطريق واضح والإمام اسم لما يؤتم به فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لأنها مما يؤتم به.

{ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون {.

{أصحاب الحجر {ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشأم {المرسلين {يعني بتكذيبهم صالحاً لأن من كذب واحداً منهم فكأنما كذبهم جميعاً أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين كما قيل: الخبيبون في ابن الزبير وأصحابه. وعن جابر: مررنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا {لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم. مثل ما أصاب هؤلاء {ثم زجر النبي صلى الله عليه وسلم راحلته فأسرع حتى خلفها {{آمنين {لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الأعداء وحوادث الدهر. أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه {ما كانوا يكسبون {من بناء البيوت الوثيقة والأموال والعدد.

{وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل {.

{إلا بالحق {إلا خلقاً ملتبساً بالحق والحكمة لا باطلاً وعبثاً. أو بسبب العدل والإنصاف يوم

الجزاء على الأعمال {وإن الساعة لآتية {وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيآتهم فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك {فاصفح {فأعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم إعراضاً جميلاً بحلم وإغضاء. وقيل: هو منسوخ بآية السيف.

ويجوز أن يراد به المخالقة فلا يكون منسوخاً.

{إن ربك هو الخلاق العليم {.

{إن ربك هو الخلاق {الذي خلقك وخلقهم وهو {العليم {بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم. أو إن ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الأصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح إلى أن يكون السيف أصلح. وفي مصحف أبي وعثمان: إن ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك: قطع الثياب. وقطع الثوب والثياب.

{ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم {.

{سبعاً {سبع آيات وهي الفاتحة. أو سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل: الأنفال وبراءة لأنهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية. وقيل سورة يونس.

وقيل: هي آل حم أو سبع صحائف وهي الأسباع. و {المثاني {من التثنية وهي التكرير لأن الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على اللّه الواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية. وأما السور أو الأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كأنها تثني على الله تعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى. ومن إما للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال وللبيان إذا أردت الأسباع. ويجوز أن يكون كتب الله كلها مثاني لأنها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها فإن قلت: كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو إلا عطف الشيء على نفسه قلت: إذا عنى بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل. ألا ترى إلى قوله: {بما أوحينا إليك هذا القرآن {يعني سورة يوسف: وإذا عنيت الأسباع فالمعنى: ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم أي: الجامع لهذين النعتين وهو الثناء أو التثنية والعظم.

{لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل إني أنا النذير المبين {.

أي: لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له {إلى ما متعنا به أزواجاً منهم {أصنافاً من الكفار. فإن قلت: كيف وصل هذا بما قبله قلت: يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم: قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وإن عظمت فهي إليها حقيرة ضئيلة وهي القرار العظيم فعليك أن تستغني به ولا تمدن عينيك إلى متاع الدنيا. ومنه الحديث: {ليس منا من لم يتغن بالقرآن {وحديث أبي بكر {من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيماً وعظم صغيراً {وقيل: وافت من بصرى وأذرعات: سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البر والطيب والجوهر وسائر الأمتعة فقال

المسلمون: لو كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل اللّه فقال لهم اللّه عز وعلا: لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع

{ولا تحزن عليهم }أي لا تتمن أموالهم ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلام وينتعش بهم المؤمنون وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفساً عن إيمان الأغنياء والأقوياء {وقل }لهم {إني أنا النذير المبن }أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم.

{كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين }.

فإن قلت: بم تعلق قوله: {كما أنزلنا }قلت: فيه وجهان أحدهما أن يتعلق بقوله: {ولقد آتيناك }الحجر: 87 أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على أهل الكتاب وهم المقتسمون {الذين جعلوا القرآن عضين }حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل وعضوه. وقيل: كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم: سورة البقرة لي ويقول الآخر: سورة آل عمران لي ويجوز أن يراد بالقرآن: ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبأن اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر وأساطير بأن غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم. والثاني أن يتعلق بقوله: {وقل إني أنا النذير المبين }الحجر: 89 أي: وأنذر قريشاً مثل ما أنزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ما جرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الإعجاز لأنه إخبار بما سيكون وقد كان. ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوباً بالنذير أي: أنذر المعضين الذين يجزؤن القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول اللّه صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم: لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر. ويقول الآخر: كذاب والآخر: شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وغيرهم أو مثل ما أنزلنا على الرهط الذين تقاسموا على أن يبيتوا صالحاً عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم. فإن قلت: إذا علقت قوله: {كما أنزلنَا }بقوله: {ولقد آتيناك }الحجر: 87 فما معني توسط {لا تمدن } الحجر: 88 إلى آخره بينهما قلت: لما كان ذلك تسلية لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الأمر بأن يقبل بمجامعه على المؤمنين {عضين }أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء. قال رؤبة: وليس دين الله بالمعضي وقيل: هي فعلة من عضهته إذا بهته وعن عكرمة: العضة السحر بلغة قريش يقولون للساحر ولعن النبي صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الأول واو وعلى الثاني هاء.

{فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون }.

{لنسألنهم }عبارة عن الوعيد. وقيل يسألهم سؤال تقريع. وعن أبي العالية: يسأل العباد عن

خلتين: عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين.

{فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين }.

{فاصدع بما تؤمر {فاجهر به وأظهره. يقال: صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً كقولك: صرح

بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة: الإبانة. وقيل: {فاصدع {فافرق بين الحق

والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله:

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به

وبجوز أن تكون ما مصدرية أي بأمرك مصدر من المبني للمفعول.

{إنا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلاهاً آخر فسوف يعلمون {.

عن عروة بن الزبير في المستهزئين: هم خمسة نفر ذوو أسنان وشرف: الوليد بن المغيرة والعاص

بن وائل والأسود بن عبد يغوث والأسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة. وعن ابن عباس

قال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أكفيكهم فأومأ إلى ساق الوليد

فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظماً لأخذه فأصاب عرقاً في عقبه فقطعه فمات

وأومأ إلى أخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال: لدغت لدغت وانتفخت رجله

حتى صارت كالرحى ومات وأشار إلى عيني الأسود بن المطلب فعمي وأشار إلى أنف

الحرث بن قيس فامتخط قيحاً فمات وإلى الأسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة

فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات.

{ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك

حتى يأتيك اليقين {.

{بما يقولون {من أقاويل الطاعنين فيك وفي القرآن {فسبح {فافزع فيما نابك إلى الله والفزع إلى

الله: هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم. ودم على عبادة ربك {حتى

يأتيك اليقين {أي الموت أي ما دمت حياً فلا تخل بالعبادة. وعن النبي صلى الله عليه وسلم:

{أنه كان إذا حز به أمر فزع إلى الصلاة عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم:

{من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والأنصار والمستهزئين

بمحمد صلى الله عليه وسلم.

سورة النحل

مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

{أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون.

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيباً

بالوعد فقيل لهم {أتى أمر الله {الذي هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه {فلا

تستعجلوه {روي أنه لما نزلت {اقتربت الساعة {القمر 1 قال الكفار فيما بينهم إن هذا يزعم أن

القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا: ما

نرى شيئاً فنزلت {اقترب للناس حسابهم {الأنبياء 1 فأشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت

الأيام قالوا: يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فنزلت {أتى أمر الله {فوثب رسول اللّه صلى

الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم فنزلت {فلا تستعجلوه {فاطمأنوا وقرئ: {تستعجلوه {

بالتاء والياء {سبحانه وتعالى عما يشركون {تبرأ عز وجل عن أن يكون له شريك وأن تكون

آلهتهم له شركاء أو عن إشراكهم. على أن {ما {موصولة أو مصدرية فإن قلت: كيف اتصل

هذا باستعجالهم قلت: لأن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك. وقرئ:

{ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون {

قرئ: {ينزل {بالتخفيف والتشديد وقرئ: {تنزل الملائكة {أي تتنزل {بالروح من أمره {بما يحيي

القلوب الميتة بالجهل من وحيه أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد و {أن أنذروا {بدل من

الروح أي ينزلهم بأن أنذروا وتقديره: بأنه أنذروا أي: بأن الشأن أقول لكم أنذروا. أو تكون

{أن {مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول. ومعنى أنذروا {أنه لا إله إلا أنا {أعلموا

بأن الأمر ذلك من نذرت بكذا إذا علمته. والمعنى: يقول لهم أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا

{فاتقون {.

{خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم

مبين {

ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات

والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه وما لا بد له منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وجر أثقاله

وسائر حاجاته وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه ومثله متعال عن أن يشرك به غيره.

وقرئ: {تشركون {بالتاء والياء {فإذا هو خصيم مبين {فيه معنيان أحدهما: فإذا هو منطيق

مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعد كان نطفة من مني جماداً لا حس به ولا

حركة دلالة على قدرته. والثاني: فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل: من يحيي

العظام وهي رميم وصفاً للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل والتمادي في كفران النعمة.

وقيل نزلت في أبي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال: يا محمد أترى الله يحيي هذا بعدما قد رم

{والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكون {

{الأنعام {الأزواج الثمانية وأكثر ما تقع على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله:

{والقمر قدرناه {ياسين: 39 ويجوز أن يعطف على الإنسان أي: خلق الإنسان والأنعام ثم

قال: {خلقها لكم {أي ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان والدفء: اسم ما يدفأ به

كما أن الملء اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر. وقرئ:

{دف {بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الفاء {ومنافع {هي نسلها ودرها وغير ذلك. فإن قلت:

تقديم الظرف في قوله {ومنها تأكلون {مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها. قلت: الأكل

منها هو الأصل الذي يعتمده الناس في معايشهم. وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط

وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل أن طعمتكم منها لأنكم

تحرثون بالبقر فالحب والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون بإكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها

{ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون }.

من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من

معاظمها لأن الرعيان إذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية

وتجاوب فيها الثغاء والرغاء أنست أهلها وفرحت أربابها وأجلتهم في عيون الناظرين إليها

وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس. ونحوه {لتركبوها وزينة }النحل: 8 {يواري سوآتكم وريشاً }

الأعراف: 26. فإن قلت: لم قدمت الإراحة على التسريح قلت: لأن الجمال في الإراحة

أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها. وقرأ عكرمة:

{حينا تريحون وحينا تسرحون {على أن {تريحون وتسرحون {وصف للحين. والمعنى: تريحون فيه

وتسرحون فيه كقوله تعالى: {يوماً لا يجزي والد }لقمان: 33.

{وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم }.

قرئ: بكسر الشين وفتحها. وقيل: هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق: وهي أن المفتوح

مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصاع. وأما الشق فالنصف

كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد. فإن قلت: ما معنى قوله: {لم تكونوا بالغيه {كأنهم

كانوا زماناً يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الإبل أثقالهم. قلت: معناه وتحمل أثقالكم إلى

بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الإبل إلا بجهد أنفسكم لا أنهم لم يكونوا بالغيه في

الحقيقة. فإن قلت: كيف طابق قوله: {لم تكونوا بالغيه {قوله: {{وتحمل أثقالكم {وهلا قيل: لم

تكونوا حامليها إليه قلت: طباقه من حيث أن معناه: وتحمل أثقالكم إلى بلد بعيد قد علمتم

أنكم لا تبلغونه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة فضلاً أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم. ويجوز أن

يكون المعنى: لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس. وقيل: أثقالكم أجرامكم. وعن عكرمة البلد

مكة {لرؤوف رحيم {حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح.

{والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون {.

{والخيل والبغال والحمير {عطف على الأنعام أي: وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على

حرمة أكل لحومهن بأن علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعد ما ذكره في الأنعام. فإن

قلت: لم انتصب {وزينة {قلت: لأنه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها. فإن قلت:

فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد قلت: لأن الركوب فعل المخاطبين وأما

الزينة ففعل الزائن وهو الخالق. وقرئ: لتركبوها زينة بغير واو أي: وخلقها زينة لتركبوها. أو

تجعل زينة حالاً منها أي: وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال {ويخلق ما لا تعلمون {يجوز أن

يريد به: ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمن علينا بذكره كما من بالأشياء المعلومة

مع الدلالة على قدرته. ويجوز أن يخبرنا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على

اقتداره بالإخبار بذلك وإن طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة

والنار مما لم يبلغه وهم أحد ولا خطر على قلبه.

{وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين }.

المراد بالسبيل: الجنس ولذلك أضاف إليها القصد وقال {ومنها جائر {والقصد مصدر بمعنى

الفاعل وهو القاصد. يقال: سبيل قصد وقاصد أي: مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه

السالك لا يعدل عنه. ومعنى قوله {وَعَلَى الله قصد السبيل {أن هداية الطريق الموصل إلى الحق

واجبة عليه كقوله: {إن علينا للهدى }الليل: 12. فإن قلت: لم غير أسلوب الكلام في قوله

{ومنها جائر {قلت: ليعلم ما يجوز إضافته إليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الأمر كما

تزعم المجبرة لقيل: وعلى اللّه قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر. وقرأ عبد اللّه: ومنكم

جائر يعني: ومنكم جائر جار عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه {ولو شاء لهداكم

أجمعين {قسراً وإلجاء.

{هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر وفيه تسيمون ينبت لكم به الزرع

والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون }.

{لكم {متعلق بأنزل أو بشراب خبراً له. والشراب ما يشرب {شَجَر {يعني الشجر الذي ترعاه

المواشي. وفي حديث عكرمة:

{لا تأكلوا ثمن الشجر فإنه سحت }. يعني الكلأ {تسيمون {من سامت الماشية إذا رعت فهي

سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لأنها تؤثر بالرعي علامات في

الأرض. وقرئ: ينبت بالياء والنون. فإن قلت: لم قيل {ومن كل الثمرات {قلت: لأن كل

الثمرات لا تكون إلا في الجنة وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة {يتفكرون ينظرون}

فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته. والآية: الدلالة الواضحة. وعن بعضهم: ينبت

بالتشديد. وقرأ أبي بن كعب: ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب بالرفع.

{وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم

يعقلون }.

قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات أو على أن معنى تسخيرها للناس: تصييرها

نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب

بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم. فكأنه قيل: ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما

خلقن له بأمره. ويجوز أن يكون المعنى: أنه سخرها أنواعاً من التسخير جمع مسخر بمعنى

تسخير من قولك: سخره الله مسخراً كقولك: سرحه مسرحاً كأنه قيل: وسخرها لكم

تسخيرات بأمره. وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر.

وقرئ: والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال {إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون }

فجمع الآية. وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء

والعظمة.

{وما زرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون }.

{وما زرأ لكم }معطوف على الليل والنهار يعني: ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير

ذلك مختلف الهيآت والمناظر.

{هو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلياً تلبسونها وترى الفلك مواخر

فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون }.

{لحماً طرياً }هو السمك ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه فيسارع إلى أكله خيفة

للفساد عليه. فإن قلت: ما بال الفقهاء قالوا: إذا حلف الرجل لا يأكل لحماً فأكل سمكاً لم

يحنث. واللّه تعالى سماه لحماً كما ترى قلت: مبنى الأيمان على العادة وعادة الناس إذا ذكر

اللحم على الإطلاق أن لا يفهم منه السمك وإذا قال الرجل لغلامه: اشتر بهذه الدراهم لحماً

فجاء بالسمك كان حقيقاً بالإنكار. ومثاله أن اللّه تعالى سمى الكافر دابة في قوله: إن شر

الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب داباً فركب كافراً لم يحنث. {حلية }

هي اللؤلؤ والمرجان. والمراد بلبسهم: لبس نسائهم لأنهن من جملتهم ولأنهن إنما يتزين بها من

أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم. المخر: شق الماء بحيزومها. وعن الفراء: هو صوت جري

الفلك بالرياح. وابتغاء الفضل: التجارة.

{وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهار وسبلاً لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم

يهتدون }.

{أن تميد بكم }كراهة أن تميل بكم وتضطرب والمائد: الذي يدار به إذا ركب البحر. قيل:

خلق الله الأرض فجعلت تمور فقالت الملائكة: ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد

أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت {وأنهاراً }وجعل فيها أنهاراً لأن {وألقى }فيه

معنى: جعل ألا ترى إلى قوله {ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً }النبأ: 6 {وعلامات }هي

معالم الطرق وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك. والمراد بالنجم: الجنس

كقولك: كثر الدرهم في أيدي الناس وعن السدي: هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي.

وقرأ الحسن: وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون

تخفيف. وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفاً. فإن قلت: قوله {وبالنجم هم يهتدون }مخرج عن

سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل: وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً

يهتدون فمن المراد بهم قلت: كأنه أراد قريشاً: كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان

لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا.

{أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون }.

فإن قلت: {من لا يخلق }أريد به الأصنام فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم قلت: فيه

أوجه أحدها: أنهم سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولي العلم. ألا ترى إلى قوله على

أثره {والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون }النحل: 20 والثاني: المشاكلة بينه

وبين من يخلق. والثالث: أن يكون المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف

بما لا علم عنده كقوله: {ألهم أرجل يمشون بها }الأعراف: 195 يعني أن الآلهة حالهم منحطة

عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب لأن هؤلاء أَحياء وهم أموات فكيف تصح لهم

العبادة لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصح أن يعبدوا. فإن قلت: هو إلزام للذين عبدوا

الأوثان وسموها آلهة تشبيهاً بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الإلزام أن يقال

لهم: أفمن لا يخلق كمن يخلق قلت: حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له

وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله تعالى من جنس المخلوقات وشبيهاً بها فأنكر عليهم ذلك

بقوله: {أفمن يخلق كَمَن لا يخلق }.

{وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون }.

{لا تحصوها }لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلاً أن تطيقوا القيام بحقها من أداء

الشكر أتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيهاً على أن وراءها ما لا ينحصر ولا ينعد {إن الله لغفور

رحيم }حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة ولا يقطعها عنكم لتفريطكم ولا

يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها {والله يعلم ما تسرون وما تعلنون }من أعمالكم وهو وعيد.

{والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان

يبعثون }.

{والذين يدعون {والآلهة الذين يدعوهم الكفار {من دون الله {وقرئ بالتاء. وقرئ: يدعون على

البناء للمفعول نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت

البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب. ومعنى:

{أموات غير أحياء {أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أي غير جائز عليها

الموت كالحي الذي لا يموت وأمرهم على العكس من ذلك. والضمير في {يبعثون {للداعين أي لا

يشعرون متى تبعث عبدتهم. وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف

يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم. وفيه دلالة على أنه لا بد من البعث وأنه من لوازم

التكليف. ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا

يقدرون على نحو ذلك فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها غير أحياء يعني أنَّ

من الأموات ما يعقب موته حياة كالنطف التي ينشئها الله حيواناً وأجساد الحيوان التي تبعث

بعد موتها. وأما الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة وذلك أعرق في موتها {وما يشعرون أيان

يبعثون {أي وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكم بحالها لأن شعور الجماد محال

فكيف بشعور ما لا يعلمه حي إلا الحي القيوم سبحانه. ووجه ثالث: وهو أن يراد بالذين

يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وأنهم أموات: أي لا بد لهم من الموت غير أحياء:

غير باقية حياتهم. وما يشعرون: ولا علم لهم بوقت بعثهم. وقرئ: إيان بكسر الهمزة.

{إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم

ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين }.

{إلهكم إله واحد }يعني أنه قد ثبت بما تقدم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره وأنها له وحده لا

شريك له فيها فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها: استمرارهم على شركهم وأن

قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها {لا جَرَم }حقاً {إن الله يعلم }

سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد {إنه لا يحب المستكبرين }يجوز أن يريد المستكبرين عن

التوحيد يعني المشركين. ويجوز أن يعم كل مستكبر. ويدخل هؤلاء تحت عمومه.

{وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن

أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون }.

{ماذا }منصوب بأنزل بمعنى: أي شيء {أنزل ربكم }أو مرفوع بالابتداء بمعنى: أي شيء أنزله

ربكم فإذا نصبت فمعنى {أساطير الأولين }ما يدعون نزوله أساطير الأولين وإذا رفعته

فالمعنى: المنزل أساطير الأولين كقوله: {ماذا ينفقون قل العفو }البقرة: 219 فيمن رفع. فإن

قلت: هو كلام متناقض لأنه لا يكون منزل ربهم وأساطير قلت: هو على السخرية كقوله: {إن

رسولكم }الشعراء: 27 وهو كلام بعضهم لبعض أو قول المسلمين لهم وقيل: هو قول

المقتسمين: الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سألهم

وفود الحاج عما أنزل على رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم

{ليحملوا أوزارهم }أي قالوا ذلك إضلالاً للناس وصداً عن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم

فحملوا أو زاد ضلالهم {كاملة }وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل

والضال شريكان: هذا يضله وهذا يطاوعه على إضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام

التعليل من غير أن يكون غرضاً كقولك: خرجت من البلد مخافة الشر {بغير علم {حال من

المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم

يعلم لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز المحق والمبطل.

{قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وآتاهم

العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم

قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم

فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم

خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين {.

القواعد: أساطين البناء التي تعمده. وقيل: الأساس وهذا تمثيل يعني: أنهم سووا منصوبات

ليمكروا بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنياناً وعمدوه

بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا. ونحوه: من

حفر لأخيه جباً وقع فيه منكباً. وقيل: هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة

آلاف ذراع. وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا. ومعنى إتيان الله:

إتيان أمره {من القواعد {من جهة القواعد {من حيث لا يشعرون {من حيث لا يحتسبون ولا

يتوقعون. وقرئ: فأتى الله بيتهم. فخز عليهم السقف بضمتين {يخزيهم {يذلهم بعذاب الخزي

{ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته {آل عمران: 192 يعني هذا لهم في الدنيا ثم العذاب في

الآخرة {شركائي {على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء

بهم {تشقون فيهم {تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم. وقرئ: تشاقونِ بكسر

النون بمعنى: تشاقونني لأن مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله {قال الذين أوتوا العلم }هم الأنبياء

والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم

ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفاً لمن سمعه. وقيل: هم

الملائكة قرئ: تتوفاهم بالتاء والياء. وقرئ: الذين توفاهم بإدغام التاء في التاء {فألقوا السلم }

فسالموا وأخبتوا وجاءوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا: {ما كنا

نعمل من سوء {وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان فرد عليهم أولو العلم {إن الله عليم

بما كنتم تعملون {فهو يجازيكم عليه وهذا أيضاً من الشماتة وكذلك {فادخلوا أبواب جهنم }.

{وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة

خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك

يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم

تعملون }.

{خيرا {أنزل خيراً فإن قلت: لم نصب هذا ورفع الأول قلت: فصلاً بين جواب المقر وجواب

الجاحد يعني أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفاً مفعولاً

للإنزال فقالوا خيراً: أي أنزل خيراً وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا: هو أساطير الأولين

وليس من الإنزال في شيء. وروي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي

صلى الله عليه وسلم فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا: إن لم تلقه كان

خيراً لك فيقول: أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه فيلقى

أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فهم الذين قالوا

خيراً. وقوله: {للذين أحسنوا {وما بعده بدل من خيراً حكاية لقوله: {للذين اتقوا {أي: قالوا

هذا القول فقدم عليه تسميته خيراً ثم حكاه. ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ عدة للقائلين ويجعل

قولِهم من جملة إحسانهم ويحمدوا عليه {حسنة {مكافأة في الدنيا بإحسانهم ولهم في الآخرة ما

هو خيرِ منها كقوله {فأتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة {آل عمران: 148 {وَلنعمَ دارُ

المتقينَ {دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره. و {جنات عدن {خبر مبتدأ محذوف

ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح {طَيِبين {طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي. لأنه في

مقابلة ظالمي أنفسهم {يقولون سلام عليكم {قيل: إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك

فقال: السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة.

{هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله

ولكن كانوا أنفسهم يظلمون فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون {.

{تأتيهم الملائكة {قرئ بالتاء والياء يعني: أن تأتيهم لقبض الأرواح. و {أمر ربك {العذاب

المستأصل أو القيامة {كَذَلِكَ {أي مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب {فعل الذين من قبلهم

وما ظلمهم الله {بتدميرهم {ولكن كانوا أنفسهم يظلمون {لأنهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير

{سيئات ما عملوا {جزاء سيئات أعمالهم. أو هم كقوله {وجزاء سيئة سيئة مثلها {الشورى:

40.

{وقال الذينأشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا دونه من

شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين {.

هذا من جملة ما عدد من أصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وإنكار وحدانيته بعد

قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله استهزاء منهم به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم

واستكبارهم عن قبول الحق يعني: أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل الله من البحيرة السائبة

وغيرهما ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا: لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه {كذلِكَ فعل

الذين من قبلهم {أي أشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم وركوه على ربهم {فهل

على الرسل {إلا أن يبلغوا الحق وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان ويطلعوا

على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله تعالى من أفعال العباد وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم

واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه.

{ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله اجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من

حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين {.

ولقد أمد إبطال قدر السوء ومشيئة الشر بأنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولاً يأمرهم

بالخير الذي هو الإيمان وعبادة اللّه وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت {فمنهم من هدى

الله {أي لطف به لأنه عرفه من أهل اللطف {ومنهم من حقت عليه الضلالة {أي ثبت عليه

الخذلان والترك من اللطف لأنه عرفه مصمماً على الكفر لا يأتي منه خير {فسيروا في الأرض

فانظروا {ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في أني لا أقدر الشر ولا أشاؤه حيث

أفعل ما أفعل بالأشرار.

ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على إيمانهم وعرفه أنهم من قسم

من حقت عليه الضلالة وأنه {لا يهدي من يضل {أي لا يلطف بمن يخذل لأنه عبث والله تعالى

متعال عن العبث لأنه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه. وقرئ: لا يُهدَى أي: لا تقدر أنت ولا

أحد على هدايته وقد خذله الله. وقوله {وما لهم من ناصرين {دليل على أن المراد بالإضلال

الخذلان الذي هو نقيض النصرة. ويجوز أن يكون {لا يهدي {بمعنى لا يهتدي. يقال: هداه الله

فهدي. وفي قراءة أبي فإن اللّه لا هادي لمن يضل ولمن أضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدي

على البناء للمفعول. وفي قراءة عبد الله. يهدي بإدغام تاء يهتدي وهي معاضدة للأولى.

وقرئ يضل بالفتح. وقرأ النخعي: إن تحرص بفتح الراء وهي لغية.

{وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا

يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين {.

{وأقسموا بالله {معطوف على {وقال الذين أشركوا {النحل: 35 إيذاناً بأنهما كفرتان عظيمتان

موصوفتان حقيقتان بأن تحكيا وتدونا: توريك ذنوبهم على مشيئة الله وإنكارهم البعث

مقسمين عليه. و {بلى {إثبات لما بعد النفي أي: بلى يبعثهم. ووعد الله: مصدر مؤكد لما دل

عليه بلى لأن يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة

{ولكن أكثر الناس لا يعلمون {أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب على الله لأنهم يقولون: لا يجب

على الله شيء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة {ليبين لهم {متعلق بما دل عليه {بلى {

أي يبعثهم ليبين لهم. والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذين اختلفوا فيه هو

الحق {وليعلم الذين كفروا {كذبوا في قولهم: لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء وفي قولهم:

لا يبعث الله من يموت. وقيل: يجوز أن يتعلق بقوله: {ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً}النحل: 36

أي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وأنهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب.

{إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون }.

{قولنا {مبتدأ و {أن نقول {خبره. {كنُ فَيكَوُنُ {من كان التامة التي بمعنى الحدوث والوجود أي:

إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له: احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا

مثل لأن مراداً لا يمتنع عليه وإن وجوده عند إرادته تعالى غير متوقف. كوجود المأمور به عند

أمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم. والمعنى: أن إيجاد كل مقدور

على اللّه تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات. وقرئ:

فيكون عطفاً على {نقول {.

{والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا

{والذين هاجروا {هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا

بدينهم إلى الله منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين. ومنهم من هاجر

إلى المدينة. وقيل: هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم

وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم: منهم بلال وصهيب وخباب وعمار. وعن صهيب أنه قال

لهم: أنا رجل كبير إن كنت معكم لم أنفعكم وإن كنت عليكم لم أضركم فافتدى منهم بماله

وهاجر فلما رآه أبو بكر رضي الله عنه قال له: ربح البيع يا صهيب. وقال له عمر: نعم

الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو بناء عظيم: يريد لو لم يخلق اللّه ناراً لأطاعه

فكيف {في الله {في حقه ولوجهه {حَسَنَة {صفة للمصدر أي لنبوأنهم تبوئة حسنة. وفي قراءة

علي رضي الله عنه. لنثوينهم ومعناه: أثوأة حسنة. وقيل: لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة وهي

الغلبة على أهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى أهل المشرق والمغرب. وعن

عمر رضي الله عنه أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاء قال: خذ بارك اللّه لك فيه

هذا ما وعدك ربك في الدنيا. وما ذخر لك في الآخرة أكثر وقيل: لنبوأنهم مباءة حسنة وهي

المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم {لو كانوا يعلمون {الضمير للكفار أي: لو علموا أن الله

يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم. ويجوز أن يرجع الضمير إلى

المهاجرين أي: لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم {الذين صبروا {على هم الذين

صبروا. أو أعني الذين صبروا وكلاهما مدح أي: صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن

الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة

وبذل الأرواح في سبيل اللّه.

{وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات

والزبر وأرسلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون {.

قالت قريش: اللّه أعظم من أن يكون رسوله بشراً فقيل {{وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً

نوحي إليهم {على ألسنة الملائكة {فسألوا أهل الذكر {وهم أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم

يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً. فإن قلت: بم تعلق قوله {بالبينات {قلت: له متعلقات شتى

فأما أن يتعلق بما أرسلنا داخلاً تحت حكم الاستثناء مع رجالاً أي: وما أرسلنا إلا رجالاً

بالبينات كقولك: ما ضربت إلا زيداً بالسوط لأن أصله: ضربت زيداً بالسوط وإما برجالاً

صفة له: أي رجالاً ملتبسين بالبينات. وإما بأرسلنا مضمراً كأنما قيل: بما أرسلوا فقلت:

بالبينات فهو على كلامين والأول على كلام واحد وإما بيوحي أي: يوحي إليهم بالبينات.

وإما بلا تعلمون على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام كقول الأجير: إن كنت عملت لك

فأعطني حقي. وقوله: {فسألوا أهل الذكر {اعتراض على الوجوه المتقدمة وأهل الذكر: أهل

الكتاب. وقيل للكتاب الذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين {ما نزل إليهم {يعني ما نزل الله إليهم

في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا {لعلهم يتفكرون {وإرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته

فيتنبهوا ويتأملوا.

{أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا

يشعرون أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف

رحيم {.

{مكروا السيئات {أي المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله

عليه وسلم {في تقلبهم {متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم {على تخوف {متخوفين

وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله

{من حيث لا يشعرون {وقيل: هو من قولك: تخوفنه وتخونته إذا تنقصته قال زهير:

تخوف الرحل منها تامكاً قرداً كما تخوف عود النبعة السفن

أي يأخذهم على أن يتنقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا. وعن عمر

رضي الله عنه. أنه قال على المنبر: ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال: هذه

لغتنا: التخوف التنقص. قال: فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال: نعم قال شاعرنا.

وأنشد البيت. فقال عمر: أيها الناس عليكم بديوانكم لا يضل. قالوا: وما ديواننا قال: شعر

الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم {فإن ربكم لرؤوف رحيم {حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع

استحقاقكم.

{أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤوا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم

داخرون {.

قرئ: أو لم يروا ويتفيؤوا بالياء والتاء. وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه {من شيء

يتفيؤوا ظلاله {واليمين بمعنى الأيمان. و {سجداً {حال من الظلال. {وهم داخرون {حال من

الضمير في ظلاله لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لأن

الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب. والمعنى: أو لم يروا إلى ما

خلق الله من الأجرام التي لها ظلال متفيئة عن إيمانها وشمائلها أي عن جانبي كل واحد منها.

وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء أي: ترجع الظلال من جانب إلى جانب

منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها. له من التفيؤ والأجرام في أنفسها داخرة أيضاً صاغرة

منقادة لأفعال اللّه فيها لا تمتنع.

{ولله يجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من

فوقهم ويفعلون ما يؤمرون {.

{من دابة {يجوز أن يكون بياناً لما في السموات وما في الأرض جميعاً على أن في السموات خلقاً

لله يدبون فيها كما يدب الأناسي في الأرض وأن يكون بياناً لما في الأرض وحده ويراد بما في

السموات: الخلق الذي يقال له الروح وأن يكون بياناً لما في الأرض وحده ويراد بما في السموات:

الملائكة وكرر ذكرهم على معنى: والملائكة خصوصاً من بين الساجدين لأنهم أطوع الخلق

وأعبدهم. ويجوز أن يراد بما في السموات: ملائكتهن. وبقوله والملائكة: ملائكة الأرض من

الحفظة وغيرهم فإن قلت: سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم

فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد قلت: المراد بسجود المكلفين: طاعتهم وعبادتهم وبسجود

غيرهم: انقياده لإرادة اللّه وأنها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعها معنى الانقياد فلم

يختلفا فلذلك جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد. فإن قلت: فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء

من الدواب على غيرهم قلت: لأنه لوجيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولاً

للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم {يخافون {يجوز أن يكون حالاً

من الضمير في {لا يستكبرون {أي: لا يستكبرون خائفين وأن يكون بياناً لنفي الاستكبار وتأكيداً

له لأن من خاف اللّه لم يستكبر عن عبادته {من فوقهم {إن علقته بيخافون فمعناه: يخافونه أن

يرسل عليهم عذاباً من فوقهم وإن علقته بربهم حالاً منه فمعناه: يخافون ربهم عالياً لهم قاهراً

كقوله {وهو القاهر فوق عباده }الأنعام: 18 61 {وإنا فوقهم قاهرون }الأعراف: 127 وفيه

دليل على أن الملائكة مكلفون مداورن على الأمر والنهي والوعد والوعيد كسائر المكلفين وأنهم

بين الخوف والرجاء.

{وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون }.

فإن قلت: إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندي رجال ثلاثة

وأفراس أربعة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص. وأما رجل ورجلان وفرس

وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال: رجل واحد ورجلان

اثنان فما وجه قوله إلهين اثنين قلت: الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين: على

الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما والذي يساق إليه

الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد إليه والعناية به. ألا ترى أنك لو قلت:

إنما هو إله ولم تؤكده بواحد: لم يحسن وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية {فإياي فارهبون }

نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم وجاز لأن الغالب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو

{وله ما في السموات والأرض وله الدين واصباً أفغير الله تتقون }.

{الدين }الطاعة {واصباً }حال عمل فيه الظرف. والواصب: الواجب الثابت لأن كل نعمة

منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه. ويجوز أن يكون من الوصب أي: وله الدين ذا كلفة

ومشقة ولذلك سمي تكليفاً. أو: وله الجزاء ثابتاً دائماً سرمداً لا يزول يعني الثواب والعقاب.

{وما بكم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجرءون ثم إذا كشف الضر عنكم إذا

فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون }.

{وما بكم من نعمة }وأفي شيء حل بكم أو اتصل بكم من نعمة فهو من اللّه {فإليه تجرءون }

فما تتضرعون إلا إليه والجؤار: رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة. قال الأعشى يصف راهباً:

يراوح من الصلوات الملي ك طوراً سجوداً وطوراً جؤارا

وقرئ: تجرون بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم. وقرأ قتادة كاشف الضر على: فاعل

بمعنى فعل وهو أقوى من كشف لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة. فإن قلت: فما معنى قوله:

{إذا فريق منكم بربهم يشركون }قلت: يجوز أن يكون الخطاب في قوله: {وما بكم من نعمة فمن

الله }عاماً ويريد بالفريق: فريق الكفرة وأن يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض

كأنه قال فإذا فريق كافر وهم أنتم. ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله {فلما نجاهم إلى البر

فمنهم مقتصد }لقمان: 32 {ليكفروا بما آتيناهم }من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم

في الشرك كفران النعمة {فتمتعوا فسوف تعلمون {تخلية ووعيد. وقرئ: فيُمَتعوا بالياء مبنياً

للمفعول عطفاً على {ليكفروا {ويجوز أن يكون: ليكفروا فيمتعوا من الأمر الوارد في معنى

الخذلان والتخلية واللام لام الأمر.

{ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون {.

{لما لا يعلمون {أي لآلهتهم. ومعنى لا يعلمونها: أنه يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع

وتشفع عند الله وليس كذلك. وحقيقتها أنها جماد لا يضر ولا ينفع فهم إذاً جاهلون بها

وقيل: الضمير في {لا يعلمون {للآلهة. أي: لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها

نصيباً في أنعامهم وزروعهم أم لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقرباً إليهم {لتسألن {وعيد {عما

كنتم تفترون {من الإفك في زعمكم أنها آلهة وأنها أهل للتقرب إليها.

{ويجعلون لله البنات سبحانه ولهم ما يشتهون وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو

كظيم يتورى عن القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما

يحكمون {.

كانت خزاعة وكنانة تقول: الملائكة بنات الله {سبحانه {تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه. أو

تعجب من قولهم {ولهم ما يشتهون {يعني البنين. ويجوز في {ما يشتهون {الرفع على الابتداء

والنصب على أن يكون معطوفاً على البنات أي: وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور. و

{ظَلَ {بمعنى صار كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى الصيرورة. ويجوز أن يجيء ظل لأن

أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتماً مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس {وَهُوَ كظِيمٌ {

مملوء حنقاً على المرأة {يتوارى من القوم {يستخفي منهم {من {أجل {سوء {المبشر به ومن أجل

تعييرهم ويحدث نفسه وينظر أيمسك ما بشر به {على هون {على هوان وذل {أم يدسه في

التراب {أم يئده. وقرئ: أيمسكها على هون أم يدسها على التأنيث. وقرئ: على هوان ألا ساء

ما يحكمُوْنَ {حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله ويجعلون لأنفسهم من هو على

عكس هذا الوصف.

{للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم {.

{مثل السوء {صفة السوء: وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث ووأدهن خشية

الإملاق وإقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ {ولله المثل الأعلى {وهو الغني عن العالمين والنزاهة

عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم.

{ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء

{بظلمهم {بكفرهم ومعاصيهم {ما ترك عليها {أي على الأرض {من دابة {قط ولأهلكها كلها

بشؤم ظلم الظالمين. وعن أبي هريرة: أنه سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال: بلى

والله حتى أن الحباري لتموت في وكرها بظلم الظالم. وعن ابن مسعود: كاد الجعل يهلك في

جحره بذنب ابن آدم. أو من دابة ظالمة. وعن ابن عباس {من دابة {من مشرك يدب عليها.

وقيل: لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء.

{يجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم

مفرطون {.

{يجعلون لله ما يكرهون {لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم ومن الاستخفاف

برسلهم والتهاون برسالاتهم. ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها {وتصف ألسنتهم {مع

ذلك {أن لهم الحسنى {عند الله كقوله {ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى {فصلت

0 وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوي اليسار: كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله تعالى: هاتوا

ما دفع إلى السلاطين وأعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة. وإذا قال: هاتوا

ما دفع إلي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له أما تستحي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية

وعن مجاهد: أن لهم الحسنى. هو قول قريش: لنا البنون وأن لهم الحسنى: بدل من الكذب.

وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للألسنة {مفرطون {قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففاً

ومشدداً فالمفتوح بمعنى مقدمون إلى النار معجلون إليها من أفرطت فلاناً وفرطته في طلب

الماء إذا قدمته. وقيل منسيون متروكون من أفرطت فلاناً خلفي إذا خلفته ونسيته. والمكسور

المخفف من الإفراط في المعاصي. والمشدد. من التفريط في الطاعات وما يلزمهم.

{تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب

أليم }.

{فهو وليهم اليوم {حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها. أو فهو وليهم

في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا. ومعنى {وليهم {قرينهم وبئس القرين. أو يجعل

{فهو وليهم اليوم {حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار أي فهو ناصرهم اليوم

لا ناصر لهم غيره نفياً للناصر لهم على أبلغ الوجوه ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش

وأنه زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولي وهؤلاء: لأنهم منهم. ويجوز أن يكون على حذف

المضاف أي: فهو ولي أمثالهم اليوم.

{وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون والله أنزل

من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون }.

{وهدى ورحمة {معطوفان على محل {لتبين {إلا أنهما انتصبا على أنهما معفول لهما لأنهما فعلا

الذي أنزل الكتاب. ودخل اللام على لتبين: لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل. وإنما ينتصب

مفعولاً له ما كان فعل فاعل الفعل المعل. والذي اختلفوا فيه: البعث لأنه كان فيهم من يؤمن به

ومنهم عبد المطلب وأشياء من التحريم والإنكار والإقرار {لقوم يسمعون} سماع إنصاف وتدبر

لأن من لم يسمع بقلبه فكأنه أصم لا يسمع.

{وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين}.

ذكر سيبويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال كقولهم: ثوب

أكياش ولذلك رجع الضمير إليه مفرداً. وأما {في بطونها} المؤمنون: 21 في سورة المؤمنين:

فلأن معناه الجمع. ويجوز أن يقال في الأنعام وجهان أحدهما: أن يكون تكثير نعم كأجبال في

جبل وأن يكون اسماً مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع كنعم فإذا ذكر فكما يذكر أنعم في قوله:

في كل عام نعم تحوونه يلفحه قوم وتنتجونه

وإذا أنث ففيه وجهان: أنه تكسير نعم. وأنه في معنى الجمع. وقرئ: نَسقيكم بالفتح والضم

وهو استئناف كأنه قيل: كيف العبرة فقيل نسقيكم {من بين فرث ودم} أي يخلق الله اللبن

وسيطاً بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون

ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله. قيل: إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في

كرشها طبخته فكان أسفله فرثاً وأوسطه لبناً وأعلاه دماً. والكبد مسلطة على هذه

الأصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضرع وتبقى الفرث في الكرش.

فسبحان اللّه ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل. وسئل شقيق عن الإخلاص

فقال: تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم {سائغاً} سهل المرور في الحلق ويقال:

لم يغص أحد باللبن قط. وقرئ: سيغاً بالتشديد. وسيغاً بالتخفيف. كهين ولين. فإن قلت: أي

فرق بين من الأولى والثانية قلت: الأولى للتبعيض لأن اللبن بعض ما في بطونها كقولك: أخذت

من مال زيد ثوباً. والثانية: لابتداء الغاية لأن بين الفرث والدم مكان الإسقاء الذي منه يبتدأ

فهو صلة لنسقيكم كقولك: سقيته من الحوض ويجوز أن يكون حالاً من قوله {لبناً مقدماً}

عليه فيتعلق بمحذوف أي: كائناً من بين فرث ودم. ألا ترى أنه لو تأخر فقيل: لبناً من بين فرث

ودم كان صفة له وإنما قدم لأنه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم. وقد احتج بعض من يرى أن

المني طاهر على من جعله نجساً لجريه في مسلك البول بهذه الآية وأنه ليس بمستنكر أن يسلك

مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهراً.

{ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون }.

فإن قلت: بم تعلق قوله {ومن ثمرات النخيل والأعناب {قلت: بمحذوف تقديره: ونسقيكم من

ثمرات النخيل والأعناب أي: من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله: {تتخذون

منه سكراً {بيان وكشف عن كنه الإسقاء. أو يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد

كقولك: زيد في الدار فيها ويجوز أن يكون {تتخذون {صفة موصوف محذوف كقوله:

جادت بكفى كان من أرمى البشر

تقديره: ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً لأنهم يأكلون بعضها

ويتخذون من بعضها السكر. فإن قلت: فإلام يرجع الضمير في منه إذا جعلته ظرفاً مكرراً

قلت: إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى {أو هم قائلون {الأعراف:

إلى الأهل المحذوف والسكر: الخمر سميت بالمصدر من سكر سكراً وسكراً. نحو رشد

رشداً ورشداً. قال:

وجاؤنا بهم سكر علينا فأجلى اليوم والسكران صاحى

وفيه وجهان: أحدهما أن تكون منسوخة. وممن قال بنسخها: الشعبي والنخعي. والثاني: أن

يجمع بين العتاب والمنة. وقيل: السكر النبيذ. وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى

يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبي حنيفة إلى حد السكر ويحتج بهذه الآية

{الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب {وبأخبار جمة. ولقد صنف شيخنا أبو علي

الجبائي قدس الله روحه غير كتاب في تحليل النبيذ فلما شيخ وأخذت منه السن العالية قيل له:

لو شربت منه ما تتقوى به فأبى. فقيل له: فقد صنفت في تحليله فقال: تناولته الدعارة

فسمج في المروءة. وقيل: السكر الطعم وأنشد:

جعلت أعراض الكرام سكراً

أي تنقلت بأعراضهم وقيل هو من الخمر وإنه إذا ابترك في أعراض الناس فكأنه تخمر بها.

والرزق الحسن: الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك. ويجوز أن يجعل السكر رزقاً حسناً

كأنه قيل: تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن.

{وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل

الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في

ذلك لآية لقوم يتفكرون }.

الإيحاء إلى النحل: إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لأحد إلى

الوقوف عليه وإلا فنيقتها في صنعتها ولطفها في تدبير أمرها وإصابتها فيما يصلحها دلائل

بينة شاهدة على أن الله أودعها علماً بذلك وفطنها كما أولى أولي العقول عقولهم. وقرأ يحيى

بن وثاب {إلى النحل {بفتحتين. وهو مذكر كالنحل وتأنيثه على المعنى {أن اتخذي {هي أن

المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول. وقرئ: بيوتاً بكسر الباء لأجل الياء. و {يعرشون {بكسر

الراء وضمها: يرفعون من سقوف البيوت. وقيل: ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من

الأماكن التي تتعسل فيها. والضمير في يعرشون للناس فإن قلت: ما معنى من في قوله {أَنِ أتخذي

مِنَ الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون {وهلا قيل في الجبال وفي الشجر قلت: أريد معنى

البعضية وأن لا تبني بيوتها في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها {ومن

كل الثمرات {إحاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد أكلها أي ابني البيوت ثم كلي من كل

ثمرة تشتهينها فإذا أكلتها {فاسلكي سبل ربك {أي الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل.

أو فاسلكي ما أكلت في سبل ربك أي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلاً من

أجوافك ومنافذ مآكلك. أو إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي إلى بيوتك

راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني أنها ربما أجدب عليها ما حولها

فتسافر إلى البلد البعيد في طلب النجعة. أو أراد بقوله: {ثم كلي {ثم اقصدي أكل الثمرات

فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك {ذللاً {جمع ذلول وهي حال من السبل لأن اللّه ذللها

لها ووطأها وسهلها كقوله: {هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا {الملك: 15 أو من الضمير في

{فاسلكي {أي: وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة {شراب {يريد العسل لأنه مما يشرب

{مختلف ألوانه {منه أبيض وأسود وأصفر وأحمر {فيه شفاء للناس {لأنه من جملة الأشفية والأدوية

المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل وليس الغرض أنه شفاء

لكل مريض كما أن كل دواء كذلك. وتنكيره إما لتعظيم الشفاء الذي فيه أو لأن فيه بعض

الشفاء وكلاهما محتمل. وعن النبي صلى الله عليه وسلم:

أن رجلاً جاء إليه فقال: إن أخي يشتكي بطنه فقال: {اذهب وأسقه العسل {فذهب ثم رجع

فقال: قد سقيته فما نفع فقال: {اذهب واسقه عسلاً {فقد صدق الله وكذب بطن أخيك

فسقاه فشفاه اللّه فبرأ كأنما أنشط من عقال. وعن عبد اللّه بن مسعود:

{العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين: القرآن والعسل {.

ومن بدع تأويلات الرافضة: أن المراد بالنحل علي وقومه. وعن بعضهم أنه قال عند المهدي: إنما

النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من

بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم.

{والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم

قدير {.

{إلى أرذل العمر {إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة عن علي رضي اللّه عنه وتسعون

سنة عن قتادة: لأنه لا عمر أسوأ حالاً من عمر الهرم {لكي لا يعلم بعد علم شيئاً {ليصير إلى

حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وأن يعلم شيئاً ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه.

وقيل: لئلا يعقل من بعد عقله الأول شيئاً: وقيل: لئلا يعلم زيادة علم على علمه.

{والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم

فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون {.

أي: جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم وإخوانكم

فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى

عن أبي ذر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{إنما هم إخوانكم فاكسوهم مما تلبسون وأطعموهم مما تطعمون {فما رؤي عبده بعد ذلك إلا

ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت {أفبنعمة الله يجحدون {فجعل ذلك من جملة جحود

النعمة. وقيل: هو مثل ضربه اللّه للذين جعلوا له شركاء فقال لهم: أنتم لا تسؤون بينكم وبين

عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم. فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف

رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء. وقيل المعنى أن الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعاً فهم في

رزقي سواء فلا تحسبن الموالي أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئاً من الرزق. فإنما

ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم. وقرئ: يجحدون بالتاء والياء.

{والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من

الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون {.

{من أنفسكم {من جنسكم. وقيل: هو خلق حواء من ضلع آدم. والحفدة: جمع حافد وهو

الذي يحفد أي يسرع في الطاعة والخدمة. ومنه قول القانت. وإليك نسعى ونحفد وقال:

حفد الولائد بينهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجمال

واختلف فيهم فقيل: هم الأختان على البنات وقيل: أولاد الأولاد وقيل: أولاد المرأة من الزوج

الأول وقيل: المعنى وجعل لكم حفدة أي خدماً يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز أن

يراد بالحفدة: البنون أنفسهم كقوله: {سكراً ورزقاً حسناً {النحل: 67 كأنه قيل وجعل لكم

منهن أولاداً هم بنون وهم حافدون أي جامعون بين الأمرين {من الطيبات {يريد بعضها لأن كل

الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها {أفبالباطل يؤمنون {وهو ما يعتقدون من

منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها. وما هو إلا وهم باطل لم يتوصلوا إليه بدليل ولا أمارة فليس

لهم إيمان إلا به كأنه شيء معلوم مستيقن. ونعمة اللّه المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي

عقل وتمييز: هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول. وقيل: الباطل

يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما. ونعمة اللّه: ما أحل لهم.

{ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون }.

الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فإن أردت المصدر نصبت به {شيئاً }كقوله {أو

إطعام... يتيماً }البلد: 14 على لا يملك أن يرزق شيئاً. وإن أردت المرزوق كان شيئاً بدلاً

منه بمعنى قليلاً ويجوز أن يكون تأكيداً للا يملك: أي لا يملك شيئاً من الملك. و {من السموات

والأرض }صلة للرزق إن كان مصدراً بمعنى: لا يرزق من السموات مطراً ولا من الأرض نباتاً.

أو صفة إن كان اسماً لما يرزق. والضمير في {ولا يستطيعون }لما لأنه في معنى الآلهة بعد ما

قيل {لا يملك }على اللفظ. ويجوز أن يكون للكفار يعني: ولا يستطيع هؤلاء مع أنهم أحياء

متصرفون أولو ألباب من ذلك شيئاً فكيف بالجماد الذي لا حس به. فإن قلت: ما معنى

قوله: {ولا يستطيعون }بعد قوله {لا يملك }وهل هما إلا شيء واحد قلت: ليس في إلا

يستطيعون تقدير راجع وإنما المعنى: لا يملكون أن يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم أصلاً

لأنهم موات إلا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة للتوكيد أو يراد: أنهم لا

يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم.

{فلا تضربوا لله الأمثال }تمثيلِ للإشراك باللّه والتشبيه به لأن من يضرب الأمثال مشبه حالاً

بحال وقصة بقصة {إن الله يعلم }كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم

لأن العقاب على مقدار الإثم {وأنتم لا تعلمون }كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي جزكم إليه

وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك. ويجوز أن يراد: فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم

كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون.

{وضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه

سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون {.

ثم علمهم كيف تضرب فقال: مثلكم في إشراككم بالله الأوثان: مثل من سوى بين عبد مملوك

عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالاً فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء.

فإن قلت: لم قال {مملوكاً لا يقدر على شيء {وكل عبد مملوك وغير قادر على التصرف قلت:

أما ذكر المملوك فليميز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعاً لأنهما من عباد الله. وأما {لا

يقدر على شيء {فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لأنهما يقدران على التصرف. واختلفوا في

العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر أنه يصح له. فإن قلت: {من {في قوله {ومن رزقناه {

ما هي قلت: الظاهر أنها موصوفة كأنه قيل وحراً رزقناه ليطابق عبداً. ولا يمتنع أن تكون

{وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا

يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صرط مستقيم {.

الأبكم الذي ولد أخرس فلا يَفهم ولا يُفهم {وهو كل على مولاه {أي ثقل وعيال على من يلي

أمره ويعوله {أينما يوجهه {حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت

بنجح {هل يستوي هو ومن {هو سليم الحواس نفاعاً ذو كفايات مع رشد وديانة فهو {يأمر {

الناس {بالعدل {والخير {وهو {في نفسه {على صرط مستقيم {على سيرة صالحة ودين قويم.

وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه

الدينية والدنيوية وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع وقرئ: أينما يوجه بمعنى أينما

يتوجه من قولهم: أينما أوجه ألق سعداً: وقرأ ابن مسعود: أينما يُوَجَّهَ على البناء للمفعول.

{ولله غيب السموات والأرض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل

شيء قدير }.

{ولله غيب السموات والأرض }أي يختص به علم ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه.

أو أراد بغيب السموات والأرض: يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم

يطلع عليه أحد منهم {إلا كلمح البصر أو هو أقرب }أي هو عند اللّه وإن تراخى كما تقولون أنتم

في الشيء الذي تستقربونه: هو كلمح البصر أو هو أقرب إذا بالغتم في استقرابه. ونحوه قوله:

{ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف اللّه وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون }الحج:

7 أي هو عنده دان وهو عندكم بعيد. وقيل: المعنى أن إقامة الساعة وإماتة الأحياء وإحياء

الأموات من الأولين والآخرين يكون في أقرب وقت وأوحاه {إن الله على كل شيء قدير }فهو

يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لأنه بعض المقدورات. ثم دل على قدرته بما بعده.

{والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم

تشكرون }.

قرئ أمهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في أمات كما زيدت في أراق فقيل: أهراق.

وشذت زيادتها في الواحدة قال:

أمهتني خندف وإلياس أبي

{لا تعلمون شيئاً }في موضع الحال. ومعناه: غير عالمين شيئاً من حق المنعم الذي خلقكم في

البطون وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة. وقول: {وجعل لكم }معناه: وما

ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من

شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي إلى ما يسعدكم. والأفئدة في فؤاد كالأغربة في

غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة إذا لم يرد في السماع غيرها كما

جاء شسوع في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى.

{ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون }.

قرئ: ألم يروا بالتاء والياء {مسخرات }مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب

المواتية لذلك. والجو: الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلو والسكاك أبعد منه واللوح مثله

{ما يمسكهن }في قبضهن وبسطهن ووقوفهن {إلا الله }بقدرته.

{والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم

ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين }.

{من بيوتكم }التي تسكنونها من الحجر والمدر والأخبية وغيرها. والسكن: فعل بمعنى مفعول

وهو ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف {بيوتاً }هي القباب والأبنية من الأدم والأنطاع

{تستخفونها }ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل {يوم ظعنكم ويوم إقامتكم }أي يوم

ترحلون خف عليكم حملها ونقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها. أو هي

خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر جميعاً على أن اليوم بمعنى الوقت {ومتاعاً }وشيئاً ينتفع

به {إلى حين }إلى أن تقضوا منه أوطاركم. أو إلى أن يبلى ويفنى أو إلى أن تموتوا. وقرئ: يوم

{والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر

وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون }.

{مما خلق {من الشجر وسائر المستظلات {أكناناً {جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت

المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف {سرابيل {هي القمصان والثياب من الصوف والكتان

والقطن وغيرها {تقيكم الحر {لم يذكر البرد لأن الوقاية من الحر أهم عندهم وقلما يهمهم البرد

لكونه يسيراً محتملاً. وقيل: ما يقي من الحر يقي من البرد فدل ذكر الحر على البرد {وسرابيل

تقيكم بأسكم {يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره

{لعلكم تسلمون {أي تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له. وقرئ: تسلمون من

السلامة: أي تشكرون فتسلمون من العذاب. أو تسلم قلوبكم من الشرك. وقيل: تسلمون من

الجراح بلبس الدروع

{فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون }.

{{فإن تولوا {فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعدما أديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر

سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب {يعرفون نعمة الله {التي عددناها حيث يعترفون بها

وأنها من اللّه {ثم ينكرونها {بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم: هي من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا.

وقيل: إنكارهم قولهم ورثناها من آبائنا. وقيل: قولهم لولا فلان ما أصبت كذا لبعض نعم الله.

وإنما لا يجوز التكلم بنحو هذا إذا لم يعتقد أنها من اللّه وأنه أجراها على يد فلان وجعله سبباً

في نيلها {وأكثرهم الكافرون {أي الجاحدون غير المعترفين. وقيل: نعمة الله نبوة محمد عليه

السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عناداً وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم. فإن قلت: ما

معنى ثم قلت: الدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف

النعمة أن يعترف لا أن ينكر.

{ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون وإذا رأى الذين ظلموا

العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون }.

{شهيداً }نبيهاً يشهد لهم وعليهم بالإيمان والتصديق والكفر والتكذيب {ثم لا يؤذن للذين

كفروا }في الاعتذار. والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الإذن على أن حجة لهم ولا عذر وكذا

عن الحسن {ولا هم يستعتبون }ولا هم يسترضون أي: لا يقال لهم أرضوا ربكم لأن الآخرة

ليست بدار عمل. فإن قلت: فما معنى ثم هذه قلت معناها أنهم يمنون بعد شهادة الأنبياء

بما هو أطم منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة.

وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره: واذكر يوم نبعث أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك

إذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم {فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون }كقوله {بل تأتيهم بغتة

فتبهتهم }الأنبياء: 40 الآية.

{وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا

إليهم القول إنكم لكاذبون وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون }.

إن أرادوا بالشركاء آلهتهم فمعنى {شركاؤنا }آلهتنا التي دعوناها شركاء. وإن أرادوا

الشياطين فلأنهم شركاؤهمفي الكفر وقرناؤهم في الغي: و {ندعو }بمعنى نعبد فإن قلت: لم قالوا:

{إنكم لكاذبون }وكانوا يعبدونهم على الصحة قلت: لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن

عبادتهم لم تكن عبادة. والدليل عليه قول الملائكة {كانوا يعبدوا الجن }سبأ: 41 يعنون أن الجن

كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة تنزيهاً

لله من الشريك. وإن أريد بالشركاء الشياطين جاز أن يكون كاذبين في قولهم {إنكم لكاذبون {

كما يقول الشيطان: إني كفرت به أشركتموني من قبل {وألقوا {يعني الذين ظلموا. وإلقاء السلم:

الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا {وضل عنهم {وبطل عنهم {ما كانوا

يَفْترونَ {من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم.

{الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون {.

{الذين كفروا {في أنفسهم وحملوا غيرهم على الكفر: يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا

كفرهم. وقيل في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة

فيجد صاحبها حمتها أربعين خريفاً. وقيل: يخرجون من النار إلى الزمهرير فيبادرون من شدة

برده إلى النار {بما كانوا يفسدون {بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله.

{ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك

الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى وحمة وبشرى للمسلمين {.

{شهيداً عليهم من أنفسهم {يعني نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم {وجئنا بك {يا

محمد {شهيداً على هؤلاء {على أمتك {تبياناً {بياناً بليغاً ونظير تبيان تلقاء في كسر أوله وقد

جوز الزجاج فتحه في غير القرآن. فإن قلت: كيف كان القرآن تبياناً {لكل شيء {قلت:

المعنى أنه بين كل شيء من أمور الدين حيث كان نصاً على بعضها وإحالة على السنة حيث

أمر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته. وقيل: وما ينطق عن الهوى. وحثاً

على الإجماع في قوله: {ويتبع غير سبيل المؤمنين {النساء: 115 وقد رضي رسول اللّه صلى

الله عليه وسلم لأمته اتباع أصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله صلى الله عليه وسلم:

{أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم }وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس

والاجتهاد فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى تبيان الكتاب فمن ثم كان

تبياناً لكل شيء.

{إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي لعلكم

تذكرون }.

العدل هو الواجب لأن اللّه تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعاً تحت

طاقتهم {والإحسان }الندب وإنما علق أمره بهما جميعاً لأن الفرض لا بد من أن يقع فيه تفريط

فيجبره الندب ولذلك

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال: والله لازدت فيها ولا نقصت:

{أفلح إن صدق }فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم:

{استقيموا ولن تحصوا }فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل. والفواحش: ما

جاوز حدود الله {والمنكر }ما تنكره العقول {والبغي }طلب التطاول بالظلم وحين أسقطت من

الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه أقيمت هذه الآية مقامها. ولعمري

إنها كانت فاحشة ومنكراً وبغياً ضاعف الله لمن سنها غضباً ونكالاً وخزياً إجابة لدعوة نبيه:

{وعاد من عاداه }وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون.

{وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً إن

الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً

بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه

تختلفون }.

عهد الله: هي البيعة لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم على الإسلام {إن الذين يبايعونك إنما

يبايعون الله }الفتح: 10. {ولا تنقضوا {إيمان البيعة {بعد توكيدها {أي بعد توثيقها باسم الله.

وأكد ووكد: لغتان فصيحتان والأصل الواو والهمزة بدل {كفيلاً {شاهداً ورقيباً لأن الكفيل

مراع لحال المكفول به مهيمن عليه {ولا تكونوا {في نقض الأيمان كالمرأة التي أنحت على غزلها بعد

أن أحكمته وأبرمته فجعلته {أنكاثاً {جمح نكث وهو ما ينكث فتله. قيل: هي ريطة بنت سعد

بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة عليِ قدرها

فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن {تتخذون {حال

و {دخلاً {أحد مفعولي اتخذ. يعني: ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلاً {بينكم {أي مفسدة

ودغلاً {أن تكون أمة {بسبب أن تكون أمة يعني جماعة قريش {هي أربى من أمة {هي أزيد

عدداً وأوفر مالاً. من أمة من جماعة المؤمنين {إنما يبلوكم الله به {الضمير لقوله: أن تكون أمة

لأنه في معنى المصدر أي: إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد اللّه

وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترون

بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم {ليبينن لكم {إنذار وتحذير من

مخالفة ملة الإسلام.

{ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم

تعملون }.

{ولو شاء الله لجعلكم أمة {حنيفة مسلمة على طريق الإلجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك

{ولكن {الحكمة اقتضت أن يضل {من يشاء {وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر ويصمم عليه

{ويهدي من يشاء {وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الإيمان. يعني: أنه بنى الأمر على الاختيار

وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الإجبار الذي لا يستحق به

شيء من ذلك وحققه بقوله: {ولتسألن عما كنتم تعملون {ولو كان هو المضطر إلى الضلال

والاهتداء لما أثبت لهم عملا يسألون عنه.

{ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بعد صددتم عن سبيل

الله ولكم عذاب عظيم {.

ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلا بينهم تأكيداً عليهم وإظهاراً لعظم ما يركب منه {فتزل

قدم بعد ثبوتها {فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها {وتذوقوا السوء {في الدنيا

بصدودكم {عَن سَبِيلِ الله {وخروجكم من الدين. أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة

وارتدوا لا تخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها {ولكم عذاب عظيم {في الآخرة.

{و لا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون {.

كان قوماً ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم

المسلمين وإيذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا ما بايعوا عليه

رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله {ولا تشتروا {ولا تستبدلوا {بعهد الله {وبيعة رسول

اللّه صلى الله عليه وسلم {ثمناً قليلاً {عرضاً من الدنيا يسيراً وهو ما كانت قريش يعدونهم

ويمنونهم إن رجعوا {إنما عند الله {من إظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة {خير لكم {.

{ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون {.

{ما عندكم {من أعراض الدنيا {ينفد وما عند الله {من خزائن رحمته {باق {لا ينفد وقرئ:

لنجزين بالنون والياء {الذين صبروا {على أذى المشركين ومشاق الإسلام. فإن قلت: لم وحدت

القدم ونكرت قلت: لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه فكيف

{من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما

كانوا يعملون }.

فإن قلت: {من {متناول في نفسه للذكر والأنثى فما معنى تبيينه بهما قلت: هو مبهم صالح

على الإطلاق للنوعين إلا أنه إذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل {من ذكر أو أنثى {على

التبيين ليعم الموعد النوعين جميعاً {حياة طيبة {يعني في الدنيا وهو الظاهر لقوله {ولنجزينهم }

وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله {فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة {آل عمران:

48 وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً إن كان موسراً فلا

مقال فيه. وإن كان معسراً فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله. وأما الفاجر

فأمره على العكس: إن كان معسراً فلا إشكال في أمره وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن

يتهنأ بعيشه. وعن ابن عباس رضي الله عنه: الحياة الطيبة: الرزق الحلال. وعن الحسن:

القناعة. وعن قتادة: يعني في الجنة. وقيل: هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه.

{فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا

وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون }.

لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله {فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله {إيذاناً بأن

الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب. والمعنى: فإذ أردت قراءة القرآن

فاستعذ كقوله {إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم} المائدة: 6 وكقولك: إذا أكلت فسم

الله. فإن قلت: لم عبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل قلت: لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة

بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوي وملابسة ظاهرة. وعن عبد اللّه بن مسعود

رضي الله عنه:

قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم

فقال لي: {يا ابن أم عبد قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام

عن القلم عن اللوح المحفوظ {}ليس له سلطان {أي تسلط وولاية على أولياء الله يعني: أنهم لا

يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته {إنما سلطانه {على من يتولاه ويطيعه {به

مشركون {الضمير يرجع إلى ربهم. ويجوز أن يرجع إلى الشيطان على معنى: بسببه وغروره

ووسوسته.

{وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون }.

تبديل الآية مكان الآية: هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لأنها مصالح وما كان

مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة. والله تعالى عالم بالمصالح

والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته. وهذا معنى قوله {والله أعلم بما ينزل قالوا

إنما أنت مفتر {للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون:

إن محمداً يسخر من أصحابه: يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً فيأتيهم بما هو أهون ولقد

افتروا فقد كان ينسخ الأشق بالأهون والأهون بالأشق والأهون بالأهون والأشق بالأشق لأن

الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة. فإن قلت: هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القرآن

إنما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والإجماع والقياس قلت: فيه أن قرآناً ينسخ بمثله

وليس فيه نفي نسخه بغيره على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في إيجاب العلم فنسخه

بها كنسخه بمثله وأما الإجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها.

{قل نزله روح القدس من ربك الحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين }.

في {ينزل }و {نزله }وما فيهما من التنزيل شيئاً فشيئاً على حسب الحوادث والمصالح: إشارة إلى

أن التبديل من باب المصالح كالتنزيل وأن ترك النسخ بمنزلة إنزاله دفعة واحدة في خروجه عن

الحكمة. و {روح القدس }جبريل عليه السلام أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال: حاتم

الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم لجواد وزيد الخير. والمقدس المطهر من المآثم.

وقرئ: بضم الدال وسكونها {بالحق }في موضع الحال أي نزله ملتبساً بالحكمة يعني أن النسخ

من جملة الحق {ليثبت الذين آمنوا }ليبلوهم بالنسخ حتى إذا قالوا فيه: هو الحق من ربنا

والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب على أن الله حكيم فلا يفعل إلا

ما هو حكمة وصواب {وهدى وبشرى }مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت. والتقدير: تثبيتا

لهم وإرشاداً وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم. وقرئ: ليثبت

بالتخفيف.

{ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي

مبين }.

أرادوا بالبشر: غلاماً كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن إسلامه اسمه عائش أو

يعيش وكان صاحب كتب. وقيل: هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي. وقيل

عبدان: جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل فكان رسول الله صلى

الله عليه وسلم إذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا: يعلمانه فقيل لأحدهما فقال. بل

هو يعلمني. وقيل: هو سلمان الفارسي. واللسان: اللغة. ويقال: ألحد القبر ولحده وهو ملحد

وملحود إذا أمال حفره عن الاستقامة فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن استقامة

فقالوا: ألحد فلان في قوله وألحد في دينه. ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله

عن دين إلى دين. والمعنى: لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان {أعجمي {

غير بين {وهذا {القرآن {لسن عربي مبين {ذو بيان وفصاحة رداً لقولهم وإبطالاً لطعنهم وقرئ:

يلحدون بفتح الياء والحاء. وفي قراءة الحسن: اللسان الذي يلحدون إليه بتعريف اللسان. فإن

قلت: الجملة التي هي قوله: {لسان الذي يلحدون إليه أعجمي {ما محلها قلت: لا محل لها

لأنها مستأنفة جواب لقولهم. ومثله قوله {الله أعلم حيث يجعل رسالته {الأنعام: 124 بعد قوله

{وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل اللّه {الأنعام: 124.

{إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم إنما يفتري الكذب الذين لا

يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون {.

{إن الذين لا يؤمنون بآيات الله {أي يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون {لا يهابهم اللّه {لا يلطف بهم

لأنهم من أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من أهل اللطف والثواب {إنما يفتري

الكذب {رد لقولهم {إنما أنت مفتر {يعني: إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب

عقاباً عليه {وأولئك {إشارة إلى قريش {هم الكاذبون {أي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون. أو

إلى الذين لا يؤمنون. أي أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لأن تكذيب آيات

الله أعظم الكذب: أو أولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه

{من كفر بالله من بعد إيمانه إلا إن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً

فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله

لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم

الغافلون لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون }.

{من كفر {بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل {وأولئك هم الكاذبون} النحل:

05 اعتراضاً بين البدل والمبدل منه. والمعنى: إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه

واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال: {ولكن من شرح بالكفر صدراً }

أي طاب به نفساً واعتقده {فعليهم غضب من الله {ويجوز أن يكون بدلاً من المبتدأ الذي هو

{وأولئك {على: ومن كفر باللّه من بعد إيمانه هم الكاذبون. أو من الخبر الذي هو الكاذبون

على: وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه. ويجوز أن ينتصب على الذم. وقد جوزوا أن

يكون {من كفر بالله {شرطاً مبتدأ ويحذف جوابه لأن جواب {من شرح {دال عليه كأنه قيل:

من كفر باللّه فعليهم غضب إلا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب روي:

أن ناساً من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من أكره فأجرى

كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان منهم عمار وأبواه ياسر وسمية وصهيب وبلال

وخباب وسالم: عذبوا فأما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا: إنك

أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام وأما عمار فقد

أعطاهم ما أرادوا بلسانه مُكرهاً. فقيل يا رسول الله إن عماراً كفر فقال: {كلا إن عماراً

مليء إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه {فأتى عمار رسول اللّه صلى الله

عليه وسلم وهو يبكي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال: {مالك! إن عادوا

لك فعد لهم بما قلت {ومنهم جبر مولى الحضرمي. أكرهه سيده فكفر ثم أسلم مولاه وأسلم

وحسن إسلامهما وهاجرا فإن قلت: أي الأمرين أفضل أفعل عمار أم فعل أبويه قلت: بل

فعل أبويه لأن في ترك التقية والصبر على القتل إعزازاً للإسلام. وقد روي:

أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد قال: رسول الله. قال: فما تقول

في قال أنت أيضاً فخلاه. وقال للآخر: ما تقول في محمد قال: رسول الله. قال: فما تقول

في قال أنا أصم. فأعاد عليه ثلاثاً فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول اللّه صلى الله عليه

وسلم فقال: {أما الأول فقد أخذ برخصة الله. وأما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له {. {ذلك }

إشارة إلى الوعيد وأن الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة

واستحقاقهم خذلان اللّه بكفرهم {وأولئك هم الغافلون {الكاملون في الغفلة الذين لا أحد أغفل

{ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور

رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون }.

{ثم إن ربك {دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك وهم عمار وأصحابه. ومعنى: إن

ربك لهم أنه لهم لا عليهم بمعنى أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك

للرجل لا عليه فيكون محمياً منفوعاً غير مضرور {من بعد ما فتنوا {بالعذاب والإكراه على

الكفر. وقرئ: {فتنوا {على البناء للفاعل أي: بعدما عذبوا المؤمنين كالحضرمي وأشباهه {من

بعدها {من بعد هذه الأفعال وهي الهجرة والجهاد والصبر {يوم تأتي {منصوب برحيم. أو

بإضمار اذكر. فإن قلت: ما معنى النفس المضافة إلى النفس قلت: يقال لعين الشيء وذاته

نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الأولى هي الجملة والثانية عينها

وذاتها فكأنه قيل: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول: نفسي

نفسي. ومعنى المجادلة عنها: الاعتذار عنها كقوله: {هؤلاء أضلونا {الأعراف: 38 {ما كنا

مشركين {الأنعام: 23 ونحو ذلك.

{وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله

فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم

{وضرب الله مثلاً {أي جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم

النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته. فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن

تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلاً لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها

{مطمئنة {لا يزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف {رغداً {

واسعاً. والأنعم: جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع. أو جمع نعم كبؤس

وأبؤس. وفي الحديث:

نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى: {إنها أيام طعم ونعم فلا تصوموا {.

فإن قلت: الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والإذاقة المستعارة موقعة على

اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها عليه قلت: أما الإذاقة فقد جرت عندهم مجرى

الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون: ذاق فلان البؤس والضر

وأذاقه العذاب: شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع. وأما اللباس

فقد شبه به لاشتماله على اللابس: ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث. وأما إيقاع

الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيل:

فأذاقه ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الإحاطة بهما فإن

الاستنكار لا يقع إلا لمن فقدهما أحدهما: أن ينظروا فيه إلى المستعار له كما نظر إليه ههنا.

ونحوه قول كثير:

غمر الرداء إذا تبسم ضاحكا غلقت لضحكته رقاب المال

استعارة الرداء للمعروف لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه. ووصفه بالغمر

الذي هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظر إلى المستعار له. والثاني: أن ينظروا فيه

إلى المستعار كقوله:

ينازعني ردائي عبد عمرو رويدك يا أخا عمرو بن بكر

لي الشطر الذي ملكت يميني ودونك فاعتجر منه بشطر

أراد بردائه سيفه ثم قال: فاعتجر منه بشطر فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار ولو نظر

إليه فيما نحن فيه لقيل: فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير: ضافي الرداء إذا تبسم

ضاحكاً {وهم ظالمون {في حال التباسهم بالظلم كقوله: {الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم {

نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة. وقرئ: والخوف عطفاً على اللباس أو على

تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه. أصله: ولباس الخوف. وقرئ: لباس الخوف

والجوع.

{فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون إنما حرم عليكم

الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم {.

لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أوتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء

في قوله {فكلوا {صدهم عن أفعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها بأن أمرهم بأكل

ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر إنعامه بذلك وقال: {إن كنتم إياه تعبدون {يعني

تطيعون. أو إن صح زعمكم أنكم تعبدون اللّه بعبادة الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده. ثم عدد

عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله

على لسان أنبيائه.

{ولا تقولوا لمن تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن

الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم {.

وانتصاب {الكذب {بلا تقولوا على: ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل

والحرمة في قولكم {ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا {الأنعام: 139

من غير استناد ذلك الوصف إلى وحي من اللّه أو إلى قياس مستند إليه واللام مثلها في قولك:

ولا تقولوا لما أحل اللّه هو حرام. وقوله: {هذا حلال وهذا حرام {بدل من الكذب. ويجوز أن

يتعلق بتصف على إرادة القول أي: ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال

وهذا حرام. ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق {هذا حلال وهذا

حرام {بلا تقولوا: على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب أي: لا

تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم لا لأجل حجة وبينة ولكن

قول ساذج ودعوى فارغة. فإن قلت: ما معنى وصف ألسنتهم الكذب قلت: هو من فصيح

الكلام وبليغه جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب

بحليته وصورته بصورته كقولهم: وجهها يصف الجمال. وعينها تصف السحر. وقرئ: الكذب

بالجر صفة لما المصدرية كأنه قيل: لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى {بدم كذب {

يوسف: 18 والمراد بالوصف: وصفها البهائم بالحل والحرمة. وقرئ: الكذب جمع كذوب

بالرفع صفة للألسنة وبالنصب على الشتم. أو بمعنى: الكلم الكواذب أو هو جمع الكذاب من

قولك: كذب كذاباً ذكره ابن جني. واللام في {لتفتروا} من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض

{متاع قليل} خبر مبتدأ محذوف أي منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة

وعقابها عظيم.

{وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم

{ما قصصنا عليك} يعني في سورة الأنعام.

{إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور

رحيم}.

{بجهالة} في موضع الحال أي: عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه أو غير متدبرين

للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم {من بعدها} من بعد التوبة.

{إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى

صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة من الصالحين}.

{كان أمة} فيه وجهان أحدهما: أنه كان وحده أمة من الأمم لكماله في جميع صفات الخير

كقوله:

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وعن مجاهد: كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار. والثاني: أن يكون أمة بمعنى مأموم أي:

يؤمه الناس ليأخذوا منه الخير أو بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما أشبه ذلك مما جاء من

فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله {قال إني جاعلك للناس إماماً} البقرة: 124 وروى الشعبي

عن فروة بن نوفل الأشجعي عن ابن مسعود أنه قال: إن معاذاً كان أمة قانتاً لله فقلت: غلطت

إنما هو إبراهيم. فقال: الأمة الذي يعلم الخير. والقانت المطيع للّه ورسوله وكان معاذ كذلك.

وعن عمر رضي اللّه عنه أنه قال حين قيل له: ألا تستخلف: لو كان أبو عبيدة حياً

لاستخلفته: ولو كان معاذ حياً لاستخلفته. ولو كان سالم حياً لاستخلفته فإني سمعت رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول:

{أبو عبيدة أمين هذه الأمة ومعاذ أمة قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون

وسالم شديد الحب للّه لو كان لا يخاف الله لم يعصه {وهو ذلك المعنى أي: كان إماماً في

الدين لأن الأئمة معلموا الخير. والقانت: القائم بما أمره الله. والحنيف: المائل إلى ملة الإسلام غير

الزائل عنه. ونفى عنه الشرك تكذيباً لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم

{شاكراً لأنعمه {روي أنه كان لا يتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفاً فأخر غداءه

فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاماً فقال:

الآن وجبت مواكلتكم شكراً لله على أنه عافاني وابتلاكم {اجتباه {اختصه واصطفاه للنبوة

{وهداه إلى صراط مستقيم {إلى ملة الإسلام {حَسَنَة {عن قتادة: هي تنويه الله بذكره حتى

ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه. وقيل: الأموال والأولاد وقيل: قول المصلي منا: كما صليت

على إبراهيم {لمن الصالحين {لمن أهل الجنة.

{ثم أوحينا إليك {في ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجلال

محله والإيذان بأن أشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم من الكرامة وأجل ما أولي من النعمة: اتباع

رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته. من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من

بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها.

{إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه

يختلفون {.

{السبت {مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها. إنما جعل وبال السبت وهو المسخ {على

الذين اختلفوا فيه {واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم

أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه.

والمعنى في ذكر ذلك نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بأنعم الله مثلاً وغير ما ذكر وهو

الإنذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره والخالعين ربقة طاعته. فإن قلت: ما

معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعاً محلين أو محرّمين قلت: معناه أنه يجازيهم جزاء اختلاف

فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرمين أخرى ووجه آخر: وهو أن موسى عليه السلام أمرهم أن

يجعلوا في الأسبوع يوماً للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا: نريد اليوم الذي فرغ اللّه

فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا

اختلافهم في السبت لأن بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فأذن اللّه لهم في السبت

وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون فيه وأعقابهم

لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم {بينهم يوم القيامة {فيجازي كل

واحد من الفريقين بما يستوجبه. ومعنى جعل السبت: فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد

فيه. وقرئ: إنما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد اللّه: إنا أنزلنا السبت.

{ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن

ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين {.

{إلى سبيل ربك {إلى الإسلام {بالحكمة {بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق

المزيل للشبهة {والموعظة الحسنة {وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم

فيها. ويجوز أن يريد القرآن أي: ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة {وجادلهم

بالتي هي أحسن {بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا

تعنيف {إن ربك هو أعلم {بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا

خير فيه عجزت عنه الحيل وكأنك تضرب منه في حديد بارد.

{وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك إلا

بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون {.

سمي الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة. والمعنى: إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه

فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه. وقرئ: وإن عقبتم فعقبوا أي: وإن قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما

فعل بكم. روي:

أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد: بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا أحداً غير ممثول

به إلا حنظلة بن الراهب فوقف رسول اللّه صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به

وروي: فرآه مبقور البطن فقال: {أما والذي أحلف به لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين

مكانك {فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف في تحريم المثلة. وقد وردت

الأخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور. إما أن يرجع الضمير في {لهو {إلى صبرهم وهو

مصدر صبرتم. ويراد بالصابرين: المخاطبون أي: ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع

الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد. أو وصفهم بالصفة

التي تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة. وإما أن يرجع إلى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم

ويراد بالصابرين جنسهم كأنه قيل: وللصبر خير وللصابرين ونحوه قوله تعالى {فمن عفا وأصلح

فأجره على الله {الشورى: 40. {وأن تعفوا أقرب للتقوى {البقرة: 237 ثم قال لرسوله صلى

الله عليه وسلم {اصبر {أنت فعزم عليه بالصبر {وما صبرك إلا بالله {أي بتوفيقه وتثبيته وربطه

على قلبك {ولا تحزن عليهم {أي على الكافرين كقوله {فلا تأس على القوم الكافرين {المائدة:

8 أو على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون {ولا تك في ضيق {وقرئ: ولا تكن في ضيق أي: ولا

يضيقن صدرك من مكرهم والضيق: تخفيف الضيق أي في أمر ضيق. ويجوز أن يكون الضيق

والضيق مصدرين كالقيل والقول {إن الله مع الذين اتقوا {أي هو ولي الذين اجتنبوا المعاصي {و }

ولي {والذين هم محسنون {في أعمالهم. وعن هرم بن حيان أنه قيل له حين احتضر: أوص. فقال:

إنما الوصية من المال ولا مال لي وأوصيكم بخواتم سورة النحل. عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم:

{من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه في دار الدنيا وإن مات في يوم تلاها أو ليلته

كان له من الأجر كالذي مات وأحسن الوصية {.

سورة الإسراء

مكية وآياتها 111

سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه

من آياتنا إنه هو السميع العليم {.

{سبحان {علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره: أسبح الله

سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التي

يضيفها إليه أعداء الله. و {أسرى {وسرى لغتان. و {ليلاً {نصب على الظرف فإن قلت: الإسراء

لا يكون إلا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت: أراد بقوله {ليلاً {بلفظ التنكير: تقليل مدة

الإسراء وأنه أسرى به في بعض الليل من مكة إلى الشأم مسيرة أربعين ليلة وذلك. أن التنكير

فيه قد دل على معنى البعضية. ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة: من الليل أي بعض الليل

كقوله {ومن الليل فتهجد به نافلة {الإسراء: 79 يعني الأمر بالقيام في بعض الليل. واختلف في

المكان الذي أسرى منه فقيل: هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر. وروي عن النبي صلى الله

عليه وسلم:

{بينما أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل عليه السلام

بالبراق {وقيل: أسري به من دار أم هانئ بنت أبي طالب والمراد بالمسجد الحرام: الحرم

لإحاطته بالمسجد والتباسه به. وعن ابن عباس: الحرم كله مسجد وروي:

{أنه كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على

أم هانئ. وقال: مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج إلى المسجد فتشبثت أم هانئ بثوبه

فقال: مالك قالت: أخشى أن يكذبك قومك إن أخبرتهم قال:. وإن كذبوني فخرج فجلس

إليه أبو جهل فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الإسراء فقال أبو جهل: يا معشر

بني كعب بن لؤي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجباً وإنكاراً. وارتد

ناس ممن كان قد آمن به وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: إن كان قال ذلك لقد

صدق. قالوا: أتصدقه على ذلك قال: إني لأصدقه على أبعد من ذلك فسمي الصديق.

وفيهم من سافر إلى ماثم فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر إليه وينعته

لهم فقالوا: أما النعت فقد أصاب فقالوا: أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها

وقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو

الثنية فقال قائل منهم: هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر: وهذه والله العير قد أقبلت

يقدمها جمل أورق كما قال محمد.

ثم لم يؤمنوا وقالوا: ما هذا إلا سحر مبين وقد عرج به إلى السماء في تلك الليلة وكان العروج

به من بيت المقدس وأخبر قريشاً أيضاً بما رأى في السماء من العجائب وأنه لقي الأنبياء وبلغ

وعن أنس والحسن أنه كان قبل البعث واختلف في أنه كان في اليقظة أم في المنام فعن عائشة

رضي اللّه عنها أنها قالت {والله ما فقد جسد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم ولكن عرج

بروحه {وعن معاوية: إنما عرج بروحه. وعن الحسن. كان في المنام رؤيا رآها. وأكثر الأقاويل

بخلاف ذلك. والمسجد الأقصى: بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد باركنا حوله {

يريد بركات الدين والدنيا لأنه متعبد الأنبياء من وقت موسى ومهبط الوحي وهو محفوف

بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة. وقرأ الحسن: ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ

الغائب والمتكلم فقيل: أسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم إنه هو

وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة إنه هو السميع {لأقوال محمد {البصير {بأفعاله

العالم بتهذبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك.

{وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني إسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلاً ذرية من حملنا

مع نوح إنه كان عبداً شكوراً {.

{ألا تتخذوا {قرئ بالياء على: لئلا يتخذوا وبالتاء على: أي لا تتخذوا كقولك: كتبت إليه أن

أفعل كذا {وكيلاً {بما تكلون إليه أموركم {ذرية من حملنا {نصب على الاختصاص. وقيل: على

النداء فيمن قرأ لا تتخذوا بالتاء على النهي يعني: قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلاً يا ذرية

من حملنا {مع نوح {وقد يجعل {وكيلا ذرية من حملنا {مفعولي تتخذوا أي لا تجعلوهم أرباباً

كقوله {ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً {ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير

عليهم السلام وقرئ: ذرية من حملنا بالرفع بدلاً من واو {تتخذوا {وقرأ زيد بن ثابت: ذِرية

بكسر الذال. وروي عنه أنه قد فسرها بولد الولد ذكرهم اللّه النعمة في إنجاء آبائهم من الغرق

{إنه {إن نوحاً {كان عبداً شكوراً {قيل: كان إذا أكل قال: الحمد لله الذي أطعمني ولو شاء

أجاعني. وإذا شرب قال: الحمد لله الذي سقاني ولو شاء أظمأني. وإذا اكتسى قال: الحمد

لله الذي كساني ولو شاء أعراني. وإذا احتذى قال: الحمد لله الذي حذاني ولو شاء

أحفاني. وإذا قضى حاجته قال: الحمد للّه الذي أخرج عني أذاه في عافية ولو شاء حبسه.

وروي أنه كان إذا أراد الإفطار عرض طعامه على من آمن به فإن وجده محتاجاً آثره به. فإن

قلت: قوله إنه كان عبداً شكوراً ما وجه ملاءمته لما قبله قلت: كأنه قيل: لا تتخذوا من

دوني وكيلاً ولا تشركوا بي لأن نوحاً عليه السلام كان عبداً شكوراً وأنتم ذرية من آمن به

وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم. ويجوز أن يكون تعليلاً لاختصاصهم

والثناء عليهم بأنهم أولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستأهلوا لذلك الاختصاص. ويجوز

أن يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد.

{وقضينا على بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً فإذا جاء

وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً

ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً {.

{وقضينا على بني إسرائيل {وأوحينا إليهم وحياً مقضياً أي مقطوعاً مبتوتاً بأنهم يفسدون في

الأرض لا محالة ويعلون أي: يتعظمون ويبغون {في الكتاب {في التوراة و {لتفسدن {جواب قسم

محذوف. ويجوز أن يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون {لتفسدن {جواباً له كأنه قال:

وأقسمنا لتفسدن. وقرئ: لتفسدن على البناء للمفعول. ولتفسدن بفتح التاء من فسد {مرتين }

أولاهما: قتل زكريا وحبس أرميا حين أنذرهم سخط الله والآخرة: قتل يحيى بن زكريا وقصد

قتل عيسى ابن مريم {عباداً لنا {وقرئ: عبيداً لنا وأكثر ما يقال: عباد الله وعبيد الناس:

سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر. وعن ابن عباس: جالوت. قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة

وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفاً. فإن قلت: كيف جاز أن يبعث الله الكفرة على ذلك

وسلطهم عليه قلت: معنا خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على أن الله عز وعلا أسند

بعث الكفرة عليهم إلى نفسه فهو كقوله تعالى {وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا

يكسبون {الأنعام: 129 وكقول الداعي. وخالف بين كلمهم. وأسند الجوس وهو التردد خلال

الديار بالفساد إليهم فتخريب المسجد وإحراق التوراة من جملة الجوس المسند إليهم. وقرأ

طلحة فحاسوا بالحاء. وقرئ: فجوسو وخلل الديار. فإن قلت: ما معنى {وعد أولاهما }

قلت: معنا وعد عقاب أولاهما {وكان وعداً مفعولاً {يعني: وكان وعد العقاب وعداً لا بد أن

يفعل {ثم رددنا لكم الكرة {أي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن

الفساد والعلو. قيل: هي قتل بختنصر واستنقاذ بني إسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك

إليهم وقيل: هي قتل داود جالوت {أكثر نفيراً {مما كنتم. والنفير من ينفر جمل مع الرجل من

قومه وقيل: جمع نفر كالعبيد والمعيز.

{إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليئسوا وجوهكم وليدخلوا

المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً {.

أي الإحسان والإساءة: كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع والضرر إلى غيركم. وعن علي

رضي الله عنه: ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها {فإذا جاء وعد {المرة {الآخرة {

بعثناهم {ليئسوا وجوهكم {حذف لدلالة ذكره أولاً عليه. ومعنى {ليئسوا وجوهكم {ليجعلوها

بادية آثار المساءة والكابة فيها كقوله: {سيئت وجوه الذين كفروا {الملك: 27 وقرئ: ليسوء

والضمير للّه تعالى أو للوعد أو للبعث ولنسوء بالنون. وفي قراءة علي: لنسوأن وليسوأن وقرئ:

لنسوأن بالنون الخفيفة. واللام في {ليدخلوا {على هذا متعلق بمحذوف وهو: وبعثناهم ليدخلوا

ولنسو أن: جواب إذا جاء {ما علوا {مفعول ليتبروا أي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه.

أو بمعنى: مدة علوهم.

{عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً {.

{عسى ربكم أن يرحمكم {بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصي {وإن

عدتم {مرة ثالثة {عدنا {إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله إليهم النقمة بتسليط الأكاسرة

وضرب الأتاوة عليهم وكن الحسن: عادوا فبعث الله محمداً فهم يعطون الجزية عن يد وهم

صاغرون وعن قتادة: ثم كان آخر ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في

عذاب إلى يوم القيامة {حصيراً {محبساً يقال للسجن محصر وحصير. وعن الحسن: بساطاً كما

يبسط الحصير المرمول.

{إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنون الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً

وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً {.

{للتي هي أقوم {للحالة التي هي أقوم الحالات وأسدها. أو للملة. أو للطريقة. وأينما قدرت لم

تجد مع الإثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في إبهام الموصوف بحذفه من فخامة

تفقد مع إيضاحه. وقرئ: ويبشر بالتخفيف فإن قلت: كيف ذكر المؤمنين الأبرار والكفار ولم

يذكر الفسقة قلت: كان الناس حينئذ إما مؤمن تقي وإما مشرك وإنما حدث أصحاب المنزلة

بين المنزلتين بعد ذلك. فإن قلت: علام عطف {إن الذين لا يؤمنون {قلت: على {أن لهم أجراً

كبيراً {على معنى: أنه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين: بثوابهم وبعقاب أعدائهم ويجوز أن يراد:

ويخبر بأن الذين لا يؤمنون معذبون.

{ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً { .

أي: ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله: {ولو

يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير {يونس: 11 {وكان الإنسان عجولاً {يتسرع إلى طلب

كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأني المتبصر. وعن النبي صلى الله عليه وسلم:

أنه دفع إلى سودة بنت زمعة أسيراً فأقبل يئن بالليل فقالت له: مالك تئن فشكا ألم القد

فأرخت من كتافه فلما نامت أخرج يده وهرب فلما أصبح النبي صلى الله عليه وسلم دعا به

فأعلم بشأنه فقال صلى الله عليه وسلم {اللهم اقطع يديها {فرفعت سودة يديها تتوقع الإجابة

وأن يقطع الله يديها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: {إني سألت اللّه أن يجعل لعنتي ودعائي

على من لا يستحق من أهلي رحمة لأني بشر أغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها {

ويجوز أن يريد بالإنسان الكافر وأنه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا

مسته الشدة. {وكان الإنسان عجولا {يعني أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن

ابن عباس رضي اللّه عنهما: هو النضر بن الحرث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك

الآية فأجيب له فضربت عنقه صبراً.

{وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم

ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلاً {.

فيه وجهان أحدهما: أن يراد أن الليل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل

وآية النهار للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود أي: فمحونا الآية التي هي الليل وجعلنا الآية التي

هي النهار مبصرة. والثاني: أن يراد: وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر.

{فمحونا آية الليل {: أي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلماً لا يستبان فيه شيء كما لا

يستبان ما في اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصراً أي تبصر فيه الأشياء وتستبان. أو فمحونا

: آية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق لها شعاعاً كشعاع الشمس فترى به الأشياء رؤية بينة

وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء {لتبتغوا فضلاً من ربكم {لتتوصلوا

ببياض النهار إلى استبانة أعمالكم والتصرف في معايشكم {ولتعلموا {باختلاف الجديدين {عدد

السنين و {جنس {الحساب {وما تحتاجون إليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الأوقات

ولتعطلت الأمور {وكل شيء {مما تفتقرون إليه في دينكم ودنياكم {فصلناه {بيناه بياناً غير

ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا.

{كل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً أقرأ كتابك كفى

بنفسك اليوم عليك حسيباً {.

{طائره {عمله وقد حققنا القول فيه في سورة النمل. وعن ابن عيينة: هو من قولك: طار له

سهم إذا خرج يعني: ألزمناه ما طار من عمله. والمعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا

يفك عنه ومنه مثل العرب: تقلدها طوق الحمامة. وقولهم: الموت في الرقاب. وهذا ربقة في

رقبته. عن الحسن: يا ابن آدم بسطت لك صحيفة إذا بعثت قلدتها في عنقك. وقرئ: في عنقه

بسكون النون. وقرئ: نخرج بالنون. ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء

للمفعول. ويخرج من خرج والضمير للطائر. أي: يخرج الطائر كتاباً وانتصاب {كتاباً {على

الحال. وقرئ: يلقاه بالتشديد مبنياً للمفعول. و {يلقاه منشوراً {صفتان للكتاب. أو {يلقاه {صفة

و {منشوراً {حال من يلقاه {أقرأ {على إرادة القول. وعن قتادة: يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في

الدنيا قارئاً. و {بنفسك {فاعل كفى. و {حسيباً {تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى

ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه. وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا.

لجوز أن يكون بمعنى الكافي وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لأن الشاهد يكفي المدعي ما

أهمه. فإن قلت: لم ذكر حسيباً قلت: لأنه بمنزلة الشهيد والقاضي والأمير لأن الغالب أن

هذه الأمور يتولاها الرجال فكأنه قيل: كفى بنفسك رجلاً حسيباً. ويجوز أن تأول النفس

بالشخص كما يقال: ثلاثة أنفس. وكان الحسن إذا قرأها قال: يا ابن آدم نصفك واللّه من

جعلك حسيب نفسك.

{من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن يضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا

معذبين حتى نبعث رسولاً }.

أي: كل نفس حاملة وزراً فإنما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى {وما كنا معذبين {وما صح منا صحة تدعو إليها الحكمة أن نعذب قوماً إلا بعد أن {نبعث {إليهم {رسولاً {فتلزمهم الحجة.

فإن قلت: الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان. قلت: بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا: كنا غافلين فلو لا بعثت

{وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً }.

{وإذا أردنا {وإذا دنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل أمرناهم {ففسقوا {أي أمرناهم بالفسق ففعلوا والأمر مجاز: لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم: افسقوا وهذا لا يكون فبقي أن يكون مجازاً ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صباً فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات فكأنهم مأمورون بذلك لتسبب إيلاء النعمة فيه وإنما خولهم إياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الإحسان والبر كما خلقهم أصحاء أقوياء وأقدرهم على الخير والشر وطلب منهم إيثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم. فإن قلت: هلا زعمت أن معناه أمرناهم بالطاعة ففسقوا قلت: لأن حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك أن المأمور به إنما حذف لأن فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال: أمرته فقام وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام أو قراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم على هذا قولهم: أمرته فعصاني أو فلم يمتثل أمري. لأن ذلك مناف للأمر مناقض له ولا يكون ما يناقض الأمر مأموراً به فكان محالاً أن يقصد أصلاً حتى يجعل دالاً على المأمور به فكان المأمور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لأن من يتكلم بهذا الكلام فإنه لا ينوي لأمره مأموراً به وكأنه يقول: كان مني أمر فلم تكن منه طاعة كما أن من يقول: فلان يعطي ويمنع ويأمر وينهى غير قاصد إلى مفعول. فإن قلت: هلا كان ثبوت العلم بأن الله لا يأمر بالفحشاء وإنما يأمر بالقصد والخير دليلاً على أن المراد أمرناهم بالخير ففسقوا

قلت: لا يصح ذلك لأن قوله {ففسقوا {يدافعه فكأنك أظهرت شيئاً وأنت تدعي إضمار خلافه فكان صرف الأمر إلى المجاز هو الوجه ونظير {أمر {شاء: في أن مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول: لو شاء لأحسن إليك ولو شاء لأساء إليك. تريد: لو شاء الإحسان ولو شاء الإساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت وقلت: قد دلت حال من أسندت إليه المشيئة أنه من أهل الإحسان أو من أهل الإساءة فاترك الظاهر المنطوق به وأضمر ما دلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد. وقد

فسر بعضهم {أَمَرنَا {بكثرنا وجعل أمرته فأمر من باب فعلته ففعل. كثبرته فثبر. وفي الحديث: {خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة {أي كثيرة النتاج وروي: أن رجلاً من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني أرى أمرك هذا حقيراً فقال صلى الله عليه وسلم: {إنه سيأمر {. أي سيكثر وسيكبر.

{وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً {.

وقرئ: آمرنا من أمر وأمره غيره. وأمُرنا بمعنى أمرنا. أو من أمر إمارة وأمره الله. أي: جعلناهم أمراء وسلطناهم {كم {مفعول {أهلكنا {و {من القرون {بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس. يعني عاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً. ونبه بقوله {وكفى بربك بذنوب عباده خبيراً بصيراً {على أن الذنوب هي أسباب الهلكة لا غير وأنه عالم بها ومعاقب عليها.

{من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموماً مدحوراً ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكوراً {.

من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة وأكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الأمر تقييدين أحدهما: تقييد المعجل بمشيئته. والثاني: تقييد المعجل له بإرادته وهكذا الحال: ترى كثيراً من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون إلا بعضاً منه وكثيراً منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي: أوتي حظاً من الدنيا أو لم يؤت فإن أوتي فبها وإلا فربما كان الفقر خيراً له وأعون على مراده. وقوله {لمن نريد {بدل من له وهو بدل البعض من الكل: لأن الضمير يرجع إلى من وهو في معنى الكثرة. وقرئ: يشاء وقيل: الضمير للّه تعالى فلا فرق إذاً بين القراءتين في المعنى ويجوز أن يكون للعبد على أن للعبد ما يشاء من الدنيا.

وأن ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك. وقيل: هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم: {فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه {{مدحوراً {مطروداً من رحمة الله {سعيها {حقها من السعي وكفاءها من الأعمال الصالحة. اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكوراً: إرادة الآخرة بأن يعقد بها همه ويتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك. والإيمان الصحيح الثابت. وعن بعض المتقدمين: من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب. وتلا هذه الآية. وشكر الله: الثواب على الطاعة.

{كلاً نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً {.

{كلاً {كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف إليه {نمد {هم: نزيدهم من عطائنا

ونجعل الآنف منه مدداً للسالف لا نقطعه. فنرزق المطيع والعاصي جميعاً على وجه التفضل

{وما كان عطاء ربك {وفضله {محظوراً {أي ممنوعاً لا يمنعه من عاص لعصيانه.

{انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً {.

{انظر {بعين الاعتبار {كيَف {جعلناهم متفاوتين في التفضل. وفي الآخرة التفاوت أكبر لأنها ثواب

وأعواض وتفضل وكلها متفاوتة. وروي أن قوماً من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر

رضي الله عنه فخرج الإذن لبلال وصهيب فشق على أبي سفيان فقال سهيل بن عمرو: إنما

أتينا من قبلنا أنهم دعوا ودعينا يعني إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف

التفاوت في الآخرة. ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد اللّه لهم في الجنة أكثر. وقرئ: وأكثر

تفضيلاً وعن بعضهم: أيها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا أما ترغب في المباهاة بالرفع في

مجالس الآخرة وهي أكبر وأفضل

{ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً {.

{فتقعد {من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة بمعنى صارت يعني: فتصير جامعاً

على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من إلهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكاً

له.

{وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما

فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب

ارحمهما كما ربياني صغيراً {.

{وقضى ربك {وأمر أمراً مقطوعاً به {ألا تعبدوا {أن مفسرة ولا تعبدوا نهي. أو بأن لا تعبدوا

{وبالوالدين إحساناً {وأحسنوا بالوالدين إحساناً. أو بأن تحسنوا بالوالدين إحساناً وقرئ:

وأوصى وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما: ووصى. وعن بعض ولد معاذ بن جبل: وقضاء

ربك. ولا يجوز أن يتعلق الباء في بالوالدين بالإحسان: لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته {إما {

هي إن الشرطية زيدت عليها ما تأكيداً لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت

إن لم يصح دخولها لا تقول: إن تكرمن زيداً يكرمك ولكن إما تكرمنه. و {وأحدهما {فاعل

يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين و {كلاهما {عطف على

أحدهما فاعلاً وبدلاً. فإن قلت: لو قيل إما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيداً لا بدلاً فمالك

زعمت أنه بدل قلت: لأنه معطوف على ما لا يصح أن يكون توكيداً للاثنين فانتظم في

حكمه فوجب أن يكون مثله. فان قلت: ما ضرك لو جعلته توكيداً مع كون المعطوف عليه

بدلاً وعطفت التوكيد على البدل قلت: لو أريد توكيد التثنية لقيل: كلاهما فحسب فلما

قيل: أحدهما أو كلاهما علم أن التوكيد غير مراد فكان بدلاً مثل الأول {أف {صوت يدل

على تضجر. وقرئ: أف بالحركات الثلاث منوناً وغير منون: الكسر على أصل البناء والفتح

تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم إتباع كمنذ. فإن قلت: ما معنى عندك قلت: هو أن

يكبرا ويعجزا وكانا كلاً على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك أشق

عليه وأشد احتمالاً وصبراً وربما تولى منهما ما كانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مأمور

بأن يستعمل معهما وطأة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما إذا أضجره ما يستقذر

منهما أو يستثقل من مؤنهما: أف فضلاً عما يزيد عليه. ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما

حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معاً ثم ضيق

الأمر في مراعاتهما حتى لم يرخص في أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر

ومقتضياته ومع أحوال لا يكاد يدخل صبر الإنسان معها في استطاعة {ولا تنهرهما {ولا

تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك. والنهي والنهر والنهم: أخوات {وقل لهما {بدل التأفيف

والنهر {قولاً كريماً {جميلاً كما يقتضيه حسن الأدب والنزول على المروءة. وقيل: هو أن يقول: يا

أبتاه يا أماه كما قال إبراهيم لأبيه: يا أبت مع كفره ولا يدعوهما. بأسمائهما فإنه من الجفا

وسوء الأدب وعادة الدعار. قالوا: ولا بأس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله

عنها: نحلني أبو بكر كذا. وقرئ: جناح الذل الذل: بالضم والكسر فإن قلت: ما معنى قوله

{جناح الذل {قلت: فيه وجهان أحدهما: أن يكون المعنى: واخفض لهما جناحك كما قال

{واخفض جناحك للمؤمنين {الحجر: 88 فأضافه إلى الذل أو الذل كما أضيف حاتم إلى الجود

على معنى: واخفض لهما جناحك الذليل أو الذلول. والثاني: أن تجعل لذله أو لذله لهما

جناحاً خفيضاً كما جعل لبيد للشمال يداً وللقوة زماماً مبالغة في التذلل والتواضع لهما {من

الرحمة {من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق

الله إليهما بالأمس ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته

الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك في صغرك وتربيتهما لك. فإن قلت: الاسترحام لهما

إنما يصح إذا كانا مسلمين. قلت: وإذا كانا كافرين فله أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو

الله لهما بالهداية والإرشاد ومن الناس من قال: كان الدعاء للكفار جائزاً ثم نسخ وسئل ابن

عيينة عن الصدقة عن الميت فقال: كل ذلك واصل إليه ولا شيء أنفع له من الاستغفار ولو

كان شيء أفضل منه لأمركم به في الأبوين. ولقد كرر اللّه سبحانه في كتابه الوصية بالوالدين.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم:

{رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما {وروي:

{يفعل البار ما يشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة {

وروي سعيد بن المسيب: إن البار لا يموت ميتة سوء.

وقال رجل لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم: إن أبوي بلغا من الكبر أني ألي منهما ما ولياً مني

في الصغر فهل قضيتهما قال: لا فإنهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك

وشكا رجل إلى رسول الله أباه وأنه يأخذ ماله فدعا به فإذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال: إنه كان ضعيفاً وأنا قوي وفقيراً وأنا غني فكنت لا أمنعه شيئاً من مالي واليوم أنا ضعيف وهو قوي وأنا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ما من حجر ولا مدر يسمع هذا إلا بكى ثم قال للولد: أنت ومالك لأبيك أنت ومالك لأبيك.

وشكا إليه آخر سوء خلق أمه فقال: لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة أشهر قال: إنها

سيئة الخلق. قال: لم تكن كذلك حين أرضعتك حولين قال: إنها سيئة الخلق. قال: لم تكن

كذلك حين أسهرت لك ليلها وأظمأت نهارها قال: لقد جازيتها. قال: ما فعلت قال:

حججت بها على عاتقي. قال: ما جزيتها ولو طلقة. وعن ابن عمر أنه رأى رجلاً في الطواف

يحمل أمه ويقول:

إني لها مطية لا تذعر إذا الركاب نفرت لا تنفر

ما حملتني وأرضعتني أكثر الله ربي ذو الجلال الأكبر

ثم قال تظنني جازيتها يا ابن عمر قال: لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه الصلاة والسلام:

{إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة توجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد ريحها عاق ولا

وقال الفقهاء: لا يذهب بأبيه إلى البيعة وإذا بعث إليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر.

ويأخذ الإناء منه إذا شربها وعن أبي يوسف: إذا أمره أن يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير

أوقد. وعن حذيفة:

أنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه وهو في صف المشركين فقال: دعه يليه

غيرك. وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال: أن لا تقوم إلى خدمتهما عن كسل.

وسئل بعضهم فقال: أن لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزراً إليهما ولا يريا منك مخالفة في

ظاهر ولا باطن وأن تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما إذا ماتا وتقوم بخدمة أودائهما من

بعدهما. فعن النبي صلى الله عليه وسلم.

{إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه }.

{ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفوراً }.

{بما في نفوسكم {بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير

{إن تكونوا صالحين {قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج

الصدر وما لا يخلو منه البشر أو لحمية الإسلام هنة تؤدي إلى أذاهما ثم أنبتم إلى الله

واستغفرتم منها فإن الله غفور {للأوابين {للتوابين. وعن سعيد بن جبير: هي في البادرة تكون

من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير. وعن سعيد بن المسيب: الأواب الرجل كلما أذنب

بادر بالتوبة. ويجوز أن يكون هذا عاماً لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته

الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره.

{وآت ذا القربىحقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين

وكان الشيطان لربه كفوراً }.

{وآت ذا القربى حقه {وصى بغير الوالدين من الأقارب بعد التوصية بهما وأن يؤتوا حقهم:

وحقهم إذا كانوا محارم كالأبوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسراً: أن

ينفق عليهم عند أبي حنيفة. والشافعي لا يرى النفقة إلا على الولد والوالدين فحسب. وإن

كانوا مياسير أو لم يكونوا محارم: كأبناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة

والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك {والمسكين وابن السبيل {يعني وآت هؤلاء

حقهم من الزكاة وهذا دليل على أن المراد بما يؤتي ذوي القرابة من الحق: هو تعهدهم بالمال.

وقيل: أراد بذي القربى أقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي. وإنفاقه على وجه الإسراف. وكانت الجاهلية تنحر إبلها

وتتياسر عليها وتبذر أموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في أشعارها فأمر الله بالنفقة في

وجوهها مما يقرب منه ويزلف. وعن عبد الله: هو إنفاق المال في غير حقه. وعن مجاهد: لو

أنفق مداً في باطل كان تبذيراً وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه: لا خير في

السرف فقال: لا سرف في الخير. وعن عبد الله بن عمرو:

مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضأ فقال: ما هذا السرف يا سعد قال:

أوفي الوضوء سرف قال: نعم وإن كنت على نهر جار {إخوان الشياطين {أمثالهم في الشرارة

وهي غاية المذمة لأنه لا شر من الشيطان. أو هم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما

يأمرونهم به من الإسراف. أو هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد {وكان الشيطان لربه

كفورا {فما ينبغي أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله. وقرأ الحسن إخوان الشيطان.

{وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً }.

وإن اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد {فقل لهم قولاً ميسوراً {فلا

تتركهم غير مجابين إذا سألوك.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئاً وليس عنده أعرض عن السائل وسكت

حياء.

قوله {ابتغاء رحمة من ربك {إما أن يتعلق بجواب الشرط مقدماً عليه أي: فقل لهم قولاً سهلاً

ليناً وعدهم وعداً جميلاً رحمة لهم وتطييباً لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك أي: ابتغ رحمة الله

التي ترجوها برحمتك عليهم. وإما أن يتعلق بالشرط أي: وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من

ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم رداً جميلاً فوضع الابتغاء موضع الفقد

لأن فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسبباً عنه فوضع المسبب موضع

السبب. ويجوز أن يكون معنى {وإما تعرضن عنهم {وإن لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم

الاستطاعة ولا يريد الإعراض بالوجه كناية بالإعراض عن ذلك لأن من أبى أن يعطي أعرض

بوجهه. يقال: يسر الأمر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول. وقيل معناه: فقل لهم

رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كأن معناه: قولاً ذا ميسور

وهو اليسر أي: دعاء فيه يسر.

{ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً }.

هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف وأمر بالاقتصاد الذي هو بين الإسراف والتقتير

{فتقعد ملوماً {فتصير ملوماً عند الله لأن المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج:

أعطى فلاناً وحرمني. ويقول المستغني: ما يحسن تدبير أمر المعيشة. وعند نفسك: إذا احتجت

فندمت على ما فعلت {محسوراً {منقطعاً بك لا شيء عندك من حسره السفر إذا بلغ منه

بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبي فقال: إن أمي تستكسيك درعاً فقال

من ساعة إلى ساعة يظهر فعد إلينا فذهب إلى أمه فقالت له قل له: إن أمي تستكسيك

الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عرياناً وأذن بلال وانتظروا فلم

يخرج للصلاة. وقيل

أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول:

أتجعل نهبي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع

وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدي في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال: يا أبا بكر اقطع لسانه عني أعطه مائة من الإبل فنزلت.

{إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيراً بصيراً }.

ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الإضافة بأن ذلك ليس لهوان

منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لأن مشيئته في بسط الأرزاق وقدرها تابعة للحكمة

والمصلحة. ويجوز أن يريد أن البسط والقبض إنما هما من أمر الله الذي الخزائن في يده فأما

العبيد فعليهم أن يقتصدوا. ويحتمل أنه عز وعلا بسط لعباده أو قبض فإنه يراعي أوسط

{ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقكم وإياهم إن قتلهم كان خطأ كبيراً }.

قتلهم أولادهم: هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهي الإملاق فنهاهم الله وضمن

لهم أرزاقهم. وقرئ خشية بكسر الخاء. وقرئ: خطأ وهو الإثم. يقال: خطيء خطأ كأثم

إثماً وخطأ وهو ضد الصواب اسم من أخطأ. وقيل والخطأ كالحذر والحذر وخطاء بالكسر

والمد. وخطاء بالفتح والمد. وخطأ بالفتح والسكون. وعن الحسن: خطأ بالفتح وحذف الهمزة

كالخب. وعن أبي رجاء: بكسر الخاء غير مهموز.

{ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً }.

{فاحشة {قبيحة زائدة على حد القبح {وساء سبيلاً {وبئس طريقاً طريقة وهو أن تغصب

على غيرك امرأته أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه اللّه.

{ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف

في القتل إنه كان منصوراً }.

{إلا بالحق {إلا بإحدى ثلاث: إلا بأن تكفر أو تقتل مؤمناً عمداً أو تزني بعد إحصان.

{مَظلُوماً {غير راكب واحدة منهن {لوليه {الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فإن لم

يكن له ولي فالسلطان وليه {سلطاناً {تسلطاً على القاتل في الاقتصاص منه. أو حجة يثب بها

عليه {فلا يسرف {الضمير للولي. أي: فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة

الجاهلية: كان إذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحارث بن

عباد: بؤ بشسع نعل كليب وقال:

كل قتيل في كليب غره حتى ينال القتل آل مره

وكانوا يقتلون غير القاتل إذا لم يكن بواء. وقيل: الإسراف المثلة. وقرأ أبو مسلم صاحب

الدولة: فلا يسرف بالرفع على أنه خبر في معنى الأمر. وفيه مبالغة ليست في الأمر. وعن

مجاهد: أن الضمير للقاتل الأول. وقرئ: فلا تسرف على خطاب الولي أو قاتل المظلوم. وفي

قراءة أبي فلا تسرفوا رده على: ولا تقتلوا {إنه كان منصوراً {الضمير إما للولي يعني حسبه أن

الله قد نصره بأن أوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبأن الله قد نصره بمعونة السلطان

وبإظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه. وأما للمظلوم لأن الله ناصره

وحيث أوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب. وإما الذي يقتله الولي بغير حق

ويسرف في قتله فإنه منصور بإيجاب القصاص على المسرف.

{ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد إن العهد كان

مسؤولاً {.

{إلا بالتي هي أحسن {بالخصلة أو الطريقة التي هي أحسن وهي حفظه عليه وتثميره {إن العهد

كان مسؤولاً {أي مطلوباً يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفي به ويجوز أن يكون تخييلاً كأنه

يقال للعهد: لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتاً للناكث كما يقال للموؤدة: بأي ذنب قتلت

ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسئولاً.

{وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً {.

وقرئ بالقسطاس بالضم والكسر وهو القرسطون. وقيل: كل ميزان صغر أو كبر من موازين

الدراهم وغيرها {وأحسن تأويلاً {وأحسن عاقبة وهو تفعيل من آل إذا رجع وهو ما يؤول

إليه.

{ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنهم مسؤولاً {.

{ولا تقف {ولا تتبع. وقرئ ولا تقف. يقال: قفا أثره وقافه ومنه: القافة يعني: ولا تكن في

اتباعك ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكاً لا يدري أنه يوصله إلى مقصده فهو

ضال. والمراد: النهي عن أن يقول الرجل ما لا يعلم وأن يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن

التقليد دخولاً ظاهراً. لأنه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده. وعن ابن الحنفية: شهادة الزور

وعن الحسن: لا تقف أخاك المسلم إذا مر بك فتقول: هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم

{من قفى مؤمناً بما ليس فيه حبسه اللّه في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج {وأنشد:

ومثل الدمى شم العرانين ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا

أي التقاذف. وقال الكميت:

ولا أرمي البري بغير ذنب ولا أقفو الحواصن إن قفينا

وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لأن ذلك نوع من العلم فقد أقام الشرع غالب الظن

مقام الحلم وأمر بالعمل به {أولئك {إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد كقوله:

والعين بعد أولئك الأيام

و {عنه {في موضع الرفع بالفاعلية أي: كل واحد منها كان مسئولاً عنه فمسئول: مسند إلى

الجار والمجرور كالمغضوب في قوله {غير المغضوب عليهم {الفاتحة: 7 يقال للإنسان: لم سمعت

ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت إلى ما لم يحل لك النظر إليه ولم عزمت على ما لم يحل لك

العزم عليه وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واواً بعد الضمة في الفؤاد ثم

استصحب القلب مع الفتح.

{ولا تمشي في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً كل ذلك كان سيئه عند

ربك مكروهاً }.

{مرحاً }حال أي: ذا مرح. وقرئ مرحا وفضل الأخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من

التأكيد {لن تخرق الأرض }لن تجعل فيها خرقاً بدوسك لها وشدة وطأتك. وقرئ لن تخرُق

بضم الراء {ولن تبلغ الجبال طولاً }بتطاولك وهو تهكم بالمختال. قرئ سيئة وسيئه على إضافة

سيء إلى ضمير كل وسيئاً في بعض المصاحف وسيئات. وفي قراءة أبي بكر الصديق رضي

الله عنه. كان شأنه. فإن قلت: كيف قيل سيئه مع قوله مكررهاً قلت: السيئة في حكم

الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه. ولا فرق بين من قرأ

سيئة وسيئاً. ألا تراك تقول: الزنا سيئة كما تقول: السرقة سيئة فلا تفرق بين إسنادها إلى

مذكر ومؤنث. فإن قلت: فما ذكر من الخصال بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ

سيئه بالإضافة فما وجه من قرأ سيئة قلت: كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع

الخصال المعدودة.

{ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً

مدحوراً }.

{ذلك }إشارة إلى ما تقدم من قوله {لا تجعل مع الله إلهاً آخر }الإسراء: 22 إلى هذه الغاية.

وسماه حكمة لأنه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه. وعن ابن عباس: هذه الثماني عشرة

آية كانت في ألواح موسى أولها لا تجعل مع الله إلهاً آخر قال الله تعالى {وكتبنا له في الألواح

من كل شيء موعظة {الأعراف: 145 وهي عشر آيات في التوراة ولقد جعل الله فاتحتها

وخاتمتها النهي عن الشرك لأن التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه

حكمه وعلومه وإن بذ فيها الحكماء. وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار

الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم.

{وأفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً {.

{وأفأصفاكم {خطاب للذين قالوا {الملائكة بنات الله {والهمزة للإنكار. يعني: أفخصكم ربكم

على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيباً لنفسه. واتخذ أدونهم

وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فإن العبيد لا يؤثرون بأجود

الأشياء وأصفاها من الثوب ويكون أردأها وأدونها للسادات {إنكم لتقولون قولاً عظيماً {

بإضافتكم إليه الأولاد وهي خاصة بالأجسام ثم بأنكم تفضلون عليه أنفسكم حيث تجعلون له

ما تكرهون ثم بأن تجعلوا الملائكة وهم أعلى خلق الله وأشرفهم أدون خلق الله وهم الإناث.

{ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا ما يزيدهم إلا نفوراً {.

{ولقد صرفنا في هذا القرآن {يجوز أن يريد بهذا القرآن إبطال إضافتهم إلى الله البنات لأنه مما

صرفه وكرر ذكره والمعنى: ولقد صرفنا القول في هذا المعنى. أو أوقعنا التصريف فيه وجعلناه

مكاناً للتكرير. ويجوز أن يشير بهذا القرآن إلى التنزيل ويريد. ولقد صرفناه. يعني هذا المعنى في

مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم. وقرئ: صرفنا بالتخفيف وكذلك {ليذكروا {قرئ

مشدداً ومخففاً أي: كررناه ليتعظوا ويعتبروا ويطمئنوا إلى ما يحتج به عليهم {ما يزيدهم إلا

نفوراً {عن الحق وقلة طمأنينة إليه. وعن سفيان: كان إذا قرأها قال: زادني لك خضوعاً ما

زاد أعداءك نفوراً.

{قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً سبحانه وتعالى عما يقولون

علواً كبيراً }.

قرئ كما تقولون بالتاء والياء. و {إذا }دالة على أن ما بعدها وهو {لابتغوا }جواب عن مقالة

المشركين وجزاء ل {لو }ومعنى {لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً }لطلبوا إلى من له الملك والربوبية

سبيلاً بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله {لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا }

الأنبياء: 22 وقيل: لتقربوا إليه كقوله {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة }الإسراء:

7 {علواً }في معنى تعالياً. والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة. ومعنى وصف العلو بالكبر: المبالغة

في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به.

{تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون

تسبيحهم إنه كان حليماً غفورا }.

والمراد أنها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع وعلى قدرته وحكمته فكأنها تنطق

بذلك وكأنها تنزه اللّه عز وجل مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها. فإن قلت: فما تصنع

بقوله {ولكن لا تفقهون تسبيحهم }وهذا التسبيح مفقوه معلوم قلت: الخطاب للمشركين وهم

وإن كانوا إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض قالوا: اللّه إلا أنهم لما جعلوا معه آلهة مع

إقرارهم فكأنهم لم ينظروا ولم يقروا لأن نتيجة النظر الصحيح والإقرار الثابت خلاف ما كانوا

عليه فإذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق. فإن قلت: من فيهن يسبحون

على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والأرض فما وجهه قلت:

التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه وإلا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة

محمولة على الحقيقة والمجاز {إنه كان حليماً غفورا {حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء

نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم.

{وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً وجعلنا على قلوبهم

أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على إبراهيم نفوراً نحن

أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً

مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلاً {.

{حجاباً مستوراً {ذا ستر كقولهم. سيل مفعم ذو إفعام. وقيل: هو حجاب لا يرى فهو

مستور. ويجوز أن يراد أنه حجاب من دونه حجاب أو حجب فهو مستور بغيره. أو حجاب

يستر أن يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه {وقالوا قلوبنا في أكنة مما

تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب {فصلت: 5 كأنه قال: وإذا قرأت القرآن

جعلنا على زعمهم {أَن يَفقَهُوُه {كراهة أن يفقهوه. أو لأن قوله {وجعلنا على قلوبهم أكنة {فيه

معنى المنع من الفقه فكأنه قيل: ومنعناهم أن يفقهوه. يقال: وحد يحد وحداً وحدة نحو وعد

يعد وعداً وعدة و {وحده {من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في أنه

مصدر ساد مسد الحال أصله: يحد وحده بمعنى واحداً وحده. والنفور: مصدر بمعنى

التولية. أو جمع نافر كقاعد وقعود أي: يحبون أن تذكر معه ألهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا

بالتوحيد نفروا {بما يستمعون به {من الهزؤ بك وبالقرآن ومن اللغو: كان يقوم عن يمينه إذا قرأ

رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه

بالأشعار. و {به {في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهز أي هازئين. و {إذ يستمعون نصب {

بأعلم أي: أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون {وإذ هم نجوى {وبما يتناجون به إذ هم ذوو

نجوى {إذ يقول {بدل من إذ هم {مسحورا {سحر فجن. وقيل: هو من السحر وهو الرئة أي:

هو بشر مثلكم {ضربوا لك الأمثال {مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون {فضلوا {في جميع ذلك

ضلال من يطلب في التيه طريقاً يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في أمره لا يدري ما يصنع.

{وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً

مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم

ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً {.

لما قالوا: أئذا كنا عظاماً قيل لهم {كونوا حجارة أو حديداً {فرد قوله: كونوا على قولهم: كنا

كأنه قيل: كونوا حجارة أو حديداً ولا تكونوا عظاماً فإنه يقدر على إحيائكم والمعنى: أنكم

تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة وإلى رطوبة الحي وغضاضته بعدما كنتم

عظاماً يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبني عليه سائره

فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى حالتها الأولى ولكن لو كنتم أبعد شيء من الحياة ورطوبة

الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو أن تكونوا حجارة يابسة أو حديداً مع أن طباعها

الجسارة والصلابة لكان قادراً على أن يردكم إلى حال الحياة {أو خلقاً مما يكبر في صدوركم {

يعني أو خلقاً مما يكبر عندكم عن قبول الحياة وبعظم في زعمكم على الخالق إحياؤه فإنه يحييه.

وقيل: ما يكبر في صدورهم الموت. وقيل: السموات والأرض {فَسَيغِضُونَ {فسيحركونها نحوك

تعجباً واستهزاء.

{يوم يدعوكم فتستجيبوا بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً {.

والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز. والمعنى: يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون.

وقوله {بحمده {حال منهم أي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره

بركوب ما يشق عليه فيتأبى ويتمنع ستركبه وأنت حامد شاكر يعني: أنك تحمل عليه وتقسر

قسراً حتى أنك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير: ينفضون التراب

عن رؤوسهم ويقولون: سبحانك اللهم وبحمدك {وتظنون {وترون الهول فعنده تستقصرون مدة

لبثكم في الدنيا وتحسبونها يوماً أو بعض يوم. وعن قتادة: تحاقرت الدنيا في أنفسهم حين عاينوا

الآخرة.

{قل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً

مبيناً ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلاً {.

{قل لعبادي {وقل للمؤمنين {يقولوا {للمشركين الكلمة التي {هي أحسن {وألين ولا يخاشنوهم

كقوله: وجادلهم بالتي هي أحسن. وفسر التي هي أحسن بقوله {ربكم أعلم بكم إن يشأ

يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم {يعني يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم: إنكم من أهل

النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر. وقوله {إن الشيطان ينزغ

بينهم {اعتراض يعني يلقي بينهم الفساد ويغري بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة

{وما أرسلناك عليهم وكيلاً {أي رباً موكولاً إليك أمرهم تقسرهم على الإسلام وتجبرهم عليه

وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمكاشفة

وذلك قبل نزول آية السيف. وقيل: نزلت في عمر رضي الله عنه: شتمه رجل فأمره اللّه

بالعفو. وقيل: أفرط إيذاء المشركين للمسلمين فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فنزلت. وقيل: الكلمة التي هي أحسن: أن يقولوا يهديكم الله يرحمكم اللّه. وقرأ طلحة: ينزغ

بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون ويعرشون.

{وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا }.

هو رد على أهل مكة في إنكارهم واستبعادهم أن يكون يتيم أبي طالب نبياً وأن تكون العراة

الجوع أصحابه كصهيب وبلال وخباب وغيرهم دون أن يكون ذلك في بعض أكابرهم

وصناديدهم يعني: وربك أعلم بمن في السموات والأرض وبأحوالهم ومقاديرهم وبما يستأهل كل

واحد منهم وقوله {ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض }إشارة إلى تفضيل رسول الله صلى الله

عليه وسلم وقوله {وآتينا داود زبورا }دلالة على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأن أمته

خير الأمم لأن ذلك مكتوب في زبور داود. قال الله تعالى {ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر

أن الأرض يرثها عبادي الصالحون }الأنبياء: 105 وهم محمد وأمته. فإن قلت: هلا عرف

الزبور كما عرف في قوله {ولقد كتبنا في الزبور }الأنبياء: 105 قلت: يجوز أن يكون الزبور

وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وأن يريد: وآتينا داود بعض الزُبر وهي الكتب وأن

يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبوراً لأنه بعض

الزبور كما سمى بعض القرآن قراناً.

{قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين

يدعون ويبغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان

محذورا }.

{قل ادعوا الذين زعمتم من دونه }هم الملائكة وقيل: عيسى ابن مريم وعزير وقيل نفر من

الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا أي: ادعوهم فهم لا يستطيعون أن

يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر أو يبدلوه.

و {أولئك {مبتدأ و {الذين يدعون {صفته و {يبتغون {خبره يعني: أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة

وهي القربة إلى اللّه تعالى. و {إنهم {بدل من واو يبتغون وأي موصولة أي: يبتغي من هو أقرب

منهم وأزلف الوسيلة إلى اللّه فكيف بغير الأقرب. أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون

فكأنه قيل: يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون

ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة {إن عذاب ربك كان {حقيقاً بأن

يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلاً عن غيرهم.

{وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب

المسطور {.

{نحن مهلكوها {بالموت والاستئصال {أو معذبوها {بالقتل وأنواع العذاب. وقيل: الهلاك

للصالحة والعذاب للطالحة. وعن مقاتل: وجدت في كتب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها: أما

مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق

والرواجف. وأما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلداً بلداً {في الكتاب {في اللوح المحفوظ.

{وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما

نرسل بآيات إلا تخويفا {.

استعير المنع لترك إرسال الآيات من أجل صارف الحكمة. وأن الأولى منصوبة والثانية مرفوعة

تقديره: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين. والمراد: الآيات التي اقترحتها قريش من

قلب الصفا ذهباً ومن إحياء الموتى وغير ذلك: وعادة الله في الأمم أن من اقترح منهم آية

فأجيب إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى: وما صرفنا عن إرسال ما

يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها

لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون في غيرها واستوجبوا

العذاب المستأصل وقد عزمنا أن نؤخر أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك

الآيات التي اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة: وهي ناقة صالح لأن آثار

هلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم {مبصرة} بينة. وقرئ

مبصرة بفتح الميم {فظلموا بها} فكفروا بها {وما نرسل بالآيات} أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى

لا نرسلها {إلا تخويفاً} من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم

وإن أراد غيرها فالمعنى: وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفاً وإنذاراً

بعذاب الآخرة..

{وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة

{وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس} واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش يعني:

بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم. وذلك قوله {سيهزم الجمع ويولون الدبر} القمر: 45 {قل

للذين كفروا ستغلبون وتحشرون} آل عمران: 12 وغير ذلك نجعله كأن قد كان ووجد فقال:

أحاط بالناس على عادته في إخباره.

وحين تزاحف الفريقان يوم بدر والنبي صلى الله عليه وسلم في العريش مع أبي بكر رضي الله

عنه كان يدعو ويقول: اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس

ويقول: سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى أراه مصارعهم في منامه.

فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم وهو يوميء إلى الأرض

ويقول: هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما أوحي إلى رسول الله صلى

الله عليه وسلم من أمر يوم بدر وما أري في منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون

ويستسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله: {إن شجرة الزقوم طعام الأثيم {الدخان:

3 جعلوها سخرية وقالوا: إن محمداً يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر.

وما قدر الله حق قدره من قال ذلك وما أنكروا أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله

النار! فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل إذا اتسخت طرحت في

النار فذهب الوسخ وبقي المنديل سالماً لا تعمل فيه النار. وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع

الحديد الحمر كالجمر بإحماء النار فلا تضرها ثم أقرب من ذلك أنه خلق في كل شجرة ناراً فلا

تحرقها فما أنكروا أن يخلق في النار شجرة لا تحرقها. والمعنى: أن الآيات إنما يرسل بها تخويفاً

للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر. فما كان ما {أريناك {منه في منامك

بعد الوحي إليك {إلا فتنة {لهم حيث اتخذوه سخرياً وخوفوا بعذاب الآخرة وشجرة الزقوم فما

أثر فيهم ثم قال فيهم {ونخوفهم {أي نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة {فما يزيدهم {إلا التخويف}

طغياناً كبيراً {. فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال ما يقترحون من الآيات. وقيل: الرؤيا هي

الإسراء وبه تعلق من يقول: كان الإسراء في المنام ومن قال: كان في اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية.

وقيل: إنما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له: لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل إليك

استبعاداً منهم كما سمى أشياء بأساميها عند الكفرة نحو قوله: {فراغ إلى آلهتهم الصافات:}

1 {أين شركائي {النحل: 27 {ذق إنك أنت العزيز الكريم} الدخان: 49 وقيل: هي رؤياه أنه

سيدخل مكة. وقيل: رأى في المنام أن ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة.

فإن قلت: أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن قلت: لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة

والظلمة لأن الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وإنما وصفت بلعن أصحابها على

المجاز. وقيل: وصفها الله باللعن لأن اللعن الإبعاد من الرحمة وهي في أصل الجحيم في أبعد

مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار: ملعون وسألت بعضهم فقال: نعم

الطعام الملعون القشب الممحوق. وعن ابن عباس: هي الكشوث التي تتلوى بالشجر يجعل في

الشراب. أو قيل: هي الشيطان وقيل: أبو جهل. وقرئ والشجرةُ الملعونةُ بالرفع على أنها مبتدأ

محذوف الخبر كأنه قيل: والشجرة الملعونة في القرآن كذلك.

{وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً قال أرأيتك

هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً قال اذهب فمن

تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب

عليهم بخيلك ورجالك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً إن

عبادي ليس عليهم سلطان وكفى بربك وكيلاً }.

{طِيناً }حال إما من الموصول والعامل فيه أسجد على: أأسجد له وهو طين أي أصله طين.

أو من الراجع إليه من الصلة على: سجد لمن كان في وقت خلقه طيناً {أرأيتك }الكاف

للخطاب و {هذا }مفعول به. والمعنى: أخبرني عن هذا {الذي كرمت }ه {عليّ }أي فضلته لم

كرمته علي وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال {لئن أخرتني }واللام

موطئة للقسم المحذوف {لأحتنكن ذريته {لأستأصلنهم بالإغواء من احتنك الجراد الأرض إذا

جرد ما عليها أكلاً وهو من الحنك. ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم: أحنك الشاتين أي أكلهما.

فإن قلت: من أين علم أن ذلك يتسهل له وهو من الغيب قلت: إما أن سمعه من الملائكة وقد

أخبرهم الله به أو خرجه من قولهم: أتجعل فيها من يفسد فيها أو نظر إليه فتوسم في مخايله أنه

خلق شهواني. وقيل: قال ذلك لما عملت وسوسته في آدم والظاهر أنه قال ذلك قبل أكل آدم

من الشجرة {اذهب {ليس من الذهاب الذي هو نقيض المجيء إنما معناه: امض لشأنك الذي

اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جزه سوء اختياره في قوله {فمن تبعك منهم فإن جهنم

جزاؤكم {كما قال موسى عليه السلام للسامري {فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس {

طه: 97. فإن قلت: أما كان من حق الضمير في الجزاء أن يكون على لفظ الغيبة ليرجع إلى من

تبعك قلت: بلى ولكن التقدير: فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب

فقيل: جزاؤكم. ويجوز أن يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب {جزاء موفورا {بما في

{إن جهنم جزاؤكم {من معنى تجازون. أو بإضمار تجازون. أو على الحال لأن الجزاء موصوف

بالموفور والموفور الموفر. يقال: فر لصاحبك عرضه فرة.

استفزه: استخفه. والفز: الخفيف {واجلب {من الجلبة وهي الصياح. والخيل: الخيالة. ومنه

{يا خيل الله اركبي {. والرجل اسم جمع للراجل. ونظيره: الركب والصحب. وقرئ: ورجلك

على أن فعلا بمعنى فاعل نحو: تعب وتاعب. ومعناه: وجمعك الرجل وتضم جيمه أيضاً

فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس وأخوات لهما. يقال: رجل رجل. وقرئ ورجالك

ورجالك فإن قلت: ما معنى استفزاز إبليس بصوته وإجلابه بخيله ورجله قلت: هو كلام

ورد موردٍ التمثيل مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار أوقع على قوم فصوت بهم صوتاً

يستفزهم من أماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وأجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى

استأصلهم. وقيل. بصوته بدعائه إلى الشر. وخيله ورجله: كل راكب وماش من أهل العيث

وقيل. يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال. وأما المشاركة في الأموال والأولاد فكل معصية

يحملهم عليها في بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق في الفسوق

والإسراف. ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية

بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والأعمال المحظورة

وغير ذلك {وعدهم {المواعيد الكاذبة. من شفاعة الآلهة والكرامة على اللّه بالأنساب الشريفة

وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول في الكبائر

والخروج من النار بعد أن يصيروا حمماً وإيثار العاجل على الآجل {إن عبادي {يريد الصالحين

{ليس لك عليهم سلطان {أي لا تقدر أن تغويهم {وكفى بربك وكيلاً {لهم يتوكلون به في الاستعاذة

منك ونحوه قوله: {إلا عبادك منهم المخلصين {فإن قلت: كيف جاز أن يأمر اللّه إبليس بأن

يتسلط على عباده مغوياً مضلاً داعياً إلى الشر صاداً عن الخير قلت: هو من الأوامر الواردة

على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة: اعملوا ما شئتم.

{ربكم الذي يجزي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً وإذا مسكم

الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً {.

{يزجي {يجري ويسير. والضر: خوف الغرق {ضل من تدعون إلا إياه {ذهب عن أوهامكم

وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه في

ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم أن غيره يقدر على إغاثتكم أو لم

يهتد لإنقاذكم أحد غيره من سائر المدعوين. ويجوز أن يراد: ضل من تدعون من الآلهة عن

إغاثتكم ولكن الله وحده هو الذي ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع.

{أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً أم أمنتم

أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم

علينا به تبيعاً {.

{أفأمنتم {الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره: أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك

على الإعراض. فإن قلت: بم انتصب {جانب البر {قلت: بيخسف مفعولاً به كالأرض في

قوله {فخسفنا به وبداره الأرض {القصص: 81. و {بكم {حال. والمعنى: أن يخسف جانب

البر أي يقلبه وأنتم عليه. فإن قلت فما معنى ذكر الجانب قلت: معناه أن الجوانب والجهات

كلها في قدرته سواء وله في كل جانب براً كان أو بحراً سبب مرصد من أسباب الهلكة ليس

جانب البحر وحده مختصاً بذلك بل إن كان الغرق في جانب البحر ففي جانب البر ما هو

مثله وهو الخسف لأنه تغييب تحت التراب بهما أن الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده

سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر فعلى العاقل أن يستوي خوفه من اللّه في

جميع الجوانب وحيث كان {أو يرسل عليكم حاصباً {وهي الريح التي تحصب أي ترمي

بالحصباء يعني: أو إن لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح

يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون أشد عليكم من الغرق في البحر {وكيلاً {من

يتوكل بصرف ذلك عنكم {أم أمنتم {أن يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا

البحر الذي نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل {عليكم قاصفاً} وهي الريح التي لها

قصيف وهو الصوت الشديد كأنها تتقصف أي تتكسر. وقيل: التي لا تمر بشيء إلا قصفته

{فيغرقكم} وقرئ بالتاء أي الريح وبالنون وكذلك: نخسف ونرسل ونعيدكم قرأت بالياء

والنون. التبيع: المطالب من قوله {فاتباع بالمعروف} البقرة: 178 أي مطالبة. قال الشماخ:

كما لاذ الغريم من التبيع

يقال: فلان على فلان تبيع بحقه أي مصيطر عليه مطالب له بحقه. والمعنى: أنا نفعل ما نفعل

بهم ثم لا تجد أحداً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منا ودركاً للثأر من جهتنا. وهذا نحو قوله {ولا

يخاف عقباها} الشمس: 15 {بما كفرتم} بكفرانكم النعمة يريد: إعراضهم حين نجاهم.

{ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن

خلقنا تفضيلاً}.

قيل في تكرمة ابن آدم: كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة

المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد. وقيل بتسليطهم على ما في الأرض وتسخيره لهم. وقيل:

كل شيء يأكل بفيه إلا ابن آدم وعن الرشيد: أنه أحضر طعاماً فدعا بالملاعق وعنده أبو

يوسف فقال له: جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى: {ولقد كرمنا بني آدم} جعلنا لهم

أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه {وعلى كثير ممن خلقنا} هو ما سوى

الملائكة وحسب بني آدم تفضيلاً أن ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم.

والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على

العظيمة التي هي تفضيل الإنسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله أمرهم وتكثيره مع

التعظيم ذكرهم وعلموا أين أسكنهم وأنى قربهم وكيف نزلهم من أنبيائه منزلة أنبيائه من أممهم

ثم جزهم فرط التعصب عليهم إلى أن لفقوا أقوالاً وأخباراً منها:

قالت الملائكة: ربنا إنك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فأعطناه

في الآخرة. فقال: وعزتي وجلالي لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان {.

ورووا عن أبي هريرة أنه قال: لمؤمن كرم على الله من الملائكة الذين عنده. ومن ارتكابهم أنهم

فسروا {كثيراً {بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم:

وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على أن معنى قولهم {على جميع ممن خلقنا {أشجى لحلوقهم

وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون. فانظر إلى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ

الأعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين أهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن

قلوبهم.

{يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً {.

قرئ: يدعو بالياء والنون. ويدعى كل أناس على البناء للمفعول. وقرأ الحسن يدعوا كل أناس

على قلب الألف واواً في لغة من يقول: افعوا. والظرف نصب بإضمار اذكر. ويجوز أن يقال:

إنها علامة الجمع كما في {وأسروا النجوى الذين ظلموا {الأنبياء: 3 والرفع مقدر كما في يدعى

ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لأنها غير ضمير ليست إلا علامة {بإمامهم {بمن ائتموا به من نبي أو

مقدم في الدين أو كتاب أو دين فيقال: يا أتباع فلان يا أهل دين كذا وكتاب كذا وقيل:

بكتاب أعمالهم فيقال: يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر. وفي قراءة الحسن

بكتابهم ومن بدع التفاسير: أن الإمام جمع أم وأن الناس يدعون يوم القيامة بأمهاتهم وأن الحكمة

في الدعاء بالأمهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين

وأن لا يفتضح أولاد الزنا. وليت شعري أيهما أبدع أصحة لفظه أم بهاء حكمته {فمن أوتي }

من هؤلاء المدعوين {كتابه بيمينه فأولئك يقرؤون كتابهم {قيل أولئك لأن من أوتي في معنى

الجمع. فإن قلت: لم خص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم كأن أصحاب الشمال لا يقرؤون

كتابهم. قلت: بلى ولكن إذا اطلعوا على ما في كتابهم أخذهم ما يأخذ المطالب بالنداء على

جناياته والاعتراف بمساويه أمام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة

اللسان والتتعتع والعجز عن إقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكأن قراءتهم

كلا قراءة. وأما أصحاب اليمين فأمرهم على عكس ذلك لا جرم أنهم يقرؤون كتابهم أحسن

قراءة وأبينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لأهل المحشر: {هاؤم اقرؤوا كتابيه }

الحاقة: 19 {ولا يظلمون فتيلاً {ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء كقوله {ولا يظلمون شيئاً }

مريم: 60 {فلا يخاف ظلماً ولا هضماً }طه: 112.

{ومن كان في هذه الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً }.

معناه: ومن كان في الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى كذلك {وأضل سبيلاً {من الأعمى:

والأعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدي إلى طريق النجاة: أما في

الدنيا فلفقد النظر. وأما في الآخرة فلأنه لا ينفعه الاهتداء إليه وقد جوزوا أن يكون الثاني

بمعنى التفضيل. ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالاً والثاني مفخماً لأن أفعل التفضيل تمامه بمن

فكانت ألفه في حكم الواقعة في وسط الكلام كقولك: أعمالكم وأما الأول فلم يتعلق به شيء

فكانت ألفه واقعة في الطرف معرضة للإمالة.

{وإن كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً ولولا أن

ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة الدنيا وضعف الممات ثم لا

تجد لك علينا نصيراً {.

روي: أن ثقيفاً قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: لا ندخل في أمرك حتى تعطينا خصالاً نفتخر

بها على العرب: لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا

فهو موضوع عنا وأن تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بأيدينا عند رأس الحول وأن تمنع من

قصد وادينا وفي فعضد شجره فإذا سألتك العرب: لم فعلت ذلك فقل: إن الله أمرني به

وجاؤا بكتابهم فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول اللّه لثقيف: لا

يعشرون ولا يحشرون فقالوا: ولا يجبون. فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا

للكاتب: اكتب: ولا يجبون والكاتب ينظر إلى رسول الله فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

فسل سيفه وقال: أسعرتم قلب نبينا يا معشر ثقيف أسعر الله قلوبكم ناراً فقالوا: لسنا نكلم

إياك إنما نكلم محمداً. فنزلت. وروي أن قريشاً قالوا له: اجعل آية رحمة آية عذاب وآية

عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك. فنزلت {وإن كادوا ليفتنوك {إن مخففة من الثقيلة واللام هي

الفارقة بينها وبين النافية. والمعنى: أن الشأن قاربوا أن يفتنوك أي يخدعوك فاتنين {عن الذي

أوحينا إليك {من أوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا {لتفتري علينا {لتقول علينا ما لم نقل يعني ما

أرادوه عليه من تبديل الوعد وعيداً والوعيد وعداً وما اقترحته ثقيف من أن يضيف إلى الله

ما لم ينزله عليه {وإذاً لاتخذوك {أي ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك {خليلاً {ولكنت لهم ولياً

وخرجت من ولايتي {لولا أن ثبتناك {ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا {لقد كدت تركن إليهم {لقاربت

أن تميل إلى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفي ذلك لطف للمؤمنين

{إذا {لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة {لأذقناك ضعف الحياة الدنيا وضعف الممات {أي لأذقناك

عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين. فإن قلت: كيف حقيقة هذا الكلام قلت: أصله

لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان: عذاب في الممات وهو عذاب القبر

وعذاب في الحياة الآخرة وهو عذاب النار. والضعف يوصف به نحو قوله {فآتهم عذاباً ضعفاً

من النار {الأعراف: 38 بمعنى مضاعفاً فكان أصل الكلام: لأذقناك عذاباً ضعفاً في الحياة

وعذاباً ضعفاً في الممات. ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم أضيفت

الصفة إضافة الموصوف فقيل: ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل: لأذقناك أليم الحياة

وأليم الممات. ويجوز أن يراد بضعف الحياة: عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات: ما يعقب

الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى: لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة

الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب

المضاعف في الدارين دليل بين على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله وارتفاع

منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح إلى الله

تعالى عن ذلك علواً كبيراً وفيه دليل على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته

وسبب موجب لغضبه ونكاله. فعلى المؤمن إذا تلا هذه الآية أن يجثو عندها ويتدبرها فهي

جديرة بالتدبر وبأن يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله. وعن النبي صلى

الله عليه وسلم أنها لما نزلت كان يقول:

{اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين }.

{وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلاً سنة من قد

أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلاً }.

{وإن كادوا }وإن كاد أهل مكة {ليستفزونك }ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم {مِنَ الأرض }من

أرض مكة {وإذاً لا يلبثون }لا يبقون بعد إخراجك {إلا }زماناً {قليلاً }فإن الله مهلكهم وكان كما

قال فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل. وقيل: معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة

أبيهم. ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه. وقيل: من أرض العرب. وقيل: من أرض المدينة

وذلك.

أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا إليه

وقالوا: يا أبا القاسم إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر إبراهيم فلو

خرجت إلى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا أنه لا يمنعك من الخروج إلا خوف الروم فإن

كنت رسول الله فاللّه مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أميال من

المدينة وقيل: بذي الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويراه الناس عازماً على الخروج إلى الشام

لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع وقرئ {لا يلبثون }وفي قراءة أبي لا يلبثوا

على إعمال إذا. فإن قلت: ما وجه القراءتين قلت: أما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على

الفعل. وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم. وأما قراءة أبي ففيها

الجملة برأسها التي هي إذاً لا يلبثوا عطف على جملة قوله {وإن كادوا ليستفزونك وقرئ}

خلافك قال:

عفت الديار خلافهم فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيراً

أي بعدهم {سنة من قد أرسلنا {يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله

أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أي: سن الله ذلك سنة.

{أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ومن الليل

فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً {.

دلكت الشمس: غربت. وقيل: زالت. وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم:

{أتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس. فصلى بي الظهر واشتقاقه من}

الدلك لأن الإنسان يدلك عينه عند النظر إليها فإن كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات

الخمس وإن كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر. والغسق: الظلمة وهو وقت صلاة

العشاء {وقرآن الفجر {صلاة الفجر سميت قرآناً وهو القراءة لأنها ركن كما سميت ركوعاً

وسجوداً وقنوتاً وهي حجة على ابن علية والأصم في زعمهما أن القراءة ليست بركن {مشهوداً {

يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل وأول ديوان

النهار أو يشهده الكثير من المصلين في المادة. أو من حقه أن يكون مشهوداً بالجماعة الكثيرة.

ويجوز أن يكون {قرآن الفجر {حثاً على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثوراً عليها

ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة {ومن الليل وعليك}

بعض الليل {فتهجد به {والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحو التأثم والتحرج. ويقال أيضاً في النوم:

تهجد {نافلة لك {عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجداً لأن التهجد

عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد. والمعنى أن التهجد زيد لك على

الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوع لهم {مقاماً محموداً {نصب على

الظرف أي: عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاماً محموداً. أو ضمن يبعثك معنى يقيمك.

ويجوز أن يكون حالاً بمعنى أن يبعثك ذا مقام محمود. ومعنى المقام المحمود: المقام الذي يحمده

القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجب الحمد من أنواع الكرامات وقيل:

المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله. وعن ابن عباس رضي اللّه عنهما: مقام يحمدك فيه

الأولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق: تسأل فتعطى وتشفع فتشفع ليس أحد إلا

تحت لوائك. وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم:

{هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي {وعن حذيفة:

يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول:

{لبيك وسعديك والشر ليس إليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ

ولا منجى منك إلا إليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت {قال: فهذا قوله {عسى أن

يبعثك الله مقاماً محموداً {.

{وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً {.

قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح: بمعنى المصدر. ومعنى الفتح: أدخلني فأدخل مدخل

صدق أي: أدخلني القبر مدخل صدق: إدخالاً مرضياً على طهارة وطيب من السيئات

وأخرجني منه عند البعث إخراجاً مرضياً ملقى بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره

على أثر ذكر البعث. وقيل: نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة.

وقيل: إدخاله مكة ظاهراً عليها بالفتح وإخراجه منها آمناً من المشركين وقيل: إدخاله الغار

وإخراجه منه سالماً. وقيل إدخاله فيما حمله من عظيم الأمر وهو النبوة وإخراجه منه مؤدياً لما

كلفه من غير تفريط. وقيل: الطاعة. وقيل: هو عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من أمر

ومكان {سلطاناً {حجة تنصرني على من خالفني. أو ملكاً وعزاً قوياً ناصراً للإسلام على

الكفر مظهراً له عليه فأجيب دعوته بقوله: {والله يعصمك من الناس }المائدة: 67 {فإن حزب

الله هم الغالبون }المائدة: 56 {ليظهره على الدين كله }التربة: 33 {ليستخلفنهم في الأرض }

النور: 55 ووعداً لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له. وعنه صلى الله عليه وسلم:

أنه استعمل عتاب بن أُسيد على أهل مكة وقال {انطلق فقد استعملتك على أهل اللّه {فكان

شديداً على المريب ليناً على المؤمن وقال: لا واللّه لا أعلم متخلفاً يتخلف عن الصلاة في جماعة

إلا ضربت عنقه فإنه لا يتخلف عن الصلاة إلا منافق. فقال أهل مكة: يا رسول اللّه لقد

استعملت على أهل الله عتاب بن أسيد أعرابياً جافياً فقال صلى الله عليه وسلم: {إني رأيت

فيما يرى النائم كأن عتاب بن أسيد أتى باب الجنة فأخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالاً شديداً

حتى فتح له فدخلها فأعز الله به الإسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك

السلطان النصير {.

كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنماً صنم كل قوم بحيالهم. وعن ابن عباس رضي اللّه

عنهما: كانت لقبائل العرب يحجون إليها وينحرون لها فشكا البيت إلى الله عز وجل فقال: أي

رب حتى متى تعبد هذه الأصنام حولي دونك فأوحى الله إلى البيت: إني سأحدث لك نوبة

جديدة فأملأك خدوداً سجداً يدفون إليك دفيف النسور يحنون إليك حنين الطير إلى بيضها.

لهم عجيج حولك بالتلبية.

ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ

مخصرتك ثم ألقها فجعل يأتي صنماً صنماً وهو ينكت بالمخصرة في عينه ويقول: جاء الحق

وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعاً وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان

من قوارير صفر فقال: يا علي ارم به فحمله رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى صعد

فرمى به فكسره فجعل أهل مكة يتعجبون ويقولون: ما رأينا رجلاً أسحر من محمد صلى الله

عليه وسلم.

وشكاية البيت والوحي إليه: تمثيل وتخييل {وزهق الباطل {ذهب وهلك من قولهم: زهقت

نفسه إذا خرجت. والحق: الإسلام. والباطل: الشرك {كان زهوقاً {كان مضمحلاً غير ثابت في

كل وقت.

{وننزل {قرئ بالتخفيف والتشديد {من القرآن {من للتبيين كقوله: {من الأوثان {أو للتبعيض أي:

كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء للمؤمنين يزدادون به إيماناً ويستصلحون به دينهم فموقعه

منهم موقع الشفاء من المرضى. وعن النبي صلى الله عليه وسلم:

{من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله {ولا يزداد به الكافرون {إلا خساراً {أي نقصاناً لتكذيبهم

به وكفرهم كقوله تعالى: {فزادتهم رجساً إلى رجسهم {التوبة: 125.

{وإذا أنعمنا على الإنسان اعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الضر كان يؤوساً قل كل يعمل على

شاكلته فربكم اعلم بمن هو أهتدى سبيلاً {.

{وإذا أنعمنا على الإنسان {بالصحة والسعة {اعرضتم {عن ذكر الله كأنه مستغن عنه مستبد

بنفسه {ونأى بجانبه {تأكيد للإعراض: لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه. والنأي

بالجانب: أن يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره وأراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين

{وإذا مسه الضر {من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل {كان يؤسا {شديد اليأس من روح الله

{إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون {وقرئ {وناء بجانبه {بتقديم اللام على العين كقوله

راء في رأى ويجوز أن يكون من ناء بمعنى نهض {قل كل {أحد {يعمل على شاكلته {أي على

مذهبه وطريقته التي تشاكل حاله في الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهي الطرق

التي تتشعب منه والدليل عليه قوله: {فربكم اعلم بمن هو أهتدى سبيلاً {أي أسد مذهباً

وطريقة.

{ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً}.

الأكثر على أنه الروح الذي في الحيوان. سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أي مما استأثر

بعلمه. وعن عبد الله بن بريدة:

لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح. وقيل: هو خلق عظيم روحاني أعظم

من الملك. وقيل: جبريل عليه السلام. وقيل: القرآن و {من أمر ربي {أي من وحيه وكلامه ليس

من كلام البشر.

بعثت اليهود إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فإن

أجاب عنها أو سكت فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم

القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم في التوراة فندموا على سؤالهم. {وما أوتيتم {الخطاب عام.

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا: نحن مختصون بهذا الخطاب

أم أنت معنا فيه فقال: بل نحن وأنتم لم نؤت من العلم إلا قليلاً فقالوا: ما أعجب شأنك:

ساعة تقول {ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً {البقرة: 269 وساعة تقول هذا فنزلت:

{ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام {لقمان: 27 وليس ما قالوه بلازم لأن القلة والكثرة

تدوران مع الإضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافاً إلى ما فوقه وبالكثرة مضافاً إلى ما تحته

فالحكمة التي أوتيها العبد خير كثير في نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله فهي قليلة. وقيل:

هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: قد أوتينا التوراة وفيها

الحكمة وقد تلوت {ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً {البقرة: 269 فقيل لهم: إن علم

التوراة قليل في جنب علم الله.

{ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً إلا رحمة من ربك إن

فضله كان عليك كبيراً }.

{لنذهبن {جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط. واللام الداخلة على إن موطئة

للقسم. والمعنى: إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له أثراً

وبقيت كما كنت لا تدري ما الكتاب {ثم لا تجد لك {بعد الذهاب {به {من يتوكل علينا

باسترداده وإعادته محفوظاً مستوراً {إلا رحمة من ربك {إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن

رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى: ولكن رحمة من ربك تركته

غير مذهوب به وهذا امتنان من اللّه تعالى ببقاء القرآن محفوظاً بعد المنة العظيمة في تنزيله

وتحفيظه فعلى كل ذي علم أن لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه

بحفظ العلم ورسوخه في صدره ومنته عليه في بقاء المحفوظ. وعن ابن مسعود: إن أول ما

تفقدون من دينكم الأمانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وإن هذا القرآن

تصبحون يوماً وما فيكم منه شيء. فقال رجل: كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في

مصاحفنا نعلمه أبناءنا ويعلمه أبناؤنا أبناءهم فقال: يسري عليه ليلاً فيصبح الناس منه فقراء

ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب.

{قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم

لبعض ظهيراً }

{لا يأتون }جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جواباً للشرط كقوله:

يقول لا غائب ما لي ولا حرم

لأن الشرط وقع ماضياً أي: لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في بلاغته وحسن نظمه

وتأليفه وفيهم العرب العاربة أرباب البيان لعجزوا عن الإتيان بمثله والعجب من النوابت ومن

زعمهم أن القرآن قديم مع اعترافهم بأنه معجز وإنما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال:

اللّه قادر على خلق الأجسام والعباد عاجزون عنه. وأما المحال الذي لا مجال فيه للقدرة ولا

مدخل لها فيه كثاني القديم فلا يقال للفاعل. قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز

وصف الله بالعجز. لأنه لا يوصف بالقدرة على المحال إلا أن يكابروا فيقولوا هو قادر على

المحال فإن رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق.

{ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً }.

{ولقد صرفنا }رددنا وكررنا {من كل مثل }من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه.

والكفور: الجحود. فإن قلت: كيف جاز {فأبى أكثر الناس إلا كفوراً }ولم يجز ضربت إلا

زيداً قلت: لأن أبى متأول بالنفي كأنه قيل: فلم يرضوا إلا كفوراً.

{وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل وعنب

فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة

قبيلاً أو يكون لك بيت من خزف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً

نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً }.

لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا

يتعللون باقتراح الآيات: فعل المبهوت المحجوج المتعثر في أذيال الحيرة فقالوا: لن نؤمن لك حتى...

وحتى {تفجر {تفتح. وقرئ تفجر بالتخفيف {من الأرض {يعنون أرض مكة {ينبوعاً {عيناً غزيرة

من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع: يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء {كما زعمت {يعنون

قول الله تعالى {إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء {سبأ: 9 وقرئ:

كسفاً بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحه {قبيلاً {كفيلاً بما تقول شاهداً بصحته.

والمعنى: أو تأتي بالله قبيلاً وبالملائكة قبيلاً كقوله:

كنت منه ووالدي بريا**فإني وَقَيار بَها لغريبُ

أو مقابلاً كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه {لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا {الفرقان: 21 أو

جماعة حالاً من الملائكة {من زخرف {من ذهب {في السماء {في معارج السماء فحذف

المضاف. يقال: رقى في السلم وفي الدرجة {لن نؤمن لرقيك {ولن نؤمن لأجل رقيك {حتى تنزل

علينا كتاباً {من السماء فيه تصديقك. عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال عبد الله بن أبي

أمية: لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلماً. ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها ثم تأتي

معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول. وما كانوا يقصدون

بهذه الاقتراحات إلا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا: هذا سحر كما قال عز رجل

{ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس {الأنعام: 7 {ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه

يعرجون {الحجر: 14 وحين أنكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما

اقترحوه بل هي أعظم لم يكن إلى تبصرتهم سبيل {قل سبحان ربي {وقرئ: قال سبحان ربي

أي قال الرسول. وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه {هل كنت إلا {رسولاً كسائر الرسل

{بشراً {مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات

إلي إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيرونها علي.

{وما منع الناس أن يؤمنوا أن جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً قل لو كان في

الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً {.

أن الأولى نصب مفعول ثان لمنع. والثانية رفع فاعل له. و {الهدى {الوحي. أي: وما منعهم

الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي

إنكارهم أن يرسل الله البشر. والهمزة في {أبعث الله {للإنكار وما أنكروه فخلافه هو المنكر

عند الله لأن قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحي إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء ثم قرر ذلك

بأنه {لو كان في الأرض ملائكة يمشون {على أقدامهم كما يمشي الإنس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى

السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه {مطمئنين {ساكنين في الأرض قارين {لنزلنا

عليهم من السماء ملكاً رسولاً {يعلمهم الخير ويهديهم المراشد. فأما الإنس فما هم بهذه المثابة

إنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم. فإن قلت: هل

يجوز أن يكون بشراً وملكاً منصوبين على الحال من رسولاً قلت: وجه حسن والمعنى له

أجوب.

{قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم إنه كان بعباده خبيراً بصيراً {.

{شهيداً بيني وبينكم {على أني بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم {إنه كان

بعباده {المنذرين والمنذرين {خبيراً {عالماً بأحوالهم فهو مجازيهم. وهذه تسلية لرسول الله صلى

الله عليه وسلم ووعيد للكفرة. وشهيداً: تمييز أو حال.

{من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على

وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا

بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً {.

}وَمَن يهدِ الله {ومن يوفقه ويلطف به {فهو المهتد {لأنه لا يلطف إلا بمن عرف أن اللطف ينفع

فيه {ومن يضلل {ومن يخذل {فلن تجد لهم أولياء {أنصاراً {على وجوههم {كقوله: }يوم يسحبون

في النار على وجوههم {القمر: 48.

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يمشون على وجوههم قال: {إن الذي أمشاهم

على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم {}عمياً وبكماً وصماً {كما كانوا في الدنيا لا

يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه مهم في الآخرة كذلك: لا يبصرون ما يقر

أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم. ومن كان في هذه أعمى فهو في

الآخرة أعمى. ويجوز أن يحشروا مؤقي الحواس من الموقف إلى النار بعد الحساب فقد أخبر

عنهم في موضع آخر أنهم يقرؤن ويتكلمون {كلما خبت {كما أكلت جلودهم ولحومهم وأفنتها

فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالإعادة بعد الإفناء جعل

الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها ولا يزالون على الإفناء

والإعادة ليزيد ذلك في تحسرهم على تكذيبهم البعث ولأنه أدخل في الانتقام من الجاحد وقد

دل على ذلك بقوله {ذلك جزاؤهم {إلى قوله {أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً {.

}أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا

ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفوراً {.

فإن قلت: علام عطف قوله {وجعل لهم أجلاً {قلت: على قوله {أولم يروا {لأن المعنى قد

علموا بدليل العقل أن من قدر على خلق السموات والأرض فهو قادر على خلق أمثالهم من

الإنس لأنهم ليسوا بأشد خلقاً منهن كما قال: لأنتم أشد خلقاً أم السماء {وجعل لهم أجلاً لا

{قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتوراً }.

{لو {حقها أن تدخل على الأفعال دون الأسماء فلا بد من فعل بعدها في {لو أنتم تملكون }

وتقديره لو تملكون تملكون فأضمر تملك إضماراً على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل

الذي هو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط ما يتصل به في اللفظ فأنتم: فاعل الفعل

المضمر وتملكون: تفسيره وهذا هو الوجه الذي يقتضيه عله الإعراب. فأما ما يقتضيه علم

البيان فهو: أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ

ونحوه قول حاتم:

لو ذات سوار لطمتني

وقول المتلمس:

ولو غير أخوالي أرادوا نقيصتي

وذلك لأن الفعل الأول لما سقط لأجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر. ورحمة اللّه:

رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التي لا يبلغها الوهم. وقيل:

هو لأهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والأنهار وغيرها وأنهم لو ملكوا خزائن

الأرزاق لبخلوا بها {قتوراً {ضيقاً بخيلاً. فإن قلت: هل يقدر {لأمسكتم {مفعول قلت: لا

{ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فسأل بني إسرائيل إذ جاءهم فقال له فرعون إني لأظنك يا

موسى مسحوراً }.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم

والحجر والبحر والطور الذي نتقه على بني إسرائيل. وعن الحسن: الطوفان والسنون ونقص

الثمرات: مكان الحجر والبحر والطور. وعن عمر بن عبد العزيز أن سأل محمد بن كعب فذكر

اللسان والطمس فقال له عمر: كيف يكون الفقيه إلا هكذا أخرج يا غلام ذلك الجراب

فأخرجه فنفضه فإذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها

حجارة. وعن صفوان بن عسال:

أن بعض اليهود سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال: أوحى الله إلى موسى: أن قل

لبني إسرائيل: لا تشركوا باللّه شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حزم الله إلا

بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببريء إلى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة

ولا تفروا من الزحف وأنتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت: {فسأل بني إسرائيل {فقلنا له:

سل بني إسرائيل أي: سلهم من فرعون وقل له: أرسل معي بني إسرائيل. أو سلهم عن إيمانهم

وعن حال دينهم. أو سلهم أن يعاضدوك وتكون قلوبهم وأيديهم معك. وتدل عليه قراءة رسول

اللّه صلى الله عليه وسلم: فسال بني إسرائيل على لفظ الماضي بغير همز وهي لغة قريش

وقيل: فسل يا رسول الله المؤمنين من بني إسرائيل وهم عبد الله بن صلام وأصحابه عن الآيات

ليزدادوا يقيناً وطمأنينة قلب لأن الأدلة إذا تظاهرت كان ذلك أقوى وأثبت كقول إبراهيم

{ولكن ليطمئن قلبي {. فإن قلت: بم تعلق {إذ جاءهم {قلت: أما على الوجه الأول فبالقول

المحذوف أي فقلنا لهم سلهم حين جاءهم أو باسأل في القراءة الثانية. وأما على الأخير

فبآتينا. أو بإضمار اذكر أو يخبروك. ومعنى {إذ جاءهم {إذ جاء آباءهم {مسحوراً {سحرت

فخولط عقلك.

{قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً

فأراد أن يستفزهم من الأرض فأغرقناه ومن معه جميعاً وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا

الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً }.

{لقد علمت {يا فرعون {ما أنزل هؤلاء {الآيات إلا اللّه عز وجل {بصائر {بينات مكشوفات

ولكنك معاند مكابر: ونحوه: {وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً }النمل: 14 وقرئ

علمت بالضم على معنى: إني لست بمسحور كما وصفتني بل أنا عالم بصحة الأمر. وأن هذه

الآيات منزلها رب السموات والأرض. ثم قارع ظنه بظنه كأنه قال: إن ظننتني مسحوراً فأنا

أظنك {مثبوراً {هالكاً وظني أصح من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهي إنكارك ما عرفت

صحته ومكابرتك لآيات اللّه بعد وضوحها. وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع علمك

بصحة أمري إني لأظنك مسحوراً قول كذاب. وقال الفراء: مثبوراً مصروفاً عن الخير مطبوعاً

على قلبك من قولهم: ما ثبرك عن هذا أي: ما منعك وصرفك وقرأ أبي بن كعب وإن

أخالك يا فرعون لمثبوراً على إن المخففة واللام الفارقة {فأراد {فرعون أن يستخف موسى

وقومه من أرض مصر ويخرجهم منها أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال فحاق به

مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبطه {اسكنوا الأرض {التي أراد فرعون أن يستفزكم منها {فإذا

جاء وعد الآخرة {يعني قيام الساعة {جئنا بكم لفيفاً {جمعاً مختلطين إياكم وإياهم ثم يحكم

بينكم ويميز بين سعدائكم وأشقيائكم: واللفيف: الجماعات من قبائل شتى.

{وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً }.

{وبالحق أنزلناه وبالحق نزل {وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة المقتضية لإنزاله وما نزل إلا ملتبساً بالحق

والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير أو ما أنزلناه بن السماء إلا بالحق محفوظاً بالرصد من

الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظاً بهم من تخليط الشياطين {وما أرسلناك {إلا لتبشرهم

بالجنة وتنذرهم من النار ليس إليك وراء ذلك شيء من إكراه على الدين أو نحو ذلك.

{وقرآناً {منصوب بفعل يفسره {فرقناه {وقرأ أبي فرقناه بالتشديد أي: جعلنا نزوله مفرقاً منجماً

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قرأ مشدداً وقال: لم ينزل في يومين أو ثلاثة بل كان بين أوله

وآخره عشرون سنة يعني: أن فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب {على مكث {بالفتح

والضم: على مهل وتؤدة وتثبت {ونزلناه تنزيلاً {على حسب الحوادث.

{قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا تتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً

ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً {.

{قل آمنوا به أو لا تؤمنوا {أمر بالإعراض عنهم واحتقارهم والإزدراء بشأنهم وأن لا يكترث بهم

وبإيمانهم وبامتناعهم عنه وأنهم إن لم يدخلوا في الإيمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم أهل جاهلية

وشرك فإن خيراً منهم وأفضل وهم العلماء الذين قرؤوا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع

قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم أنه النبي العربي الموعود في كتبهم فإذا تلي عليهم خزوا

سجداً وسبحوا الله تعظيماً لأمره ولإنجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد

صلى الله عليه وسلم وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله: {إن كان وعد ربنا

لمفعولاً......... ويزيدهم خشوعاً {أي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فإن قلت: {إن

الذين أوتوا العلم من قبله {تعليل لماذا قلت: يجوز أن يكون تعليلاً لقوله {آمنوا به أو لا تؤمنوا {

وأن يكون تعليلاً لقل على سبيل التسلية لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كأنه

قيل: تسل عن إيمان الجهلة بإيمان العلماء وعلى الأول: إن لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير

منكم. فإن قلت: ما معنى الخرور للذقن قلت: السقوط على الوجه وإنما ذكر الذقن وهو

مجتمع اللحيين لأن الساجد أول ما يلقى به الأرض من وجهه الذقن فإن قلت: حرف الاستعلاء

ظاهر المعنى إذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال:

فخر صريعاً لليدين وللفم

قلت: معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لأن اللام للاختصاص. فإن قلت: لم كرر

يخرون للأذقان قلت: لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في

حال كونهم باكين.

{قل أدعو الله أو أدعو الرحمن أياً ما تدعون فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت

بها وابتغ بين ذلك سبيلاً {.

عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعه أبو جهل يقول: يا الله يا رحمن فقال: إنه ينهانا أن نعبد

إلهين وهو يدعو إلهاً آخر. وقيل: إن أهل الكتاب قالوا: إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في

التوراة هذا الاسم فنزلت. والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى إلى مفعولين

تقول: دعوته زيداً ثم يترك أحدهما استغناء عنه فيقال: دعوت زيداً. والله والرحمن المراد

بهما الاسم لا المسمى. وأو للتخيير فمعنى {أدعو الله أو أدعو الرحمن {سموا بهذا الاسم أو

بهذا واذكروا إما هذا وإما هذا. والتنوين في {أياً {عوض من المضاف إليه. وما صلة للإبهام

المؤكد لما في أي أي: أي هذين الاسمين سميتم وذكرتم {فله الأسماء الحسنى {والضمير في {فله {

ليس براجع إلى أحط الاسمين المذكورين ولكن إلى مسماهما وهو ذاته تعالى لأن التسمية للذات

لا للاسم. والمعنى: أياماً تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله: {فله الأسماء الحسنى {لأنه إذا

حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان: لأنهما منها ومعنى كونهما أحسن الأسماء. أنها

مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم. {بصلاتك {بقراءة صلاتك على حذف المضاف

لأنه لا يلبس من قبل أن الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال

وأذكار وكان رسول اللّه صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا

وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى: ولا تجهر حتى تسمع المشركين {ولا تخافت {حتى لا

تسمع من خلفك {وابتغ بين {الجهر والمخافتة {سبيلاً {وسطاً.

وروي أن أبا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول: أناجي ربي وقد

علم حاجتي وكان عمر رضي الله عنه يرفع صوته ويقول: أزجر الشيطان وأوقظ الوسنان

فأمر أبا بكر أن يرفع قليلاً وعمر أن يخفض قليلاً. وقيل: معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت

بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلاً بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل {بصلاتك {

بدعائك. وذهب قوم إلى أن الآية منسوخة بقوله: {ادعوا ربكم تضرعاً وخفية {الأعراف: 55

وابتغاء السبيل: مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة {ولي من الذل {ناصر من الذل ومانع له منه

لاعتزازه به أو لم يوال أحداً من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته.

{قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره

تكبيراً {.

فإن قلت: كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد قلت: لأن من هذا

وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية. عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{من قرأ سورة بني إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف

أوقية ومائتا أوقية }. رزقنا الله بفضله العميم وإحسانه الجسيم.

سورة الكهف

مكية وآياتها 110

بسم الله الرحمن الرحيم

{الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً لينذر بأساً شديداً ويبشر

المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً وينذر الذين قالوا اتخذ الله

ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولوا إلا كذباً }.

لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الإسلام

وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم {ولم

يجعل له عوجاً {ولم يجعل له شيئاً من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الأعيان والمراد

نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والإصابة فيه. فإن قلت: بم

انتصب {قيماً {قلت: الأحسن أن ينتصب بمضمر ولا يجعل حالاً من الكتاب لأن قوله {ولم

يجعل {معطوف على أنزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالاً من الكتاب فاصل بين الحال

وذي الدال ببعض الصلة وتقديره: ولم يجعل له عوجاً جعله قيماً لأنه إذا نفى عنه العوج فقد

أثبت له الاستقامة. فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفي العوج إثبات الاستقامة وفي أحدهما غنى

عن الآخر قلت: فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج

عند السبر والتصفح. وقيل: قيماً على سائر الكتب مصدقاً لها شاهداً بصحتها. وقيل: قيماً

بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيماً أنذر متعد إلى مفعولين كقوله {إنا أنذرنا

كم عذاباً قريباً {النبأ: 40 فاقتصر على أحدهما وأصله {لينذر {الذين كفروا {بأساً شديداً }

والبأس من قوله {بعذاب بئيس }الأعراف: 165 وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأساً وبآسة

{مِن لدنه {صادراً من عنده. وقرئ من لدنه بسكون الدال مع إشمام الضمة وكسر النون

{ويبشر {بالتخفيف والتثقيل. فإن قلت: لم اقتصر على أحد مفعولي أنذر قلت: قد جعل

المنذر به هو الغرض المسبوِق إليه فوجب الاقتصار عليه. والدليل عليه تكرير الإنذار في قوله

{وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً {متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في

قوله: {أن لهم أجراً حسناً {استغناء بتقدم ذكره. والأجر الحسن: الجنة {ما لهم به من علم {أي

بالولد أو باتخاذه يعني أن قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء

وقد استملته آباؤهم من الشيطان وتسويله. فإن قلت: اتخاذ اللّه ولداً في نفسه محال فكيف

قيل: ما لهم به من علم قلت: معناه ما لهم به من علم لأنه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء

العلم بالشيء إما للجهل بالطريق الموصل إليه وإما لأنه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به.

قرئ كبرت كلمة وكلمة: بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب أقوى وأبلغ. وفيه

معنى التعجب كأنه قيل: ما أكبرها كلمة. و {تخرج من أفواههم {صفة للكلمة تفيد استعظاماً

لاجترائهم على النطق بها وإخراجها من أفواههم فإن كثيراً مما يوسوسه الشيطان في قلوب الناس

ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون أن يتفوهوا به ويطلقوا به ألسنتهم بل يكظمون عليه

تشوراً من إظهاره فكيف بمثل هذا المنكر وقرئ كبرت بسكون الباء معِ إشمام الضمة. فإن

قلت: إلام يرجع الضمير في كبرت قلت: إلى قولهم {اتخذ الله ولداً {وسميت كلمة كما يسمون

القصيدة بها.

{فلعلك باخع نفسك على أثرهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً {.

شبهه وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والأسف على توليهم برجل

فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ويبخع نفسه وجداً عليهم وتلهفاً على

فراقهم. وقرئ باخع نفسك على الأصل وعلى الإضافة: أي قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال

فيمن قرأ إن لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ أن لم يؤمنوا بمعنى: لأن لم يؤمنوا {بهذا الحديث {بالقرآن

{أسَفاً {مفعول له أي: لفرط الحزن. ويجوز أن يكون حالاً والأسف: المبالغة في الحزن

والغضب. يقال: رجل أسف وأسيف.

{إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً

جزراً أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً إذ أوى الفتية إلى الكهف

فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيأ لنا من أمرنا رشداً فضربنا على آذانهم في الكهف سنين

عدداً {.

{ما على الأرض {يعني ما يصلح أن يكون زينة لها ولأهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن

منها {لنبلوهم أيهم أحسن عملاً {وحسن العمل: الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد في الميل

إليها بقوله {وإنا لجاعلون ما عليها {من هذه الزينة {صعيداً جزراً {يعني مثل أرض بيضاء لا

نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة في إزالة بهجته وإماطة حسنه وإبطال ما به كان

زينة: من إماتة الحيوان وتجفيف النبات والأشجار ونحو ذلك ذكر فن الآيات الكلية تزيين الأرض

مما خلق فوقها من الأجناس التي لا حصر لها وإزالة ذلك كله كأن لم يكن ثم قال {أم حسبت }

يعني أن ذلك أعظم من قصة أصحاب الكهف وإبقاء حياتهم مدة طويلة. والكهف: الغار

الواسع في الجبل {والرقيم {اسم كلبهم. قال أمية بن أبي الصلت:

وليس بها إلا الرقيم مجاوراً وصيدهم والقوم في الكهف همد

وقيل: هو لوح من رصاص رقمت فيه أسماؤهم جعل على باب الكهف. وقيل: إن الناس

رقموا حديثهم نقراً في الجبل. وقيل: هو الوادي الذي فيه الكهف. وقيل: الجبل. وقيل: قريتهم.

وقيل: مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين {كانوا {آية {عجباً {من آياتنا وصفاً بالمصدر أو

على: ذات عجب {من لدنك رحمة {أي رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والأمن

من الأعداء {وهيأ لنا من أمرنا {الذي نحن عليه من مفارقة الكفار {رشداً {حتى نكون بسببه

راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا رشداً كله كقولك: رأيت منك أسداً {فضربنا على آذانهم }

أي ضربنا عليها حجاباً من أن تسمع يعني: أنمناهم إنامة ثقيلة لا تنبههم فيها الأصوات كما ترى

المستثقل في نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذي هو الحجاب كما يقال:

بنى على امرأته يريدون: بنى عليها القبة {سنين عدداً {ذوات عدد فيحتمل أن يريد الكثرة وأن

يريد القلة لأن الكثير قليل عنده كقوله: {لم يلبثوا إلا ساعة من نهار }الأحقاف: 35 وقال

الزجاج إذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج أن يعد وإذا كثر احتاج إلى أن يعد.

{ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً }.

{أي {يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه {لنعلم {فلم يعمل فيه. وقرئ ليعلم وهو معلق عنه

أيضاً لأن ارتفاعه بالابتداء لا بإسناد يعلم إليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما أنه مفعول نعلم

{أي الحزبين {المختلفين منهم في مدة لبثهم لأنهم لما انتبهوا اختلفوا في ذلك وذلك قوله {قال قائل

منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم {الكهف: 19 وكان الذين

قالوا ربكم أعلم بما لبثتم: هم الذين علموا أن لبثهم قد تطاول أو أي الحزبين المختلفين من غيرهم

و {أحصى {فعل ماض أي أيهم ضبط {أمداً {لأوقات لبثهم. فإن قلت: فما تقول فيمن جعله من

أفعل التفضيل قلت: ليس بالوجه السديد وذلك أن بناءه من غير الثلاثي المجرد ليس بقياس.

ونحو أعدى من الجرب وأفلس من ابن المذلق شاذ. والقياس على الشاذ في غير القرآن ممتنع

فكيف به ولأن {أمداً {لا يخلو: إما أن ينتصب بأفعل فأفعل لا يعمل. وإما أن ينصب بلبثوا

فلا يسد عليه المعنى. فإن زعمت أني أنصبه بإضمار فعل يدل عليه أحصى كما أضمر في

قوله:

وأضرب منا بالسيوف القوانسا

على: نضرب القوانس فقد أبعدت المتناول وهو قريب حيث أبيت أن يكون أحصى فعلاً ثم

رجعت مضطراً إلى تقديره وإضماره. فإن قلت: كيف جعل الله تعالى العلم بإحصاءهم المدة

غرضاً في الضرب على آذانهم قلت: الله عز وجل لم يزل عالماً بذلك وإنما أراد ما تعلق به

العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا إيماناً واعتباراً ويكون لطفاً لمؤمني زمانهم وآية بينة

لكفاره.

{نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ

قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً هؤلاء قومنا

اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً {.

{وزدناهم هدى {بالتوفيق والتثبيت {وربطنا على قلوبهم {وقويناها بالصبر على هجر الأوطان

والنعيم والفرار بالدين إلى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالإسلام

{إذ قاموا {بين يدي الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم

{فقالوا ربنا رب السموات والأرضِ...... شَطَطَاً {قولاَ ذا شطط وهو الإفراط في الظلم

والإبعاد فيه من شط: إذا بعد. ومنه أشط في السوم وفى غيره {هؤلاء {مبتدأ و {قومنا {

عطف بيان {واتخذوا {خبر وهو إخبار في معنى إنكار {لولا يأتون عليهم {هلا يأتون على

عبادتهم فحذف المضاف {بسلطان بين {وهو تبكيت لأن الإتيان بالسلطان على عبادة الأوثان

محال وهو دليل على فساد التقليد وأنه لا بد في الدين من الحجة حتى يصح ويثبت {افترى

على الله كذباً {بنسبة الشريك إليه.

{وإذ اعتزلتموهم ما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيأ لكم من

أمركم مرفقاً {.

{وإذ اعتزلتموهم {خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم {ما

يعبدون {نصب عطف على الضمير يعني: وإذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم {إلا الله {يجوز

أن يكون استثناء متصلاً على ما روي: أنهم كانوا يقرون بالخالق ويشركون معه كما أهل مكة.

وأن يكون منقطعاً. وقيل: هو كلام معترض إخبار من الله تعالى عن الفئة أنهم لم يعبدوا غير الله

{مرتفقاً {قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به: أي ينتفع إما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله

وقوة في رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم. وإما أن يخبرهم به نبي في عصرهم وإما أن يكون

بعضهم نبياً.

{وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم

في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً }.

{تزاور }أي تمايل أصله تتزاور فخفف بإدغام التاء في الزاي أو حذفها. وقد قرئ بهما وقرئ

تزوز وتزواز بوزن تحم وتحمار وكلها من الزور وهو الميل. ومنه زاره إذا مال إليه. والزور:

الميل عن الصدق {ذات اليمين }جهة اليمين وحقيقتها. الجهة المسماة باليمين {تقرضهم }تقطعهم لا

تقربهم من معنى القطيعة والصرم. قال ذو الرمة:

إلى ظعن يقرضن أقواز مشرف شمالاً وعن أيمانهم الفوارس

{وهم في فجوة منه }وهم في متسع من الكهف. والمعنى أنهم في ظل نهارهم كله لا تصيبهم

الشمس في طلوعها ولا غروبها مع أنهم في مكان واسع منفتح معرض لإصابة الشمس لولا أن

الله يحجبها عنهم. وقيل: في متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون

كرب الغار {ذلك من آيات الله }أي ما صنعه اللّه بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة

وغاربة آية من آياته يعني: أن ما كان في ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصاً

لهم بالكرامة. وقيل: باب الكهف شمالي مستقبل لبنات نعش فهم في مقنأة أبداً ومعنى {ذلك

من آيات الله }أن شأنهم وحديثهم من آيات اللّه {مَن يَهدِ الله فهو المهتد }ثناء عليهم بأنهم

جاهدوا في الله وأسلموا له وجوههم فلطف بهم وأعانهم وأرشدهم إلى نيل تلك الكرامة

السنية والاختصاص بالآية العظيمة وأن كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذي أصاب

الفلاح واهتدى إلى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يليه ويرشده بعد خذلان اللّه.

{وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد

لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً {

}وتحسبهم {بكسر السين وفتحها: خطاب لكل أحد والأيقاظ: جمع يقظ كأنكاد في نكد.

قيل: عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظاً وقيل: لكثرة تقلبهم وقيل: لهم

تقلبتان في السنة وقيل: تقلبة واحدة في يوم عاشوراء. وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى.

وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوباً وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه {وتحسبهم أيقاظاً }كأنه

قيل: وترى وتشاهد تقلبهم. وقرأ جعفر الصادق {وكلبهم {أي وصاحب كلبهم {باسط ذراعيه {

حكاية حال ماضية لأن اسم الفاعل لا يعمل إذا كان في معنى المضي وإضافته إذا أضيف

حقيقية معرفة كغلام زيد إلا إذا نويت حكاية الحال الماضية. والوصيد: الفناء وقيل: العتبة.

وقيل: الباب وأنشد:

بأرض فضاء لا يسد وصيدها عليّ ومعروفي بها غير منكر

وقرئ {ولملئت {بتشديد اللام للمبالغة. وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء.

و{رعباً {بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه وذلك لما ألبسهم اللّه

من الهيبة. وقيل: لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم. وقيل: لوحشة مكانهم. وعن

معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال: لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال له ابن عباس

رضي الله عنه: ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال: {لو اطلعت عليهم

لوليت منهم فراراً {فقال معاوية: لا أنتهي حتى أعلم علمهم فبعث ناساً وقال لهم: اذهبوا

فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأحرقتهم. وقرئ: {لو اطلعت }بضم

}وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم

أعلم بما لبثتم فابعثوا بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فيأتكم برزق منه

وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً إنهم إن ينظروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم إلى ملتهم ولن

تفلحوا إذاً أبداً {.

{وكذلك بعثناهم {وكما أنمناهم تلك النومة كذلك بعثناهم إدكاراً بقدرته على الإنامة والبعث

جميعاً ليسأل بعضهم بعضاً ويعرفوا حالهم وما صنع اللّه بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة

اللّه تعالى ويزدادوا يقيناً ويشكروا ما أنعم اللّه به عليهم وكرموا به {قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم {

جواب مبني على غالب الظن. وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول بالظن الغالب وأنه لا

يكون كذباً وإن جاز أن يكون خطأً {قالوا ربكم أعلم بما لبثتم {إنكار عليهم من بعضهم وأن

اللّه أعلم بمدة لبثهم كأن هؤلاء قد علموا بالأدلة أو بإلهام من الله أن المدة متطاولة وأن

مقدارها مبهم لا يعلمه إلا اللّه. وروي أنهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال

فظنوا أنهم في يومهم فلما نظروا إلى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا ذلك. فإن قلت: كيف

وصلوا قولهم {فابعثوا {بتذاكر حديث المدة قلت: كأنهم قالوا: ربكم أعلم بذلك لا طريق لكم

إلى علمه فخذوا في شي آخر مما يهمكم. والورق: الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة.

أن عرفجة أصيب أنفه يوم الكلاب فاتخذ أنفاً من ورق فأنتن فأمره رسول الله صلى الله عليه

وسلم أن يتخذ أنفاً من ذهب. وقرئ: بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة أو مكسورة. وقرأ

ابن كثير بورِقكم بكسر الراء وإدغام القاف في الكاف. وعن ابن محيصن أنه كسر الواو وأسكن

الراء وأدغم وهذا غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده. وقيل: المدينة طرسوس. قالوا:

وتزودهم ما كان معهم من الورق عند فرارهم: دليل على أن حمل النفقة وما يصلح المسافر هو

رأي المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى ما في أوعية القوم من النفقات. ومنه

قول عائشة رضي الله عنها لمن سألها عن محرم يشد عليه هميانه: أوثق عليك نفقتك. وما

حكي عن بعض صعاليك العلماء أنه كان شديد الحنين إلى أن يرزق حج بيت اللّه وتعولم منه

ذلك فكانت مياسير أهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج أتوه فبذلوا له أن يحجوا به وألحوا

عليه فيعتذر إليهم ويحمد إليهم بذلهم فإذا انفضوا عنه قال لمن عنده: ما لهذا السفر إلا

شيئان: شد الهميان والتوكل على الرحمن {بينهم {أي أهلها فحذف الأهل كما في قوله {واسأل

القرية {يوسف: 82 {أزكى طعاماً {أحل وأطيب وأكثر وأرخص {وليتلطف {وليتكلف اللطف

والنيقة فيما يباشره من أمر المبايعة حتى لا يغبن. أو في أمر التخفي حتى لا يعرف {ولا يشعرن

بكم أحداً {يعني: ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه إلى الشعور بنا فسمى ذلك إشعاراً منه

بهم لأنه سبب فيه الضمير في {إنهم {راجع إلى الأهل المقدر في {أيها {{يرجموكم {يقتلوكم أخبث

القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم {أو يعيدوكم {أو يدخلوكم {في ملتهم {بالإكراه العنيف

ويصيروكم إليها. والعود في معنى الصيرورة أكثر شيء في كلامهم يقولون: ما عدت أفعل كذا

يريدون ابتداء الفعل {ولن تفلحوا إذاً أبداً {إن دخلتم في دينهم.

{وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم

أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم

مسجداً {.

{وكذلك أعثرنا عليهم {وكما أنمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة أطلعنا عليهم ليعلم

الذين أطلعناهم على حالهم {أن وعد الله حق {وهو البعث لأن حالهم في نومتهم وانتباهتهم

بعدها كحال من يموت ثم يبعث. و {إذ يتنازعون {متعلق بأعثرنا. أي: أعثرناهم عليهم حين

يتنازعون بينهم أمر دينهم ويختلفون في حقيقة البعث فكان بعضهم يقول: تبعث الأرواح دون

الأجساد. وبعضهم يقول: تبعث الأجساد مع الأرواح ليرتفع الخلاف وليتبين أن الأجساد تبعث

حية حساسة فيها أرواحها كما كانت قبل الموت {فقالوا {حين توفى الله أصحاب الكهف {ابنوا

عليهم بنياناً {أي على باب كهفهم. لئلا يتطرق إليهم الناس ضناً بتربتهم ومحافظة عليها كما

حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة. {قال الذين غلبوا على أمرهم {من

المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم {لنتخذن {على باب الكهف {مسجداً {يصلي

فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم. وقيل: إذ يتنازعون بينهم أمرهم أي: يتذاكر الناس بينهم أمر

أصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما أظهر الله من الآية فيهم. أو يتنازعون بينهم تدبير

أمرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق إليهم فقالوا: ابنوا على باب

كهفهم بنياناً روي أن أهل الإنجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الأصنام

وأكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فأراد فتية من أشراف قومه على الشرك

وتوعدهم بالقتل فأبوا إلا الثبات على الإيمان والتصلب فيه ثم هربوا إلى الكهف ومروا بكلب

فتبعهم فطردوه فأنطقه اللّه فقال: ما تريدون مني أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم.

وقيل: مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب

اللّه على آذانهم وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن. وقد اختلف أهل مملكته

في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحاً وجلس على رماد

وسأل ربه أن يبين لهم الحق فألقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به فم الكهف

ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام وأخرج الورق وكان من ضرب

دقيانوس اتهموه بأنه وجد كنزاً فذهبوا به إلى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك وأهل المدينة

معه وأبصروهم وحمدوا اللّه على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك: نستودعك الله

ونعيذك به من شر الجن والإنس ثم رجعوا إلى مضاجعهم وتوفى اللّه أنفسهم فألقى الملك

عليهم ثيابه وأمر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب فجعلها

من الساج وبنى على باب الكهف مسجداً {ربهم أعلم بهم {من كلام المتنازعين كأنهم تذاكروا

أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا إلى حقيقة ذلك قالوا:

ربهم أعلم بهم. أو هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من أولئك

المتنازعين أو من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل

الكتاب.

{سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة

وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليلاً فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت

فيهم منهم أحداً {.

{سيقولون {الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل

الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فأخر الجواب إلى أن يوحى إليه

فيهم فنزلت إخباراً بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول

سبعة وثامنهم كلبهم. قال ابن عباس رضي الله عنه: أنا من أولئك القليل. وروي أن السيد

والعاقب وأصحابهما من أهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب

الكهف فقال السيد وكان يعقوبياً: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم. وقال العاقب وكان نسطورياً: كانوا

خمسة سادسهم كلبهم. وقال المسلمون: كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين.

وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام. وعن

علي رضي الله عنه: هم سبعة نفر أسماؤهم: يمليخا ومكشليتيا ومشلينيا: هؤلاء أصحاب

يمين الملك وكان عن يساره: مرنوش ودبرنوش وشادنوش. وكان يستشير هؤلاء الستة في أمره

والسابع: الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس. واسم مدينتهم: أفسوس. واسم

كلبهم: قطمير. فإن قلت: لم جاء بسين الاستقبال في الأول دون الآخرين قلت: فيه وجهان: أن

تدخل الآخرين في حكم السين كما تقول: قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعاً

وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له {رجماً بالغيب {رمياً بالخبر الخفي وإتياناً به

كقوله {ويقذفون بالغيب }سبأ: 53 أي يأتون به. أو وضع الرجم موضع الظن فكأنه قيل: ظناً

بالغيب لأنهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين

وما هو عنها بالحديث المرجم

أي المظنون. وقرئ ثلاث رابعهم بإدغام الثاء في تاء التأنيث. و {ثلاثة {خبر مبتدأ محذوف

أي: هم ثلاثة. وكذلك {خمسة {و {سبعة {و {رابعهم كلبهم {جملة من مبتدأ وخبر واقعة صفة

لثلاثة وكذلك {سادسهم كلبهم {{وثامنهم كلبهم {. فإن قلت: فما هذه الواو الداخلة على

الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الأولين قلت: هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة

صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالاً عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر.

ومررت بزيد وفي يده سيف. ومنه قوله تعالى: {وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم }

الحجر: 4 وفائدتها تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت

مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا: سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم

وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم. والدليل عليه أن اللّه سبحانه أتبع القولين الأولين

قوله {رجماً بالغيب {وأتبع القول الثالث قوله {ما يعلمهم إلا قليل {وقال ابن عباس رضي اللّه

عنه: حين وقعت الواو انقطعت العدة أي: لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت إليها. وثبت أنهم

سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والبتات. وقيل: إلا قليل من أهل الكتاب. والضمير في

{سيقولون {على هذا لأهل الكتاب خاصة أي: سيقول أهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم

بذلك إلا في قليل منهم وأكثرهم على ظن وتخمين {فلا تمار فيهم {فلا تجادل أهل الكتاب في

شأن أصحاب الكهف إلا جدالاً ظاهراً غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما أوحى الله إليك

فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال {وجادلهم بالتي

هي أحسن {النحل: 125 {ولا تستفت {ولا تسأل أحداً منهم عن قصتهم سؤال متعنت له

حتى يقول شيئاً فترده عليه وتزيف ما عنده لأن ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة

والمجاملة ولا سؤال مسترشد لأن اللّه قد أرشدك بأن أوحى إليك قصتهم.

{ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت وقل عسى أن

يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً {.

{ولا تقولن لشيء {ولا تقولن لأجل شيء تعزم عليه {إني فاعل ذلك {الشيء {غداً {أي فيما

يستقبل من الزمان. ولم يرد الغد خاصة {إلا أن يشاء الله {متعلق بالنهي لا بقوله: إني فاعل لأنه

لو قال إني فاعل كذا إلا أن يشاء اللّه كان معناه: إلا أن تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما

لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين أحدهما: ولا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله

أن تقوله بأن يأذن لك فيه. و! لثاني: ولا تقولنه إلا بأن يشاء الله أي: إلا بمشيئة الله وهو في

موضع الحال. يعني: إلا ملتبساً بمشيئة الله قائلاً: إن شاء الله وفيه وجه ثالث وهو: أن يكون

{أن يشاء الله {في معنى كلمة تأبيد كأنه قيل ولا تقولنه أبداً. ونحوه قوله {وما يكون لنا أن نعود

فيها إلا أن يشاء الله {الأعراف: 89 لأن عودهم في ملتهم مما لن يشاءه الله. وهذا نهي تأديب

من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش: سلوه عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين.

فسألوه فقال: ائتوني غداً أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش

{واذكر ربك {أي مشيئة ربك وقل: إن شاء الله إذا فرط منك نسيان لذلك. والمعنى: إذا

نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر. وعن ابن عباس رضي الله عنه: ولو

بعد سنة ما لم تحنث. وعن سعيد بن جبير: ولو بعد يوم أو أسبوع أو شهر أو سنة. وعن

طاوس: هو على ثنياه ما دام في مجلسه. وعن الحسن نحوه. وعن عطاء: يستثني على مقدار

حلب ناقة غزيرة. وعند عامة الفقهاء أنه لا أثر له في الأحكام ما لم يكن موصولاً. ويحكى أنه

بلغ المنصور أن أبا حنيفة خالف ابن عباس رضي الله عنه في الاستثناء المنفصل فاستحضره

لينكر عليه: فقال أبو حنيفة: هذا يرجع عليك إنك تأخذ البيعة بالأيمان أفترضى أن يخرجوا من

عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه. ويجوز أن يكون المعنى:

واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار إذا نسيت كلمة الاستثناء تشديداً في البعث على الاهتمام

بها. وقيل: واذكر ربك إذا تركت بعض ما أمرك به. وقيل: واذكره إذا اعتراك النسيان ليذكرك

المنسي وقد حمل على أداء الصلاة المنسية عند ذكرها. و {هذا} إشارة إلى نبأ أصحاب

الكهف. ومعناه: لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على أني نبي صادق ما هو أعظم في

الدلالة وأقرب رشداً من نبأ أصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الأنبياء

والإخبار بالغيوب ما هو أعظم من ذلك وأدل والظاهر أن يكون المعنى: إذا نسيت شيئاً فاذكر

ربك. وذكر ربك عند نسيانه أن تقول: عسى ربي أن يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي

أقرب منه {رشداً} {وأدنى خيراً ومنفعة. ولعل النسيان كان خيرة كقوله {أو ننسها نأت بخير

منها} البقرة: 106.

{ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات

والأرض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً }.

{ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين {يريد لبثهم فيه أحياء مضروباً على آذانهم هذه المدة وهو

بيان لما أجمل في قوله {فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً {ومعنى قوله: {قل الله أعلم بما

لبثوا {أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما أخبرك اللّه به. وعن قتادة: أنه حكاية

لكلام أهل الكتاب. و {قل الله أعلم {رد عليهم. وقال في حرف عبد اللّه: وقالوا لبثوا. وسنين:

عطف بيان لثلثمائة. وقرئ ثلثمائة سنين بالإضافة على وضع الجمع موضع الواحد في التمييز

كقوله {بالأخسرين أعمالاً} الكهف: 103 وفي قراءة أبي ثلثمائة سنة {تسعاً {تسع سنين لأن ما

قبله يدل عليه. وقرأ الحسن تسعاً بالفتح ثم ذكر اختصاصه بما غاب في السموات والأرض

وخفي فيها من أحوال أهلها ومن غيرها وأنه هو وحده العالم به وجاء بما دل على التعجب من

إدراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك

السامعين والمبصرين لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها كما يدرك أكبرها حجماً وأكثفها

جرماً ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر {ما لهم {الضمير لأهل السموات والأرض {من ولي }

من متول لأمورهم {ولا يشرك في حكمه {في قضائه {أحداً {منهم. وقرأ الحسن: ولا تشرك بالتاء

والجزم على النهي.

{واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً }.

كانوا يقولون له: ائت بقرآن غير هذا أو بدله فقيل له {واتل ما أوحى إليك {من القرآن ولا

تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك أي: لا يقدر أحد على تبديلها

وتغييرها وإنما يقدر على ذلك هو وحده {وإذا بدلنا آية مكان آية }النحل: 101 {ولن تجد من

دونه ملتحداً {ملتجأ تعدل إليه إن هممت بذلك.

{واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد

وقال قوم من رؤساء الكفرة لرسول اللّه صلى الله عليه وسلم: نح هؤلاء الموالي الذين كأن

ريحهم ريح الضأن وهم: صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك

كما قال قوم نوح: {أنؤمن لك واتبعك الأرذلون }الشعراء: 111 فنزلت: {واصبر نفسك }

واحبسها معهم وثبتها. قال أبو ذؤيب:

فصبرت عارفة لذلك حرة ترسوا إذا نفس الجبان تطلع

{بالغداة والعشي {دائبين على الدعاء في كل وقت. وقيل: المراد صلاة الفجر والعصر. وقرئ:

بالغدوة وبالغداة أجود لأن غدوة علم في كثر الاستعمال. وإدخال اللام على تأويل التنكير كما

قال:

...... والزيد زيد المعارك

ونحوه قليل في كلامهم يقال: عداه إذا جاوزه ومنه قولهم. عدا طوره. وجاءني القوم عدا

زيداً. وإنما عدي بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك: نبت عنه عينه وعلت عنه عينه:

إذا اقتحمته ولم تعلق به. فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين وهلا قيل: ولا تعدهم عيناك

أو لا تعل عيناك عنهم قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ

ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم ونحوه قوله

تعالى: {ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم }النساء: 2 أي ولا تضموها إليها أكلين لها. وقرئ {ولا

تعد عينيك {ولا تعد عينيك من أعداه وعداه نقلاً بالهمزة وتثقيل الحشو. ومنه قوله:

فعد عما ترى إذ لا ارتجاع له

لأن معناه: فعد همك عما ترى. نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يزدرى بفقراء

المؤمنين وأن تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحاً إلى زي الأغنياء وحسن شارتهم {تريد زينة

الحياة الدنيا {في موضع الحال {من أغفلنا قلبه {من جعلنا قلبه غافلاً عن الذكر بالخذلان. أو

وجدناه غافلاً عنه كقولك: أجبنته وأفحمته وأبخلته إذا وجدته كذلك. أو من أغفل إبله إذا

تركها بغير سمة أي: لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الإيمان وقد أبطل اللّه

توهم المجبرة بقوله {واتبع هواه {وقرئ غفلنا قلبه بإسناد الفعل إلى القلب على معنى: حسبنا قلبه

غافلين من أغفلته إذا وجدته غافلاً {فرطاً {متقدماً للحق والصواب نابذاً له وراء ظهره من

قولهم فرس فرط متقدم للخيل.

{وقل الحق من ربكم فمن شاء فلؤمن ومن شاء فليكفر إنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم

سرادقها وإن يستغاثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقاً {.

}وقل الحق من ربكم {الحق خبر مبتدأ محذوف. والمعنى: جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق إلا

اختياركم لأنفسكم ما شئتم من الأخذ في طريق النجاة أو في طريق الهلاك. وجيء بلفظ الأمر

والتخيير لأنه لما مكن من اختيار أيهما شاء فكأنه مخير مأمور بأن يتخير ما شاء بن

النجدين. شبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط وبيت

مسردق: ذو سرادق وقيل: هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار. وقيل: حائط من نار

يطيف بهم {يغاثوا بماء كالمهل {كقوله:

...... فاعتبروا بالصيلم

وفيه تهكم. والمهل: ما أذيب من جواهر الأرض. وقيل: دردي الزيت {يشوي الوجوه {إذا قدم

ليشرب انشوى الوجه من حرارته. عن النبي صلى الله عليه وسلم:

}هو كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه {}بئس الشراب {ذلك {وساءت {النار

}مرتفقاً {متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله }وحسنت مرتفقاً {الكهف: 31 وإلا فلا ارتفاق

لأهل النار ولا اتكاء إلا أن يكون من قوله:

إني أرقت فبت الليل مرتفقاً كأن عيني فيها الصاب مذبوح

}إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً أولئك لهم جنات عدن

تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس

}أولئك {خبر إن و {إنا لا نضيع {اعتراض ولك أن تجعل {إنا لا نضيع {و {أولئك {خبرين معاً. أو

تجعل {أولئك {كلاماً مستأنفاً بياناً للأجر المبهم. فإن قلت: إذا جعلت {إنا لا نضيع {خبراً فأين

الضمير الراجع منه إلى المبتدأ قلت: {من أحسن عملاً {و {آمنوا وعملوا الصالحات {ينتظمهما

معنى واحد فقام: {مَن أَحسَن {مقام الضمير. أو أردت: من أحسن عملاً منهم فكان كقولك:

السمن منوان بدرهم. من الأولى للابتداء. والثانية للتبيين وتنكير {أساور {لإبهام أمرها في

الحسن. وجمع بين السندس: وهو مارق من الديباج وبين الإستبرق: وهو الغليظ منه جمعاً بين

النوعين وخص الاتكاء لأنه هيئة المنعمين والملوك على أسرتهم.

{واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما

زرعاً كلتا الجنتين أتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً وكان له ثمر فقال

لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً {.

{واضرب لهم مثلاً رجلين {أي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا أخوين في بني

إسرائيل: أحدهما كافر اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا. وقيل: هما المذكوران في

سورة والصافات في قوله {قال قائل منهم إني كان لي قرين {الصافات: 51 ورثا من أبيهما ثمانية

آلاف دينار فتشاطراها. فاشترى الكافر أرضاً بألف فقال المؤمن: اللهم إن أخي اشترى

أرضاً بألف دينار وأنا أشتري منك أرضاً في الجنة بألف فتصدق به. ثم بنى أخوه داراً

بألف فقال: اللهم إني أشتري منك داراً في الجنة بألف فتصدق به. ثم تزوج أخوه امرأة بألف

فقال: اللهم إني جعلت ألفاً صداقاً للحور. ثم اشترى أخوه خدماً ومتاعاً بألف فقال: اللهم

إني اشتريت منك الولدان المخلدين بألف فتصدق به ثم أصابته حاجة فجلس لأخيه على

طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل: هما مثل لأخوين

من بني مخزوم: مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأشد وكان زوج أتم سلمة قبل رسول

الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الأسود بن عبد الأشد {جنتين من أعناب {بستانين من

كروم {وحففناهما بنخل {وجعلنا النخل محيطاً بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم: أن

يجعلوها مؤزرة بالأشجار المثمرة. يقال: حفوه إذا أطافوا به: وحففته بهم. أي جعلتهم حافين

حوله وهو متعد إلى مفعول واحد فتزيده الباء مفعولاً ثانياً كقولك: غشيه وغشيته به {وجعلنا

بينهما زرعاً {جعلناها أرضاً جامعة للأقوات والفواكه. ووصف العمارة بأنها متواصلة

متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها ويفصل بينها مع الشكل الحسن والترتيب الأنيق ونعتهما بوفاء

الثمار وتمام الأكل من غير نقص ثم بما وهو أصل الخير ومادته من أمر الشرب فجعله أفضل ما

يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها. والأكل: الثمر. وقرئ بضم الكاف {لم تظلم {ولم

تنقص. وآتت: حمل على اللفظ لأن {كلتا {لفظه لفظ مفرد ولو قيل: آتتا على المعنى لجاز

وقرئ وفجرنا على التخفيف وقرأ عبد الله كل الجنتين آتى أكله برد الضمير على كل {وكان له

ثمر {أي أنواع من المال من ثمر ماله إذا كثر. وعن مجاهد: الذهب والفضة أي: كانت له إلى

الجنتين الموصوفتين الأموال الدثرة من الذهب وِالفضة وغيرهما وكان وافر اليسار من كل وجه

متمكناً من عمارة الأرض كيف شاء {وأعز نفراً {يعني أنصاراً وحشماً. وقيل: أولاداً ذكوراً

لأنهم ينفرون معه دون الإناث يحاوره: يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع وسألته فما

أحار كلمة.

{ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن

رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً {.

يعني قطروس أخذ بيد أخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما ويفاخره

بما ملك من المال دونه. فإن قلت: فلم أفرد الجنة بعد التثنية قلت: معناه ودخل ما هو جنته

ماله جنة غيرها يعني أنه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته

لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما {وهو ظالم لنفسه {وهو معجب بما أوتي مفتخر به

كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو أفحش الظلم. إخباره عن نفسه بالشك

في بيدودة جنته: لطول أمله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة وإطراحه النظر

في عواقب أمثاله. وترى أكثر الأغنياء من المسلمين وإن لم يطلقوا بنحو هذا ألسنتهم فإن ألسنة

أحوالهم ناطقة به منادية عليه {ولئن رددت إلى ربي {إقسام منه على أنه إن رد إلى ربه على

سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيراً من جنته في الدنيا تطمعاً

وتمنياً على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه

واستئهاله وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه كقوله {إن لي عنده للحسنى {فصلت: 50

{لأوتين مالاً وولداً {مريم: 177. وقرئ: خيراً منهما رداً على الجنتين {منقلباً {مرجعاً وعاقبة.

وانتصابه على التمييز أي: منقلب تلك خير من منقلب هذه لأنها فانية وتلك باقية.

{وقال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً .{

{خلقك من تراب {أي خلق أصلك لأن خلق أصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقاً له

{سواك {عدلك وكملك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال. جعله كافراً باللّه جاحداً لأنعمه لشكه في

البعث كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافراً.

{لكنا هو الله ربي ولا أشرك بري أحداً {.

{لكنا هو الله ربي {أصله لكن أنا فحذفت الهمزة وألقيت حركتها على نون لكن فتلاقت

وترمينني بالطرف أي أنت مذنب وتقلينني لكن إياك لا أقلي

أي: لكن أنا لا أقليك وهو ضمير الشأن والشأن اللّه ربي والجملة خبر أنا والراجع منها إليه

ياء الضمير. وقرأ ابن عامر بإثبات ألف أنا في الوصل والوقف جميعاً وحسن ذلك وقوع الألف

عوضاً من حذف الهمزة. وغيره لا يثبتها إلا في الوقف. وعن أبي عمرو أنه وقف بالهاء: لكنه.

وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح أنا. وقرأ أبي بن كعب: لكن أنا على الأصل. وفي

قراءة عبد الله لكن أنا لا إله إلا هو ربي. فإن قلت: هو استدراك لماذا قلت: لقوله {أكفرت }

قال لأخيه: أنت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول: زيد غائب لكن عمراً حاضر.

{ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالاً وولداً فعسى

ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً }.

{مَا شَاءَ الله }يجوز أن تكون {ما }موصولة مرفوعة المحل على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره:

الأمر ما شاء الله. أو شرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى: أي شيء شاء الله

كان. ونظيرها في حذف الجواب {لو }في قوله: {ولو أن قراناً سيرت به الجبال }الرعد: 31

والمعنى: هلا قلت عند دخولها والنظر إلى ما رزقك اللّه منها الأمر ما شاء الله اعترافاً بأنها

وكل خير فيها إنما حصل بمشيئة الله وفضله وأن أمرها بيده: إن شاء تركها عامرة وإن شاء

خربها وقلت {لا قوة إلا بالله }إقراراً بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته

وتأييده إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى. وعن عروة بن الزبير أنه كان يثلم

حائطه أيام الرطب فيدخل من شاء. وكان إذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج. من قرأ

{أَقَل }بالنصب فقد جعل أنا فصلاً ومن رفع جعله مبتدأ وأقل خبره والجملة مفعولاً ثانياً

لترني. وفي قوله {وولداً }نصرة لمن فسر النفر بالأولاد في قوله {وأعز نفراً }الكهف: 34 والمعنى

إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني

لإيماني جنة {خيراً من جنتك }ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك. والحسبان: مصدر

كالغفران والبطلان بمعنى الحساب أي: مقداراً قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال

الزجاج: عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك. وقيل حسباناً مرامي الواحدة

حسبانة وهي الصواعق {صعيداً زلقاً {أرضاً بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقاً. و {غوراً {

كلاهما وصف بالمصدر.

{وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم

أشرك بربي أحداً ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً {.

{وأحيطَ {به عبارة عن إهلاكه. وأصله من أحاط به العدو لأنه إذا أحاط به فقد ملكه

واستولى عليه ثم استعمل في كل إهلاك. ومنه قوله تعالى {إلا أن يحاط بكم {يوسف: 66

ومثله قولهم: أتى عليه إذا أهلكه من أتى عليهم العدو: إذا جاءهم مستعلياً عليهم. وتقليب

الكفين: كناية عن الندم والتحسر لأن النادم يقلب كفيه ظهراً لبطن كني عن ذلك بعض الكف

والسقوط في اليد ولأنه في معنى الندم عدى تعديته بعلى كأنه قيل: فأصبح يندم {على ما

أنفق فيها {أي أنفق في عمارتها {وهي خاوية على عروشها {يعني أن كرومها المعرشة سقطت

عروشها على الأرض وسقطت فوقها الكروم. قيل: أرسل الله عليها ناراً فأكلتها {يا ليتني {

تذكر موعظة أخيه فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركاً حتى لا يهلك

الله بستانه. ويجوز أن يكون توبة من الشرك وندماً على ما كان منه ودخولاً في الإيمان. وقرئ:

ولم يكن بالياء والتاء وحمل {ينصرونه {على المعنى دون اللفظ كقوله {فئة تقاتل في سبيل الله

وأخرى كافرة يرونهم {آل عمران: 113. فإن قلت: ما معنى قوله: {ينصرونه من دون الله {قلت:

معناه يقدرون على نصرته من دون الله أي: هو وحده القادر على نصرته لا يقدر أحد غيره

أن ينصره إلا أنه لم ينصره لصارف وهو استيجابه أن يخذل {وما كان منتصراً }وما كان ممتنعاً

بقوته عن انتقام الله.

{هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقباً }.

{الولاية }بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك وقد قرئ بهما. والمعنى هنالك أي:

في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه تقريراً

لقوله: {ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله }الكهف: 43 أو: هنالك السلطان والملك لله لا

يغلب ولا يمتنع منه. أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر. يعني أن قوله

{يا ليتني لم أشرك بربي أحداً }الكهف: 42 كلمة ألجيء إليها فقالها جزعاً مما دهاه من شؤم

كفره ولولا ذلك لم يقلها. ويجوز أن يكون المعنى: هنالك الولاية لله ينصر فيها أولياءه المؤمنين

على الكفرة وينتقم لهم ويشفي صدورهم من أعدائهم يعني: أنه نصر فيما فعل بالكافر أخاه

المؤمن وصدق قوله: {عسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء }

الكهف: 40 ويعضده قوله {خير ثواباً وخير عقباً }أي لأوليائه وقيل {هنالك }إشارة إلى الآخرة

أي في تلك الدار الولاية لله كقوله {لمن الملك اليوم }غافر: 16 وقرئ: الحق بالرفع والجر صفة

للولاية والله. وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد كقولك: هذا عبد الله الحق لا الباطل

وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وأنصحهم. وقرئ عقباً بضم

القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة.

{واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً

{فاختلط به نبات الأرض {فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضاً. وقيل: نجع في

النبات الماء فاختلط به حتى روي ورف رفيفاً وكان حق اللفظ على هذا التفسير: فاختلط

بنبات الأرض. ووجه صحته أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه.

والهشيم: ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة. وقرئ تذروه الريح وعز ابن عباس: تذريه الرياح

من أذرى: شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات

يكون أخضر وارفاً ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن {وكان الله على كل شيء {من الإنشاء

والإفناء {مقتدراً {.

{المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً {.

{والباقيات الصالحات {أعمال الخير التي تبقى ثمرتها للإنسان وتفنى عنه كل ما تطمح إليه نفسه

من حظوظ الدنيا. وقيل: هي الصلوات الخمس وقيل: سبحان اللّه والحمد لله ولا إله إلا الله

والله أكبر. وعن قتادة: كل ما أريد به وجه الله {خير عند ربك ثواباً {أي ما يتعلق بها من

الثواب وما يتعلق بها من الأمل لأن صاحبها يأمل في الدنيا ثواب الله ويصيبه في الآخرة.

{ويوم نسير الجبال وترى الشمس بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً وعرضوا على ربك

صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعتم أن لن نجعل لكم موعداً {.

قرئ: تسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت أي: تسير في الجو. أو يذهب بها

بأن تجعل هباء منبثاً. وقرئ: وترَى الأرض على البناء للمفعول {بارزة {ليس عليها ما يسترها

مما كان عليها {وحشرناهم {وجمعناهم إلى الموقف. وقرئ: فلم نغادر بالنون والياء يقال: غادره

وأغدره إذا تركه. ومنه الغدر. ترك الوفاء. والغدير: ما غادره السيل. وشبهت حالهم بحال

الجند المعروضين على السلطان {صفاً {مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا

يحجب أحد أحداً {لقد جئتمونا {أي قلنا لهم: لقد جئتمونا. وهذا المضمر هو عامل النصب

في يوم نسير. ويجوز أن ينصب بإضمار اذكر. والمعنى لقد بعثناكم كما أنشأناكم {أول مرة }

وقيل: جئتمونا عراة لا شيء معكم كما خلقناكم أولاً كقوله: {ولقد جئتمونا فرادى }الأنعام:

4. فإن قلت: لم جيء بحشرناهم ماضياً بعد نسير وترى قلت: للدلالة على أن حشرهم قبل

التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الأهوال العظائم كأنه قيل: وحشرناهم قبل ذلك {موعداً وقتاً}

لإنجاز ما وعدتم على السنة الأنبياء من البعث والنشور.

{ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة

ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً }.

{الكتاب }للجنس وهو صحف الأعمال {يا ويلتنا }ينادون هلكتهم التي هلكوها خاصة من بين

الهلكات {صغيرة ولا كبيرة }هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الإحاطة يعني: لا يترك شيئاً

من المعاصي إلا أحصاه أي: أحصاها كلها كما تقول: ما أعطاني قليلاً ولا كثيراً لأن الأشياء

إنا صغار وإنا كبار. ويجوز أن يريد: وإنا كان عندهم صغائر وكبائر. وقيل: لم يجتنبوا الكبائر

فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة. وعن ابن عباس: الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة. وعن

سعيد بن جبير: الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا. وعن الفضيل: كان إذا قرأها قال: ضجوا والله

من الصغائر قبل الكبائر {إلا أحصاها }إلا ضبطها وحصرها {ووجدوا ما عملوا حاضراً }في

الصحف عتيداً. أو جزاء عملوا {ولا يظلم ربك أحداً }فيكتب عليه ما لم يعمل. أو يزيد في

عقاب المستحق يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظُلم الله في تعذيب أطفال المشركين بذنوب

آبائهم.

{وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه

أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً ما أشهدتهم خلق

السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضداً {.

{كان من الجن {كلام مستأنف جار مجرى التقليل بعد استثناء إبليس من الساجدين كأن قائلاً

قال: ما له لم يسجد فقيل: كان من الجن {ففسق عن أمر ربه {والفاء للتسبيب أيضاً جعل

كونه من الجن سبباً في فسقه لأنه لو كان ملكاً كسائره سجد لآدم لم يفسق عن أمر الله لأن

الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والإنس كما قال: {لا يسبقونه بالقول

وهم بأمره يعملون {الأنبياء: 7 وهذا الكلام المعترض تعمد من اللّه تعالى لصيانة الملائكة عن

وقوع شبهة في عصمتهم فما أبعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده وزعم أنه كان

ملكاً ورئيساً على الملائكة فعصى فلعن ومسخ شيطاناً ثم وركه على ابن عباس. ومعنى

{ففسق عن أمر ربه {خرج عما أمره به ربه من السجود. قال:

فواسقاً عن قصدها جوائرا

أو صار فاسقاً كافراً بسبب أمر ربه الذي هو قوله: {اسجدوا لآدم {. {أفتتخذونه {الهمزة

للإنكار والتعجيب كأنه قيل: أعقيب ما وجد منه تتخذونه {وذريته أولياء من دوني {

وتستبدلونهم بي بئس البدل من اللّه إبليس لمن استبدله فأطاعه بدل طاعته {ما أشهدتهم {

وقرئ: ما أشهدناهم يعني: أنكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وإنما كانوا يكونون شركاء فيها

لو كانوا شركاء في الإلهية فنفى مشاركتهم في الإلهية بقوله: {ما أشهدتهم خلق السموات

والأرض {لأعتضد بهم في خلقها {ولا خلق أنفسهم {أي ولا أشهدت بعضهم خلق بعض كقوله:

{ولا تقتلوا أنفسكم {النساء: 29 {وَمَا كُنتُ متخذ المضلين {بمعنى وما كنت متخذهم {عضداً {

أي أعواناً فوضع المضلين موضع الضمير ذماً لهم بالإضلال فإذا لم يكونوا عضداً لي في الخلق

فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ: وما كنت بالفتح: الخطاب لرسول الله صلى

الله عليه وسلم والمعنى: وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك أن تعتز بهم. وقرأ علي

رضي اللّه عنه: وما كنت متخذاً المضلين بالتنوين على الأصل. وقرأ الحسن: عضدا بسكون

الضاد ونقل ضمتها إلى العين. وقرئ: عُضدا بالفتح وسكون الضاد. وعُضُدا بضمتين وعَضَدا

بفتحتين: جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد ومن عضده: إذا قواه وأعانه.

{ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجابوا لهم وجعلنا بينهم موبقاً ورأى

المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً {.

{يقول {بالياء والنون. وإضافة الشركاء إليه على زعمهم: توبيخاً لهم وأراد الجن والموبق:

المهلك من وبق يبق وبوقاً ووبق يوبق وبقاً: إذا هلك. وأوبقه غيره. ويجوز أن يكون مصدراً

كالمورد والموعد يعني: وجعلنا بينهم وادياً من أودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد

مشتركاً يهلكون فيه جميعاً. وعن الحسن {موبقاً {عداوة. والمعنى: عداوة هي في شدتها هلاك

كقوله لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً. وقال الفراء: البين الوصل أي: وجعلنا تواصلهم في

الدنيا هلاكاً يوم القيامة. ويجوز أن يريد الملائكة وعزيراً وعيسى ومريم وبالموبق: البرزخ

البعيد أي: وجعلنا بينهم أمداً بعيداً تهلك فيه الأشواط لفرط بعده لأنهم في قعر جهنم وهم في

أعلى الجنان {فظنوا {فأيقنوا {مواقعوها {مخالطوها واقعون فيها {مصرفاً {معدلاً. قال:

أزهير هل عن شيبة من مصرف

{ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً {.

{أكثر شيء جدلاً {كثر الأشياء التي يتأتى منها الجدل إن فصلتها واحداً بعد واحد خصومة

ومماراة بالباطل. وانتصاب {جدلاً {على التمييز يعني: أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل

شيء. ونحوه: {فإذا هو خصيم مبين {النحل: 4.

{وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين أو يأتيهم

العذاب قبلاً {.

{أن {الأولى نصب. والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره {وما منع الناس {الإيمان

والاستغفار {إلا {انتظار {أن تأتيهم سنة الأولين {وهي الإهلاك {أو {انتظار {يأتيهم العذاب {

يعني عذاب الآخرة {قبلاً {عياناً. وقرئ: قِبَلا أنواعاً: جمع قبيل. قَبَلا بفتحتين: مستقبلاً.

{وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق

واتخذوا آياتي وما أنذرهم هزواً {.

{ليدحضوا {ليزيلوا ويبطلوا من إدحاض القدم وهو إزلاقها وإزالتها عن موطئها {وما أنذرهم {

يجوز أن تكون {ما {موصولة ويكون الراجع من الصلة محذوفاً أي: وما أنذروه من العذاب. أو

مصدرية بمعنى: وإنذارهم. وقرئ: {هزأ {بالسكون أي اتخذوها موضع استهزاء. وجدالهم:

قولهم للرسل: {ما أنتم إلا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة {المؤمنون: 24 وما أشبه ذلك.

{ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة

أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن تدعوهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً {.

{بآيات ربه {بالقرآن ولذلك رجع إليها الضمير مذكراً في قوله: {أن يفقهوه {{فأعرض عنها {فلم

يتذكر حين ذكر ولم يتدبر {ونسي {عاقبة إمَا {قدمت يداه {من الكفر والمعاصي غير متفكر فيها

ولا ناظر في أن المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء. ثم علل إعراضهم ونسيانهم بأنهم مطبوع

على قلوبهم وجمع بعد الإفراد حملاً على لفظ ومعناه {فلن يهتدوا {فلا يكون منهم اهتداء البتة

كأنه محال منهم لشدة تصميمهم {أبداً {مدة التكليف كلها. و {إذا {جزاء وجواب فدل على

انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى أنهم جعلوا ما يجب أن يكون سبب وجود الاهتداء سبباً

في انتفائه وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله: ما لي لا أدعوهم حرصاً على إسلامهم

فقيل: وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا.

{وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من

دونه موئلاً {.

{الغفور {البليغ المغفرة {ذو الرحمة {الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة أهل

مكة عاجلاً من غير إمهال مع إفراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم {بل لهم

موعد {وهو يوم بدر {لن يجدوا من دونه موئلاً {منجى ولا ملجأ. يقال: وأل إذا نجا و وأل إليه

إذا لجأ إليه.

{وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً {.

{وتلك القرى {يريد قرى الأولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم: أشار لهم إليها ليعتبروا. {تلك {

مبتدأ و {القرى {صفة: لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس و {أهلكناهم {خبر. ويجوز

أن يكون {وتلك القرى {نصباً بإضمار أهلكنا على شريطة التفسير. والمعنى وتلك أصحاب

القرى أهلكناهم {لما ظلموا {مثل ظلم أهل مكة {وجعلنا لمهلكهم موعداً {وضربنا لإهلاكهم وقتاً

معلوماً لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر والمهلك الإهلاك ووقته. وقرئ: لمَهلكهم

بفتح الميم واللام مفتوحة أو مكسورة أي: لهلاكهم أو وقت هلاكهم. والموعد: وقت أو

مصدر.

{وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً فلما بلغا مجمع بينهما

نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا

هذا نصباً قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره

واتخذ سبيله في البحر عجباً قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على أثارهما قصصاً فوجدا عبداً

من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً {.

{لفتاه {لعبده. وفي الحديث:

{ليقل أحدكم فتاي وفتاتي ولا يقل: عبدي وأمتي. وقيل: هو يوشع بن نون. وإنما قيل: فتاه

لأنه كان يخدمه ويتبعه. وقيل: كان يأخذ منه العلم. فإن قلت: {لا أبرح {إن كان بمعنى لا أزول

من برح المكان فقد دل على الإقامة لا على السفر. وإن كان بمعنى: لا أزال فلا بد من الخبر

قلت: هو بمعنى لا أزال وقد حذف الخبر لأن الحال والكلام معاً يدلان عليه. أما الحال فلأنها

كانت حال سفر. وأما الكلام فلأن قوله: {حتى أبلغ مجمع البحرين {غاية مضروبة وتستدعي ما

هي غاية له فلا بد أن يكون المعنى: لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين. ووجه آخر: وهو أن

يكون المعنى: لا يبرح مسيري حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فلما حذف المضاف أقيم

المضاف إليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب إلى لفظ المتكلم وهو

وجه لطيف. ويجوز أن يكون. المعنى: لا أبرح ما أنا عليه بمعنى: ألزم المسير والطلب ولا أتركه

ولا أفارقه حتى أبلغ كما تقول: لا أبرح المكان. ومجمع البحرين: المكان الذي وعد فيه موسى

لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق. وقيل: طنجة.

وقيل: أفريقية. ومن بدع التفاسير: أن البحرين موسى والخضر لأنهما كانا بحرين في العلم.

وقرئ: مجمع بكسر الميم وهي في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل {أو أمضي

حقباً {أو أسير زماناً طويلاً. والحقب ثمانون سنة. وروي أنه لما ظهر موسى على مصر مع بني

إسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط أمره الله أن يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيباً فذكر

نعمة اللّه وقال: إنه اصطفى نبيكم وكلمه. فقالوا له: قد علمنا هذا فأي الناس أعلم قال:

أنا. فعتب الله عليه حين لم يرد العلم إلى الله فأوحى إليه: بل أعلم منك عبد لي عند مجمع

البحرين وهو الخضر وكان الخضر في أيام أفريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة

ذي القرنين الأكبر وبقي إلى أيام موسى. وقيل: إن موسى سأل ربه: أي عبادك أحب إليك

قال الذي يذكرني ولا ينساني. قال: فأي عبادك أقضى قال: الذي يقضي بالحق ولا يتبع

الهوى. قال: فأي عبادك أعلم قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة

تدله على هدى أو ترده عن ردى. فقال: إن كان في عبادك من هو أعلم مني فادللني عليه.

قال: أعلم منك الخضر. قال: أين أطلبه قال: على الساحل عند الصخرة. قال: يا رب كيف

لي به قال: تأخذ حوتاً في مكتل فحيث فقدته فهو هناك. فقال لفتاه: إذا فقَدت الحوت

فأخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء

طلب موسى الحوت فأخبره فتاه بوقوعه في البحر فأتيا الصخرة فإذا رجل مسجى بثوبه

فسلم عليه موسى فقال: وأني بأرضنا السلام فعرفه نفسه فقال: يا موسى أنا على علم

علمنيه الله لا تعلمه أنت وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا. فلما ركبا السفينة جاء

عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر: ما ينقص علمي وعلمك من علم الله إلا

مقدار ما أخذ هذا العصفور من البحر {نسيا حوتهما {أي نسيا تفقد أمره وما يكون منه مما

جعل أمارة على الظفر بالطلبة. وقيل: نسي يوشع أن يقدمه ونسي موسى أن يأمره فيه

بشيء.

وقيل: كان الحوت سمكة مملوحة. وقيل: إن يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على

شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما أصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت.

وروي. أنهما أكلا منها. وقيل: توضأ يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع

في الماء {سرباً {أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل

السرب معجزة لموسى أو للخضر {فلما جاوزا {الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد أمر

الحوت وما كان منه. ونسيان يوشع أن يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر. وقيل:

سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد إلى الظهر وألقي على موسى النصب والجوع حين جاوز

الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه. وقوله: {من سفرنا هذا {إشارة إلى

مسيرهما وراء الصخرة. فإن قلت: كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه أمارة لهما

على الطلبة التي تناهضا من أجلها لكونه معجزتين ثنتين: وهما حياة السمكة المملوحة المأكول

منها وقيل: ما كانت إلا شق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب

منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة إلى ظهر الغد وحتى

طلب موسى عليه السلام الحوت قلت: قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل

مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم إلى ذلك أنه ضري بمشاهدة أمثاله عند موسى عليه السلام

من العجائب واستأنس بإخوانه فأعان الإلف على قلة الاهتمام {أرأيت {بمعنى أخبرني. فإن

قلت: ما وجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من {أرأيت {و {إذ أوينا {و {فإني نسيت الحوت {

لا متعلق له قلت: لما طلب موسى عليه السلام الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من

نسيانه إلى تلك الغاية فدهش وطفق يسأل موسى عليه السلام عن سبب ذلك كأنه قال:

أرأيت ما دهاني إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت فحذف ذلك. وقيل: هي الصخرة

التي دون نهر الزيت. و {أن اذكره {بدل من الهاء في {أنسانيه {أي: وما أنساني ذكره إلا الشيطان.

وفي قراءة عبد الله: أن اذكركه و {عجباً {ثاني مفعولي اتخذ مثل {سرباً {يعني: واتخذ سبيله

سبيلاً عجباً وهو كونه شبيه السرب أو قال: عجباً في آخر كلامه تعجباً من حاله في رؤية

تلك العجيبة ونسيانه لها أو مما رأى من المعجزتين وقوله: {أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره {

اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل: إن {عجباً {حكاية لتعجب موسى عليه السلام

وليس بذاك {ذلك {إشارة إلى اتخاذه سبيلاً أي: ذلك الذي كنا نطلب لأنه أمارة الظفر بالطلبة

من لقاء الخضر عليه السلام قرئ: نبغ لغير ياء في الوصل وإثباتها أحسن وهي قراءة أبي

عمرو. وأما الوقف فالأكثر فيه طرح الياء اتباعاً لخط المصحف {فارتدا {فرجعا في أدراجهما

{قصصاً {يقصان قصصاً أي: يتبعان آثارهما اتباعاً. أو فارتدا مقتصين {رحمة من عندنا {

هي الوحي والنبوة {من لدنا {مما يختص بنا من العلم وهو الإخبار عن الغيوب.

{قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً {.

{رشدا { قرئ: بفتحتين وبضمة وسكون أي: علما ذا رشد أرشد به في ديني. فإن قلت:

أما دلت حاجته إلى التعلم من آخر في عهده أنه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران

لأن النبي يجب أن يكون أعلم أهل زمانه وإمامهم المرجوع إليه في أبواب الدين قلت: لا

غضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله: وإنما يغض منه أن يأخذه ممن دونه. وعن سعيد ابن

جبير أنه قال لابن عباس: إن نوفا ابن امرأة كعب يزعم أن الخضر ليس بصاحب موسي وأن

موسى هو موسى بن ميشا فقال: كذب عدو الله.

{قال إنك لن تستطيع معي صبراً وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً }.

نفي استطاعة الصبر على وجه التأكيد كأنهما مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بأنه يتولى

أموراً هي في ظاهرها مناكير. والرجل الصالح فكيف إذا كان نبياً لا يتمالك أن يشمئز ويمتعض

ويجزع إذا رأى ذلك ويأخذ في الإنكار. و {خبراً }تمييز أي: لم يحط به خبرك أو لأن لم تحط به

بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر.

{قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً }.

{ولا أعصي }في محل النصب عطفاً على {صَابراً }أي: ستجدني صابراً وغير عاص. أو لا في

محل عطفاً على ستجدني. رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده أن يستطيع

معه صبراً بعد إفصاح الخضر عن حقيقة الأمر فوعده بالصبر معلقاً بمشيئة الله علماً منه بشدة

الأمر وصعوبته وإن الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع

علمه أن النبي المعصوم الذي أمره الله بالمسافرة إليه واتباعه واقتباسه العلم منه بريء من أن

يباشر ما فيه غميزة في الدين وأنه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف إذا

لم يعلم.

{قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً }.

قرئ: فلا تسألني بالنون الثقيلة يعني: فمن شرط اتباعك لي أنك إذا رأيت مني شيئاً وقد

علمت أنه صحيح إلا أنه غبي عليك وجه صحته فحميت وأنكرت في نفسك أن لا تفاتحني

بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون أنا الفاتح عليك. وهذا من آداب المتعلم مع العالم والمتبوع

مع التابع.

{فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً قال

ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً }.

{فانطلقا }على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال أهلها: هما من اللصوص

وأمروهما بالخروج فقال صاحب السفينة: أرى وجوه الأنبياء. وقيل: عرفوا الخضر فحملوهما

بغير نول فلما لججوا أخذ الخضر الفأس فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها مما يلي الماء

فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول: {أخرقتها لتغرق أهلها }وقرئ: لتغرق بالتشديد وليغرق

أهلها من غرق وأهلها مرفوع {جئت شيئاً إمراً }أتيت شيئاً عظيماً من أَمر الأمر: إذا عظم

قال:

داهية دهياء إداً إمراً }.

{قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً }.

{بما نسيت }بالذي نسيته أو بشيء نسيته أو بنسياني: أراد أنه نسي وصيته ولا مؤاخذة على

الناسي. أو أخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه أنه قد نسي ليبسط

عذره في الإنكار وهو من معاريض الكلام التي يتقي بها الكذب مع التوصل إلى الغرض كقول

إبراهيم: هذه أختي وإني سقيم. أو أراد بالنسيان: الترك أي: لا تلا تآخذني بما تركت من

وصيتك أول مرة. يقال: رهقه إذا غشيه وأرهقه إياه. أي: ولا تغشني {عسراً }من أمري وهو

اتباعه إياه يعني: ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالإغضاء وترك المناقشة. وقرئ:

عُسُراً بضمتين.

{فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال

ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً }.

}فقتله {قيل: كان قتله فتل عنقه. وقيل: ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير: أضجعه

ثم ذبحه بالسكين. فإن قلت: لم قيل {حَتى إِذَا رَكِبَا في السفينة خرقها {بغير فاء و }حتى إذا لقيا

غلاماً فقتله {قلت: جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفاً عليه

والجزاء {قال أقتلت {. فإن قلت: فلم خولف بينهما قلت: لأن خرق السفينة لم يتعقب الركوب

وقد تعقب القتل لقاء الغلام. وقرئ: زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب إما لأنها طاهرة

عنده لأنه لم يرها قد أذنبت وإما لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث {بغير نفس {يعني لم تقتل نفساً

فيقتص منها. وعن ابن عباس:

أن نجدة الحروري كتب إليه: كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

قتل الولدان فكتب إليه: إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل

}نكراً {. وقرئ: بضمتين وهو المنكر وقيل النكر أقل من الإمر لأن قتل نفس واحدة أهون من

إغراق أهل السفينة. وقيل: معناه جئت شيئاً أنكر من الأول لأن ذلك كان خرقاً يمكن تداركه

بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه. فإن قلت: ما معنى زيادة {لك {قلت: زيادة المكافحة

بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية.

}قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً {

}بعدها {بعد هذه الكرة أو المسألة {فلا تصاحبني {فلا تقاربني وإن طلبت صحبتك فلا

تتابعني على ذلك. وقرئ: فلا تصحبني فلا تكن صاحبي. وقرئ: فلا تصحبني أي فلا

تصحبني إياك ولا تجعلني صاحبك {من لدني عذراً {قد أعذرت. وقرئ: لدني بتخفيف النون

ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد: عضد. وعن رسول الله صلى الله عليه

وسلم:

{إرحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك {وقال:

{رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لو لبث مع صاحبه لأبصر أعجب الأعاجيب {.

{فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن

ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجراً {.

{أهل قرية {هي إنطاكية. وقيل: الأبلة وهي أبعد أرض الله من السماء {أن يضيفوهما {.

وقرئ: يضيفوهما يقال: ضافه إذا كان له ضيفاً. وحقيقته: مال إليه من ضاف السهم عن

الغرض ونظيره: زاره من الازورار. وأضافه وضيفه: أنزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله

عليه وسلم:

{كانوا أهل قرية لئاماً {. وقيل: شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل

حقه {يريد أن ينقض {استعيرت الإرادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك. قال

في مهمه قلقت به هاماتها قلق الفؤوس إذا أردن نصولاً {.

وقال:

يريد الرمح صدر أبي براء ويعدل عن دماء بني عقيل

وقال حسان:

إن دهراً يلف شملي بجمل لزمان يهم بالإحسان

وسمعت من يقول: عزم السراج أن يطفأ وطلب أن يطفأ. وإذا كان القول والنطق والشكاية

والصدق والكذب والسكوت والتمرد والإباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعار للجماد ولما لا

يعقل فما بال الإرادة قال:

إذا قالت الأنساع للبطن الحق

تقول سني للنواة طني

وشكا إلي بعبرة وتحمحم

فإن يكن ظني صادقاً وهو صادقي

{ولما سكت عن موسى الغضب }الأعراف: 154:

تمرد مارد وعز الأبلق

ولبعضهم:

يأبى على أجفانه إغفاءه هم إذا انقاد الهموم تمردا

أبت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا

{قالتا أتينا طائعين }فصلت: 11 ولقد بلغني أن بعض المحرفين لكلام اللّه تعالى ممن لا يعلم كان

يجعل الضمير للخضر لأن ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم أراه أعلى الكلام طبقة أدناه

منزلة فتمحل ليرده إلى ما هو عنده أصح وأفصح وعنده أن ما كان أبعد من المجاز كان أدخل

في الإعجاز. وانقض: إذا أسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو انفعل مطاوع قضضته.

وقيل: افعل من النقض كأحمر من الحمرة. وقرئ: أن ينقض من النقض وأن ينقاص من انقاصت

السن إذا انشقت طولاً قال ذو الرقة:

بالصاد غير معجمة {فأقامه {قيل: أقامه بيده. وقيل: مسحه بيده فقام واستوى. وقيل: أقامه

بعمود عمده به. وقيل: نقضه وبناه. وقيل: كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال

حال اضطرار وافتقار إلى المطعم ولقد لزمتهما الحاجة إلى آخر كسب المرء وهو المسألة فلم

يجدا مواسياً فلما أقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة أن {قال لو

شئت لتخذن عليه أجراً {وطلبت على عملك جعلاً حتى ننتعش ونستدفع به الضرورة وقرئ:

لتخذت والتاء في تخذ أصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الأخذ في

شيء.

{قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً }.

فإن قلت: {هذا {إشارة إلى ماذا قلت: قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاد على ما قال

موسى عليه السلام: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فأشار إليه وجعله مبتدأ

وأخبر عنه كما تقول: هذا أخوك فلا يكون هذا إشارة إلى غير الأخ ويجوز أن يكون إشارة

إلى السؤال الثالث أي: هذا الاعتراض سبب الفراق والأصل هذا فراق بيني وبينك. وقد قرأ

به ابن أبي عبلة فأضيف المصدر إلى الظرف كما يضاف إلى المفعول به.

{أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل

{لمساكين {قيل كانت لعشرة إخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر {وراءهم {

أمامهم كقوله تعالى: {من ورائهم برزخ {المؤمنون: 100 وقيل: خلفهم وكان طريقهم في

رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فأعلم اللّه به الخضر وهو جلندي. فإن قلت: قوله:

{فأردت أن أعيبها {مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه أن يتأخر عن السبب فلم قدم

عليه قلت: النية به التأخير وإنما قدم للعناية ولأن خوف الغصب ليس هو السبب وحده

ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك: زيد ظني مقيم. وقيل في قراءة أبي وعبد اللّه: كل

سفينة صالحة.

{وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما

خيراً منه زكوة وأقرب رحماً وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما

وكان أبوهما صالحاً فأراد ربهما أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته

عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً }.

وقرأ الجحدري: {وكان أبواه مؤمنان على أن كان فيه ضمير الشأن {فخشينا أن يرهقهما طغياناً

وكفراً {فخفنا أن يغشى الوالدين المؤمنين طغياناً عليهما وكفراً لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه

ويلحق بهما شراً وبلاء أو يقرن بإيمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ

كافر. أو يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا ويكفرا بعد الإيمان وإننا خشي

الخضر منه ذلك لأن الله تعالى أعلمه بحاله وأطلعه على سر أمره. وأمره إياه بقتله كاحترامه

لمفسدة عرفها في حياته. وفي قراءة أبي: فخاف ربك والمعنى: فكره ربك كراهة من خاف

سوء عاقبة الأمر فغيره. ويجوز أن يكون قوله {فخشينا {حكاية لقول الله تعالى بمعنى: فكرهنا

كقوله {لأهب لك {مريم: 19. وقرئ: يبدلهما بالتشديد. والزكاة: الطهارة والنقاء من الذنوب.

والرحم: الرحمة والعطف. وروي أنه ولدت لهما جارية نزوجها نبي فولدت نبياً هدى الله على

يديه أمة من الأمم. وقيل ولدت سبعين نبياً. وقيل: أبدلهما ابناً مؤمناً مثلهما. قيل اسما

الغلامين: أصرم وصريم. والغلام المقتول: اسمه الحسين. واختلف في الكنز فقيل: مال مدفون

من ذهب وفضة. وقيل: لوح من ذهب مكتوب فيه:

عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن

يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل. وعجبت لمن يعرف الدنيا

وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها. لا إله إلا الله محمد رسول اللّه.

وقيل: صحف فيها علم. والظاهر لإطلاقه: أنه مال. وعن قتادة: أحل الكنز لمن قبلنا وحرم

علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا: أراد قوله تعالى: {والذين يكنزون الذهب والفضة {

التوبة: 34 {كان أبوهما صالحاً {اعتداد بصلاح أبيهما وحفظ لحقه فيهما. وعن جعفر بن محمد

الصادق: كان بين الغلامين وبين الأب الذي حفظا فيه سبعة آباء. وعن الحسين بن علي رضي

الله تعالى عنهما أنه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما: بم حفظ اللّه الغلامين قال: بصلاح

أبيهما. قال: فأبي وجدي خير منه. فقال: قد أنبأنا الله أنكم قوم خصمون {رحمة {مفعول له.

أو مصدر منصوب بأراد ربك لأنه في معنى رحمهما {وما فعلته {وما فعلت ما رأيت {عَن

أمري {عن اجتهادي ورأي وإنما فعلته بأمر الله.

{ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكراً إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل

شيء سبباً فاتبع سبباً حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمأة ووجد عندها

قوماً قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً قال أما من ظلم فسوف نعذبه ثم

يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من

أمرنا يسراً {.

ذو القرنين: هو الإسكندر الذي ملك الدنيا. قيل: ملكها مؤمنان: ذو القرنين وسليمان.

وكافران: نمروذ وبختنصر وكان بعد نمروذ. واختلف فيه فقيل: كان عبداً صالحاً ملكه الله

الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور

من أمامه وتحوطه الظلمة من ورائه. وقيل: نبياً. وقيل: ملكاً من الملائكة. وعن عمر رضي

الله عنه أنه سمع رجلاً يقول: يا ذا القرنين فقال: اللهم غفراً ما رضيتم أن تتسموا بأسماء الأنبياء

حتى تسميتم بأسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه: سخر له السحاب ومدت له

الأسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال: أحبه اللّه فأحبه. وسأله ابن الكوا: ما ذو القرنين

أملك أم نبي فقال: ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن في

طاعة الله فمات ثم بعثه اللّه فضرب على قرنه الأيسر فمات فبعثه الله فسمي ذو القرنين وفيكم

مثله. قيل: كان يدعوهم إلى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى. وعن النبي صلى الله عليه

وسلم:

{سمي ذا القرنين لأنه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها {.

وقيل: كان له قرنان أي ضفيرتان. وقيل: انقرض في وقته قرنان من الناس. وعن وهب: لأنه

ملك الروم وفارس. وروي: الروم والترك. وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس. وقيل: كان

لتاجه قرنان. وقيل: كان على رأسه ما يشبه القرنين. ويجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما

يسمى الشجاع كبشاً لأنه ينطح أقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره.

والسائلون: هم اليهود سألوه على جهة الامتحان. وقيل: سأله أبو جهل وأشياعه والخطاب في

{عليكم {لأحد الفريقين {من كل شيء {أي من أسباب كل شيء أراده من أغراضه ومقاصده

في ملكه {سَبَبَاً {طريقاً موصلاً إليه والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة

فأراد بلوغ المغرب {فاتبع سبباً {يوصله إليه حتى بلغ وكذلك أراد المشرق فأتبع سبباً وأراد

بلوغ السدين فاتبع سبباً. وقرئ: فأتبع قرئ: حمأة من حمئت البئر إذا صار فيها الحمأة. وحامية

بمعنى حارة. وعن أبي ذر:

كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجمل فرأى الشمس حين غابت فقال:

{يا أبا ذر أتدري أين تغرب هذه {فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: {فإنها تغرب في عين

حامية {وهي قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن. وقرأ ابن عباس: حمأة.

وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية: حامية فقال ابن عباس: حمأة. فقال معاوية لعبد اللّه

بن عمرو: كيف تقرأ قال: كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه إلى كعب الأحبار. كيف تجد

الشمس تغرب قال: في ماء وطين كذلك نجده في التوراة. وروي: في ثأط فوافق قول ابن

عباس وكان ثمة رجل فأنشد قول تبع:

فرأى مغيب الشمس عند مآبها في عين ذي خلب وثاط حرمد

أي في عين ماء ذي طين وحمأ أسود ولا تنافي بين الحمأة والحامية فجائز أن تكون العين جامعة

للوصفين جميعاً. كانوا كفرة فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل وأن يدعوهم إلى الإسلام فاختار

الدعوة والاجتهاد في استمالتهم فقال: أما من دعوته فأبى إلا البقاء على الظلم العظيم الذي هو

الشرك: فذلك هو المعذب في الدارين {وأما من آمن وعمل {ما يقتضيه الإيمان {فله جزاء

الحسنى {وقيل: خيره بين القتل والأسر وسماه إحساناً في مقابلة القتل {فله جزاء الحسنى {فله أن

يجازي المثوبة الحسنى. أو فله جزاء الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة. وقرئ: فله جزاء

الحسنى أي: فله الفعلة الحسنى جزاء. وعن قتادة: كان يطبخ من كفر في القدور وهو العذاب

النكر. ومن آمن أعطاه وكساه {من أمرنا يسراً {أي لا نأمره بالصعب الشاق ولكن بالسهل

المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره: ذا يسر كقوله: {قولاً ميسوراً {الإسراء: 28

وقرئ: يسراً بضمتين.

{ثم اتبع سبباً حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً

كذلك وقد أحطنا بما لديه خبراً {.

وقرئ مطلع اللام وهو مصدر. والمعنى: بلغ مكان مطلع الشمس كقوله:

كأن مجر الرامسات ذيولها

يريد: كأن آثار مجر الرامسات {على قوم {قيل: هم الزنج. والستر: الأبنية وعن كعب: أرضهم

لا تمسك الأبنية وبها أسراب فإذا طلعت الشمس دخلوها. فإذا ارتفع النهار خرجوا إلى

معايشهم وعن بعضهم: خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل: بينك وبينهم

مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فإذا أحدهم يفرش أذنه ويلبس الأخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم

فقالوا له: جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال: فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة

فغشي علي ثم أفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذا هي فوق الماء

كهيئة الزيت فأدخلوها سرباً لهم فلما ارتفع النهار خرجوا إلى البحر فجعلوا يصطادون

السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم. وقيل: الستر اللباس. وعن مجاهد: من لا يلبس

الثياب من السودان عند مطلع الشمس أكثر من جميع أهل الأرض {كذلك {أي أمر ذي القرنين

كذلك أي كما وصفناه تعظيماً لأمره {قد أحطنا بما لدنه {من الجنود والآلات وأسباب الملك

{خبراً {تكثيراً لذلك. وقيل: لم نجعل لهم من دونها ستراً مثل ذلك الستر الذي جعلنا لكم من

الجبال والحصون والأبنية والأكنان من كل جنس والثياب من كل صنف. وقيل: بلغ مطلع

الشمس مثل ذلك أي: كما بلغ مغربها. وقيل: تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب

عليهم يعني أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم في تعذيبه لمن بقي منهم على الكفر

وإحسانه إلى من آمن منهم.

{بين السدين {بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين مما بينهما. قرئ: بالضم والفتح. وقيل: ما

كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لأن السد بالضم فعل

بمعنى مفعول أي: هو مما فعله الله تعالى وخلقه. والسد بالفتح: مصدر حدث يحدثه الناس.

وانتصب {بين {على أنه مفعول به مبلوغ كما انجر على الإضافة في قوله: {هذا فراق بيني وبينك {

الكهف: 78 وكما ارتفع في قوله: {لقد تقطع بينكم {الأنعام: 94 لأنه من الظروف التي

تستعمل أسماء وظروفاً وهذا المكان في منقطع أرض الترك مما يلي المشرق {من دونهما قوماً {

هم الترك {لا يكادون يفقهون قولاً }لا يكادون يفهمونه إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما

يفهم البكم وقرئ: يفقهون أي لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لأن لغتهم غريبة مجهولة.

{قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل

بيننا وبينهم سداً {.

{يأجوج ومأجوج {اسمان أعجميان بدليل منع الصرف. وقرئا: مهموزين. وقرأ رؤبة: اجوج

وماجوج وهما من ولد يافث. وقيل: يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم. {مفسدون

في الأرض {قيل: كانوا يأكلون الناس وقيل: كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون شيئاً أخضر إلا

أكلوه ولا يابساً إلا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلاً وأذى شديداً.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم في صفتهم: {لا يموت أحد منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من

صلبه كلهم قد حمل السلاح {. وقيل: هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو

القصر. وقرئ: خرجاً وخراجا أي جعلاً نخرجه من أموالنا: ونظيرهما: النول والنوال. وقرئ:

سدا وسدا بالفتح والضم.

{قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً أتوني زبر الحديد حتى

إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا فيه حتى إذا جعله ناراً قال أتوني أفرغ عليه قطراً فما

استطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً {.

{ما مكني فيه ربي خير {ما جعلني فيه مكيناً من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لي من

الخراج فلا حاجة بي إليه كما قال سليمان صلوات اللّه عليه: {فما آتاني الله خير مما آتاكم {

النمل: 36. قرئ: بالإدغام وبفكه. {فأعينوني بقوة {بفعله وصناع يحسنون البناء والعمل

وبالآلات {ردماً {حاجزاً حصيناً موثقاً. والردم أكبر من السد من قولهم: ثوب مردم رقاع فوق

رقاع. وقيل: حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان

من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافيخ

حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمي فاختلط والتصق بعضه

ببعض وصار جبلاً صلداً. وقيل: بعد ما بين السدين مائة فرسخ. وقرئ: سوى وسووى.

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

{أن رجلاً أخبره به فقال: كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء. قال: قد

رأيته. والصدفان بفتحتين: جانبا الجبلين لأنهما يتصادقان أي: يتقابلان وقرئ: الصدفين

بضمتين. والصدفين بضمة وسكون. الصدفين بفتحة وضمة. والقطر النحاس المذاب لأنه يقطر

و {قطراً {منصوب بأفرغ وتقديره آتوني قطراً أفرغ عليه قطراً فحذف الأول لدلالة الثاني عليه.

وقرئ: قال ائتوني أي جيئوني {فما اسطاعوا {بحذف التاء للخفة لأن التاء قريبة المخرج من

الطاء. وقرئ: فما اصطاعوا بقلب السين صاداً. وأما من قرأ بإدغام التاء في الطاء فملاق بين

ساكنين على غير الحد {أن يظهروا {أي يعلوه أي: لا حيلة لهم فيه من صعود. لارتفاعه

وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته.

{قال هذا من رحمة ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقاً {.

{هذا {إشارة إلى السد أي: هذا السد نعمة من اللّه و {رحمة {على عباده. أو هذا الإقدار

والتمكين من تسويته {فإذا جاء وعد ربي {يعني فإذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف أن يأتي

جعل السد {دكاء {أي مدكوكاً مبسوطاً مستوي بالأرض وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد

اندك. ومنه: الجمل الأدك: المنبسط السنام. وقرئ: دكاء بالمد: أي أرضاً مستوية {وكان وعد

ربي حقاً {آخر حكاية قول ذي القرنين.

{وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً {.

{وتركنا {وجعلنا {بعضهم {بعض الخلق {يموج في بعض {أي يضطربون ويختلطون إنسهم وجنهم

حيارى. ويجوز أن يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وأنهم يموجون حين يخرجون من وراء السد

مزدحمين في البلاد. وروي: يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن

ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون أن يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم

يبعث الله نغفاً في أقفائهم فيدخل في آذانهم فيموتون.

{وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا

يستطيعون سمعاً {.

{وعرضنا جهنم {وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها {عن ذكري {عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر

بالتعظيم. أو عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه {صم بكم عمي {البقرة: 17 - 18

{وكانوا لا يستطيعون سمعاً {يعني وكانوا صماً عنه إلا أنه أبلغ لأن الأصم قد يستطيع السمع إذا

صيح به وهؤلاء كأنهم أصميت أسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع.

{من دوني أولياء {هم الملائكة يعني: أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم {سبحانك

أنت ولينا من دونهم {سبأ: 41. وقرأ ابن مسعود: أفظن الذين كفروا وقراءة علي رضي الله

عنه أفحسب الذين كفروا أي: أفاكافيهم ومحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر. أو

على الفعل والفاعل لأن اسم الفاعل إذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل في العمل كقولك:

أقائم الزيدان. والمعنى أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا. وهي قراءة محكمة

جيدة النزل: ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه {فبشرهم بعذاب أليم }آل عمران: 21.

{قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون صنعاً

أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ذلك

جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزواً }.

{ضل سعيهم }ضاع وبطل وهم الرهبان. وعن علي رضي الله عنه كقوله: {عاملة ناصبة }

الغاشية: 3 وعن مجاهد: أهل الكتاب. وعن علي رضي الله عنه: أن ابن الكوا سأله عنهم

فقال: منهم أهل حروراء. وعن أبي سعيد الخدري: يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم

في العظم كجبال تهامة فإذا وزنوها لم تزن شيئاً {فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً }فنزدري بهم

ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار. وقيل: لا يقام لهم ميزان لأن الميزان إنما يوضع لأهل

الحسنات والسيئات من الموحدين. وقرئ: فلا يقيم بالياء. فإن قلت: الذين ضل سعيهم في أي

محل هو قلت: الأوجه أن يكون في محل الرفع على: هم الذين ضل سعيهم لأنه جواب عن

السؤال. ويجوز أن يكون نصباً على الذم أو جر على البدل {جهنم }عطف بيان لقوله:

{جزاؤهم }.

{إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها لا يبغون عنها

حولاً }.

الحول: التحول. يقال: حال من مكانه حولاً كقولك: عادني حبها عوداً يعني: لا مزيد عليها

حتى تنازعهم أنفسهم إلى أجمع لأغراضهم وأمانيهم. وهذه غاية الوصف لأن الإنسان في الدنيا

في أي نعيم كان فهو طامح الطرف إلى أرفع منه. ويجوز أن يراد نفي التحول وتأكيد الخلود.

{قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله

مدداً }.

المداد: اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط. ويقال: السماد مداد

الأرض. والمعنى: لو كتبت كلمات علم اللّه وحكمته وكان البحر مداداً لها والمراد بالبحر

الجنس {لنفد البحر قبل أن تنفد {الكلمات {وَلو جِئنَا {بمثل البحر مداداً لنفد أيضاً. والكلمات

غير نافدة. و {مداداً {تمييز كقولك: لي مثله رجلاً. والمدد مثل المداد وهو ما يمد به. وعن ابن

عباس رضي الله عنه: بمثله مداداً. وقرأ الأعرج: مدداً بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده

الكاتب فيكتب به. وقرئ: ينفدا بالياء. وقيل: قال حيي بن أخطب: في كتابكم {ومن يؤت

الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً {البقرة: 269 ثم تقرءون: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً {الإسراء:

85 فنزلت يعني: أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات اللّه.

{قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً

صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً {.

{فمن كان يرجو لقاء ربه {فكن كان يؤمل حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول. وقد

فسرنا اللقاء. أو: أفمن كان يخاف سوء لقائه. والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة: أن لا يرائي

بعمله وأن لا يبتغي به إلا وجه ربه خالصاً لا يخلط به غيره. وقيل:

نزلت في جندب بن زهير قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إني أعمل العمل لله فإذا اطلع عليه

سرني فقال: {إن الله لا يقبل ما شورك فيه {.

وروي أنه قال: {لك أجران: أجر السر وأجر العلانية {وذلك إذا قصد أن يقتدى به. وعنه

صلى الله عليه وسلم:

{اتقوا الشرك الأصغر {قالوا: وما الشرك الأصغر قال: {الرياء {وعن رسول الله صلى الله عليه

وسلم:

{من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نوراً من قرنه إلى قدمه ومن قرأها كلها كانت له

نوراً من الأرض إلى السماء {وعنه صلى الله عليه وسلم:

{من قرأ عند مضجعه: {قل إنما أنا بشر مثلكم }كان له من مضجعه نوراً يتلألأ إلى مكة حشو

ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وإن كان مضجعه بمكة كان له نوراً يتلألأ من

مضجعه إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ {والله أعلم.